الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

اللهجة الشعبية الجزائرية واستعمالاتها

دراسة سوسيوثقافية تأصيلية لمنطقة غرب شمال الصحراء

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه علوم في التاريخ
تخصص: "التراث الثقافي اللامادي"

من إعداد الطالب المترشح : عبد العليم بوفاتح

بإشراف الأستاذ الدكتور: شعيب مقنونيف

العام الجامعي : 1441 / 1442 هـ ؛ الموافق : 2020 / 2021 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

اللهجة الشعبية الجزائرية واستعمالاتها

دراسة سوسيوثقافية تأصيلية لمنطقة غرب شمال الصحراء

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه علوم في التاريخ

تخصص : "التراث الثقافي اللامادي"

من إعداد الطالب المترشح : عبد العليم بوفاتح

بإشراف الأستاذ الدكتور: شعيب مقنونيف

لجنـــــة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	مؤسسة الانتماء	الصفة
أ.د. عبد الحق زريوح	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيساً
أ.د. شعيب مقنونيف	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفاً ومقرراً
أ.د. ة. نصيرة شافع بلعيد	أستاذة التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضواً
أ.د. إبراهيم مناد	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي - مغنية	عضواً
أ.د. عبد الرحمن بغداد	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي - مغنية	عضواً
أ.د. عبد القادر بلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	عضواً

العام الجامعي : 1441 / 1442 هـ ؛ الموافق : 2020 / 2021 م

استفتاح

اللهم افتح لنا في العلْم كلّ سبيل

وأنِرْ قلوبنا بهدي التنزيل

وبصّرنا بحُسْن الفهم والتأويل

وامنحنا الثواب والأجر الجزيل

ويسّر لنا سبُل التحصيل والطلب

وزيّـنّا بحلل التواضع والأدب

وارحمنا يوم اللقاء المرتقب

إهداء

إلى والديّ وإخوتي.. في مقعد صدق عند ميك مقتدر..

تغمدهم الله جميعاً بواسع رحماته وأسكنهم فسيح جناته

وجمعنا بهم في الفردوس الأعلى..

مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين

وحسُن أولئك رفيقا..

إلى الكوكبيْن اللّذيْن أنارا ** دروب حياتي، وقد أفـلا

إلى من أرادا لي العلْم غرساً ** فلمّا أتـى جنْـيـُه رحـــلا

إلى الراحلِين وداعـاً كـحُلم ** أتانا وسرعان ما انتـقـلا

إلى كل الأهل والأصدقاء وكل أبنائي وطلبتي الأعزّاء..

إلى كل معتزّ بتاريخه المجيد وتراثه الفريد ومجده التليد،

متطلع إلى آفاق التطور والتجديد..

شكر و عرفان

كلّ الحمد والشكر والثناء لله سبحانه في كل صباح ومساء..
على فضله وإنعامه وإحسانه وتوفيقه وامتنانه..

ثم خالص الشكر والعرفان لأستاذنا الفاضل الكريم البروفيسور شعيب مقنونيف على ما لقيناه لديه طوال مرافقته لنا في هذا البحث من رعاية محمودة وعناية مشهودة، منذ أن كان هذا العمل فكرة إلى أن استوى في هذه الأطروحة التي حازت شرف اسمه تاجاً لها، فحفظه الله ورعاه وأدامه ذخرا وفخرا للعلم والخير والفضيلة، وجزاه الله خيرا على ما يقدمه للعلم وطلابه من جهد مشكور نابع من أصالته ومن كريم خصاله..
ولا يفوتنا إسداء عبارات الشكر والتقدير إلى أسرة جامعة تلمسان بكل مسؤوليها ومصالحها ومجالسها وأساتذتها، إذْ نلنا شرف الانتساب إليها..

وجزيل الشكر للأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة الموقرة ، على قراءة هذه الأطروحة وتقديم توجيهاتهم النيّرة في سبيل الارتقاء بها إلى الأفضل.
والشكر موصول إلى كل من أسهم بقليل أو كثير في سبيل إثراء هذا البحث، أو من كانت له بصمة فيه ، من قريب أو من بعيد..
كتابياً أو شفهياً ، نظريا أو ميدانياً ..
وجزى الله الجميع خير الجزاء ..

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة :

الحمد لله الذي أنزل القرآن فشرّع به وأبان وزيّن به نطق اللسان وجعله رسولاً للقلب والجنان وأمدّ بني الإنسان بسحر القول والبيان وأرسل مُحَمَّداً ﷺ كافة للناطقين بكل لسان.. وبعد؛

فقد اقتضت حكمة المولى سبحانه أن يجعل الناس أمما وشعوباً تلتقي في كثير من صفاتها وأنماط معيشتها وأشكال تواصلها وأساليب تخاطبها، وفي الوقت ذاته تختلف في كثير من خصائص حياتها تبعاً لما عرفته في مسيرتها وما طرأ عليها من مختلف العوامل والمؤثرات.. ومن حكمته سبحانه أن جعل التقارب بين الشعوب والأمم نابعاً من الاختلاف والتنوّع . مصداقا لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات/13]

من هذا المنطلق، وجب على الناس أن يستثمروا هذا التنوع والاختلاف في توطيد العلاقات الإنسانية، باعتبار كل منهم يكمّل الآخر، وبهذا تستمر الحياة على الوجه الصحيح، ويعمّ التفاهم والانسجام بدل التنازع والخصام، لأنّ عمارة الأرض تقتضي هذا التعارف والتقارب بين مختلف الشعوب..

ولعلّ من أبرز مظاهر التقارب والتعارف بين الشعوب ما يكون عبْر عاداتها وتقاليدها، ومن ذلك ما تتميز به لغاتها ولهجاتها من خصائص وما تحمله من إرث ثقافي ومخزون اجتماعي يعكس طُرُق حياتها وأنماط معيشتها على امتداد الزمن وتعاقب العصور، لأنّ كل ما هو موجود اليوم من الأشكال التراثية المختلفة إنما هو امتداد لتراكمات متلاحقة متوارثة عبْر أجيال يكمّل بعضها بعضاً، فلا سبيل إذاً إلى إغفال هذا الجانب في حياة الشعوب والأمم والمجتمعات..

هذا، وتأتي اللغة بكل لهجاتها وفروعها وتشعباتها في المقام الأول من هذا الإرث الزاخر بالأسرار وما أبدعه الإنسان من الرؤى والأفكار، على اعتبار أنها (اللغة/اللهجة) هي الوعاء الذي يحمل ثقافات المجتمعات ويعكس أنماط الحياة الاجتماعية في كل قطر من الأقطار في هذه المعمورة..

وكما تختلف هذه الشعوب في عاداتها وتقاليدها، تختلف كذلك في لغاتها ولهجاتها، وهذا من قبيل التعدد والتنوع الذي تفرضه طبيعة الحياة، لأنه من سنن الحياة ونواميسها، وهو مما اقتضته حكمة الخالق سبحانه، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ.﴾ [الروم/22] بل إنّ هذا التعدد والتنوع يكون على مستوى القُطْر الواحد والبلَد

الواحد، وعلى مستوى مناطق البلد الواحد.. وفي هذا النطاق يندرج بحثنا هذا الذي يتناول موضوع اللهجات في المجتمع الجزائري، من حيث تقاربها وتمايزها واتصالها بالحياة الاجتماعية، مع تأصيلها والبحث عن جذورها في اللغة الأم.. ولم نهتمّ كثيرا بما هو غريب أو دخيل على اللهجة الجزائرية، كما لم نهتم بما يبدو من بعض الاختلافات في آراء الباحثين في هذا الموضوع، لأننا لا نريد أن نخرج بالبحث عن مساره الذي حددناه له، وهو دراسة اللهجة الجزائرية دراسة تثبت أصالتها وبقاءها على الرغم ممّا تعرّض له المجتمع الجزائري من الحملات الاستعمارية عبر العصور، كما أردنا أن نثبت من ذلك مدى تماسُك المجتمع الجزائري من خلال محافظته على عاداته وتقاليده المتوارثة من الآباء والأجداد؛ وفي هذا حفاظ على هويته الثقافية وأصالته العربية الإسلامية، فظاهرة التنوع اللغوي تثبت ثراء المجتمع وتوسع ثقافاته وامتدادها مع تمسكه بأصالته ووحدته، فهذا التنوع إنما هو تنوع ثراء وائتلاف وفقا لطبيعة تنوع مظاهر الحياة في المجتمع..

الإطار الموضوعي للدراسة :

تندرج هذه الدراسة التطبيقية الميدانية ضمن علم الاجتماع اللغوي أو الجغرافيا اللغوية، باستعراض واقع اللهجات الجزائرية وأنواعها ومختلف خصائصها ومزاياها، وعلاقات التقارب والتمايُز بينها.. وذلك في سياق اجتماعي لربط اللغة بالحياة الاجتماعية، إذْ لا يمكن الحديث عن الظواهر اللغوية من دون الحديث عن العلاقة القائمة بين حياة الناس وأساليب تخاطبهم في شؤون حياتهم اليومية. ذلك أنّ " أن علم اللغة الاجتماعي ينظم كل جوانب بنية اللغة وطرائق استعمالاتها التي تربطها بوظائفها الاجتماعية والثقافية والحضارية." [1] وقد أشاد الباحثون في الشرق والغرب بأهمية هذا العلم (أي: علم اللغة الاجتماعي)، إذْ يرى فيشمان أنّه " العلم الذي يبحث في التفاعل بين جانبي السلوك الانساني (استعمالات اللغة) والتنظيم الاجتماعي للسلوك." [2] على اعتبار أنّ اللهجة ماهي إلا لغة عامية يستعملها العوام، وتوظفها جماعة معينة تربطهم دائرة جغرافية واحدة ويحملون خصائص لغوية مشتركة فهي تعكس لنا الأداء الفردي لجماعة ما. وهذا الأداء يتضمّن الكثير من المعطيات الاجتماعية، ويحيل الباحث على كمّ كبير من العادات والتقاليد التي يتميز بها كل مجتمع، واللغة بكل لهجاتها هي المرآة التي تنعكس عليها صورة المجتمع ..

إن تفرع اللغة العربية الفصحى إلى لهجات له عدة عوامل جعلت منها لغة بديلة في الاستعمال، يقول بعضهم في هذا الشأن : " إن السبب الرئيسي لتفرع اللغة إلى اللهجات يرجع إلى انتشار اللغة في مناطق

[1] – كمال بشر، علم الاجتماع اللغوي ،(مدخل) ،دار غريب للطباعة والنشر ،(دط) ،1997 ،ص29

[2] – عز الدين صحراوي، اللغة بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية ، مجلة العلوم الانسانية، العدد الخامس، فيفري 2004

مختلفة وواسعة، وإلى استخدامها لدى جماعات كثيرة العدد وطوائف مختلفة من الناس.."[1] وتلك هي طبيعة اللغة، فهي تنمو وتتطور وتتوسع بكثرة الاستعمال والتداول بين الأوساط الاجتماعية على المستويين الداخلي والخارجي..

وقد أصبحت دراسة اللهجات والبحث فيها ضرورة يقتضيها الواقع للتعرف إلى حياة الأفراد بيان العلاقات القائمة بينهم على مستويات متعددة، إذْ لا يمكن الوقوف على حيثيات الحياة الاجتماعية إلاّ بدراسة اللغة التي يستعملها الناس في مخاطباتهم اليومية، لأن هذه المخاطبات تتضمّن في الحقيقة قضاء للمصالح المتبادلة وتسييراً لشؤون الحياة في مختلف المجالات، فهي ليست مجرد كلمات عابرة، وإنما هي أنماط حياتية وظروف معيشية بكل ما فيها من التنوع والتباين، إذ اللغة مؤسسة اجتماعية، يتم من خلالها استعراض صور الحياة وتوصيف واقعها داخل المجتمع ..

طبيعة البحث وأسباب اختيار الموضوع :

يتمثل هذا العمل في دراسة سوسيو- ثقافية لسانية تأصيلية تطبيقية ميدانية تندرج في إطار التراث اللاّمادّي، ضمن دراسة اللهجات الشعبية في المجتمع الجزائري، من حيث أنواعها وطبيعتها وكيفية توزيعها وامتدادها على مستوى القُطْر بكل مناطقه، وتأصيلها وصلتها باللهجات العربية وباللغة الأمّ؛ كما يتناول البحث علاقات التشابه والتقارب والاختلاف والتمايز بين هذه اللهجات، من الجوانب اللسانية والدلالية وغيرها، ويعرّج على كيفية استعمال هذه اللهجات في مناطقها والعوامل المؤثرة فيها، ومدى علاقة هذه اللهجات بالحياة الاجتماعية والعلاقات القائمة بين الناس في مخاطباتهم ومحاوراتهم اليومية في مختلف مجالات الحياة.. وقد تمّ التركيز في هذه الدراسة على لهجة إحدى المناطق الجزائرية، ألا وهي لهجة منطقة غرب شمال الصحراء، لما لها من المزايا والخصائص التي تجعلها جديرة بتوجيه الاهتمام نحوها..

هذا، ولم يتم اختيار هذا الموضوع بشكل عشوائي بل هو اختيار مبني على أسس وخلفيات مدروسة، فقد كان دافعنا وشغفنا تُجاه هذا المتحف التراثي الزاخر بالكنوز النفيسة، متمثلاً في منطقة غرب شمال الصحراء، يدعونا بشكل كبير لكبت فضولنا، ويحثنا على تجاوز مجرد التعرف إليه إلى ضرورة الإحاطة به من جميع جوانبه، فهو قبل كل شيء موطن يبث الإلهام بداخلنا، هذا من الجانب الوجداني؛ أما من الجانب

[1]- مُحَمَّد عبد الله عطوات ،اللغة العربية الفصحى والعامية ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص48 .

الفكري فهذه المنطقة تمثل مخطوطة وجب علينا تحقيقها وفك ألغازها ورموز لهجتها وشفراتها الحبلى بأسرار كثيرة من شأنها أن تملأ صحائف كثيرة ولا تنضب مادتها الثرة.. وقد عرضنا فكرة الموضوع على أستاذنا المشرف الأستاذ الدكتور شعيب مقنونيف فأنار لنا طريق البحث بمباركته وتوجيهاته القيّمة وخبرته المشهودة وزادنا إقبالاً على الموضوع، كما زاده إيضاحاً وتقريباً لتستوي فكرته بحثاً متجسداً في عمل متكامل الجوانب متمثلاً في هذه الأطروحة التي نرجو أن يكون التوفيق حليفنا فيها..

وقد كانت وجهتنا في هذا البحث هي منطقة غرب شمال إفريقيا التي تحتضن بوابة الصحراء وجوهرة الجنوب ومدينة الثقافة والعلم والعلماء وبئر الغاز الطبيعي والثروات الزاخرة.. ومركزها مدينة الأغواط وما يحيط بها من المناطق المجاورة والضواحي والمدن التي تحكي كل منها ألف قصة عن تاريخها وأمجادها وبطولاتها وما تحتضنه من الآثار الشاهدة على مكانتها وموقعها في سجل التاريخ العالمي.. إنها كتاب كبير مفتوح يجد فيه القارئ ضالته في التعرف إلى هذه المنطقة بالاطلاع على ألوان العادات والتقاليد القديمة الممتدة إلى اليوم بكل خصائصها ومميزاتها، ومختلف ظواهرها التاريخية والاجتماعية والثقافية، بما يستدعي إمعان النظر والتأمل في مختلف السياقات العرفية والتنوعات اللهجية والعادات الاجتماعية والثقافية والمزايا التاريخية بكل أبعادها.

إنّ هذا العمل لا يقتصر على هذه المنطقة وحدها بل يندرج ضمن دراسة سوسيو لسانية تأصيلية تتناول مدونة تاريخ الجزائر بمخزونه الثقافي الثري المتنوع الزاخر بنفائسه التراثية التي تنبئ عن عراقة ضاربة في التاريخ ورسوخ عميق في مراقي الحضارة الإنسانية، بما تتميّز به ربوعها الشاسعة من تنوّع وثراء في مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية، فضلاً عمّا تزخر به من معالم حضارية ومواقع أثرية تجعل منها متحفاً تراثياً يضم مجموعة معتبرة من التحف والكنوز النفيسة ذات القيمة الأثرية العالية.. وما يقال في هذه المنطقة سيقال في مناطق أخرى من ربوع هذا القطر الجزائري المترامي الأطراف، إذْ يستطيع الناظر المتأمّل أن يحاور التاريخ والحضارة في كل مشهد يقع عليه نظره أو موقع يكون موطئا لقدمه..

أهداف البحث :

يسعى البحث إلى تحقيق عدة أهداف علمية وثقافية واجتماعية وتاريخية وحضارية وتربوية، تتمثل في رفع قيمة لهجتنا بإرجاعها إلى أصلها الفصيح على اعتبار أنّ الألفاظ الشعبية هي وليدة المعاملات اليومية فهي تسمح بالاندماج في خضم مجتمعنا الواسع، ولها مكانة مرموقة وصدى تراثي كبير..

كما أنّ هذه المادة اللغوية (اللهجية) تحمل في ثناياها رموز التاريخ والعلم والثقافة الأصيلة، بل هي متحف يحمل عبق الماضي بعمق أصالته، وشعاع الحضارة بكل تجلياته..

ويهدف البحث إلى التعريف بالتنوع اللغوي والثراء اللهجي الذي يتميز به المجتمع الجزائري، وينفرد فيه بالكثير من الخصائص والمزايا بين سائر المجتمعات.. فاللهجة تعطي صورة حية عن الحياة الاجتماعية في كل منطقة أو قُطْر، كما أنها تعكس حياة المجتمع وثقافته ومدى حفاظه على أصالته، وهذا ممّا يسعى البحث إلى تحقيقه وإثباته..

إشكالية البحث :

لقد كانت اللهجات العربية عموماً محل اهتمام الدراسات القديمة والحديثة، إذْ تناولها كثير من الباحثين واختلفت فيها آراؤهم باختلاف منطلقاتهم في دراساتهم، كما أنّ الاختلاف بين الدارسين يأتي من طبيعة هذه اللهجات، وطريقة تناولها.. وهذا ما يطرح إشكالية أساسية صغناها في التساؤل الآتي: هل تتميّز اللهجة الجزائرية في استعمالاتها بمزايا تجعلها موضوعاً مهمّاً للدراسة ؟ وما موقع لهجة غرب شمال الصحراء ؟ وما خصائصها التي تجعلها جديرة بالدراسة والبحث الميداني؟ وتتفرع عن هذه التساؤلات عدة إشكاليات فرعية... وهو ما انبني عليه البحث في هذا الموضوع ..

ويمكن أن نوجز فروع هذه الإشكالية، في التساؤلات الآتية : ما أبرز ما يميز اللهجة الجزائرية عن سائر اللهجات العربية، ثم ما الذي تتمايز فيها اللهجات الجزائرية في مختلف المناطق فيما بينها ؟ وفيماذا تتمثل أهمية لهجة غرب شمال الصحراء بين اللهجات الأخرى؟ ما هي الاستعمالات الخاصة بلهجة المنطقة، بحيث إذا تمّ استحضارها عُرِفَتْ بها ؟ وما مدى اتصال اللهجة الجزائرية عموما ولهجة المنطقة خصوصاً باللغة الفصيحة؟ وما طبيعة العلاقة القائمة بين لهجة المنطقة وحياة الناس في يومياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية ؟ وإلى أيّ مدى يمكن أن تعكس لهجة كل منطقة، ومنطقة الدراسة على الخصوص، طبيعة الحياة في المجتمع ؟ وما هي الخصائص الاجتماعية والثقافية واللسانية للهجة الخاصة بالمنطقة التي هي موضوع الدراسة ؟

أهميّـة الموضوع :

تتجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول موضوعا متشعباً في مجال التعدد اللهجي، ويلقي الضوء على اللهجة الجزائرية بكل تنوعاتها في مختلف ربوع الوطن، وما لكل منها من المميزات والخصائص؛ كما يتناول العلاقة القائمة بين هذه اللهجات واللغة الفصيحة، ومن جهة اخرى يستعرض علاقة اللهجة بالحياة الاجتماعية. فهذا الثراء اللهجي يفرض على الباحث الاطلاع على كل هذه الحيثيات لإقامة الدراسة الموضوعية الشاملة التي يتوخاها ويتوقع نتائجها الإيجابية المثمرة..

كما تكمن أهمية الموضوع في كونه يتطلب بحثاً تطبيقياً ودراسة ميدانية آنية يعايش فيها الباحث ظروف البحث ويساير مختلف فتراته، كما يقف على تطبيقات اللهجة ويقتنصها اقتناصاً من أفواه المتكلمين في اكثر من جلسة أو حوار، إذْ يقتضي الأمر حضور الباحث وتتبعه للمادة اللغوية وتفحصه للثروة اللهجية التي يجمعها ليحْسِن انتقاء ما يصلح منها للبحث وما يخدُم أهدافه التي يكون قد رسمها قبل شروعه في العمل، ليأتي هذا العمل منظّماً ومنسقاً يؤتي ثماره لدى الباحثين، ويتخذونه منطلقا لمواصلة البحث..

وممّا يدلّ على أهمية الموضوع كونه يتناول لهجة من أهم اللهجات، لما لها من مميزات وخصائص اجتماعية وثقافية تتعلق بطبيعة المنطقة ذاتها، بحيث يجد القارئ فيه ضالته من الإجابات على عدة تساؤلات تراوده حول مختلف الاستعمالات اللهجية الخاصة بهذه المنطقة..

وتأتي أهمية الموضوع أيضاً باعتباره عملاً تأصيليا للهجة المنطقة، مع استعراض تداولها بين الناس في يومياتهم، وهو يجمع بين الوصف للمادة اللغوية المجموعة، والإحصاء لنماذجها المتعددة، ثم الدراسة والتحليل لهذه النماذج قصد بيان خصائص هذه اللهجة ومميزاتها، وحفْظ هذه المادة النفيسة من الاندثار، وفتح المجال للباحثين من أجل مواصلة المشوار..

خطة البحث :

بالنظر إلى طبيعة البحث، ومن أجل أن يستجيب البحث للأهداف المتوخاة منه ويحقق الغايات التي حددناها سلَفاً، ويجيب على الإشكاليات المطروحة.. قمنا بتقسيمه إلى مدخل وثلاثة فصول وملحق، وذلك على النحو الآتي:

المدخل : التنوع اللغوي وأثره في الحياة الاجتماعية : وجاء تمهيداً لولوج الموضوع، وتناولنا فيه ظاهرة التنوع اللغوي بالجزائر وأثرها في الحياة الاجتماعية، في ضوء الواقع المعيش والمستجدات العصرية وطبيعة العلاقات القائمة على مستوى المجتمع الواحد، ثم على مستوى المجتمعات المتعددة.. وتحدثنا عن واقع اللهجة الجزائرية في ظل الانفتاح والتطور المتسارع على عدة مستويات..

الفصل الأول : اللغة واللهجات، وخصائص اللهجة الجزائرية : تناولنا فيه جملة من التحديدات والمفاهيم؛ ثم عرجنا على العلاقة بين اللهجات العربية اللغة الأصلية لنخلص إلى تنوعات اللهجة الجزائرية وخصائصها.. وجاء في ثلاثة مباحث، بحيث خُصّص **المبحث الأول** لتحديد المفاهيم ودلالة المصطلحات التي تتصل بموضوع البحث، فتطرقنا إلى : اللغـة واللهجـة، واللغة الفصيحة واللهجة الشعبية، كما تحدثنا عن اللحن واللهجة العامية وبيّنّا ما بينهما من تداخل، ثم تناولنا بعض الظواهر اللغوية في المجتمع، مثل ظاهرة التداخل اللغوي والتحول اللغوي، وظاهرة الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية.. وفصلْنا القول في هذه المصطلحات وعلّقْنا على المفاهيم الواردة في الموضوع، باستعراض آراء العلماء والباحثين في هذا الشأن، وأتبعناها بعدة ملاحظات وتعليقات، بينما تناول **المبحث الثاني** اللهجات العربية واللغة الأصليـة، إذ تم التطرق إلى أهمية اللهجات الشعبية ضمن الدراسات التراثية، ثم عرجنا على تنـوع اللهجـات العربيـة وانتمائها إلى اللغة الأمّ، ومنه إلى تداول اللهجات العربية ضمن اللغة الأصلية، لننتقل إلى أبرز عوامل التـأثير والتـأثر بين اللغة واللهجات، من دون أن نغفل وشائج التقارب والترابط بين اللهجات العربية واللغة الفصيحة.. **وأمّا المبحث الثالث** فتم تخصيصه لظاهرة التنوع في اللهجة الجزائرية وخصائصها، إذ استهللناه بالحديث عن موقع اللهجة الجزائرية في الخطاب اليومي، ثم طبيعة اللهجة الجزائريـة وروافـدها، وعوامل التأثير والانتشار في اللهجات الجزائرية عن طريق الاحتكاك بين اللغات واختلاط بعضها بالبعض، كما تحدثنا عن اللهجة الجزائرية وإشكالية التعبير في الأدب الجزائري، في ظل تنوع المستويات اللغوية في الكتابة، ومنه إلى تنوعات اللهجة الجزائرية وخصائصها؛ لنركّز الاهتمام على لهجة منطقة الدراسة (منطقة غرب شمال الصحراء) ...

الفصل الثاني : مميزات لهجة منطقة غرب شمال الصحراء بين اللهجات الجزائرية : تناولنا فيه التقارب والتمايز بين اللهجات الجزائرية وموقع لهجة غرب شمال الصحراء؛ ثم خصصنا الحديث عن لهجة المنطقة المعنية بالدراسة التطبيقية، ألا وهي منطقة غرب شمال الصحراء، فاستعرضنا أهمّ الخصائص الاجتماعية والثقافية للهجة هذه المنطقة، كما تناولنا خصائصها اللسانية: الصوتية والمعجمية والصرفية والتركيبية والدلالية والبلاغية.. وجاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث، إذ خصص **المبحث الأول** للحديث عن التقارب والتمايز

بين اللهجات الجزائرية وموقع لهجة غرب شمال الصحراء؛ ثم انتقلنا إلى التعريف بمنطقة غرب شمال الصحراء وموقع لهجتها بين اللهجات؛ ومنه استعرضنا أبرز مميزات لهجة المنطقة وموقعها بين اللهجات ثم قمنا بانتقاء نماذج تطبيقية من لهجة المنطقة لتقديم صورة كافية عنها.. **وأمّا المبحث الثاني** من هذا الفصل فكان مخصصاً للخصائص الاجتماعية والثقافية للهجة منطقة غرب شمال الصحراء، بدءاً من الحديث عن الطابع الاجتماعي والثقافي للّغة ولهجاتها، مروراً بالحديث عن عراقة المنطقة وتأثير معالمها في المجتمع وثقافته وامتدادات هذه اللهجة وأبعادها الاجتماعية والثقافية؛ ثم بيان أبرز خصائص لهجة المنطقة ومدى قربها من اللغة الفصيحة؛ مع التأكيد على ثبات لهجة المنطقة ومحافظتها على أصالتها، ثم قدمنا نماذج لأثر الحِكَم والأمثال بالمنطقة في الحياة الاجتماعية، حيث تتجلى استعمالات هذه اللهجة في صياغة الحكم والأمثال التي يتم تداولها كثيرا بين أهل المنطقة.. وكان **المبحث الثالث** مخصصاً الخصائص اللسانية للهجة منطقة غرب شمال الصحراء، بدءاً بالخصائص الصوتية للهجة الشعبية بالمنطقة، فالخصائص المعجمية والخصائص الصرفية والتركيبية والدلالية، ثم الخصائص البلاغية..

الفصل الثالث : نماذج تطبيقية من المدونة الشعبية بلهجة المنطقة : تضمّن ثلاثة مباحث تناولت عدة نماذج من الاستعمالات اللهجية بالمنطقة، وتمّ تصنيفها إلى حقول موضوعية متنوعة تسهيلاً لتناولها ودراستها.. فجاء **المبحث الأول** لحقل الأشياء المادية المحسوسة ، **والمبحث الثاني** للأشياء المعنوية والمجردة، وأما **المبحث الثالث** فخصص للصفات والأحوال المختلفة.. وقد تناولنا هذه الحقول بالدراسة التفصيلية من حيث طبيعة المادة اللهجية، ثم تأصيلها في اللغة الأصلية اعتماداً على ما ورد في المصادر الأساسية والمعاجم العربية؛ ومنه انتقلنا إلى مجالات الاستعمال لهذه النماذج على اختلاف تنوعها في ألفاظها ودلالاتها، ومدى علاقتها بحياة الناس في المجتمع عند أهل المنطقة التي هي موضوع دراستنا..

المنهج المتبع في البحث :

لقد اقتضت طبيعة الموضوع أن نسلك في البحث أكثر من منهج، فكان البدء باتباع المنهج الوصفي والتحليلي، إذ عمدْنا غلى تقديم توصيف للهجات العربية، واللهجات الجزائرية، وصولاً إلى لهجة المنطقة التي هي موضوع الدراسة، مع بيان كيفية التعامل اليومي بها في المجتمع، وما لها من أثر في حياة الناس والعلاقات القائمة بينهم؛ غير أنّنا لم نكْتَف بسرد الظواهر ووصف حدوثها كما هين وإنما أتبعنا ذلك بالتحليل والتعليق في مواضع كثيرة، مع الحرص على بيان مجالات استعمال هذه اللهجة وموقعها في مجال التخاطب والتواصل.

كما اتبعنا في بعض المواضع من البحث المنهج الإحصائي لتقديم فكرة للقارئ عن بعض الحقائق التاريخية والحضارية فيما يتعلق بعراقة المنطقة وتوثيق بعض الأحداث فيها.. كما قمنا بإحصاء بعض الألفاظ والعبارات وتصنيفها وفقا لحقولها الدلالية لتسهيل دراستها منهجياً.. وفي مواضع أخرى من البحث استعنّا بالمنهج المقارن عندما قمنا مثلاً بالحديث عن موقع لهجة المنطقة بين سائر اللهجات..

ولم نغفل منهجا آخر هو منهج المقاربة بين لهجة المنطقة والتراث اللغوي الفصيح، وذلك عند القيام بتأصيل المواد اللغوية في مصادر اللغة ومعاجمها، وهذا ما نجده في كل فصول البحث تقريبا، خصوصا في الفصلين الثاني والثالث، وهو ما نتبينه في الدراسة التأصيلية لعدد معتبر من الألفاظ والعبارات بلهجة المنطقة، لبيان صلة القُرْب والتكامل هذه اللهجة باللغة الأمّ..

الصعوبات والعوائق :

إنّ وجود الصعوبات والمعوقات من طبيعة كل بحث علميّ جادّ يروم تحقيق أهدافه والوصول إلى غاياته، ولا نتحدث عن الصعوبات ههنا من حيث تحصيل المعلومات وتصفح المصادر والمراجع، لأنّ طبيعة الدراسة تقتضي التركيز على جمع المادة من أفواه المتكلمين، والوقوف عليها في أماكنها وأخذها من منابعها الصحيحة بصورة مباشرة.. كما تعتمد على التنقّل عبْر المناطق المختلفة من أجل عقد المجالسات والمحاورات مع المعنيين؛ هذا فضلاً عن البحث فيما كتبه الباحثون في الموضوع..

وإنّما نقصد الصعوبات المتعلقة بمجريات الدراسة، نظراً لطبيعة الموضوع وشساعته وأهميته وما فيه من التشعبات، فضلاً عن تعدد الآراء واختلافها في بعض الأحيان، مع عدم وجود دراسات من هذا القبيل تتناول موضوع اللهجات تناولاً علمياً موضوعياً، باستثناء بعض الدراسات المعلومة التي لا تتعدى الوصف والاستعراض التاريخي، مع بعض المحاولات الجادة، لكنها قليلة إذا ما قورنتْ بحجم الموضوع وكثافة المادة اللهجية، مما يتطلّب تكثيف البحوث والدراسات التطبيقية الميدانية للوقوف على الذخائر الكبيرة التي تزخر بها كل منطقة في القطر الجزائري، فضلاً عن تميّز كل منها بخصائصه الاجتماعية والثقافية.. ولعلنا حددنا بداية الطريق لمن يروم مواصلة مسيرة البحث التطبيقي الميداني في هذا الاتجاه..

المصادر والمراجع :

اعتمدْنا في هذه الدراسة على جملة من المصادر الشفهية والمصادر الكتابية، فمن المصادر الشفهية نذْكر جملة من المجالسات والمحاورات التي عقدناها مع أهل المنطقة في جهات متعددة، وحضور عدة مجالس كنّا فيها طرفاً بين المدعوين إلى الحضور، لكننا كنّا نسير فيها على نهج المحققين من علماء اللغة، غذْ كانوا يجالسون من يمثلون مصادرهم الشفهية، ويحاورونهم من دون أن يشعروا بذلك، ليقتنصوا منهم ما أمكن من الكلام النفيس الذي لا يدركون قيمته العلمية والتاريخية والحضارية كما يدركها أهل اللغة..

وقد استطاع هؤلاء اللغويون أن يجمعوا إرثاً كبيراً اتّخذ منه المنظّرون منطلقاً لهم في تأسيس نظرياتهم.. وهذا هو النهج الذي يجد الباحث في مجال اللهجات نفسه ملزماً باتباعه لتحصيل ما امكن من المادة اللغوية من أفواه المتكلمين على اختلاف فئاتهم ومراتبهم ليستطيع التأسيس لأفكاره وآرائه انطلاقاً من هذه المادة التي نراها تقلّ أو تتأثر بغيرها ممّا يشوبها من ألفاظ العُجْمَة والألفاظ الدخيلة التي انتشرت كثيرا في زمن التكنولوجيات المعاصرة التي غزتْ كل مجالات الحياة..

ومن المصادر الكتابية استعنّا ببعض الدراسات حول اللهجة الجزائرية، مثل كتاب: العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، للدكتور عبد المالك مرتاض؛ وكتاب: في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس؛ وكتاب: اللغة العربية الفصحى والعامية للدكتور مُحَمَّد عبد الله عطوات؛ وكتاب: علم الاجتماع اللغوي للدكتور كمال بِشْر.. وغيرها من المراجع التي استعملناها في الجانب النظري على الخصوص..

الخاتمة والنتائج :

إنّ البحث في موضوع اللهجات يجعل الباحث يعرّج بالضرورة على أنماط الحياة الاجتماعية والثقافية، في المجتمع الذي يكون محل الدراسة والبحث، كما يوجهه إلى استعراض طبيعة العادات والتقاليد التي يتميز بها المنطقة التي يسلّط عليها دراسته، على اعتبار أنّ اللهجة مظهر لغوي يعكس صورة المجتمع في مختلف الألفاظ والعبارات المستعملة في التواصل بين الأفراد في يومياتهم.. وفي هذا الإطار تندرج النتائج التي توصل إليها البحث في لهجة منطقة غرب شمال الصحراء، إذْ تمحورت حول طبيعة هذه اللهجة وخصائصها ومزاياها وآثارها الاجتماعية والثقافية، ضمن الدراسة سيوسيو لسانسة تأصيلية افضت إلى جملة من النتائج المستخلصة من فصول البحث ومباحثه..

ختاماً، لا يفوتنا أن ننوّه بما لقيناه من أستاذنا المشرف الأستاذ الدكتور شعيب مقنونيف، شاكرين له مباركته للعمل وما أسداه لنا من توجيهاته القيّمة التي استنارتْ بها سبُلُ العمل حتى خرج هذا البحث إلى الوجود، على أمل أن يكون خطوة مثمرة لها ما بعدها، سعْياً منّا في خدمة تراثنا العريق وحفاظاً على ما تزخر به ربوع وطننا العزيز من النفائس الفريدة..

ولا يفوتنا أن نسدي أسمى معاني الشكر والتقدير للسادة الأفاضل أعضاء اللجنة الموقرة على ما سيتجشمونه من عناء قراءة هذه الرسالة وما يقدمونه من توجيهات قيّمة من شأنها الارتقاء بها إلى الأفضل، وجزى الله الجميع خيرا على ما يقدمونه من تضحيات في سبيل خدمة العلْم ورفع رايته..

وبالله التوفيـق ومنه نستمدّ العون والتيسير ..

الباحث : عبد العليم بوفاتح

مدخل

التنوع اللغوي

وأثره في الحياة الاجتماعية

مدخـل : التنوع اللغوي وأثره في الحيـاة الاجتماعيـة

توطئـة :

بدايةً.. لا بد من توضيح المنحى الذي سلكناه في هذا البحث حتى نتبيّن مساره ومنتهاه، ألا وهو الحديث عن " التنوع اللغوي " الذي آثرناه مصطلحاً على " التعدد اللغوي "، لأن منطلقنا ههنا هو النظر إلى هذه القضية من حيث هي ظاهرة لغوية ذات إيجابيات لا تخفى على ذي عقل حصيف، يثبتها الواقع المشهود ولا ينفيها نفي أو جحود.. ويتوقف تحقق هذه الإيجابيات على موقف المجتمع من هذه الظاهرة، وكيفية تعامله معها، على ضوء متطلبات الحياة العصرية بما يُسْهم في البناء والتنمية..

لقد عمدنا إلى الحديث عن ظاهرة "التنوع اللغوي" على اعتبار أنها تيّار قوي جارف في عصرنا الحالي، فمن أحسن التشبث به وأجاد التمسك بمنافعه على أكثر من مستوى واستطاع مسايرته في الاتجاه الصحيح أمكنه الوصول إلى المبتغى الإيجابي وحقق منه ما كان يتطلع إليه من النتائج المثمرة. وهنا يأتي تساؤل مفاده : أيّ موقع ينبغي اختياره للثبات والاستقرار على ظهر هذا التيار ؟

إنّ العنصر الفاعل الذي يصنع واقعه ويختار موقعه ويؤثر ويتأثر، غير التابع المتعثر، وغير المتفرج المتأخر، في هذا العصر الذي لا مكان فيه إلاّ لمن أعلن عن وجوده وكيانه في واقعه وزمانه بين نظرائه وأقرانه .. ولعمري لقد صدق الشاعر إذ قال :

إنّ الفتى من يقول ها أنذا ** ليس الفتى من يقول كان أبي.

وكذلك الأمر ينطبق على اللغة باعتبارها كائنا حياً وكياناً متصلاً بكيانات أخرى تقاربه حيناً وتضاهيه حينا آخر، بقدر ما يكون قادراً على الاستمرار في الحياة على طريق النمو والازدهار، لا قابعاً بلا حراك وآيلاً إلى الزوال والاندثار..

وبما أنّ اللغة ظاهرة حياتية اجتماعية فقد غدتْ من أكثر الظواهر التصاقاً بحياة الأفراد ، إذْ إنها تخضع لمقاييس المجتمع وأعرافه وتقاليده وثقافته ،كما أنها تكشف عن مستوياته الثقافية والمعرفية والحضارية.. فهي قطعة من المجتمع تنشأ فيه وتسير معه وتتغذى بغذائه، وتنهض بنهوضه، وتركد بركوده، فتاريخ اللغة يحمل في ثناياه تاريخَ المجتمعاتِ والحضاراتِ الإنسانيةَ على اختلافها وتنوعها..[1]

وإذا كانت اللغة هي أداة التواصل ووسيلته التي لا غنى عنها، وإذا كان التواصل غايته تلبية حاجيات ومتطلبات متنوعة وآنية للإنسان، فإن ذلك يعني أن هذه الحاجيات والمتطلبات تتنوع وتتجدد مع الزمن،

[1] – ينظر كتاب: التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية للدكتور هادي نهر، ط1 (1429هـ) ص 17 وما بعدها .

وهذا يستدعي لغة لها قابلية المسايرة الزمانية لترافق مسيرة الإنسان في الحياة عبْر مراحلها المختلفة، فإن تأخرتْ أو تراجعتْ عن حضورها الدائم بين مستعمليها، فإن ذلك مما يحتم عليهم البحث عن وسيلة أخرى تلبي حاجياتهم اليومية المتجددة باستمرار.

وما هذه الوسيلة التي يَنْشُدونها إلاّ لغة أخرى يجدون فيها ضالتهم، بصرف النظر عن قيمتها العلمية أو قِدَمها وعراقتها وأصالتها.. وهذا من أبرز الأسباب التي تؤدي إلى ظهور لغات أو لهجات متعددة بين المتكلمين، بقدر ما يجدون فيها من السهولة وتلبية حاجياتهم المتعددة ومتطلباتهم المتجددة في هذه اللغة أو في تلك اللهجة..

إنّ العالَمَ اليوم يعيش ثورة تكنولوجية متسارعة في أحداثها وفي تدفق المعلومات فيها كالسيل الجارف، ممّا أدّى إلى هيمنة المظاهر العصرية على حياة الإنسان، بحيث أصبح متفاعلاً معها وتابعاً لها في بعض الأحيان، عن طوع منه أو عن كره، إذْ غدتْ واقعاً مفروضاً عليه إيجاباً أو سلباً..

وفي هذه الثورة العارمة يتبدّى ما يشبه التحالفات أحياناً أو المنافسات بين اللغات أحياناً أخرى، فتتكامل فيما بينها لتأخذ هذه من تلك، والعكس كذلك، أو يلغي بعضها بعضاً لعدة اعتبارات.. ولذلك صار لزاماً على اللغة في المجتمع المعاصر أن تنفتح على غيرها من اللغات، في تعارف وتمازج يفضي إلى إغناء كل لغة وتطويرها على كل المستويات، بما يتلاءم مع طبيعة العصر الذي تتقاطع فيه الثقافات والحضارات تقاطعاً ضرورياً تقتضيه الحياة في مناحيها المتجددة باستمرار..

طبيعة التـنوع اللغـوي :

التنوع اللغوي فرع من فروع علم اللغة الجغرافي أو ما يسمى في الدرس اللساني الحديث بعلم اللغة الاجتماعي، فهو تسمية لعلمين هما :علم اللغة وعلم الاجتماع أو الجغرافيا، وهما يبدوان منفصلين متباعدين، فعلم اللغة يتصل بلغة الانسان وما يتعلق بهما من فروع وقضايا لسانية، وعلم الجغرافيا يتعلق بالبلدان والمناطق والمناخ وما يتصل بها من مسائل بعيدة عن اللغة، لكنّ الذي يقرّب بينهما هو كون اللغة متصلة بحياة الإنسان وبيئته التي لا يخفى تأثيرها في طريقة تواصله وأساليب تعبيره..[1]

كما يمكن تحديد طبيعة التنوع اللغوي على أنه دراسة للغة داخل ميدان جغرافي ضمن نطاقها الاجتماعي، أي بين المتكلمين بها من أصحاب الرقعة الجغرافية التي تربطها بالمجتمع علاقة تأثير وتأثر

[1]– بوفاتح عبد العليم، مداخلة بعنوان: " أهمية التنوع اللغوي ودوره في مواكبة الحضارة في عصر التكنولوجيا." مقدمة في جلسات المؤتمر الدولي: " التعدد اللغوي والتنمية البشرية "، بجامعة مولود معمري– تيزي وزو الجزائر، أيام: 7و8و9 نوفمبر2017.

تحكمها قوانينه وعاداته(أي المجتمع). كما يكون له الفضل في تطورها ونموها، وتكمن قيمة هذا العلم في إيضاح طبيعة اللغة بصفة عامة وإيضاح الخصائص المحددة للغة بعينها .

وبالعودة إلى الأصل في جمع اللغة يلْزم العودة إلى المجتمع والناطقين بها، فلا يغيب عنا أن العرب قديما كانت تستسقي مادتها اللغوية من أفواه أهل البادية الفصحاء من أجل ضبط اللسان العربي، ووضع حدود بينها وبين اللهجات ومختلف التنوعات والأداءات اللسانية، ومع مراعاة طبيعة البادية من جو ومناخ وعادات وأعراف أهل المنطقة وخصائص البيئة عندهم، مع التمحيص والتدقيق لهذه اللغة، وهذا صلب علم الاجتماع اللغوي الذي يدرس الظاهرة اللغوية داخل المجتمع وضمن البيئة المحيطة باللغة على خلاف البنيويين الذين عزلوا كل ما هو خارجي عن اللغة واهتموا بدراستها في ذاتها ولذاتها مع إقصاء المرجع الذي تم استقاؤها منه، وهذا الإغفال عادة ما يكون محط تشويش لطبيعة اللغة.

لقد نظر علماء العربية إلى اللهجات على أنها ضرب من التنوع اللغوي الذي يعكس طبيعة الحياة وأنماطها زمانا ومكانا، وهي تشكل جانبا من جوانب العمل في علم اللغة الاجتماعي. وكما استدل علماء الاجتماع في نظريتهم إلى العرب على أنهم سلكوا مسلكهم في جمع اللغة والكشف عن حقائقها.

من هذا المنطلق فإن علم الاجتماع اللغوي الذي يبحث في طبيعة اللغة وتنوعاتها اللهجية حقلٌ مهمٌّ من حقول البحث اللغوي الاجتماعي، كما أنه حاضر بقوة في الدرس اللساني المعاصر.

بين اللغة الأم واللغات الوافدة :

إذا كانت اللغة في العرف الاجتماعي هي، كما يرى ابن خلدون" عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان. وهي في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم.."[1] فإنّها عندئذ (أي اللغة) ظاهرة اجتماعية متصلة بسلوكات المجتمع وخصائصه ومميزاته؛ وبهذا تختلف اللغات باختلاف المجتمعات. وهذا ما أشار إليه دي سوسور باعتباره اللغة مؤسسة اجتماعية، تشترك فيها الجماعة اللغوية، على حين أن الكلام نشاط فردي يختلف من مستعمل إلى آخر، في اللغة نفسها..[2]

وانطلاقا من هذا المنظور المتفق عليه بين المنظّرين، نطرح إشكالية ضمن عدة تساؤلات مفادها : ما مدى إمكانية استقرار المجتمع على استعمال لغة أجنبية إلى جانب اللغة الأم، إذا كانت هذه اللغة الأجنبية

[1]- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني، بيروت (1981) 2 /10

[2]- ينظر: دي سوسو، اللسانيات العامة ،ترجمة : يونيل يوسف عزيز، بغداد(1985)2

قد عرفت انتشاراً واسعاً وأصبحت واقعاً في أوساط المجتمع ؟ وهل ينطبق عليها ما ينطبق على اللغة الأم ؟ أم أنها تبقى لغة أجنبية على اعتبار أنها وافدة، بصرف النظر عن سعة انتشارها وكثرة تداولها ؟

إن الظروف الاجتماعية والثقافية التي ترتبت على مختلف التعاملات الاقتصادية وغيرها، هذه الظروف تحتّم على اللغة الأم أن تنفتح على ما يفد عليها من اللغات أو اللهجات المتنوعة تبعاً لسُنّة التأثير والتأثر. غير أنه ينبغي التنبيه على أنّ اللغة الأم إذا لم تكن لديها القابلية للتطور ومسايرة المستجدات العصرية، فإن العلاقة بينها وبين اللغات الأخرى التي تحلّ بدارها تصبح علاقة تنافس وإلغاء؛ لذلك وجب على هذه اللغة أن تكون مؤثرة بقدر ما تكون متأثرة، وبهذا تكون العلاقة بينها وبين سائر اللغات أو اللهجات علاقة تكامل وتقارب وتبادل واقتراض..

هذا، وإنّ أيّ لغة يقاس نجاحها وصمودها بقدر مسايرتها للواقع بكل متغيراته ومستجداته واستيعابها لأشكال التطور بما لها من مرونة وطواعية، كما هو الشأن بالنسبة إلى اللغة العربية التي حافظتْ على ديمومتها وبقائها وثباتها ولا تزال كذلك، بما لها من خصائص ومميزات تستجيب لكل المتغيرات..

وقد تجلى ذلك في حضور العربية في عقول متكلميها وفي مخيلاتهم، على أنها جزء من التفكير وصناعة الحياة، وليست مجرد أداة للتواصل والتبليغ.. ذلك أنّ اللغة هي الوسيلة المثلى في " نقل الخبرة الإنسانية، والتعبير عن الفكر واكتساب المعرفة، وعلى هذا فاللغة ضرورة حتمية لتقدم الثقافة والعلم، لأن الألفاظ كما يقولون حصون الفكر، وبالتالي فلا وجود للفكر من دون اللغة.."[1]

وبهذا تصبح اللغة جزءاً من كيان الأمة وعنوانا لوجودها، وهي أكثر من مجرد وسيلة للتفاهم بين المتكلمين، فهي ليست صوتا وصرفاً ومعجما وبنية وتركيباً ومعنى وحسب، وإنما هي ثقافة راسخة وحضارة شامخة يتوارثها أبناء المجتمع الواحد ويصدّرونها إلى سائر المجتمعات؛ فهي تُعدّ " من أعظم المبتكرات التي أظهرها التطور البشري، فيجب الوقوف عندها لنرى الدور الذي تؤديه على وجه الدقة ،والنصيب الذي تقوم به في التطور الفعلي، ثم ما هي صلات الفرد والجماعة فيما يختص بإنتاج هذه الأداة القيّمة.."[2]

وقد عبّر البشير الإبراهيمي عن هذا المعنى بخصوص اللغة العربية على أنها قطعة من الوجود العربي، وميزة من مميزات العرب، ومرآة لعصورهم الطافحة بالمجد والعلم والبطولة والسيادة.... لأنّها كانت لسان معارف البشر، وترجمان حضارته، وناقلة فلسفات الشرق وفنونه إلى الغرب وهادية العقل الغربي الضال إلى موارد

[1]- خالد عبد الرازق السيد: اللغة بين النظرية والتطبيق، مركز الإسكندرية للكتاب (2003) ص43

[2]- كمال بشير : علم اللغة الاجتماعي: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة (1997) ص27 وما بعدها .

الحكمة في الشرق، وكانت في جميع الأوقات مستودع آداب الشرق وملتقى تياراته الفكرية، ومازالت صالحة لذلك، لو لا غبار من الإهمال علاها، وعاقٌّ من الأبناء قلاها، وضيْمٌ من لغات الأقوياء المفروضة دخل عليها...[1]

لكن إصلاح أوضاع اللغة العربية لم تتحقق أهدافه المتوقعة منه، إذ لا تزال تعترضه صعوبات ،نظرا لعدّة عوامل منها :الصراع الحادّ بين اللغات الحضاريّة في العقود الأخيرة على وجه الخصوص ومنها وضع العالم العربيّ اليوم بالمقارنة مع الدول المتقدمة ..[2]

وقد كان هذا ممّا أدّى إلى تعدد اللغات في الأوساط العربيّة واختلاف المستويات اللغويّة فتشعبَّتْ لهجاتها وبدأت العربية تضعفُ وتفقِدُ من متونها في ظلّ توجه الاهتمامات أكثر إلى إصلاح القواعد ومحاولة تيسيرها تارةً، وتارةً أخرى محاولة تطويع اللهجات لخدمة الفصحى وغير ذلك . ولعلّ الأثر الكبير لها واضح في لغة الصّحافة لكونها تُشكلُ الحيّز الأكبر من الاستعمال، وفيها تتجلَّى إشكاليّة التلقّي بكل مظاهرها، وهي أخطر المستويات نظرا لاستعمال لغة الإعلام لمصطلحاتٍ مهيْمنة على جميع مستويات الاستعما ، بما يشمل الفصحى والعامية واللغات الأجنبية..[3]

غير أن اللغة الأم تبقى هي الأصل الذي لا بديل عنه، على الرغم ممّا قد تتعرض له من الإهمال من بعض متكلميها. وهنا يشار إلى أن اللغة الوافدة لا ترتقي إلى رتبة اللغة الأصلية من حيث الاستعمال على اعتبار أنها تأتي عن طريق الغزو أو الفرض أو التبعية، فلا هي لغة رسمية ولا وطنية، وبهذا تكون حدودها في العادة معروفة، واستعمالها لا يقود إلى الإبداع بقدر ما يقود إلى التبعية المطلقة ..[4]

التنوع اللغوي في ضوء الانفتاح والتطور:

في عصر التكنولوجيات الحديثة اليوم أصبح لزاماً على الهيئات المعنية محلياً وعالمياً، وعلى أبناء اللغة الواحدة الانفتاح على لغات العالَم، ولا سيما تلك التي تأخذ بزمام العلم والتكنولوجبا، وتتقدم مسيرة التنمية في عصر العولمة الذي لا مكان فيه لمن تأخر عن ركب التطور.

---

[1]- مُحَمَّد البشير الإبراهيمي: آثاره، ط1/ دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان (1997) 281/3

[2]– عبد الحميد بوترعة : واقع الصحافة الجزائرية المكتوبة في ظل التعددية اللغوية، مقال بمجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي (عدد8 سبتمبر 2014)، ص214 (عن لغة الصحافة المعاصرة لمحمد حسن عبد العزيز، دار المعارف، القاهرة ، ص04)

[3]– ينظر: اللغة العربية آلياتها الأساسية وقضاياها الراهنة للدكتور صالح بلعيد، ص128 - 132

[4]– ينظر : المواطنة اللغوية للدكتور صالح بلعيد ، دار هومة ، الجزائر (2008) ص4

ففي ظل انتشار ظاهرة التعدد اللغوي بكل أشكاله، لم يعد التفكير في فرض لغة واحدة أمرا مجدياً، ولو كانت اللغة الأمّ، إذْ أدّت سرعة انتشار الممارسات اللغوية في المجتمع الواحد إلى تأثير واضح لهذه اللغات أو اللهجات في المجالات الحيوية، ويتجلى الدور الأساس للوسائل التكنولوجية في ترسيخ هذه الظاهرة، إذْ ظلّت حياة الإنسان مرتبطة بهذه الوسائل العصرية بكل ما لها من إيجابيات وسلبيات على أكثر من مستوى.. وإذا كان أمر انتشار اللغة في زمن مضى بدافع السيطرة، فقد أصبح له اليوم دوافع أخرى ذات طابع اقتصادي وثقافي واجتماعي، فعلى حين " اقتنعت النخبة المختارة في المستعمرات بسهولة بتفوق المنتجات الأوروبية، ومن ثم فقد تبنت بسهولة ولمصلحتها لغات سادتها. وقد أدى هذا إلى منفعة اقتصادية دائمة للقوى الاستعمارية، لأنها بهذه الوسيلة قد فتحت لها الطريق للوصول بسهولة إلى أسواق ما وراء البحار التي مازالت تتمتع بها حتى اليوم وبعد توقف أعلامها هناك عن الرفرفة بزمن طويل." فإنّ العلاقات الاقتصادية والاجتماعية القائمة اليوم بين الشعوب والأمم تفرض معطيات أخرى تقتضيها ظروف العصر..[1]

كما أن اللغات أصبحت اليوم تتعدى دورها باعتبارها أدوات للتواصل والتفاهم والتقارب بين الشعوب والأمم، إلى أدوار أخرى أكثر حيوية وفعالية في مجالات التنمية بكل أبعادها، فهي أداة لتحقيق التعاون المثمر بين مختلف الهيئات والمؤسسات العالمية؛ وهي وسيلة لنشر التنوع الثقافي وإرساء دعائم الحوار الحضاري بين المجتمعات المتباعدة، كما أنها تُسْهم بفاعلية في تمكين جميع الناس في كل مكان من ممارسة التعليم الحُرّ والمفيد لتوسيع مداركهم وتنوير عقولهم.

إنّ السعي إلى التقريب بين اللغات المتعددة واللهجات المتنوعة أصبح أمرا ضروريا ليتماشى مع ما تفرضه ظروف العصر من الاستعمال اللغوي الحيوي، ذلك أنّ " الإنتاج الصناعي يتطلب أساليب موحدة ومنظمة، كما يحتاج إلى سكان متحركين ومتجانسين وعلى درجة عالية من التعليم. وهذه المتطلبات تعني الحاجة إلى استعمال لغة واحدة موحدة عن طريقها يمكن أن يتواصل جميع أعضاء المجتمع الذين يشاركون في العملية الاقتصادية. وفي إطار التعليق على الجانب الفكري للتوحيد اللغوي الضروري يتحدث (جلنر) عن (عملة مفاهيمية واحدة) تصف العالم . فالواقع أن "كل الاستعمالات الإشارية للغة تشير في الأساس إلى عالم واحد مترابط " وأن اللغات الموحدة المشتركة بفضل التقنين المعجمي لمئات الآلاف من الكلمات الممكن الاعتماد عليها بوصفها أدوات مفاهيمية قابلة للترجمة فيما بينها، ودقيقة ومتميزة بدرجة عالية، ومتاحة– مبدئيا على الأقل– لكل الناس من خلال التعليم العام. كل هذا إنما يُعد تعبيرا عن (عقلنة) العالم الذي

[1]– اللغة والاقتصاد (سلسلة عالم المعرفة)، ص55

يرتبط بعضه ببعض،حسب فهم(ڤيبر)، في سوق منظمة بشكل عقلاني. وكلما تحولت هذه السوق إلى سوق وطنية، وساد التصنيع والنظام الرأسمالي للاقتصاد حياة المجتمع تعلم الناس التعامل مع هذه الأداة (اللغة الموحدة) واستعملوها بالفعل."[1]

إنّ تنوع اللغات سبيل إلى بناء المجتمعات الراقية في أساليب التفكير وبناء العلاقات على عدة مستويات، كما أن هذا التنوع اللغوي يرافقه تنوع معرفي وثراء علمي وثقافي تستفيد منه الشعوب في تحقيق خطوات مثمرة على طريق التنمية الشاملة التي تبدأ من المنطلق الفكري المؤسس على ما تحمله اللغات من إرث نفيس وما لها من قيم ذات علاقة بالتنمية في مجالات متعددة..

وبما أن لغة أي مجتمع تتصل اتصالاً مباشراً بهويته وثقافته، فضلاً عن دورها التواصلي، فإنّ تعلُّم أكثر من لغة في مجتمعٍ ما يعني بالضرورة التعرف إلى هوية المجتمعات والشعوب الأخرى والاطلاع على ثقافاتها وأساليب حياتها وطرُق تفكيرها.. وهذا من شأنه أن يقرّب بين هذه المجتمعات والشعوب ويحقق اشكالاً من التقارب الاجتماعي والفكري بينها، وهو ما يمهّد السبيل إلى خطوات أخرى على طريق التنمية والرقي والازدهار، وتلك هي ضالة الإنسان في هذا العصر الذي نعيشه اليوم..

كل ما ذكرناه يفضي إلى القول بأنّ فكرة التعدد اللغوي لها من الإيجابيات ما يدعو إلى استثمارها واستغلال نتائجها في العلاقات القائمة بين المجتمعات، علماً أن النظر في الاستراتيجيات الملائمة للاستفادة من ظاهرة التنوع اللغوي من شأنه أن يزيح تلك النظرة السلبيّة لهذا التنوع بدعوى إذكاء النزاع والصراع بين اللغة الأم واللغات الأخرى الوافدة..

ومن إيجابيات التنوع اللغوي حفظ بعض اللغات من الانقراض والزوال، لأن زوالها يعني غياب إرث ثقافي ومعرفي، واندثار مجتمعات بكاملها بما تحمله من عناصر اجتماعية وتاريخية وحضارية وثقافية تُعدّ جزءاً من هذا العالَم القائم على التعدد والتنوع ..

إنّ الحديث عن إيجابيات التنوع اللغوي هو حديث عن علاقات عالمية قائمة على حسن التعارف بين الأمم على اختلاف ثقافاتها، في عالم عصري تكنولوجي تقوده نواميس العولمة وتفرضه المستجدات المعلوماتية.. ممّا يجعل الانفتاح على لغات العصر أمراً حتمياً، بل جزءاً من حياة اللغة نفسها، ولم يعُد بإمكان أية لغة أن تنغلق على نفسها وتوصد منافذها على العالم بكل متغيراته، وهي تقع في قلب الأحداث

[1]- اللغة والاقتصاد (سلسلة عالم المعرفة)، ص44

والمتغيرات العالمية التي لا مناص من الامتزاج بها تأثّراً وتأثيراً.. لتكتسب من هذه المتغيرات العصرية تجددها وانبعاثها وتحافظ على بقائها واستمراره، إذْ تستمدّ من لغات الأمم ثقافاتها وحضاراتها بما يضمن لها التقارب والاحتكاك الإيجابي الذي يضفي عليها طابع النمو والحداثة ومسايرة العصر..

ولعل من الجدير أن نشير إلى أن المجتمعات التي تسود فيها لغة واحدة هي أقل تطوراً ورقياً في عصرنا هذا من تلك التي تنتشر فيها لغتان أو أكثر، إذْ إنّ تنوع اللغات هو تنوع للثقافات واتصال مثمر بالحضارات، في انفتاح وامتزاج يستجيب للظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية وغيرها من العوامل المساعدة على انتشار هذه الظاهرة..

وليس من التنوع الإيجابي المثمر ما نشاهده من إهمال يسلَّط على اللغة الأم في مقابل الاهتمام بلغات أخرى، من باب اتباع المغلوب وولعه بالغالب، على رأي ابن خلدون[1]. لأن هذا الاتباع لا يحمل في ثناياه تقارباً علميا أو ثقافياً أو تاريخياً أو حضارياً، وإنما هو من باب الذوبان في الآخر وانصهار الثقافة الأصلية في ثقافة أخرى، ممّا يؤدّي إلى فقدان اللغة الأصلية لقيمتها واضمحلال ثقافتها، وتنجر عن هذه التبعية اللغوية تبعية في التفكير، وانزياح للمجتمع عن ثقافته وأصالته بسبب تفريطه في أحد أهم مكوّنات هويته..

التنوع اللغوي من منظور اجتماعي واقعي عصري :

إنّ التنوع اللغوي في هذا السياق غير التعدد اللغوي السلبي الذي يراد به علاقات التنافس والتصادم؛ ذلك أنّنا نجنح بهذه الفكرة إلى التنوع على أنه من النتائج الإيجابية لظاهرة التعدد اللغوي واللهجي، من باب كونها تنوعات لغوية متعددة تحمل في ثناياها كثيراً من الفوائد، لا من جهة التواصل وحسب، وإنما من جهة ما تحيل عليه من التعارف والتقارب والتلاقي بين مختلف الثقافات والأعراف الاجتماعية في اتجاهات متعددة.. بحيث يؤدي هذا التنوع إلى تحقيق التطور والرقي للمجتمع الذي يعرف هذه الظاهرة، من الناحية التاريخية والاقتصادية والحضارية والثقافية والاجتماعية، وغيرها..

وفي هذا الشأن أشار كثير من الباحثين إلى أنّ النظرة إلى اللغة في العصر الحديث من حيث قيمتها الاجتماعية قد حظيتْ بما لم تحظ به من قبل، إذْ أصبح يُنظَر إليها (أي اللغة) على أنها من أهم العوامل التي يمكن استخدامها في تحقيق فكرة التقارب والتفاهم العالمي؛ وذلك بتبادل الآداب المختلفة والدراسات

[1]- مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، ص162 وما بعدها.

الاجتماعية كالتاريخ والاجتماع والتربية الوطنية، وغير ذلك مما يوضِّح آمال الشعوب وطبائعها وعواطفها ومزاياها، وكل ذلك يُساعد على تقريب وجهات النظر بين الشعوب المختلفة.[1]

ولقد أثبتت التجارب الحديثة أن المجتمع المتنوع اللغات واللهجات يكون أكثر تطوراً وازدهاراً وقرباً إلى المدنية والحضارة والرقي الفكري، وأكثر قابلية لاستيعاب الثقافات الأخرى على اختلافها وتنوعها والتأقلم معها من غير وجود تصادم أو تعارض أو تنافس؛ بل إن العلاقة تصبح عندئذ علاقة تأثّر وتأثير قائمة على مبدأ التكامل والانسجام.. وبهذا أصبح من الضروري احتضان المجتمع لكل أشكال التنوع الفكري والثقافي، على أن تصب كلّها في بناء المجتمع وترقيته بما تحمله هذه التنوعات من جديد على المستوى التاريخي والعلمي والحضاري، لأنها في نهاية الأمر تصبح كتلة واحدة وطابعا موحدا ينطبع به المجتمع..

فالحديث عن التنوع اللغوي إنما هو حديث عن فوائد تعدد اللغات واللهجات التي تتحد في التئام وانسجام وتبادل مثمر، بلا تنافس بينها ولا إقصاء لأي منها.. وبهذا تدخل ظاهرتا الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية ضمن هذا الإطار، بالنظر إلى ما لهما من إيجابيات تعود بالنفع على المجتمع، وتخطو به خطوات ثابتة على نهج التطور في عصر التكنولوجيات الذي لا يعترف إلاّ بمن يسجل حضوره بقوة ضمن المنظومة العالمية العصرية بكل خصائصها..

وهذا الاتفاق والتلاؤم بالاقتراض والتقاطع بين أكثر من لغة على عدة مستويات، قد تنجم عنه أنماط لغوية جديدة في التواصل بين أفراد المجتمع، وتكون مستمدة من هذا التنوع. ومنها ما يدخل ضمن اللغة الإعلامية التي تكون أقرب إلى فئات المجتمع، وهي " اللغة التي تشيع على أوسع نطاق في محيط الجمهور العام، وهي قاسم مُشترك أعظم في كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البَحتة، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، والفنون والآداب؛ ذلك لأن مادة الإعلام في التعبير عن المجتمع والبيئة تستمد عاصرها مِن كل فن وعلم ومعرفة."[2] ذلك أنّ الإعلام أصبح له الدور الأساس في توجيه لغة المجتمع، بما يخدم المجتمع ويجعله مسايراً لحركة التطور والتنمية، محققاً ما سماه بعضهم بـ" قوة الجذب اللغوية، وهي القوة التي تتَّجه إلى التجميع، وتطهير اللغة من عناصر التفرقة التي تفد عليها."[3] وهذا ما ننشده من حديثنا عن التنوع اللغوي، بعيداً عن مجال المنافسة والصراع الذي يكون لدوافع متعددة، قد تكون أبعد عن العلمية والموضوعية والواقعية..

---

[1]- ينظر: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية لعبدالعليم إبراهيم ، ص45

[2]- عبدالعزيز شرف: اللغة الإعلامية، 170

[3]- مُحَمَّد سيد أحمد: الإعلام واللغة، 19

إنّ المنظور التي نستند إليه في هذا الاتجاه، هو منظور اجتماعي تلتقي فيه النظرة الاجتماعية للغة بعوامل ذات صلة بعلم الاجتماع وبالتاريخ وما يتصل بعلوم الإنسان عموماً، مما له ارتباط وثيق بسلوكات المجتمع، أي بالنظر إلى اللغة على أنها سلوك اجتماعي..

وهذا المنظور يقودنا إلى تجاوز المنظور اللساني المحض للغة، إلى اعتبارها ظاهرة اجتماعية ذات صلة بالهوية والتاريخ والحضارة والثقافة والفن.. وكل ما يخص حياة الأفراد في تعايشهم، ممّا يتجلى من توظيفهم للغة وتعاملهم بوساطتها على أنها مرآة حقيقية تعكس العلاقات الاجتماعية بين اللغة ومتكلميها، في النسيج الاجتماعي الذي يشملهم جميعاً في وحدة وتماسك..

واختلاف المتكلمين في استعمالات اللغة هو عامل إثراء للغة المستعملة بتعدد لهجاتها في المجتمع، فقد تتشعب لغة المحادثة في البلد الواحد أو في المنطقة الواحدة إلى عدة لهجات مختلفة تبعا لاختلاف طبقات الناس وفئاتهم.[1]

ختاماً .. نقول إنّه ينبغي النظر إلى ظاهرة التنوع اللغوي من منظور إيجابي واقعي عصري تمليه طبيعة الحياة في المجتمعات الحديثة، إذْ يتم استثماره لصالح الشعوب والمجتمعات، بدلاً من الوقوف منه موقف المعارضة والتصدي له، لأن المجتمعات المتحضرة اليوم هي التي تنفتح على أكثر من لغة ولهجة، ولكنها في الوقت ذاته تحسن التعامل مع هذا التنوع اللغوي واللهجي، بتحقيق التكامل بين هذه التنوعات، مع إدراك ما لهذه الظاهرة من إيجابيات في التعارف الاجتماعي والتقارب الثقافي وتبادل المنافع في مختلف المجالات.

[1]- ينظر: علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي، ص188

الفصل الأول

اللغة واللهجات وخصائص اللهجة الجزائرية

المبحث الأول

تحديدات ومفاهيم

المبحث الأول : تحديـدات ومفاهيــم

توطئـة : اللغة واللهجة وما يتصـل بهما :

اللغة البشرية هي وسيلة التواصل الأساسية بين أفراد المجتمع، لأنهما تحمل أفكارهم وتترجمها إلى ملفوظات متعارف عليها فيما بينهم، بحيث يتفاهمون حولها جميعهم في كيفية استعمالها وتوظيفها، واللغة كائن حي ينمو ويتطور تطورا ذاتيا، فهي لا تبقى على الصورة الأولى التي وجدت عليها، بل سرعان ما نجدها متجددة ومتشعبة إلى لهجات وتأديات مختلفة نتيجة مؤثرات اجتماعية وحضارية وثقافية توالت على اللغة عبر الزمن، وهذا ما نجده في كل المجتمعات العربية، إذ تتشابه اللهجات تارةً، وتختلف تارةً أخرى في الصفات والخصائص مع اللغة الفصيحة، مما يجعل الفرد يعرف نمطين من اللغة وأنموذجيْن سائديْن في محيطه الاجتماعي والثقافي بكل، ألا وهما: اللغة الفصحى ذات الطابع الرسمي، وهي المستعملة في التعليم والكتابة والمعاملات الإدارية والثقافية. وفي مختلف المؤسسات على اختلاف مهامها وتنوع وظائفها؛ واللهجة الشعبية التي يتداولها أفراد المجتمع في معاملاتهم وخطاباتهم اليومية، وهي التي تعتمد أساساً على المشافهة..

مفهوم اللّغة وأثرها ضمن حركية المجتمع :

لعل أبرز التعريفات للّغة هو تعريف ابن جني إذْ بقول:" أما حدها فهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم."[1] وهو التعريف الذي تعتمده مختلف البحوث والدراسات الفلسفية والنفسية والاجتماعية التي تتناول اللغة، لما له من الشمولية والاتصال بماهية اللغة ووظيفتها الأساسية. فاللغة " أكتر طرق الاتصال الانساني استعمالا وأعظمها تطورا كونها وسيلة اتصال وتبليغ، فمهمتها الأساسية نقل المعلومات بين المرسل والمرسل إليه عن طريق قناة." [2]

واللغة هي المرآة التي تعكس حال الأمّة من الداخل؛ وهي الترجمان الصادق الذي ينبيء عن كيانها ويعبّر عن هويتها ووجودها؛ وهي الواجهة التي يتكشّف على صفحتها واقع المجتمع بكل أبعاده.. واللغة نطق وتلفّظ وفعل لساني تعبر عن مختلف الأفكار عن طريق الأصوات الكلامية من حيث المخارج التي يقوم بها جهاز النطق إضافة إلى الظواهر الصوتية المصاحبة له، فينبغي للمخاطب أن يبلغ لمتلقيه هذه اللغة المملوءة حياة، يجب عليه أن يعيد هذه الحياة في أبعادها الثلاثة حياة الصوت والعواطف والمشاعر. [1]

---

[1] – أبو الفتح ابن جني، الخصائص، تح مُحَمَّد علي النجار، دار الكاب العلمية، مصر(دط) 33/1 .

[2] – التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان،،دار الكبت العلمية،القاهرة،ط2003،1، ص67 .

[3] – مُحَمَّد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، 1981، ط7، ص، 15

هذا، وتمثّل اللغة صورة من صور التخاطب سواء أكانت هذه العملية التخاطبية لفظية يمكن إدراكها أم غير لفظية، " فإظهار اللغة في شكليها الملفوظ والمكتوب أداة عجيبة تنتقل بها الأشياء التي تقع عليها حواسنا إلى أذهاننا، فكل ما تموج به الدنيا من مشاهد وصور في الطبيعة أو المجتمع ينتقل بصورة عجيبة إلى الذهن بطريقة الكتابة أو اللفظ، وكذلك كل ما في الذهن من خواطر ومشاعر وأفكار ينتقل إلى الآخرين من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل. فاللغة نصف الإنسانية أو إحدى أجزائها الثلاثة، على رأي القائل: لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه ** فلم يبقَ إلاّ صورة اللّحْم والدّم [الطويل]

إنّ ألفاظ اللغة أو كلماتها ، هي دائماً أقل بكثير مما يتجدد في كل عصر من المعاني والعلاقات اللغوية. لذا يحدث ما نسميه بالتطور الدلالي الذي يتضمن إهمال كلمات بعينها ، وتحميل كلمات معاني جديدة لم تكن لها ، وإضافة مسكوكات لغوية جديدة لم تكن معروفة . ويحدث كل هذا في ضوء ثبات النظام النحوي والصرفي في الأغلب الأعم، وفي ضوء فهم جديد لطبيعة اللغة ووظيفتها مستمد من التطور المعرفي الحادث في كل زمن. [1]

إن اللغة في التصور السابق جاءت بديلاً للعالم الطبيعي والاجتماعي، بحيث يمكن أن نرى هذين العالمين في اللغة ، فهي مصدر المعرفة ووعاؤها الحافظ ، ومن ثم توحدت سلطتها ووظيفتها ، فمع أنها تحقق التواصل بين الناس ، فإن الناس لا ينفكون من تأثيرها أو سلطانها عليهم ، إذ يستمدون منها كل ما يدركونه من مفاهيم للمبادئ والمعاني من جهة ، وللأشياء من جهة ثانية. وهذا بخلاف أن تكون اللغة مفردة من مفردات الحياة ، كما يحياها الإنسان ، لا كما يتصورها أو تصورها اللغة ، إن المعرفة في هذه الحالة ليست مبنية على اللغة لأنها مستمدة من التعرف على خصائص المادة وتجارب الإنسان ومراجعات العقل والوجدان ، واللغة تصوغ المعرفة في كل تجل من تجلياتها ، واللغة بهذه المثابة تعد فعلاً أو حركة في العالم شأنها في ذلك شأن الأفعال أو الحركات التي يقوم بها الإنسان ، وهي لا تنفصل بأي حال من الأحوال عما يتحرك به الذهن ، ولا تنفصل عن العالم نفسه ، ومن ثم فهي ضرب من النشاط أي هي شكل من أشكال الحياة. [2]

واللغة الفعل أو الحركة مثل كل أفعالنا ترتبط بأهداف نعيها ونعمل على تحقيقها وأهداف قد لا تكون واضحة أمام عيوننا ، ولكن الفعل الإنساني لا يخلو من هدف معلن أو غير معلن ، واللغة هي كذلك إذا

[1] – أحمد يوسف، سلطة اللغة ووظيفتها، مقال بمجلة علوم اللسان الصادرة عن كلية الآداب واللغات، جامعة الأغواط، عدد 11 للعام 2016، ص14

[2] – ينظر، عز الدين إسماعيل : أيديولوجيا اللغة ، ص 42

ارتبطت بالفعل الإنساني ، فهي عند الواعظ ذات هدف يختلف عن الهدف السياسي الذي يبتغيه أحد الكتاب عند ارتباطه بالسلطة السياسية ، وبالمثل يختلف الهدف من اللغة عند الأم التي تهدهد طفلها وتناغيه ، كما تختلف عند المعلم في الفصل ، وعند البائع في السوق ، وعند كل هؤلاء وهم في حال الغضب ، ويختلف الأمر كلية إذا جرت اللغة فعلاً أدبياً على الرواية أو الديوان من الشعر ، وإذا واجه أحد الزعماء الكبار الجماهير وهو في حال من التنافس مع خصومه." [1]

فصاحة اللغة العربية ومكانتها :

جاء في لسان العرب: " الفصاحة: البيان، وتقول رجل فصيح وغلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طليق".[2] وأما في معجم مختار الصحاح، فنجد :" فصح، رجل فصيح وغلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طليق ويقال: كل ناطق فصيح وكل ما لا ينطق فهو أصم..." [3] ومنه نجد أن الفصاحة هي طلاقة اللسان في التعبير من دون عقدة أو صعوبة. وللفصاحة الاصطلاحية مفاهيم متعددة، نذكر منها: أن الفصاحة هي" طلاقة اللسان أي الخلوص من عقدة اللسان ويؤكد ذلك ما جاء في القرآن أيضا قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي.﴾ [طه /25 – 27]".[4]

ومن جهة أخرى فإنّ الكلام عن العربية الفصحى هو كلام عن هوية عميقة متأصّلة متعددة الأبعاد، بما تحمله من تاريخ عريق وإرث حضاريّ عتيق، وما تنطوي عليه من كنوز نفيسة استطاع أبناؤها الأوائل أن يلتمسوا جواهرها ويكتشفوا دُررَها؛ وقد زادها القرآن الكريم تثبيتاً وترسيخاً وعزّة ومنَعَةً.. ذلك أنّها تُعَدّ " أول لغة استخدمها العرب في حياتهم وعرفت بهم وعرفوا بها، إنها اللغة التي نزل بها القرآن وسعت

[1]- سلطة اللغة ووظيفتها ، ص15

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مادة : فصح، ص3419.

[3]- الرازي، مختار الصحاح، مادة فصح، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2006، ص211.

[4]- عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، دط،2007، ص53.

كل أحكامه وقواعده وقوانينه وعلومه، إنها لغة العقيدة والدين الإسلامي".[1] واللغة الفصحى "هي التي توافق المشهور من كلام العرب وسلمت من اللحن والإبهام وسوء الفهم"[2].

وتعرف اللغة العربية الفصحى بأنها لغة الكتابة التي تدون بها المؤلفات والصحف والمجلات وشؤون القضاء والتشريع والإدارة، ويؤلف بها الشعر والنثر الفني، وتستخدم في الخطابة والتدريس والمحاضرات، وفي تفاهم العامة إذا كانوا بصدد موضوع يمت بصلة إلى الآداب.[3]

ونلاحظ من هذا التعريف أن اللغة العربية الفصحى ضرورية في مجالات متعددة سياسية وثقافية واجتماعية وتعليمية وأدبية... وهي تسهم في النمو الاجتماعي والرقي الحضاري، كما أنها من أهم مقومات الهوية ورموز الأمة الدالة على وجودها وبقائها بين الأمم . والعربية الفصحى هي اللسان الأم، إنها المرجع لكل العاميات والمحكيات العربية المتداولة في الوطن العربي إنها الأصل والأساس وما دونها فروع وتشعبات وتنوعات ، إنها ذاكرة لتراث العرب وحافظة أمينة له، ورغم المآخذ التي تقوم على صعوبة اكتسابها وبالتالي حسن استخدامها، فهي خير أداة تعبيرية لدى العرب.[4]

هذا، وإن تاريخ اللغة العربية موغل في القدم، فهي إحدى اللغات السامية المتأصلة العريقة، بل إنها أمّ اللغات السامية، كما يؤكد الباحثون المنصفون من العرب والمستشرقين.. وأصالتها هي التي حفظتها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا إلى الآن من التلف و الانقراض، فقد انقرضت لغات كثيرة وبقيت هي شامخة الأنف عزيزة الجانب على الرغم مما مر عليها من محن في القديم و الحديث.

ومما يجدر التأكيد عليه أيضا هو أن حياة اللغات مرهونة بحياة أهلها، لأن ارتقاء اللغة وحياتها مبنيان على ما لأهلها من الرقي، وعلى جهود أبنائها في حفظها وصونها والعمل على تطورها لترتقي إلى المراتب العليا بين سائر اللغات البشرية، بما يضمن بقاءها ويحافظ على سيادتها. كما أنّ قيمة كل لغة مستمدة من قيمة أهلها بين الأمم، وشأوها من شأوهم على تعاقب القرون وامتداد العصور، وكذلك العكس صحيح؛ إذْ لا عزّة لقوم فرّطوا في لسانهم، الذي هو ترجمان أفكارهم، ورمز وجودهم، وامتداد نسلهم. ولا تحوز لغةٌ

---

[1]–ابراهيم كايد، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل،المجلد3، العدد1 ، 2002، ص61.

[2]– محمود عكاشة، علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية، دار النشر للجامعات، القاهرة،ط2006،1،ص96.

[3]– أنور الجندي ،الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط3 ،1982، ص7

[4]– نادر سراج، مرجع سابق، ص 11

ما مكانةً بين اللغات، بل لا يمكنها أن تحافظ على بقائها ووجودها بينها ما لم تكن لها دعائم تستند إليها، إمّا من كيانها هي باعتبارها لغة قوية من اصل تكوينها وكثرة تداولها واستعمالها أم من عوامل أخرى خارجية يكون لها اثر بارز في الحفاظ عليها وإثرائها وتجديدها.

ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن اللغة العربية من أثرى اللغات بأصواتها اللغوية الأربعة والثلاثين (34) المستعملة بصوامتها وصوائتها.. أي (28 + 6) بينما نجد في الفرنسية والإنجليزية – مثلاً – تسعة وعشرين صوتا، وليس من شك في أنّ زيادة عدد الأصوات هذه تعني زيادة الاحتمالات لتكوين مواد لغوية جديدة، بما يمكّن متكلّم العربية من توسيع آفاقه في التفكير الذي تتولّد عنه اللغة، إذ تأتي اللغة تالية للتفكير، ولا يتسع مجال استعمالها إلا باتساع مجال التفكير.. وهذه المزية تجعل اللغة العربية تتبوأ مكانا ريادياً سامقاً لا مجال إلى إنكاره بين اللغات..[1]

وإذا كانت اللغة العربية تشترك مع غيرها من اللغات في الحروف، فإنها (أي اللغة العربية) تنفرد بحروف وأصوات معينة لا توجد في غيرها، كحرف العين، وحرف الحاء، وحرف الظاء، وحرف الضاد. ولذلك اشتهرتْ، في تسميتها ووصفها، بأحد هذه الحروف، ألا وهو حرف الضاد، نظرا لتميّزه الصوتي بين بقية الحروف. مع أن من الباحثين في لغة الضاد من كشف عن أسرار متعددة لبقية الحروف.

لقد بدأت اللغة العربية سيدة تسحر الألباب، وهي تخرج من أفواه الأعراب الذين تشبعوا روحها على السجية والفطرة والصواب، من غير أن يلقَّنوها من كتاب. وما كان ثمة ما يسمى بالقواعد والنحو والإعراب. ولما جاء القرآن خير كتاب، أضفى عليها حللاً الجلالة والقداسة وزانها بأساليب التهذيب والكياسة، فازدادت على سيادتها سيادة، وحظيت بفضله بموقع الريادة. وكتب لها الحياة والخلود، وبلغت في عطائها أعلى مراتب الجود..

فمما يتفق عليه الدراسون أنّ العربية الفصحى كانت لغة الأدب، وكانت معربة واضحة الإعراب قبل الإسلام، ولاشك أن ارتباط الفصحى بالقرآن الكريم كتب لها الحياة والاستمرار والغلبة والانتشار، إذْ " لم يحدث حدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثرا في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام، ففي ذلك العهد قبل

[1] – بوفاتح عبد العليم، دراسات في اللغة، دار كليوباترا للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص85

أكثر من ألف وثلاثمائة عام عندما رتل مُحَمَّد ﷺ القرآن على بني وطنه بلسان عربي مبين تأكدت روابط وثيقة بين لغته والدين الجديد، كان ذلك دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة. " [1]

اللهجـة في معاجم اللغة :

عُرِفت اللهجة بعدة تسميات منها (اللكنة والعامية والدارجة) ولكن الأكثر تداولا من هذه التسميات هي (اللَّهْجة: بفتح اللام وسكون الهاء). وقد تعددت المفاهيم والتعريفات الاصطلاحية للفظ (اللهجة) عند علماء اللغة القدماء والمحدثين عند اصحاب المعاجم وغيرهم، وكلها متقاربة في المعنى، على الرغم من تعدد الأوجه في ذلك لدى الباحثين، وسنوجز فيما يأتي أبرز الأوجه وما تحمله من المفاهيم:

الوجه الأول: نجده في معجم لسان العرب، وفيه أنّ اللهجة " مشتقة من لهج بالأمر لهجا، ولهوجا واللهج، كلاهما: أولع به واعتاد ها، وألهجته به، ويقال: فلان ملهج بهذا الأمر، أي مولع به، واللهج بالشيء: الولوع به، واللَّهْجة و اللَّهَجة: طرف اللسان، جرس الكلام، يقال فصيح اللَّهْجة، واللَّهَجة وهي لغته التي جبل عليها فاعتاد ها ونشأ عليها، واللَّهْجة : اللسان، وفي الحديث (ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذرٍ وفي حديث اخر أصدق لهجة من أبي ذرٍ، قال: اللهجة اللسان) "[2]

الوجه الثاني: جاء في المعجم الوسيط أنّ " اللَّهجة: اللسان، لغة الانسان التي جبل عليها فاعتاد ها، يقال فلان فصيح اللهجة، وصادق اللهجة، وطريقة من طرق الأداء في اللغة و جرس الكلام "[3]

الوجه الثالث : نجده في المنجد في اللغة العربية، ومفاده : " جرس الكلام وأسلوب اللفظ، صفة التعبير عن حالات نفسية وعن مضمون الكلام. " [4]

الوجه الرابع : " نجده في معجم العين، ومفاده : اللهجة : طرف اللسان، ويقال جرس اللسان، ويقال فصيح اللهجة، واللهجة هي اللغة التي جبل عليها فاعتاد ها ونشأ عليها." [5]

الملاحظ على هذه التعاريف والأوجه اللغوية أن (اللهجة) وردت بمصطلح اللغة تقريبا في أغلب المعاجم، وهي لغة الانسان التي جبل عليها واعتاد على استعمالها في بئته ومجتمعه، أي أنها هي اللغة المتداولة بين

---

[1] – عبد الرحمن الوائلي، رؤيتان حول المسألة الثقافية في العالَم العربي والإسلامي، من مقال بمجلة: الكلمة، عدد20 ص135 للعام 1998 ؛ وينظر: دراسات في اللغة، ص183

[2] _ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مج 1، باب اللام، مادة لهج، ص 355

[3] _ ابراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، ج 1، باب اللام، ص 841

[4] _ نعمة أنطوان وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، دار المشرق، بيروت، سنة 2000، ص 1304

[5] _ الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 2003، باب اللام، ص 104

أفراد المجتمع، ونشأ عليها منذ نشوئه أو صغره، وهذا دليل على أن اللغويين العرب كانوا يعتبرون اللهجة بالنسبة لقوم ما، هي بمنزلة اللغة الخاصة بهم وببيئتهم التي نشأوا فيها. ويمكن أن نستخلص من هذا عدة نتائج، ابرزها ما يأتي :

– أنّ اللهجة " هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة " [1]

– ونظر بعضهم إلى اللهجة " على أنها طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة، ويعرفها كذلك على أنها : " العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم بلغة واحدة "[2]

– وأضاف بعضهم على ما تداوله السابقون، إذْ أشار إلى خاصيتين في اللهجة هما الجهوية وعدم الثبات، بوصفه أيا ها بالتكلم الجهوي المتغير. أي أن اللهجة تتغير بتغير الزمان والمكان، تتميز بالجهوية وهي التكلم المتغير من بيئة إلى بيئة ومن مجتمع إلى مجتمع، متأثرة بعدة عوامل.

– وقرّب آخرون بين اللغة واللهجة، فرأوا أنّ " اللهجة شكل من أشكال اللغة، لها نظام خاص على المستوى الإفرادي والتركيبي والصوتي، وتستعمل في محيط ضيق مقارنة مع اللغة نفسها "[3]

ما نلاحظه من هده المفاهيم والتحديدات الاصطلاحية للّهجات أنها فئات لغوية يتميز بها كل كلام لمجموعة من الأفراد، داخل مجتمع معين وبيئة معينة، ولكل منها خصائص تميزها عن غيرها، أي علاقتها بالبيئة التي تنتمي إليها. "

وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع، وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائص، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية، التي تيسر اتصال هذه البيئات بعضهم البعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهمًا يتعلق على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات."[4]

---

[1] _ ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)،2003، ص15 .

[2] _ المرجع نفسه، ص : 33

[3] _ سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتها في الاستعمالات، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر، الجزائر، ص 33

[4] _ ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص15 .

اللهجة في إطار النسيج الاجتماعي والثقافي :

تحمل اللهجة مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ووسط اجتماعي معين وتشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، ولكل منها خصائصها وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها اللغة. [3]

وفي كثير من الأحيان تُستعمل كلمة لهجة أو لغة، شأن كلمات كثيرة نرددها دون التزام بتدقيق المعنى وتحديد المضمون وبيان الإطار الذي تندرج فيه التسمية، ودون اعتراف بما يطرأ على هذا كله من تغير في حركة الزمان وصراع المجتمعات وتداخل الثقافات، ولا يمكن إغفال ما تضيفه العلوم من معطيات جديدة تتّخذ مكانا لها في حياة الناس ومعاملاتهم اليومية، وبهذا التنوع تتعدد الرؤى وتختلف التحديدات والمفاهيم وتتشعب المدلولات بين النقاد والمؤلفين، بحسب منطلقاتهم..

وعلى الرغم من تباين اللهجات تبايناً جليّاً فإنها تتقاطع وتتعايش في انسجام ضمن وسط اجتماعي يسوده التفاهم بين متكلمي هذه اللهجات فيما يدور بينهم من حديث وما يتداولونه من خطابات، فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط هذه اللهجات بأفراد المجتمع..

وتتفرع اللهجات عن لغة واحدة رسمية تابعة لها، ويعود تأصيل هذه اللهجات إليها، وهذا ما تشترك فيه أي خصائص لغة رسمية معينة، نحو : الجزائر، تعد اللغة العربية هي اللغة الرسمية لها، وباقي ما يتكلم به الناس في حياتهم واستعمالاتهم اليومية تعد لهجات محلية وصفات متفرعة من اللغة الرسمية، وهذا التعدد له عدة أسباب أدّت إلى ظهور هذه اللهجات المحلية بمختلف تنوعاتها .

وبالعودة هنا إلى مفهوم اللهجة نجد اختلاف اللهجات من قُطْر إلى قُطْر آخر في نفس البلد مثلما نجد هذا الاختلاف الحاصل في الجزائر، حيث تختلف لهجة الشرق الجزائري عن لهجة الغرب، ونجد اللهجة العاصمية والقبائلية واللهجة الشاوية واللهجة التارقية واللهجة العربية الصحراوية، فنلحظ أن الكتاب الجزائريون وبحكم الواقعية اللغوية تأثروا بلهجات مناطقهم التي ينتمون إليها، وفي بعض الأحيان نجد التأثر الكبير باللغة الفرنسية نتيجة الاستعمار الفرنسي، واللهجة كما هو معروف لدى بعض الكتاب طرف اللسان و جرس الكلام، وكل ما يتعلق بالأصوات وكيفية أدائها من مثل إمالة الفتحة والألف أو تفخيمها، فهي أسلوب أداء الكلمة إلى السامع، أما إذا عدنا إلى العرب القدامى وبالضبط في العصر الجاهلي لم يستعملوا قط اللهجة، ولم ترد في كتبهم، بل إنهم لم يستعملوه قط على النحو المعروف في الدرس

[1] – ينظر ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص16

اللغوي، وغاية ما وجد هو ما تردده معاجمهم "من أن اللهجة هي اللسان أو طرفه أو جرس الكلام، ولهجة فلان لغته التي جبل عليها وكانوا يطلقون على اللهجة لغة أو لغية".[1]

اللحن واللهجة العامية :

اللحن هو تلك الأخطاء التي سجلها علماء العربية قديما، والتي نعني بها مخالفة العربية في قواعدها وأصواتها وصيغها الصرفية وتراكيبها النحوية (الحركات الاعرابية) ودلالة الألفاظ .

فاللحن يرتبط بالأداء الفردي الخاص، على حين أن اللهجة هي تأدية جماعة من الأفراد بلسان منطقة معينة لأخطاء مخالفة لقواعد اللغة العربية، مع العلْم أنّ هذه المخالفة لقواعد اللغة الفصيحة هي ذاتها قواعد لا بد منها في اللهجة، لأنه بغير هذه المخالفة ننتقل في الاستعمال من اللهجة إلى اللغة الفصيحة؛ غير أنّ مخالفة اللهجة لقواعد اللغة الفصيحة ليس خرقا لها أو تجاوزاً أو تجاهلاً، وإنما هو أبرز سمات اللهجة، ذلك أنّ تنوع الاختلافات يتولّد عنه تعدد اللهجات، غير انها تبقى كلّها متصلة باللغة الفصيحة الأم، تستمدّ منها ألفاظها ومعانيها، مع ما يميّز هذه من تلك من الخصائص اللسانية والثقافية والاجتماعية..

واللهجة العامية مقترنة باللحْن، على اعتبار أنها تحوير للغة الفصيحة الأصلية، وهو تحوير لا مناص منه، لأنّ اللهجة هي التي يستعملها كل الناس على اختلاف طبقاتهم وثقافاتهم ومراكزهم الاجتماعية.. ولذلك نجد تسمية اللهجة الشعبية باللهجة العامية.. وهي التي يعرفها ابن فارس في المقاييس بقوله:" عمَّنا هذا الأمر يعُمنا عموما، إذا أصاب القوم أجمعين، والعامة ضد الخاصة، يقال فلان ذو عُمية : أي أنه يعمٌ بنصره أصحابه لا يُخصَ، ويقال: عمَّم اللبنُ :أرغى."[2] وجاءت في معجم العين للخليل العُميةُ: الضَّلالة، وفي لغة عمية، والاعتماءُ : الاختيار، والمعامي: الأرض المجهولة. "[3]

تمثل العامية " مجموعة من الخصائص اللغوية التي تنتمي إلى بيئة معينة، ويشترك فيها جميع أفراد هذه البيئة التي تعد جزء من بيئة أكبر تضم لهجات عدة وتتميز عن بعضها بظواهرها اللغوية، غير أنها تتفق فيما بينها بظواهر أخرى تسهل اتصال أفراد تلك البيئات بعضهم ببعض وفهم ما يدور بينهم من

---

[1] _ سعاد مُحَّد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1967، دط، ص: 85.

[2] – ابن فارس : المقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام مُحَّد هارون، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء 4، دط، دت، ص18.

[3] – الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي، الجزء 3 ، منشورات مُحَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2002 ، ص233.

حديث."[1] ويرى بعضهم أنّ العامية " هي اللغة المستعملة اليوم ومنذ زمان بعيد، في الحاجات اليومية، وفي داخل المنازل، وفي وقت الاسترخاء والعفوية. "[2]

هذا، وتُعرف اللهجة العامية بأنها طريقة الحديث التي يستخدمها السواد الأعظم من الناس وتجري بها كافة تعاملاتهم الكلامية ، وهي عادة لغوية في بيئة خاصة وتكون هذه العادة صوتية في أغلب الأحيان، تتعايش مع الفصحى وهي لغة المشافهة في المعاملات اليومية داخل الأسرة والشارع والسوق وغيرها ، وتتميز بالاقتصاد والإهمال والاقتباس.[3]

بين اللغـة واللهجـة :

ينظَر إلى اللهجة على أنها تأدية لغوية لجماعة محلية تشترك في خصائص بيئية واحدة، مع تميزها بالاختلاف في مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية وكذا الدلالية، ويمكن القول إن اللهجة تشترك مع اللسان في كون كل منهما تأدية فردية للّسان البشري. وقد استعملت العرب مصطلح (اللغة) بمعنى (اللهجة) إشارة إلى اللهجات التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية، فهي بهذا ضرب من التنوع اللغوي، لكنهم احتفظوا بالفصيح منه، وأبعدوها ما سواه في جمعهم للعربية الفصيحة.

نخلص إلى أنّ مصطلح لهجة يتقاطع مع مصطلح لغة، فالقدماء كانوا يستملون مصطلح (لغة) ويريدون (لهجة)، فيقولون : لغة قريش، ولغة تميم، ولغة الحجاز، ولغة هذيل، وغيرها.. غير أنّ هذه اللهجات عندهم ما هي إلاّ صور متفرعة عن اللغة العربية الفصيحة.. وأمّا في الاصطلاح الحديث فاللهجة تعني بالضرورة الأداء المختلف عن اللغة الأصل، إذ الاختلاف شرط في تسميتها باللهجة..

إنّ اللهجات سواء أقلّتْ أم كثُرتْ هي في الأصل متفرعة بالضرورة عن لغة واحدة تُعَدّ اصلاً لها، وتندثر هذه اللغة وتبقى لهجاتها فيصيبها كثير من التغيير والتحريف، وربما تأثرت هذه اللهجات بلهجات أو لغات أخرى؛ وقد تبقى لهجة أو أكثر من لهجة محافظة على اتصالها باللغة التي انبثقت منها، كما هو الحال في اللهجات العربية المنبثقة من الفصحى..

نستخلص ممّا سبق أنّ البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة الكلّ بالجزء، فاللغة هي التي تحتضن مجموعة من اللهجات

[1] – علي ناصر غالب، اللهجات العربية، لهجة قبيلة أسد، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010، ص33.

[2] – عبد الرحمن الحاج صالح ، اللغة العربية بين المشافهة والتقرير ، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 66، ص117 .

[3] – علي عبد الواحد الوافي، فقه اللغة العربية ،دار النهضة للطباعة، القاهرة ، ط7 ،1972، ص153.

المختلفة المتغيرة المتمايزة فيما بينها، وهذه اللهجات جميعها تشترك في جملة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية؛ وإن وُجدتْ هناك بعض الاختلافات بينها فهذا أمر طبيعي بالنسبة للهجة إذ نجد بعض الاختلافات بين جهة وجهة، وحتى من منطقة إلى منطقة مجاورة لها، ومردّ ذلك كما يقول الدكتور عبد المالك مرتاض إلى أن " العامية الجزائرية يتمثل هيكلها اللغوي العام في هذه اللهجات الإقليمية التي تختلف من جهة إلى جهة، بل أحيانا تختلف من قرية إلى قرية مجاورة لها، وهذه اللهجات تخضع لعوامل لغوية كثيرة، منها ما ينشأ عن الوراثة والطبيعة، ومنها ما ينشأ عن البيئة والجوار، ومنها ما ينشئ عن الاختلاف الناشئ عن اختلاف الجنس واللغة والطبيعة الفيزيولوجية نفسها، فاللغات تتأثر وتؤثر كما يتأثر ويؤثر الناطقون بها لأنها ظاهرة اجتماعية كما ثبت في العلوم الاجتماعية نفسها.

والحقيقة أن اللغة واحدة ذات أساس ومرجعية تاريخية ثابتة، أما اللهجات الموجودة في الواقع فهي نتيجة طبيعية لعوامل تتعلق بالبيئة الجغرافية والبيئة الاجتماعية والثقافية التي تتميز بها مختلف المجتمعات بعضها عن البعض، إذْ نجد هذا التمايز والتباين أمراً ظاهراً، على الرغم من وجود محطات كثيرة للتقاطع بين عدة لهجات، نتيجة لكونها منبثقة من اصل واحد، كما هو الشأن بالنسبة للغة العربية ولهجاتها المتعددة..
واللهجات بشكل عام موجودة في معظم اللغات الحية وفي جميع أصقاع الأرض، ولا تخلو لغة من لهجات عامية تختلف من بلد لآخر، ويصل الاختلاف أحيانا إلى حد تعذر فهم لغة الشخص الآخر من نفس القومية، كما هو الحال في اللغة العربية حيث نجد صعوبة بالغة في فهم اللهجة العربية للجزائري أو المغربي وغيرها من الأقطار العربية.

وخلاصة القول أن العلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة بين العام والخاص " وتشتمل اللغة عادة على عدة لهجات لكل منها ما يميزها، وتشترك كل هذه اللهجات في مجموعة من الصفات اللغوية ما يتعلق بالأصوات وطبيعتها phonetics أو ما يتعلق ببنية الكلمة ونسجها morphology وما يتعلق بتركيب الجملة syntax أو ما يتعلق بالألفاظ ودلالتها semantics، والأخيرة ذات مستويات لغوية بين مستوى الفصحى ومستوى اللهجة العامية منها: فصحى التراث التي مازال البعض يتمسك بها خاصة في البرامج الدينية والتراثية في بعض وسائل الإعلام العربية، وفصحى العصر وهي مستوى لغوي ما بين الفصحى واللهجة، إضافة إلى مستوى عامة الناس وهي اللغة أو اللهجة المشتركة بين معظم الناس في المجتمعات العربية، ويختلف هذا المستوى من مجتمع لآخر." [1]

[1] – ليلى خلف السيعان: تأثير اللهجات المختلفة على لغة الأمة أو اللغة العربية، نقلا عن موقع: www.acmls.org/medical arabization/11thl ssue/mj 11058-htm

ففي كل لغة من لغات العالم الحية توجد لغة فصحى وتوجد لهجات عامية محكية، ومهما اختلفت اللهجات بحسب المناطق والبلدان، فإن المرجعية تكون في الأساس للفصحى باعتبارها اللغة المفهومة للجميع، ومهما دخلت الشوائب والكلمات الغريبة على اللهجات المحكية، فإن الفصحى هي الحصن المنيع والمرجع الأخير لكل الطوائف من أبناء الشعب الواحد.

ولقد عاشت العامية إلى جوار الفصحى في جميع مراحل تاريخ الحضارة العربية قديما ولم تسبب لها حرجا ، أو تطغى على مجالاتها أو ترغب في محوها والانفراد بالتعبير، كما أن العامية تظل أبدا متصلة بالفصحى كونها ليست ظاهرة طارئة محدثة بل هي ظاهرة طبيعية وموجودة في كل اللغات الحية.[1]

مع أن بعضهم ينطلق في تقييم العلاقة بين اللغة الفصيحة واللهجة الشعبية من عوامل سياسية وتاريخية، منها قول بعضهم " إن الاستعمار استغل هذه الظاهرة الطبيعية ليحارب الفصحى بلهجاتها المتعددة، وقد وجد في اختلاف اللهجات الإقليمية ذريعة للقضاء على اللغة الواحدة وقد سارت هذه الحملات في اتجاهين : فمن ناحية تكشف عن وجود جمود الفصحى وتعقدها وبداوتها وتخلفها عن حاجة العصر، وتلقي عليها مسؤولية تخلفنا وانحطاطنا، ومن ناحية ثانية تدعو للعامية وتضيف إليها مزايا الفصاحة والسهولة والمرونة وترى فيها الوسيلة لتثقيف جماهير الشعب وتعليم الأميين[2].

هذا، وواقع الحال أنّ ظاهرة وجود العامية إلى جانب العربية الفصحى، ظاهرة لغوية في جميع دول العالم، ولكل منهما مجالاته واستعمالاته، وتعرف اللهجة العامية بأنها طريقة الحديث التي يستخدمها السواد الأعظم من الناس، وتجري بها كافة تعاملاتهم الكلامية، وهي عادة لغوية في بيئة خاصة تكون هذه العادة صوتية في غالب الأحيان، وتعدّ العامية الجانب المتطور للغة، ويشمل البعد عن اللغة الأم ويستخدمه أفراد المجتمع وطبقاته المختلفة في الاستعمال اليومي، فهذه العامية سيطرت على العربية الفصحى وأخذت مكانتها، وهذا من أجل تسهيل عملية الاتصال والتواصل اليومي بين أفراد المجتمع، بالإضافة إلى أنها دخلت إلى المؤسسات التعليمية، إذْ نجد التلاميذ يتحدثون بها داخل الأقسام الدراسية، وهو المكان الخاص الذي يقلّ توقّع استعمالها فيه بالمقارنة مع غيره من الأماكن العمومية الأخرى. وعلى هذا فليس بالضرورة

[1] – صفاء مُحَمَّد عطية حسن، الازدواجية اللغوية بين الفصحى والعامية، بحث مقدم لاستيفاء متطلبات درجة البكالوريوس في اللغة العربية، جامعة السودان، 2014، ص32.

[2] – عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ) ، لغتنا الجميلة، دار المعارف ، القاهرة، الطبعة1، ص20.

أن يكون في استعمال اللهجة إنقاصاً من شأن اللغة الفصيحة، لأنّ اللهجة مستمدّة من اللغة، وليس أدلّ على ذلك من وجود تطابق كبير بينهما فيما هو متداوَل من الألفاظ والعبارات والتراكيب والصور..

يمكننا القول عندئذ إن اللغة أقوى وأدقّ من اللهجة، من حيث هي نظام له قواعده وقوانينه وأحكامه المعجمية والصوتية والصرفية والتركيبية؛ على حين أنّ اللهجة أقوى وأوسع من حيث هي الوسيلة اليومية التي يتم استحضارها في كل وقت بسهولة ويُسْر وسلاسة لدى المستعملين، كما تستعملها كل شرائح المجتمع على نطاق واسع غير محدود؛ علماً أنّ اللهجات مستمدة من اللغات؛ أي أنّ كل لغة لها لهجاتها التي تتفرع عنها؛ إضافةً إلى ما تكتسبه هذه اللهجات من استعمالات جراء احتكاكها بلغات ولهجات أخرى، فهي عندئذ أكثر من اللغة من حيث التأثير والتأثر.. وعلى هذا يمكن اعتبار اللغة أم اللهجات ومصدرها الأصلي، كمل يمكن اعتبار اللهجات فروعاً عن اللغة الأم. وبهذا نستخلص انه لا تعارض ولا تنافس ولا تزاحم بين اللغة واللهجات إلاّ فيما يبدو من كثرة الاستعمال للّهجات على حساب اللغة الفصيحة التي تكون مجالات استعمالها أكثر تحديدا.

هذا، وإنّ ممارسة اللهجات تحدث عادة ضمن جماعة محلية وواقع بيئي منغلق وأفراد منطقة معينة تربطهم علاقات معلومة، وتجمعهم حدود جغرافية مشتركة؛ لذلك ظل علم اللهجات محل اهتمام اللسانيات الاجتماعية واللسانيات الجغرافية، على اعتبار أن اللغة هي ظاهرة اجتماعية تتأثر بعادات المجتمع والبيئة التي يتم فيها تداولها.

التداخل اللغوي والتحول اللغوي :

جاء في كتاب التعريفات لعلي مُحَمَّد السيد الشريف الجرجاني أنّ التداخل " عبارة عن دخول شيء في شيء آخر بلا زيادة حجم ومقدار. "[1] وجاء في لسان العرب لابن منظور:" التداخل هو الالتباس والتشابه ، وهو دخول الأشياء في بعضها البعض."[2] فالتداخل اللغوي إذاً هو دخول لغة ضمن لغة أخرى وليتضح هذا التعريف اللغوي أكثر علينا معرفة مصطلح التداخل اللغوي لسانيا ماذا يعني؟

ويعرف جورج مونان التداخل اللغوي (Interférence) في معجم اللسانيات، بأنه " تشكل التغيرات والتماثلات الناتجة في لغة ما عن التماس مع لغة أخرى بفعل الثنائية اللغوية أو تعدد لغات

[1] – علي مُحَمَّد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق المنشاوي دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ص 46

[2] – ابن منظور، لسان العرب، دار الجبل، بيروت، 1988،ب ط، ص 957

المتكلمين ظاهرة التداخل اللساني."[1] والتداخل اللغوي عند بعضهم، هو" تداخل (Télescopage) الأشكال التي تنحدر من جمع كلمتين متجاورتين في كلمة واحدة في السلسلة الكلامية ، أومن العدوى في لفظة بوساطة لفظة أخرى تنتمي إلى الصنف الاستبدالي نفسه."[2]

نستخلص من التعريفات اللغوية والاصطلاحية أن التداخل اللغوي هو ظاهرة لغوية موجودة في أغلب المجتمعات التي يتميز لسانها بالتعدد اللغوي، مثل تداخل اللهجة الشعبية مع اللغة العربية الفصحى أو تداخل العامية مع اللغة الفرنسية ، وقد يكون التداخل شاملاً لكل ما سبق، بحيث تلتقي عدة لغات ولهجات وتتمازج فيما بينها، لصناعة الخطاب العصري عبْر هذه الوسائل الحديثة، كالذي نعايشه على شبكات التواصل الاجتماعي.

ويستدعي الكلام عن (التداخل اللغوي) استحضار مصطلح آخر وهو (التحول اللغوي) فما العلاقة القائمة بينهما ؟ ينظر على القاسمي إلى التداخل اللغوي " بوصفه انتقال عناصر من لغة أو لهجة إلى أخرى، في مستوى أو أكثر من مستويات اللغة : الصوتية والصرفية والنحوية والمفرادتية والدلالية والكتابية، سواء أكان الانتقال من اللغة الأم إلى اللغة الثانية أو بالعكس... فإذا تأثرت اللغة العربية الفصيحة التي يمتلكها الطفل العربي بلهجته العامية او باللغة ا أجنبية التي يتعلمها، فإننا نعد ذلك من باب التداخل اللغوي كذلك."[3]

هذا عن التداخل اللغوي المتمثل في انتقال عناصر اللغة أو اللهجة، على حين أنّ التحول اللغوي يُنْظَر إليه على انه وجه من وجوه التداخل اللغوي، وهنا يتضح الفرق بينهما، إذ يقول بعضهم: " أما التحول فهو انتقال الفرد في حديثه من لغة أو لهجة إلى لغة أخرى ويتم كلاهما بصورة شعورية أولا شعورية والتداخل اللغوي مصطلح عام يضم أنماطا كثيرة من التأثيرات والتأثيرات التي تجري بين اللغات في تماس ، ولهذا يمكن أن ننظر إلى التحول اللغوي بوصفه وجها من وجوه التداخل اللغوي."[4]

---

[1] – جورج مونان، معجم اللسانيات ،ترجمة جمال الحضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان،ط2012،1،ص124

[2] – عبد الجليل مرتاض، القاموس الوجيز في المصطلح فرنسي– عربي،دار هومه للطباعة والنشر، ب ط، 2017 ،ص 408

[3] – على القاسمي، التداخل اللغوي والتحول اللغوي، مجلة الممارسة اللغوية، تيزي وزو، ص 77

[4] – المرجع نفسه، ص 89

وبهذا يظهر أنّ التداخل اللغوي يكون على عدة مستويات لسانية، وهي المستوى الصوتي، والمستوى المعجمي، والمستوى النحوي، والمستوى الدلالي، كما يتجلى كذلك على مستوى الخط والكتابة.[1]

فعلى المستوى الصوتي: يؤدي التداخل في المستوى الصوتي إلى ظهور لهجة أجنبية في كلام المتعلم أو لدى المتكلم بصورة عامة، تبدو واضحة في اختلاف في النبر والقافية، والتنغيم وأصوات الكلام ؛ وعلى المستوى النحوي التركيبي: يؤدي تأثير نحو اللغة الأم على تنحو اللغة الثانية إلى وقوع المتعلم في أخطاء تتعلق بنظم الكلام أي ترتيب أجزائه وفي أساليب الكلام ، وفي استخدام الضمائر.مثل التداخل الواقع بين اللغة العربية الفصحى واللغة العامية في تقديم الفاعل عن الفعل عند الطفل يبحث أبي عنك = تقابلها العامية : أُبَّيْ يحوس عليك ؛ وعلى المستوى المعجمي: يظهر التداخل اللغوي في اقتراض كلمات من اللغة الأم ودمجها في اللغة الثانية عند الكلام بها مثل كلمة: (Football) المتداولَة بين اللغتيْن (الانجليزية والفرنسية.) ؛ وعلى المستوى الدلالي: تتمثل هذه الظاهرة في وجود كلمة مشتركة بين لغتين لكن تختلف دلالتها عند كل لغة مثل كلمة: Location التي تعني في اللغة الفرنسية (التأجير) بينما تعني في اللغة الانجليزية (الموقع).. وأمّا على مستوى الكتابة والخط : فيتمثل ذلك التداخل في أخطاء المتعلمين الكتابية، مثل بعض الكلمات التي تشتمل على حروف تُنْطَق عادة ولا تُكْتَبُ كالألف اللينة، فعندما يسمعها المتعلّم يكتبها كما سمعها بألفها.. كما في أسماء الإشارة (هذا ، هذه ، ذلك...) ، ومثل ذلك في كتابة للتنوين بنون ساكنة كما يسمعها.. وهكذا.. وتتجلى هذه الظاهرة أكثر عند وجود تشابه في الأنظمة اللغوية، كما نجد بين العربية والعبرية ، وبين الفرنسية والإنجليزية...

وهذه المستويات اللسانية هي التي يتجلى فيها التداخل اللغوي أو أحد وجوهه فيما يسمى التحول اللغوي يقع في مجتمعنا اللساني الجزائري بين اللغة العربية الفصحى والعامية تارة ، وبين اللغة العربية الفصحى واللغة الفرنسية والانجليزية تارة أخرى، ليقع في الثالثة في مزيج لغوي من كل ما سبق في عبارة واحدة أو سلسلة كلامية طويلة.

وقد كان الباعث على وجود هذه الظاهرة اللسانية هو المتكلم والمتلقي والسياق والموضوع هذه العناصر الأربعة هي التي ينتج في سياقها التدخل اللغوي وهي التي تتحكم في درجة حدوثه وحجمه؛ أي أن التحول اللغوي هو من مظهر من المظاهر اللسانية التي تبرز ظاهرة التداخل اللغوي بين اللغة الأم واللغة الأجنبية ، أو اللغة العربية الفصحى واللغة العامية، وعليه، فهذا التعدد اللساني الموجود في المجتمع يفرض

[1]- ينظر على القاسمي، التداخل اللغوي والتحول اللغوي، مجلة الممارسة اللغوية، ص 78-79.

التداخل اللساني والتحول اللغوي على المتكلمين سواء بطريقة اختيارية شعورية أو بطريقة لا شعورية خصوصا في مجتمعاتنا العربية والإسلامية التي وقعت تحت سطوة الاستعمار لعقود كثيرة من عُمر الزمن، مما جعله يعمل على ترسيخ لغته على أرضها، ويجبر المتكلمين على اتخاذها لسانا للحوار والتخاطب..

والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات العربية التي لم تسْلمْ من غطرسة الاستعمار الذي حاول جاهدا منذ أن وطئتْ أقدامه أرضها الطاهرة في العام 1830م إلى غاية تحقيق الحرية والاستقلال في العام 1962 م.. ففي هذه الفترة الطويلة التي تجاوزت القرن وربع القرن من الزمن سعى المستعمر بكل الوسائل والطرق المتاحة من أجل طمس الهوية العربية والإسلامية في الجزائر ، فعمد إلى محاربة عناصر الهوية، ومنها اللغة العربية الفصحى، إذْ أخرجها من التعليم ليعمم لغته الفرنسية الا في مواطن معدودة محدودة تحت حراسته ومراقبته الشديدة القاسية... وكان هذا عاملاً من عوامل انتشار التعدد اللهجي في المجتمع الجزائري نتيجة الجغرافيا كاللهجة الشاوية والقبائلية والميزابية ولهجة الطوارق والعربية العامية التي تعود أصولها إلى القبائل العربية التي جاءت من شبه الجزيرة العربية.

وظلّ هذا التعدد اللغوي في الجزائر على مدى زمنيّ طويل يتسم بالتعايش السلمي بل غدتْ كل لهجة متأثرة بأختها ومؤثرةً فيها في إطار التعدد اللهجي والتنوع اللغوي، وفي هذا الواقع تعيش العربية لسان الأم وهي كذلك ليست بمنأى عن قانون التأثر والتأثير، ويبقى الأمر طبيعياً، لكنّ اللغة العربية الفصحى هي اللغة الأولى والأساسية التي يتعلمها الطفل الجزائري في المدرسة، وهناك من يتعلمها في المدارس القرآنية مبكرا قبل التحاقه بالمدرسة، غلى جانب لهجة منطقته التي يتواجد فيها..

التعددية، الثنائية، الازدواجية اللغوية :

هذه الثلاثة كلها مصطلحات متقاربة تندرج ضمن التنوع اللغوي، وهي تدل عند بعضهم على مفهوم واحد، وهو وجود أكثر من لغة أو لهجة على مستوى الاستعمال في المجتمع، وقد نجد بينها بعض الفروق لدى بعضهم، كمن يجعل الثنائية خاصة بتعدد اللغات، أمّا الازدواجية فتكون بين لغة ولهجة.. وكل ذلك من التعددية اللغوية أو التنوع اللغوي..

فمصطلح الازدواجية اللغوية الذي يبدو أكثر تداولاً في هذا المقام لا يحظى باتفاق على مفهوم محدد له، فبعض الباحثين يطلقه على وجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة ،أي لغة للكتابة وأخرى للمشافهة أو لغة الحياة اليومية العادية وثانية للعلم والفكر والثقافة والأدب.[1]

وقد تم استخدام مفردة الازدواجية اللغوية لتعيين موقف خاص حيث باستطاعتنا أن نبين استعمالا تنافسيا لشكلين مختلفين لما نعتبره بمثابة اللسان الواحد نفسه، وبالفعل فلقد أشار(فرغستون) إلى أن هناك مقياسين متميزين لوصف هذه الازدواجية ،أولهما: التنافس بين تنوعين أو ضربين للسان نفسه، وثانيهما: قيام وضع مختلف لكل من هذين التنوعين، بحيث يختص واحدهما بالاستخدامات اليومية ويفرض الآخر كمعيار رسمي في المدارس وفي المحاكم، والصحافة، والجيش، ونذكر في هذا السياق أن هذين المقياسين لا يتحققان على المستوى نفسه.[2]

الازدواجيــة اللغويـــــة :

ظهرت في بداية الستينيات محاولات لتقدير الأوضاع الموسومة بالتعدد اللغوي وأولى هذه المحاولات هي دون شك مقالة شارل فرجسون حول الثنائية اللغوية؛ وقد اقترح فيها صاحبها نموذجا للأوضاع التي يتعايش فيها نوعان من نفس اللغة، وقد أورد أربعة أمثلة منها: العربية الكلاسيكية والعربية الدارجة[3]. فهذه الظاهرة خاضعة لاحتكاك لغوي داخل المجتمع باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية، فلا نتصور وجود لغة خارج نطاق المجتمع. ووجود ازدواجية في نفس اللغة أو بين لغة أصلية ولهجاتها هو ظاهرة عامة الوجود، وقد صنف في ذلك اللغوي الاجتماعي فرجسون اللغة الواحدة إلى تنوعين يتنافسان: أحدهما يوظف في الاستعمال اليومي والآخر يفرض كمعيار رسمي في المدارس والمحاكم والصحافة (التنوع العالي)[4].

والجدير بالذكر أن العالم أ.فانرايش قد ألف كتابه الموسوم ب(Languages in contact). وهو كتاب وضع حصيلة معمقة لقضايا الازدواجية اللغوية سنة 1953، ويدل مفهوم التداخل، حسب رأيه،

[1] – عبد الرحمن بن مُحَّد القعود، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، 1998، ص11.

[2] – نادر سراج، إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي(رؤية ألسنية حديثة)،مجلة الاجتهاد، –العدد20، 1993، ص217

[3] – لويس جان كالفي، السياسات اللغوية، ترجمة مُحَّد يحياتن، دار العربية للعلوم ناشرون،ط1، 2009،ص32.

[4] – عبد الرحمان الحاج صالح، الفصحى وعامياتها: لغة التخاطب بين التقريب و التهذيب، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ،دار الخلدونية للطبع و النشر و التوزيع،2008،ص87.

على" تحوير للبنى ناتج عن إدخال عناصر أجنبية في مجالات اللغة الأكثر بناء، مثل مجموع النظام الفونولوجي و جزء كبير من الصرف و التراكيب وبعض مجالات المفردات"[1].

فالتعددية اللغوية قدر مشترك، وإن اختلفت أشكاله وتنوعت، إذ نجد رأيا آخر للباحثين فيما يخص الازدواجية اللغوية، من ذلك ما قام به فيشمان حين أجرى مقابلة جعل فيها الثنائية اللغوية في جهة (وهي قدرة الفرد على استخدام عدد من اللغات) مما يدخل في باب اللسانيات النفسية، وجعل فيها الازدواجية اللغوية في جهة أخرى(وهي استخدام عدد من اللغات في مجتمع ما) مما يدخل في باب اللسانيات الاجتماعية[2].

وقد ظهرت الازدواجية في اللغة العربية بعد أجيال من أهل الفتح في الأمصار الإسلامية نتيجة للاختلاف بين سنن الفصحى المعقدة المكتوبة وسنن المنطوقة في الحياة اليومية العامة ، وذلك أن الفصحى قد أقيمت في البدء على تآلف عريض إذا انتظمت في وصفها التاريخي عدة لهجات هيأ لها نزول القرآن باللسان العربي أن ترقى إلى منزلة اللغة المعتمدة واقتربت الفصحى، من ذلك الحين بالقرآن وأصبحت تِؤخذ أخذ التعلم والنظر، ولكن العربية في واقع الاستعمال اليومي على مستوى عامة الناس أخذت تطوّر نمطا لغويا مفارقا ذلك أنه لما خرج العرب من الأمصار فاتحين خرجوا يحملون لهجاتهم المتباينة، وهناك اختلطت اللهجات فيما بينها وأدى ذلك إلى تحول ألسنة العرب أنفسهم كما أدى إلى تحول العربية على ألسنة الأمم التي دخلت الإسلام.[3]

بين الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية:

تندرج هاتان الظاهرتان ضمن إطار التنوع اللغوي، كما تدخل عدة مصطلحات أخرى لظواهر لغوية تبدو متداخلة حيناً ومتقاطعة حيناً آخر، على خط هذا المسلك اللغوي المتشعب. وهي مصطلحات تحيل على ظواهر لغوية ولهجية رأينا من اللازم التطرق إليها ههنا. ومن أبرز هذه الظواهر : ظاهرة الثنائية اللغوية (Diglossie) ؛ وظاهرة الازدواجية اللغوية(Bilinguisme) ؛ فهما ظاهرتان متداخلتان تلتقيان حينا وتختلفان حينا آخر في تنظير المتخصصين ممن بحثوا في اللغات واللهجات.

فمن تقاربهما أن " مفهوم الثنائية يشير إلى أنها ظاهرة لغوية تعني استعمال الفرد أو المجتمع في منطقة معينة للغتين مختلفتين في آن واحد، وهذا دليل على تقارب مفهوم الثنائية والازدواجية، إذْ تشير الازدواجية

---

[1] لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي،تحمة مُحَّد يحياتن، دار القصبة للنشر،الجزائر،2006،ص27.

[2] لويس جان كالفي، حرب اللغات و السياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، المنظمة العربيةللترجموالنشر،ط1،بيروت،2008،ص80.

[3] – نهاد الموسى ،الثنائيات في قضايا اللغة العربية، دار الشروق، عمان، ط1 ،2003 ،ص31

إلى تجاور مستويين مختلفين في مجتمع معين."[1] وتختلف هاتان الظاهرتان في كون الازدواجية اللغوية تتجلى على رأي بعض المنظرين في كون الشخص المزدوج اللغة هو الذي يتقن لغة ثانية بدرجة متكافئة مع لغته الأصلية، ويستطيع أن يستعمل كلا من اللغتين بالتأثير والمستوى نفسه في كل الظروف."[2]

أو يمكن القول إن المزدوج اللغة هو ذلك الذي يستعمل اللغة الأم بدرجة عالية من التحكّم فيها، على حين يستعمل اللغة الثانية (الأجنبية) استعمالاً أقلّ تحكّماً، وبهذا تبقى لغته الأجنبية في المرتبة الثانية، بحكم عدم أسبقيتها لديه.. وبهذا يكون من الضروري الحديث عن مراتب متعددة لظاهرة الازدواجية اللغوية، وتتحدد هذه المراتب بناء على درجة إجادة هذه اللغة أو تلك..

وأمّا الثنائية اللغوية فهي كون الفرد ثنائي اللغة " يمتلك عدة لغات تكون مكتسبة كلها كلغات أم، وبذلك تعبر الثنائية عن تحكم الفرد أو جماعة أفراد في مستويين لغويين، واستعمالهم لكل نظام حسب الاقتضاء بالدرجة نفسها، ليفهم من الفرد الثنائي اللغة ذاك الفرد الذي يمتلك لغتين أو أكثر، لكن ما يميز هذا الامتلاك هو اكتسابها كلغات أمّ."[3]

ومهما يكن من أمر فإن تحديد مفاهيم ظاهرة التعدد اللغوي تتفاوت من باحث إلى آخر ، ومن حقل إلى لآخر، وتتداخل بين الثنائية والازدواجية والامتزاج بين اللغة ولهجاتها.. وذلك بحسب المعطيات الثقافية والاجتماعية لكل بيئة لغوية وطبيعة اللغات أو اللهجات الموجودة بها، وما يكون لهذه الظاهرة من علاقة بالمجتمعات من حيث مستوياتها التنموية..

ومن خصائص ظاهرة التعدد اللغوي، أنه يظهر " في أشكال مختلفة كثيرة، وهو لا يتواكب مع الرخاء إلا عندما يتعلق الأمر بلغات خاصة معينة ، بينما يرتبط هذا التعدد عادة بمستوى منخفض من التنمية الاقتصادية، وبشكل خاص في البلاد التي تفتقر للغة مشتركة مسيطرة لا تكون معرفتها مقصورة على

---

[1]- د .أحمد بناني: الازدواجية اللغوية في الواقع اللغوي الجزائري وفعالية التخطيط اللغوي في مواجهتها؛ مقال منشور بمجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع/ المركز الجامعي بتامنغست، الجزائر ، العدد /8 ديسمبر2015 ، ص105 .

[2]- هذا رأي كل من ميجل سيجوان ووليم ف-مكاي (MIGUEL SIGUAN ,WILLIAM F-MACKEY) في تعريفهما للشخص المزدوج اللغة (ينظر: المرجع السابق (عن: ميجل سيجوان، وليم ف -مكاي، التعليم وثنائية اللغة، ترجمة : إبراهيم بن حمد القعيد، مُحَمَّد عاطف مجاهد، عمادة شؤون الجامعات، المملكة العربية السعودية، 1994 م، ص1.

[3]- الازدواجية اللغوية في الواقع اللغوي الجزائري وفعالية التخطيط اللغوي في مواجهتها، ص105 ؛ وكذا : أ.د. صالح بلعيد، المازيغية في خطر، منشورات مخبر الممارسة اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ص20

صفوة قليلة فحسب، بل تكون مستخدمة بوصفها الأداة الأكثر أهمية لتنظيم العلاقات السياسية والتجارية ،كما هو الشأن في كثير من الدول الإفريقية".[1]

ومن جهة أخرى نجد أنّ للكتابة دوراً كبيراً في تثبيت العلاقة بين لغتين مختلفتين، أو بين لغة ما ولهجاتها المتعددة، ذلك أنّ التقريب بين هذه اللغات، أو بين اللغة ولهجاتها من شأنه أن يكون عاملاً إيجابيا في إثراء عملية التواصل وتحقيق التطور في أكثر من مجال؛ لأنّ " معرفة القراءة والكتابة تزيد من القدرة التكليفية للأنظمة الاجتماعية عن طريق زيادة التفاضل والتخصص، على أنه يجب أن نضيف أن اكتساب المجتمع لمهارة الكتابة أن يؤثر في اللغات وفي استعمالها بطرق مختلفة .ومن الممكن تمييز ثلاثة مسارات تطورية:

أولها: وجود لغة مكتوبة مع عامية أو عاميات لا علاقة لها بها، مما يحول دون تأثير اللغة فيها تأثيرا بعيد المدى، كاستعمال الصينية الأدبية في الفيتنام قبل تطوير نظام الكتابة الفيتنامي.

وثانيها: رأب الصدع الكبير القائم بين اللغة المكتوبة والعامية على الرغم من علاقة القرابة بينهما، وهو وضع ينطبق على المعرفة المحدودة بالقراءة والكتابة والتي تسفر عن ازدواج لغوي حيث تتطور العامية، بصفة عامة، غير متأثرة باللغة الأدبية، كما هو الشأن في العربية على سبيل المثال.

وثالثها: تأسيس نمط لغوي مكتوب يتبعه –بشكل سريع نسبيا – نشر معرفة القراءة والكتابة بين عامة الناس يمكّن اللغة المكتوبة من ممارسة التأثير في العامية، ويعزز في الوقت نفسه إمكان تحقيق الهدف المتمثل فيأن تكون اللغة المكتوبة هي مثالها الصادق .فانتشار المعرفة العامة بالقراءة والكتابة في أعقاب حركة الإصلاح والتنوير قد جعل من الممكن لأول مرة للغة المكتوبة أن تؤثر تأثيرا واسعا في العامية، وبالتالي تكون ذات أثر في إيجاد أنماط فوق إقليمية من الاستعمال اللغوي. وعندها تستطيع هذه الأ الأنماط أن تنشئ مجتمعا لغويا يمكن فيه للغة أن تبدأ في خلق تكامل وترابط أشد، بدلا من، أو إضافة إلى خدمة غرض التفاضل الاجتماعي. وبهذا المعنى يمكن القول :إن تأسس لغات أوروبية مشتركة قد مثل مستوى جديدا من التطور الاجتماعي."[2]

الثنائية/الازدواجية اللغوية وتعدد أنواع التواصل :

هناك صلة مباشرة بين اللغة أو اللهجة التي يتم بها التواصل باعتبارها وسيلة لا غنى عنها، وبين عمليات التواصل بين البشر على نطاقات واسعة؛ فالتواصل قد يكون لفظياً نطقياً أو كتابياً أو إلكترونياً.

---

[1]– فلوريان كولماس: اللغة والاقتصاد (سلسلة عالم المعرفة)، ترجمة، د. أحمد عوض (نوفمبر 2000) ص35

[2]– اللغة والاقتصاد، ص48

فالتواصل اللفظي هو الذي تستخدم فيه اللّغة الشّفهيّة والأصوات المعبّرة عن الأفكار والمعارف التّي يراد نقلها إلى المتلقي، سواء أكانت مباشرة أم باستخدام وسائل معينة..[1] وعادة ما يتم هذا النوع من التواصل في حال التقارب بين الأطراف، وتبرُز فيه أهمية الإشارات والإيماءات وقسمات الوجه وملامحه وحركات الجسم، بحيث تشكّل لغة ثانية زيادة على لغة التواصل بالصوت، وهو ما لا يتحقق في التواصل الكتابي..

بينما يتم التواصل الكتابي عن طريق الكتابة، وهو أكثر رسمية من التواصل بالكلام، ولذلك يكون فيه للغة الرسمية الأم حضور أقوى من حضور اللهجات، ذلك أنّ الكتابة تعتمد على استخدام قواعد اللغة والمهارة في عرض المكتوب، وهذا ما يقتضي تمام الرسالة بعد كتابتها لأنّ المتكلم (المرْسِل) لا يستفيد من وسائل الاتصال غير اللفظية كالإيماءات والحركات والملامح، كما لا يمكنه معرفة أثر كلامه على المتلقي.

وأمّا التواصل الإلكتروني فهو مقترن بتطور وسائل الاتصال الحديثة، إذْ أصبح العالم كالقرية الصغيرة التي يمكن التواصل بين أهلها والتأثير فيهم بسهولة ويسر،[2] بحيث لا يمكن لأي بلد في هذا العصر أن يعيش معزولًا عن التطورات التقنية المتسارعة والآثار الاقتصادية والاجتماعية والأمنية الناجمة عنها، في ظل الترابط الوثيق بين أجزاء العالم عبر تقنيات المعلومات والاتصالات والتطبيقات التي سمحت بانسياب الأموال والسلع والخدمات والأفكار والمعلومات بين مستخدمي تلك التقنيات.. وعليه فقد التواصل الإلكتروني ضرورة لا غنى عنها على مستوى الأفراد والبلدان.. وفي هذا النوع من التواصل عادة ما تكون اللغات الرسميةذات الصيت العالي هي الأكثر حضوراً على اوسع نطاق، بينما يكون نطاق استعمال اللهجات أكثر محدودية بين من يستعملون لهجة مشتركة..[3]

---

[1] – انظر، تاعوينات علي، التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي، الجزائر، (د.ط)، 2009م، ص 26.

[2] – ماجد رجب، التواصل الاجتماعي أنواعه ضوابطه آثاره ومعوقاته، ص 34.

[3] – ينظر المرجع نفسه، ص 35.

المبحث الثاني
اللهجات العربية واللغة الأصلية

المبحث الثاني : اللهجات العربية واللغة الأصلية

أهمية اللهجات الشعبية ضمن الدراسات التراثية:

من الثابت أنّ الدراسات الشعبية ذات إسهام كبير لا يمكن التغاضي عنه أو التقليل من أهميته في تطوير الروح الدينية والوطنية والقومية في البلاد العربية بصورة عامة، على اعتبار أنها " تقويم جديد للتراث الأدبي الشعبي، فالدراسات التراثية الشعبية تحفظ لنا الكثير من عاداتنا وتقاليدنا التي نتوارثها عن الآباء والأجداد وهي التي يهددها الضياع والاندثار والتلاشي نتيجة التقدم الحضاري والعلمي؛ ويمكن أن نقول إن الأدب الشعبي هو الذي يحفظ لنا الكثير من هذه المأثورات واللهجات الشعبية، من خلال أشكاله التعبيرية التي تتنوع وتتعدد وفقا لطبيعة هذا المجتمع، وهذا ما يتناوله الأدب الشعبي الذي هو أدب الحياة يصورها أحسن تصوير، ويعكس مختلف جوانبها بكل المظاهر المحسوسة، ولا غرابة في ذلك. فهو أدب الممارسات اليومية لهذا الشعب، بحيث نرصد نشاطات الناس الاجتماعية والفكرية والثقافية بدقة وأمانة."

كما أنّ الأدب الشعبي هو الحافظ للمأثورات الشعبية والتراث العربي الأصيل وهذا التراث تظهر تجلياته في اللهجة الشعبية، والأشكال التعبيرية بين أفراد المجتمع ونلمس "من جهة أخرى أن أهم ما يميز المأثورات الشعبية عامة هو قدرتها على الاستمرار في عملية الخلق والابداع مع تتابع الأجيال و الأجناس فيتحول ذلك المورث الثقافي والحضاري إلى مأثور ثقافي فكري حيث يظهر من خلال التواصل الدائم المستمر مع القوى الابداعية التي تنسج مختلف الفنون والآداب ، وذلك طبعا في إطار من الرؤية العلمية والفنية."

فالمأثورات الشعبية هي ترجمة لحياة شعب ما، في معاملاته اليومية والثقافية والاجتماعية في بين أفراد مجتمعه، واللهجة هي التي تبين لنا هذه الترجمات من خلال استعمالاتها اليومية ، فنجد هذه المأثورات تقارب حتى فقه اللغة والدين الاسلامي، فاتخذوا منه أمثالا وحكما من القصص والعبر والسير، مثل قولهم : (الضرورات تبيح المحظورات) فهنا نص فقهي صريح.. ومن القرآن يقتبس الأدب الشعبي بل يوظف آيات قرآنية بنصها الحرفي، وأحيانا يذكر الشعراء الشعبي الآيات الكريمة ضمن أشعارهم أو حتى مأثوراتهم الشعبية مع تحريف لغوي بزيادة حرف أو إحداث تعبيرات صوتية أو لغوية كالنحت والإبدال. فبعض المأثورات في بعض اللهجات الاجتماعية مقتبسة من نصوص فقهية دينية مثلا في بعض الأحكام والأمثال، واعتبارها مرجعاً في الحياة اليومية أو رموز دينية في لهجة كل منطقة.

نجد في المنطقة السهوب عدة أشكال تعبيرية في الآداب الشعبية وعدة ابداعات شعبية في لهجة منطقة شمال غرب الصحراء، منها الشعر والنثر الحكم والأمثال وبعض المفردات المتداولة في الحياة اليومية ومنها القصة والحكاية الخرافية ، وهذه الابداعات تميز المنطقة عن باقي المناطق، في لهجتها ومعاملاتها الاجتماعية والثقافية والفنية والمعاملات اليومية بين الأفراد المجتمع الواحد، وتبقى هذه الابداعات والصفات رمزا للهجة المناطق الداخلية وترجمة للحياة اليومية.

إن ارتباط شخصية الفرد في البيئات الساذجة أشد وأمتن واحترامه للقيم الجماعية وكراهيته للشذوذ عن الجماعة يجعله ذهنيا يتداول العملة التي صدرت أو ضربت في دار الجماعة "[1] أي أن الفرد يتأثر ببيئته الاجتماعية ويتمسك بقيمها وحكمها وأمثالها المتداولة بين مجتمعها، يقول أحمد رشدي صالح:" إن المأثورات الشعبية وظائف لا غناء عنها في الحياة أصحابها وقد تكون هذه الوظيفة هي ترسخ معتقد أو قيمة أخلاقية أو هي تعليم من يتلقى بعض هذه المعارف الشعبية، أو هي تأكيد قيمة اجتماعية أو اعتقادية، أو هي المعاونة على ضبط حركة أو هي ترويح في اطار الحياة الشعبية ..." [2]

أي أن المأثورات الشعبية تأكيد على معتقدات شعبية لكل مجتمع قيم وعقائد خاصة به." ومن هنا يتجه فريق من الباحثين إلى تصنيف تلك المأثورات حسب مناسبات أدائها والوجوه المستعملة لها فهناك مأثورات تصاحب دورة حياة من الميلاد و الطفولة و المراهقة والزواج والوفاة وهناك مأثورات تصاحب حياة الإنسان الفرد من عمله و اللهو وفي مظانه الاعتقادية..." [3]

فالمأثورات التي هي تمثيل استعمالات اللهجة لا غنى عنها في الحياة والمعاملات اليومية بمختلف جوانبها وهي أداة لترسيخ قيم ومعتقدات أخلاقية تراثية للمناسبات الحياة اليومية لكل فرد داخل كل مجتمع معين "والعلاقة بين المأثور الشعبي ومناسبته وأوجه استعماله مستعمليه علاقة عضوية حية يتبادلون خلال التأثير والتأثر، فالمناسبة أو الموقف أو التجربة قد أنتجت المأثور الشعبي، الذي صاغها وعبر عنها وحمل نتاجها باعتبار تجربة إنسانية عاشتها الجماعة لكنه يصير بعد ذلك تعبيرا حيا له وجوده وكيانه وديمومته وله فعله وأثره في الحياة الجماعة التي يحيا بينها وله دوره وتأثيره في المناسبات والممارسات والمواقف التي كانت أمثالا

[1] _ عبد العزيز الأهواني ، الأمثال العامة في الأندلس ، مقال ، ص 235

[2] _ أحمد صالح رشدي ، الأدب الشعبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط3 ، ص 23

[3] _ المرجع نفسه، ص 24

أصولا له."[1] أنه لا يمكن تمثيل المأثور الشعبي الذي يعتبر رموزا للهجة الشعبية دون إطارها الزماني والمكاني ومناسباتها التي لها أثر في الوظيفة الاجتماعية وحضارتها موغلا في القدم والواقع الخفي لمجتمع ما والكشف عنه من خلال هذا الشعر أو الحكمة أو اللغز أو الحوار أو القصة والموقف المستنتج منه، ويبقى يتعاقب مع الأجيال، وذلك من أجل معرفة كيف تتعامل الجماعة الشعبية مع الحياة الواقعية والبحث عن معنى آخر يفسر ويكشف عن مجهول في الحياة الإنسان الشعبي في مجتمعه.

تنوع اللهجات العربية وانتماؤها إلى اللغة الأمّ :

تتميز اللهجات العربية باختلافها وتنوع مفرداتها وأساليبها، وتراكيبها بحسب استعمالها في المجتمعات العربية، وبحسب الحاجات اليومية بين أفراد المجتمع ، ولكن كل هذه اللهجات المحلية تشترك في اللغة الواحة وهي اللغة العربية الفصيحة ، التي نزل بها القرآن الكريم، وظهور اللهجات كان موجودا منذ القديم قبل الإسلام وبعده.

وتعددت هذه اللهجات بتعدد المجتمعات والقبائل، لكن أصلها واحد، ويرجع تأصيلها إلى اللغة العربية الفصيحة التي هي لغة القرآن الكريم، كما تؤخذ من المدونات العربية القديمة المتمثلة في الشعر القديم، ومصادر اللغة والمعاجم العربية ومختلف الآثار التي عرفتْها البيئة العربية قديماً منذ أن بدأ جمع اللغة من أفواه الأعراب في مختلف المناطق، ولا سيما المناطق البدوية التي تتميّز بالفطرة اللغوية والفصاحة والأصالة..

لقد ظلت العربية مشتركة بين لهجات العرب بتعددها واختلاف قبائلها، في شبه الجزيرة العربية ، ومن أهم هذه اللهجات : لهجة قريش، إلى جانب لهجات القبائل الأخرى، مثل: تميم، وأسد، وقيس، وبكر، وتغلب، وقبائل اليمن، وقبائل هذيل وطيّء، وغيرها. وكلها متفرعة عن لغة واحدة مشتركة تنطلق منها وتعود إليها على الرغم من الاختلاف بين هذه اللهجات.. يقول بعضهم : " ... فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات لكل منها، ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلِف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.."[2] أي أن اللغة العربية تفرعت عنها عدة لهجات، تنتمي إليها، على الرغم من وجود اختلافات تميز كل لهجة عن الأخرى، وذلك تبعاً لعوامل متعددة، مثل الموقع الاقليمي واختلاف في نطق لبعض الأصوات أو الاختلاف في بعض الدلالات واستعمالات التراكيب

[1] _ مُحَمَّد عبد السلام ابراهيم ، الإنجاب والمأثورات الشعبية ، الدراسات والبحوث الانسانية ، ص 12/11

[2] _ ابراهيم انيس، في اللهجات العربية ، ص 15

اللغوية التي يتواصل بها أفراد كل مجتمع.. وظهرت مع تعدد اللهجات عدة اتجاهات لدى الباحثين في تقدير العلاقة بين اللغة العربية الفصيحة واللهجات المتفرعة عنها.. ونوجز ما تضمنتْه هذه الاتجاهات فيما يأتي :

- **الاتجاه الأول:** هو اتجاه " يضم أكثر الباحثين، ويؤكد أن لهجة قريش هي أفصح اللهجات، وهي التي سادت في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ، يقول ابن فارس: " أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم، أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم، واختار منهم نبي الرحمة ﷺ ."[1]

ويقول ابن جني في فصاحة لهجة قريش: " ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضَّبة، وتلتلة بهراء.. " [2] ؛ أي أن لهجة قريش كانت أفصح اللهجات التي كانت موجودة في تلك الفترة وأعلاها. وقد كان يُحْتَكَم إليها عند الاختلاف بين اللهجات.

الاتجاه الثاني: يذهب إلى أن قريش سادت قبل الإسلام لا بعده، وهذا الاتجاه يمثله طه حسين الذي يقول: "... فالمسألة إذا أن نعلم ، أسادت لغة قريش ولهجتها في البلاد العربية ، وأخضعت العرب لسلطانها في الشعر ، والنثر قبل الاسلام ، حين عظم شأن قريش، وحين أخذت مكة تستحيل إلى وحدة سياسية مستقلة مقاومة للسياسة الأجنبية التي تتسلط على أطراف البلاد ... فقد اجتمع لهذا السلطان أن يفرض لغته على من حوله من أهل البادية ... لغة قريش إذاً هي اللغة العربية الفصحى.." [3] أي أن لهجة قريش أخذت مكانة كبيرة بين اللغات العربية في فترة ما قبل الإسلام. ففصاحة لغة قريش وفوزها بالغلبة في منظوم الشعراء ثابتان لها قبل الإسلام، ولم ينزل القرآن بلغة قريش إلا لأنها أفصح لغات العرب..

الاتجاه الثالث: يؤكده عبده الراجحي الذي يرى أنّ " الآراء التي تذهب إلى أن لهجة قريش هي اللغة المشتركة الفصحى، لا تقوم على أساس لغوي علمي صحيح، لأننا لا نستطيع أن نحكم على لغة من اللغات من أقوال الرواة عنها، خاصة وأن هذه الأقوال ينبغي أن نأخذها بقدر كبير من الحيطة والحذر، لأنها لم تصدر إلا عن تمجيد لقبيلة الرسول ﷺ. " [4]

حيث إن باقي اللهجات المتفرعة عن العربية الأخرى، تقربها في التأصيل وفي بعض القواعد ويظهر ذلك في اختلاف القراءات القرآنية وصحتها واختلاف قُرّائها .

---

[1] _ إميل بديع يعقوب ، فقه اللغة وخصائصها ، دار العلم الملايين ، بيروت ، ط 1972، ص122

[2] _ ابن جني ، الخصائص ، ص 113

[3] _ طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، دار المعارف ،مصر ص 132

[4] _ عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت ،ط2003، ص 119

فنتائج الدراسات اللغوية تميل إلى أن شبه الجزيرة العربية تعددت بها اللهجات المتفرعة من اللغة الأم، قبل الاسلام و بعده، وكذاك مع ظهور الاسلام، فلهجة قريش هي أفصح اللهجات وذلك راجع لعدة اعتبارات، أهمها " أن شبه الجزيرة العربية كانت بها لهجات متعددة مختلفة الأصوات ، والمفردات ، والنحو وما إليها، وإلى جانب هذه اللهجات الخاصة بالقبائل ، كان هناك لغة مشتركة جامعة يصطنعها الأدباء في فنوهم القولية، ويستخدمها العرب في أسواقهم ومحافلهم التي تضم أفرادا من قبائل مختلفة؛ وأن الاسلام صادف حين ظهوره، هذه اللغة بصفاتها المشتركة فجاء قرآنه بها ليكون مفهوما من القبائل؛ كما أن القرآن الكريم فيه أشياء كثيرة من لهجات القبائل، بخاصة قبائل هذيل وتميم وحمير وجرهم ومذحج وحثعم وقيس عيلان وبلحارث بن كعب وكندة ولخم وجذام والأوس والخزرج وطئ، حتى ذهب بعضهم إلى أن فيه خمسين لغة "؛ ولهجة قريش هي الغالبة في القرآن الكريم بدليل إجماع اللغويين على ذلك، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن الكريم، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم. "[1]

إن التأصيل في فترة الاسلام كان يعاد الى لغة قريش أي في لهجتهم لأنها الأفصح بين اللهجات العربية التي ظهرت . وتفرعت قبل ظهور الإسلام وبعده في شبه الجزيرة العربية. وقد ذهب الكثير من اللغويين إلى أن اللغة الفصحى هي لغة قريش وذلك لأسباب دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية، حيث إن أرضها مهبط الوحي..

ومن المحدثين من يرى أن مقياس الفصاحة هو التمكن في اللغة والسلامة اللغوية ، وفي الوقت الحالي الحديث ، ظهر للعربية عدة لهجات مختلفة ، ولكن تأصيلها واحد إلى اللغة العربية الفصيحة وهي اللغة الأم، على الرغم من تعدد اللهجات المنتمية إليها.. وأهمّ هذه اللهجات التي ظهرت حديثا :

- لهجات بلاد الشام
- لهجات اليمن والجزيرة العربية
- لهجات وادي النيل (مصر والسودان)
- لهجات المغرب العربي وشمال افريقيا
- لهجات العراق وبلاد الرافدين

[1] _ إميل بديع يعقوب ، فقه اللغة العربية وخصائصها ، ص 126

وهذه اللهجات تختلف من منطقة إلى أخرى في بعض المفردات، ونطق بعض الأصوات ودلالات بعض الألفاظ واستعمالاتها.. وظاهرة التنوع اللهجي وتفرعها من اللغة العربية الأم كانت موجودة منذ القديم وهي ظاهرة أصيلة في اللغة العربية ولذلك يُرجع إليها في عملية التأصيل.

تداول اللهجات العربية ضمن اللغة الأصلية:

إنّ اللغة هي أصوات وأشكال تعبيرية يعبر بها المتكلمون لبلوغ مقاصدهم، ويمكن للغة الواحدة أن تتعدد لهجاتها المحلية وتتفرع وتختلف ويرجع السبب إلى انتشار اللغة في مناطق مختلفة واسعة، واستخدامها لدى جماعات كثيرة العدد، وطوائف مختلفة من الناس مما يتيح الفرص لظهور عوامل أخرى تؤدي إلى الشيوع والانتشار. وتختلف اللغات الإنسانية في انتشارها اختلافا كبيرا فمنها ما ينتشر في مناطق واسعة من الأرض ويتكلم بها عدد من الشعوب والأمم الإنسانية، ومنها ما يكون أقلّ انتشاراً بسبب قلّة المستعملين لها، ممّا يؤدّي إلى تراجعها.. وتتمثل أبرز عوامل الانتشار وأسبابه فيما يأتي :[1]

أولاً: اشتباك اللغة في صراع مع لغة أخرى، وتقتضي النصر للصراع اللغوي فتحتل لغةٌ ما مناطق اللغة المقهورة، فيتسع بذلك مدى انتشارها، كما حدث للعربية إذ تغلبت على كثير من اللغات السامية الأخرى. كما أنّ اللاتينية كذلك تغلبت على اللغات الأصلية لإيطاليا وإسبانيا فأصبحت لغة الحديث والكتابة.

ثانياً : انتشار أفراد شعب ما على إثر هجرة أو استعمار في مناطق جديدة عن أوطانهم الأولى، إذْ يتكيفون مع هذه المناطق الجديدة، مما يؤدي إلى اتساع في مدى انتشار لغتهم وتعدد الجماعات من الناطقين بها، ويكثر أفرادها مع مرور الزمن، إلى أن يشيع استعمالها بين عدد كبير من الناس في تلك المناطق.

ثالثاً : أن تتاح لجماعة ما أسباب مواتية للنمو الطبيعي في أوطانها الأصلية، فيأخذ عدد أفرادها وطوائفها في الزيادة المطردة فتنشط حركة العمران في البلاد، وتكثر فيها القرى والمدن وتتعدد الأقاليم فيتسع نطاق لغتها. فتبعا لهذه الأسباب والعوامل نتبيّن استحالة احتفاظ اللغة بوحدتها الأولى أمدا طويلا. فلا تلبث أن تتشعب الى لهجات وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات منهجا يختلف عن غيرها من اللهجات الأخرى.

ولأننا نعيش في مجتمع يتواجد فيه خليط متنوع من اللهجات، فلا بد أن نواجه بعض الصعوبات في فهم وإدراك ما يريده بعضنا من البعض، حتى إنّ ذلك في أغلب الأحوال يؤدي الى التنازع والخصام، من منطلق أنّ هذه اللهجات المختلفة قد تؤثر على المجتمع سلبا.. بحيث تكون المفردة نفسها تحمل معاني مختلفة في الاصطلاح وبذلك يصعب فهمها عند التداول؛ فالكلام في الشمال مختلف عن الجنوب وفي الشرق مختلف

[1] _ هذه العوامل المختلفة أدتْ إلى ظهور لغات ولهجات، كما ادّتْ إلى اندثار أخرى وزوالها عبر العالَم على امتداد العصور..

عن الغرب، على الرغم من أنها لغة واحدة ويمكن أن نفهم بعض الكلام وليس أكمله، لهذا نتبين أن اللهجات المتعددة في اللغة الواحدة تؤثر تأثيرا كبيرا في ثقافة المجتمع.. بل إنّ المجتمع نفسه يولد هذه اللهجات ويضع لها القواعد والأبنية التي تلائمه وتناسبه.

إنّ اللغة الفصيحة هي اللغة التي يصطنعها الناس في كتاباتهم الأدبية والعلمية، وفي مقالاتهم وبحوثهم في الصحف والمجلات وفي أحاديثهم في وسائل النشر والإعلام، وأصبحت تعرف بأنها لغة الكتابة التي تدون بها المؤلفات والصحف والمجلات وشؤون القضاء والتشريع والإدارة ويؤلف بها الشعر والنثر الفني وتستخدم في الخطابة والتدريس والمحاضرات، وفي تفاهم العامة إذا كانوا بصدد موضوع يمت بصلة إلى الآداب والعلوم، هنا نجدها ارتبطت بكل ما له صلة بالثقافة والعلوم، لكن لو عدنا إلى وضع تعريف محدد للفصحى نجدها تعرف بأنها "اللغة الائتلافية التاريخية الجامعة التي تجمع العرب، وتهيئ لهم التكاتب والتخاطب والتقارب بقطع النظر عن تفاوت مناهجهم في ذلك واختلاف حظوظهم من الإتقان"[1]

ومن بين مميزات اللغة الفصحى:" أنها اللغة القومية لمائة مليون من العرب لغة الفكر، والعقيدة لألف مليون من المسلمين. كما أنّ اللغة العربية لغة اشتقاق تقوم في غالبها على أبواب الفعل الثلاثي، والتي لا وجود لها في جميع اللغات الهندية والجرمانية هي أقرب اللغات إلى قواعد المنطق وتتميز بتنوع الأساليب والعبارات والقدرة على التعبير عن معان ثانوية لا تستطيع اللغات الغربية التعبير عنها. كما أعطت العربية حروفها الهجائية لمئات الملايين من الشعوب في بلاد الفرس والهند والترك"[2]

ولذلك نجد العربية الفصيحة تمتاز بدقة معانيها ومنطقها العام ومرونتها وشمولية ألفاظها، ويرى الكثير من النقاد والمؤلفين أن الفصحى وحدها هي أداة التعبير في مختلف الأجناس الأدبية، سواء كان هذا الجنس عرضا مسرحيا أو قصة روائية أو شعرا مدونا، فالفصحى قادرة على تصوير المشاعر والأفكار تصويرا فنيا ونفسيا وفكريا ناجحا؛ ؛ ويرون أن العامية تشكل خطرا على اللغة الفصحى، فبمرور الزمن يقرّون أن الفصحى هي اللغة المثلى للكتابات الأدبية التاريخية والمترجمة، وطبيعة الشخصيات وبعدها التاريخي لا يجعل لها وجودا عصريا يتناقض مع حديثها بالفصحى، ويقتضي المستوى الفكري في الحوار لغة عهدت التعبير عن قضايا فكرية.

[1]- نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1987، ط 1، ص: 80.

[2]- أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1982، دط، ص:159.

ومتضمَّن هذا القول أنّ الأصل في وجود اللغة هو اللهجات، أي أنّ اللهجات أقدم معرفة من اللغة لدى الإنسان استعملها لتلبية حاجاته وتعبير عن متطلباته داخل بيئته ، ومعروف أن الإنسان اجتماعي بطبعه وابن بيئته احتاج إلى اللغة ليتواصل مع غير فكانت اللغة سبيل للتواصل داخل المجتمع فمن هنا وردت تساؤلات حول طبيعة هاته العلاقة وما مدى تأثير المجتمع في اللغة ، ذلك أنّ البحث في اللهجاتّ وصورة استعمال اللغة العامة للغة ، هو امتداد طبيعي للبحوث العلمية المنشغلة بالتطور اللغوي، ومن آليات تطور العربية الفصحى هي اللهجة والعامية ،وفي كون الكل يخضع لعاملي الزمان والمكان وكذلك السياق.

إنّ فكرة البحث في تداولية اللغة عند جماعة المتكلمين بها، لاتقف عند حدود وصف ما هو كائن أو حاصل في الاستعمال، بل إنّها تمهيد للبحث عن مرتكزات اللسانية والثقافية التي تؤطرها ، والسنن التي تتحكم في إنتاجها، والقبض على آليات استعمالها، ومن ثم وضع استراتيجية المناسبة لها في كونها ظاهرة موجودة بالقوة وحتمية اجتماعية إنسانية لا مناص من حدوثها." [1]

انطلاقا مما سبق نخلص إلى أنّ " استعمال اللغة عند الأفراد سلوك لا يختلف عن أي سلوك آخر يصدر عن المجتمع ، وكما أنّ الأعراف والتقاليد والعادات ومظاهر السلوك العام ليست من وضع الأفراد وإنْ كان للأفراد جانب فعلي في حدوثها وإنّما هو تراكم اجتماعي متنوع، ويتفاعل فيما بينه تحت وطأة ظروف خاصة، فليست اللغة (الكلام) إلا مظهرا من مظاهر السلوك الاجتماعي القصري الذي يجبر عليه المتكلم، وإنّ خالف بذلك العرف اللغوي. " [2]

ولقد وجدت الحاجة الاجتماعية إلى الاتصال والتواصل وسيلتها المثلى في اللغة، لكنها وسيلة مرهونة بالعرف الاجتماعي العام الذي يفترض التلقائية والاستسلام المطلق لإكراهات الاستعمال اللغوي ومراعاة الخصوصية الاجتماعية ولكنها ليست بعيدة عن اللغة وعن الخصوصية اللغوية النمطية ولسانية القومية، وخصوصية الكلامية

نخلص من هذا إلى أنّ لمجتمع بكل خصوصياته العرفية والعرقية والثقافية والجغرافية هي المؤثر والمحور الذ تدور حوله اللغة، ضمن عملية تأثر وتأثير، كما أنّ اللغة بدورها تؤثر بطريقة تجعل منها لغات ولهجات متعددة ومتنوعة بحسب طبيعة المجتمع .

[1]- معجم فصيح العوام، رصد لملفوظات المنطقة السهبية ، ص7 .

[2]- المرجع نفسه، ص9 .

عوامل التـأثير والتـأثر بين اللغة واللهجات :

إن من المتعارف عليه أن اللغة عبارة عن أصوات يوظفها الإنسان في المجتمع من أجل تحقيق غاية التواصل الذي يفضي به إلى تحقيق غايات وأغراض أخرى متعددة تمثل الهدف من التواصل، وتتعلق هذه الغايات بتلبية حاجات الفرد داخل مجتمعه وبيئته، ويتم ذلك باستعمال نفس اللغة بين الطرفين أو الأطراف المتعددة في عملية التواصل هذه، ذلك أنّ اللغة في أصلها " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[1] فالبداية تأتي من العامل الصوتي المتصل بالنطق، وهو ما تتمايز فيه اللهجات تبعاً للمناطق المتداولة فيها، كما أنّ البيئة لها دور كبير في توجيه عملية نطق الحروف وصياغة العبارات في باب النبر والتنغيم والترقيق والتفخيم والإدغام والقلْب والإبدال... وغير ذلك من الظواهر الصوتية

واللغة العربية من بين أعظم اللغات وأكثرها تأثيراً في غيرها، وأفضلها مرونة وتطويعاً لما يرد إليها من سائر اللغات. وقد أكّد القرآن الكريم هذه الحقيقة، في قول الله تعالى: ﴿إنَّا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾[يوسف/2] فهي اللغة التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف، ونزل بها القرآن الكريم، وانتشرت باسمها الفتوحات الإسلامية.. إلى غير ذلك من مزايا هذه اللغة التي حازتْ من الشرف الرفيع ما لم يتحقق لغيرها.. ولم تبق العربية على حالها كما كانت في عصورها الأولى، بل تغيرت وتطورتْ مع تطوّر الحياة ومرور الزمن، ولكنها حافظتْ على نضارتها ومكانتها بين اللغات..

وضمن هذا التطور الذي عرفته اللغة العربية، تفرعت منها عدَّة لهجات مختلفة في عدة مناطق مختلفة في ربوع الوطن العربي، وذلك لعدة أسباب، منها ما يتعلق بعوامل طبيعية تتعلق بالبيئة ومميزاتها، ومنها ما يتعلق بتأثير اللغات الأخرى، نتيجة الاحتكاك.. وهناك من أرجع الأسباب إلى عاملين اثنين، إذْ يقول إبراهيم أنيس: " هناك عاملان رئيسان يعزى إليهما تكَّون اللهجات في العالم، وهما : الانعزال بين بيئات الشعب الواحد، الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات." [2]

فالعامل الأول يقصد به التباعد والتباين الذي يرجع إلى دور العوامل الطبيعية وأثرها من جبال وتضاريس وصحاري وكيف تؤثر في أفراد المجتمع، إذْ نجد اختلافاً بين أفراد البيئة الواحدة الذين تختلف ظروف معيشتهم، فمثلا: أبناء المنطقة الشمالية يختلفون عن أبناء المنطقة الصحراوية، ولكل منهما نظام لغوي خاص به، ومنه ينشأ الاختلاف في نطق الأصوات، كما نجد في الجزائر لدى سكان المنطقة الصحراوية،

[1] _ ابن جني، الخصائص، دار الكتب المصرية، تحقيق مُحَمَّد علي النجار ، 1/ 33

[2] _ ابراهيم انيس ، في اللهجات العربية ، ص 21

مثل منطقة أدرار إذْ ينطقون حرف الذال زاياً، نحو (ذهب) ينطقونها (زهب) ؛ وسكان المناطق الداخلية يعتمدون التفخيم في نطق بعض الكلمات، كما منطقة الأغواط والجلفة مثل كلمة (لباس) وهي عامية بمعنى (لابأس) أي بخير وينطقونها بتفخيم اللام ؛ ونجد كذلك أهل المدن يتميزون بلهجة فيها نوع من اللين، على عكس سكان أهل المناطق الريفية ففي لهجتهم بعض الشدة.

وهناك مميزات خاصة بكل منطقة، نلحظها في الجانب الصوتي تفخيماً أو ترقيقاً، كما نجد لدى سكان مدينة الأغواط في كلمة (عودْ) وهي عامية بمعنى (حصان) إذ ينطقون العين مفخمة من دون نطق الواو التي يعتبرونها للمدّ؛ بينما نجد الكلمة نفسها تُنطَق في مناطق أخرى في الغرب والشرق بترقيق العيْن وتسكين الواو، فيقولون: (عَوْدْ). وهذه الأمثلة كثيرة ملحوظة في اللهجة الجزائرية. ولا تقتصر هذه الظاهرة على لهجة دون أخرى، فهي موجودة في مختلف اللهجات العربية..

أما العامل الثاني فيعدّ هو الأساس في ظهور اللهجات وتغيرها وتغير العربية، وذلك يحدث نتيجة الاختلاط والتأثر بالأجناس والشعوب الأخرى نتيجة الهجرات والنزوح بحيث يتم الاحتكاك بين الشعوب والأجناس فيؤثر بعضهم في بعض. ويرى بعضهم أنّ " ... عوامل قيام اللغات المشتركة ترجع إلى التفوق السياسي، والديني والاقتصادي، والأدبي، والاجتماعي، ونضرب على ذلك مثلا: من اللغة العربية، فقد انقسمت اللغة العربية منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة تختلف فيما بينها في الكثير من الظواهر الصوتية والدلالية ،كما تختلف فيها في مفرداتها وقواعدها، تبعا للقبائل المختلفة "[1] ؛ وذلك أنَّ اللهجات تتكون نتيجة تأثير العوامل السياسية والدينية والاقتصادية والأدبية والاجتماعية في اللغة الرسمية أي اللغة الأم، وذلك بتفرعها إلى عدة قبائل، كل قبيلة لها مميزاتها الخاصة، مثلما حدث في اللغة العربية.

ويعزو بعض الباحثين ظاهرة انتشار اللهجات إلى عدة أسباب، تتمثل فيما يأتي :

- انتشار اللغة في مناطق واسعة
- تأثير العوامل الاجتماعية والنفسية والأدبية
- تأثير العوامل الجغرافية
- تأثير العوامل الشعبية
- اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب
- التطور الطبيعي المطّرد لأعضاء النطق

[1] ـ رمضان عبد التواب ، مدخل إلى علم اللغة ، مكتبة الخانجي، مصر، ط/1997، ص 65

- الأخطاء السمعية وسقوط الأصوات
- موقع الصوت في الكلمة وتعرضه لكثير من التطور والانحراف
- تناوب الأصوات متحدة النوع قريبة المخرج .
- تغير مدلول الكلمة في انتقالها من جيل إلى الآخر. " [1]

كل هذه العوامل في مجال انتشار اللهجات، تلتقي في عامل انتشار اللغة في مناطق واسعة، فكلما انتشرت اللغة تفرعت منها عدة لهجات واختلطت فيها الأجناس وتعدد القبائل والمجتمعات، ولكنهم يشتركون في لغة رسمية واحدة. ويرى بعض الباحثين أنّ اللهجة " هي اللغة عند العلماء العربية القدماء فلغة تميم ولغة هديل ولغة طيء التي جاءت في المعجمات العربية لا يريدون بها سوى ما تعنيه كلمة اللهجة.. "[2] وذلك في تعريفهم للهجة، على أن مصدرها هو اللغة الرسمية وتفرعت عنها عدة لهجات بتأثرها بعدة عوامل وأسباب كما سبقت الإشارة إلى هذا..

وشائج التقارب والترابط بين اللهجات العربية واللغة الفصيحة :

إن العناية باللغة الأصلية والحرص على نشرها مظهر حضاري وثقافي يدل على الانتماء إلى الوطن والحفاظ على الهوية الذاتية والجماعية؛ وهذا لا يتنافى مع استعمالات اللهجة ممتزجة مع اللغة الفصيحة في التواصل الاجتماعي وهو الأمر الغالب، وفي الكتابة الأدبية وهو الأمر الأقل شيوعاً في حدود معلومة..

ويرى بعضهم أنّ اللغة الفصيحة في بعض الأقطار تبتعد عن مجالات الاستعمال الواسعة، فإذا ما جئنا للغتنا العربية ـ لغتنا الجميلة ـ وهي إحدى أواصر الربط بين العرب ـ الدين واللغة والعروبة ـ نجد أنها مهمّشة من الحديث اليومي، وتوشك أن تهمّش من النص المكتوب، حيث حلت محلها لهجات عامية متعددة في الأقطار العربية، تختلف كل لهجة عن أختها من قطر لآخر في بعض الخصائص اللغوية، [3]..." ولكنّنا لا نلحظ هذا إلاّ في مجالات محدودة وفي بعض الأقطار فحسب.. إذ لا تزال اللغة الفصيحة سائدة ومستعملة على نطاق واسع في أغلب الأقطار العربية، على الرغم من الاستعمال الغالب للهجة الشعبية في الأوساط الشعبية والاجتماعية عموماً..

---

[1] _ مُحَمَّد رياض ، المقتضب في لهجات العرب ، التركي للكومبيوتر و الطباعة الأوفيست ، ط1996 ، ص 62-68

[2] _ حاتم صالح الضامن ، علم اللغة ، المكتبة الوطنية ، بغداد ، ط 1989 ،ص 32

[3] – ثمة دعوة قديمة ممتدة إلى إحلال العامية محل الفصحى في النصوص المكتوبة في مختلف العلوم والمعارف تزعمها فريق من المستشرقين واعتنقها فريق من المفكرين العرب أمثال قاسم أمين وموسى سلامة وأحمد لطفي السيد ؛ ينظر: د.نفوسة زكريا سعيد: تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر . ط2 دار المعارف 1980

ويرى آخرون أن ثمة فصحى عصرية ميسرة للاستعمال كتابة وشفاهة، ساعد على نشرها انتشار الصحافة والإذاعة في المقام الأول، وكانت بدايتها من المشرق حين ظهور المطابع وتوفّر الوسائل المساعدة، وشيوع الكتابة الصحفية، وفي هذا النطاق امتزجت اللهجة الشعبية باللغة الفصيحة، مع العلْم أنّ هذه اللهجة مستمدة من الفصحى في كثير من بناها الصرفية وأنماطها التركيبية مع إحداث تغيير في حرف أو حركة في بعض الكلمات[1]، ويبقى الفارق الواضح الذي يميز اللغة الفصيحة عن اللهجة الشعبية هو الإعراب، فبينما تتسم الفصحى بالإعراب تفتقد العامية هذه السمة.[2]

ويقرر الدكتور إبراهيم أنيس أنّ " اللهجات العربية الحديثة انحدرت في أكثر ظواهرها من لهجات أجدادنا وورثنا عنهم ما نسميه بالحس اللغوي العربي الذي مكننا في العصر الحديث من قياس كثير من المسائل التي لم تسمع من العرب ولم تُروَ عنهم." [3]

ويرى بعض الباحثين في إثبات وشائج الترابط والقرابة بين اللهجات واللغة الفصيحة أنّ الكثير مما يشيع في لغاتنا العامية خرج من رحم لغتنا الفصحى، ولكن القليل منه بقي على انتمائه وولائه للغته الأم. أما ما عداه فقد اعتراه تصحيف أو تحريف أو حذف أو إضافة؛ تسهيلا لنطق المتخاطبين وخضوعا لظواهر صوتية يعالجها علم الأصوات بأساليبه ووسائله الحديثة، كما أن منه ما اعترته هُجنة أو عُجمة حين اختلطت لغة الخطاب العربية بلغات أهل البلدان التي امتدت إليها الفتوحات الإسلامية.. وقد أدى ذلك إلى تلاقح ولّد الكثير من كلمات وتعبيرات حفلت بها عامياتنا العربية ".[4]

إنّ اللهجة طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة، ويعرفها بعضهم بأنها تلك العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة؛ وهذه الطريقة أو العادة الكلامية تكون صوتية في أغلب الأحيان. " ومن ذلك مثلا العنعنة في اللهجات العربية القديمة وهي قلب الهمزة المبدوء بها عينا؛ وهذه الصفة معروفة عند قيس وتميم، يقولون في أنك :عنك، وفي أذن: عذن؛ في حين أن بقية العرب ينطقون الهمزة دون تغيير في أوائل الكلمات." [5]

---

[1]- ينظر شوقي ضيف : بين الفصحى والعامية المصرية. مجلة مجمع اللغة العربية ص 134 جزء 66 مايو 1990

[2]- ينظر عبد العزيز مطر: لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط. ط، دار الكاتب العربي القاهرة 1967 . المقدمة ص45 وما بعدها.

[3]- ينظر إبراهيم الترزي: مجلة مجمع اللغة العربية ص7 جزء 66 مايو 1990

[4]- السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الجبل بيروت لبنان. 340/1

وعلى هذا، فإنّ العلاقة القائمة بين اللغة واللهجة هي علاقة الجزء بالكلّ، إذْ تشتركان في كثير من الخصائص الصوتية والمعجمية والصرفية والتركيبية والدلالية؛ ولعل الأساس الصوتي هو الأبرز، وهو المقدّم في الحديث عن اللغة أو اللهجة، باعتباره منطلقا في التلفّظ، ثم تليه الوظائف الأخرى للغة أو اللهجة. ولقد حدد ابن جني اللغة بأنها " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ." [1] وهذا تعريف مهم يستوقف الباحث اللغوي الحديث؛ ذلك أنه تعريف دقيق يذكر إبراز الجوانب المميزة للغة فهو يؤكد أولا الطبيعة الصوتية لها، ويذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، كما يشير إلى اختلاف البيئة اللغوية باختلاف المجتمعات الإنسانية، وهذه الجوانب الثلاثة تتناولها التعريفات الحديثة للغة، فقد نظر ابن جني إلى اللغة على أنها أصوات أولا، تحمل دلالات يقوم بها التفاهم بين البشر حين يتخاطبون والأساس في الظاهرة اللغوية النطق وهو أساس تقوم عليه أكثر الدراسات المعاصرة.

وقد وافق ابن جني في هذا التعريف سائر القدماء من علماء العربية، إذْ يستفاد من تعريفاتهم تلك أن اللغة وسيلة مهمة في الربط بين أفراد المجتمع والتعبير عن شؤونهم المختلفة، في حياتهم الخاصة والعامة، في مختلف المواقف والأوضاع النفسية والثقافية والاجتماعية، وغيرها..

هذا، وإنّ اللهجة مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات أفراد هذه البيئة وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، لكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية، التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات. [2] وبهذا تكون العلاقة بين اللهجة واللغة هي علاقة العام بالخاص، فاللغة تشتمل على عدة لهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات. [3]

ومن العسير أن نعرف متى ظهرت اللهجات العربية، فاللغة العربية ؛ لغة سامية ؛ أي أنها خرجت من الأم التي نجهل تاريخها الكامل ، وأكبر الظن أنها حين انفصلت كانت في صورة لهجة ثم لم تلبث أن اتسع مجالها بانتشار أهلها في مجاهل البادية العربية، فصارت لهجات ثم عادت إلى التجمع ثانية، فصارت اللغة العربية التي نزل بها الكتاب المقدس. [4]

---

[1] – ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص ،تحقيق عبد الحميد هنداوي ،المكتبة العلمية مصر 1952. 87/1

[2] _ الراجحي عبده ،اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1995 ، ص35

[3] _ ينظر: محسين محمد سالم ،المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،1986 ،ص 7-8

[4] _ آل غنيم، صالحة راشد غنيم، اللهجات في الكتاب لسيبويه ،مركز البحث العلمي ،السعودية ،ط1 ،1985 ،ص:17

إنّ اللهجة الشعبية لا تنفكّ عن اللغة الفصيحة، لأنهما مستمدة منها في الاصل، وما تعدد اللهجات إلاّ تجليات لأداءات لغوية متنوعة للغة الفصيحة، وذلك هو شأن اللهجات العربية المنبثقة عن اللغة العربية الأمّ، إذ إنّ " اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية، تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهْمًا يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات. "[1]

فكل لهجة إذاً هي مظهر من مظاهر اللغة، وتعدد اللهجات يعني تعدد المظاهر التواصلية باللغة عن طريق استعمال أحد فروعها، فالعلاقة بين اللغة ولهجاتها المنبثقة عنها إنما هي علاقة تكامل وانسجام، إذْ لا يمكن ترك اللغة في المجتمع والاكتفاء باستعمال اللهجات في كل التعاملات والعلاقات بين الأفراد على مستوى المجتمع الواحد أو بين الأفراد على مستوى أوسع بين المجتمعات؛ كما لا يمكن الاستغناء عن اللهجات التي هي لغة التواصل اليومي بين الناس على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم في كل المجتمعات، بل إنّ التكامل بين اللغة ولهجاتها ضرورة لتكون كل منهما حافظة للأخرى، إذ إنّ تأصيل اللهجات ينطلق من اللغة الأصل، فلا ينفك هذا الارتباط الوثيق بين اللغة واللهجة، خصوصاً في ظل التطور المتسارع الحاصل في عمليات الاتصال على نطاق واسع ..

---

[1]- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة 2003، ط5، ص15

المبحث الثالث

تنوعات اللهجة الجزائرية وخصائصها

المبحث الثالث :: تنوعات اللهجة الجزائرية وخصائصها

موقع اللهجة الجزائرية في الخطاب اليومي :

انطلاقا من تنوعها وتميّز خصائصها بين التباين حيناً والتقارب حيناً آخر، وبالنظر إلى تعدد مجالات استعمالها، تثير اللهجة الجزائرية كثيرا من النقاش في مجالات متعددة، إذْ يتم استعمالها على نطاق واسع في مجالات متعددة ومتنوعة، إنْ على المستوى الاجتماعي الشعبي، وهذا ما لا يطرح إشكالية على اعتبار أنّ اللهجة هي أداة التواصل في الأوساط الشعبية، وإنْ على مستوى المزج بينهما، كما نجد في مجال الكتابة الأدبية مثلاً، إذْ يثار جدل لدى النّقّاد حول الأدب الذي تمتزج فيه اللهجة الشعبية باللغة الفصيحة، وإلى أي مدى يمكن استعمالهما معاً، بحيث يتم تصنيف الأدب على أساس درجة استعمال اللهجة فيه، ليكون أدبا شعبياً..

ولو تصفحنا أبرز ما كُتِبَ ونُشر في هذا الموضوع لوجدنا آراء متباينة، بعضُها يدعو إلى الفصحى لغةً للكتابة الأدبية من منطلق عربي إسلامي للحفاظ على الموروث الديني ولإثبات الهوية والمستقبل، وبعضُها يدعو إلى العامية لسهولتها وجماهيريتها، والبعض الآخر يدعو إلى استعمال الفصحى باعتبارها اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، مع الاستعانة باللهجات لأنه يُحتاج إليها في توسيع مجال التواصل وتحقيق التفاهم ووضوح الخطاب.

لذا نشب الحوار بين دعاة العامية والفصحى في الأدب الجزائري، ووصل أحياناً إلى اتهامات علنية لا تهدأ بين الفريقين، فدعاةُ الفصحى في الأدب يتهمون دعاة العامية بالتحلّل والدعوة إلى التغريب والانسلاخ عن الجذور، ودعاةُ العامية يتهمون دعاة الفصحى بالتخلّف والتقوقع والجمود والأحادية، وما تزال نسائم المعارك النقدية تهبّ بين وقت وآخر حتى الآن، على الرغم من تغيّر الاهتمامات بلغة التعبير الأدبي، إذ لم تعد لغةُ الكتابة هي الشاغل الأول كما كانت سابقاً؛ كما أن هناك بيانات نقدية وقفَ أصحابُها بينَ بينَ، فدعوا إلى استخدام اللغة الوسط أو اللغة الثالثة التي تتميّز بأنها عربية فصحى بسيطة غير معقدة، وبذلك نجد اللغة العربية ذاتها في حالة انشطار إلى لغة فصحى ولهجة عامية، فالفصحى كما جرى الحديث عنها تمثل لغة الثقافة والكتابة فيما تبدو العامية لهجة الحياة اليومية.

فالتعدد اللغوي والاختلاف الذي عرفته لغة التعبير الأدبي الجزائري هو من بين أهم القضايا التي يمكن مناقشتها، إذْ بقيت المسألة بين استعمال اللهجة العامية باعتبار أنّ الرسالة الأدبية يجب أن تتجه إلى القارئ والجمهور الجزائري بكل طبقاته ومختلف مستوياته، فتعبر لكل الناس بواسطة لهجتهم عن

همومهم وعن مشاكلهم وآمالهم، وبالتالي كيف يمكن مقاربة الأدب الجزائري المقاوم للاستعمار باستخدام لغته الفرنسية، أو استعمال اللغة الفصحى التي يفهمها خاصة الناس فقط..؟ وطُرِحتْ غير هذه الأسئلة المتفرعة عن السؤال الجوهري الخاص بإشكالية الواقع اللغوي في الأدب الجزائري.

طبيعة اللهجة الجزائريــة وروافـدها :

اللهجة الجزائرية من أبرز اللهجات العربية تتميز عن باقي لهجات العالم العربي بصعوبة أدائها وخاصة بالنسبة للذين يتقنون اللغة العربية كأهل المشرق العربي، كما تتميز عن باقي اللهجات المنتشرة في المغرب العربي باعتبارها لهجة تحمل في طياتها خليطا من المعاني العربية والفرنسية، وفي بعض الأحيان الإسبانية والتركية بحكم الواقع التاريخي، فمثلا كلمة (تريسيتي) كلمة مفرنسة ونعني بها الكهرباء وهي لفظة مستقبحة، إذْ يقول عبد المالك مرتاض في صدد هذه الكلمة :" لفظة آتية من التأثر اللغوي الفرنسي، غير أن لفظ الكهرباء أخذ ينتشر بين المتعلمين ونحسب أنّ هذه اللفظة البشعة ستضمحل من عاميتنا بعد زمن محدود."[1]

كما تعد اللهجة الجزائرية وليدة مزيج من اللهجات المحلية المنتشرة في ربوع الوطن الجزائري، إذ يرى بعضهم أنّ " العامية الجزائرية يتمثل هيكلها اللغوي العام في هذه اللهجات الإقليمية التي تختلف من جهة إلى جهة، بل تختلف أحيانا من من قرية إلى قرية مجاورة لها ". وهذا في كون اللهجة مرتبطة بالموقع الجغرافي والبيئة المحيطة، كما يرى ليفي ستروس من أنّ " اللغة هي فعل ثقافي في غاية الجودة وبواسطتها تنبني وتنشأ كل أشكال الحياة الاجتماعية وتصبح ذات ديمومة، وأن اللغة لا تحدد الثقافة وإنما الثقافة هي التي تتنوع مع التنوع اللغوي.." [2]

خلاصة القول أن الحضارة والثقافة والمجتمع بما في ذلك العادات والتقاليد هي جزء من اللغة وتسهم بشكل كبير وواضح في تطورها ونموها وديمومتها، فالمتكلم ابن بيئته ومجتمعه، عليه ما عليه من لغتهم وخطاباتهم.

هذا، وإن الواقع التاريخي الذي شهدته الجزائر من حكم نوميدي وانتداب عثماني واحتلال فرنسي كان حاضرا بقوة في لهجاتهم، بحيث كان سبباً في انتشار عدة لغات أو لهجات تميزت بها كل ولايات الدولة وكان لها تأثير على عادات كل منطقة وتقاليدها. وتنقسم **تقسيم اللهجات الهلالية الجزائرية**

[1] _ عبد المالك مرتاض ،العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى ،ديوان المطبوعات الجامعية، (دط)، 2012، ص43 .

[2] _ محمد أحمد خاطر ، في اللهجات العربية ،مقدمة للدراسة ، مطبعة الحسين الاسلامية ، القاهرة ، (دط) ،1979 ،ص52

إلى: لهجات هلالية بدوية وهي تنقسم إلى ثلاث مجموعات؛ ولهجات هلالية شرقية :ويتحدث بها في الهضاب العليا (سطيف، تبسة، بسكرة، برج بوعريريج ، المسيلة، الجلفة، الأغواط)؛ ولهجات هلالية وسطى : ويتكلم بها كل من وسط وجنوب الجزائر ؛ ولهجات المعقل: يتحدث بها الجزائريون في الجزء الغربي من القطاع الوهراني ؛ ولهجات ماقبل الهلالية حضرية وقروية (متأثرة باللغة الأندلسية) وهي تنقسم إلى قسميْن بارزيْن، هما:

- اللهجات الحضارية المستقرة: يتحدث بها جميع سكان المدن الجزائرية الكبرى مثل (قسنطينة ، تلمسان، عنابة، البليدة مستغانم ، معسكر ، بجاية..)

- اللهجات الريفية أو القروية :وهي التي تأتي عادة من مزيج بين المدن الناطقة بالبربرية ومنطقة القبائل وغيرها من المناطق الأخرى، مثل (القالة ، القُل ، تيزي وزو ، بجاية ، جيجل ، سكيكدة.) [1]

عوامل التأثير والانتشار في اللهجات الجزائرية :

لقد عرفتْ عدة لهجات محلية في الجزائر لعدة عوامل أدت إلى ذلك وهذه العوامل أثرت فيها والتي أحدثت أثرا واضحا في نطق بعض الكلمات أو العبارات. ومن هذه العوامل الاستعمار الإسباني في سواحل الغرب الجزائري، إذ ترك أثرا واضحا في اللهجة الجزائرية، ومن بعده الاستعمار الفرنسي للجزائر.. وعلى الرغم من كل الصراعات والمقاومات لرد الاستعمار الفرنسي عن سعيه لطمس الشخصية الجزائرية ومحو مقوماتها من الدين الإسلامي والوطنية واللغة العربية والعادات والتقاليد، إلاّ أنَّ هذه السياسة الاستعمارية نجحت إلى حد كبير في تأثيرها على الأجيال التي عاصرت الحقبة الاستعمارية، وأدرجتْ لغة الاستعمار التي صارت مستعملة في الحياة اليومية للجزائريين..

ويُعَدّ الموقع الجغرافي من أبرز العوامل في تعدد اللهجات في الجزائر، أي أنّ كون الجزائر تقع على الحدود الجغرافية بالقُرْب من بعض البلدان مجاورة المختلفة في لهجاتها أدّى هذا القُرْب الجغرافي إلى تأثير هذه اللهجات في اللهجة الجزائرية، وذلك بحُكْم العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فالموقع الجغرافي له أثره القادم من المناطق الحدودية، شرقاً وغرباً، وذلك باختلاط المجتمعات فيما بينها (خصوصا من تونس والمغرب) وهذا الاحتكاك ينعكس على ألفاظها ومفرداتها بحيث تدخل عليها ألفاظ أخرى، منها الأجنبية ومنها العربية.. إذ تنقل هذه اللهجات المجاورة صفاتها النطقية والصوتية والصرفية فيحدث ما يسمى بالتداخل اللغوي، بين اللهجات المجاورة أو اللغات الأجنبية، التي أثر

[1] _ محمد أحمد خاطر ، في اللهجات العربية ، ص7- 8

بعضها على البعض، فاللغة الواحدة قد تفرعت عنها عدة لهجات محلية تنتمي إليها؛ تختلف من حيث النطق في بعض الأصوات والمفردات.. وعلى هذا نجد اللهجة الجزائرية في مناطق الشمال ليست كمثيلتها في مناطق الجنوب، ولهجة مناطق الشرق تختلف عن لهجة مناطق الغرب، إذ نشأتْ في الجزائر عدة لهجات محلية متباينة فيما بينها؛ ذلك أنّ كل لهجة تختلف عن الأخرى في جملة من الخصائص والمميزات، فلكل منطقة المناطق الجزائرية مفرداتها وألفاظها ولها استعمالاتها الخاصة بها، وهذا التنوع من أبرز ما يميز المجتمع الجزائري عن باقي المجتمعات العربية الأخرى، وهذا التشكل اللهجي وتنوعه راجع لعدَّة أسباب اجتماعية وجغرافية، ومنها أيضاً احتكاك باللغات الأخرى والاختلاط بها، ومنها الصراع اللغوي أو الهجرات إلى البيئات المعمورة، وفي هذا يقول ابراهيم أنيس: "حين نتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها ، وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية نستطيع الحكم على إمكان تشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات عدة." [1] فباتساع الرقعة الجغرافية تتفرع عن اللغة الواحدة الأم إلى عدة لهجات محلية تنتمي اليها وتحمل خصائصها، ليرجع التأصيل إليها أي اللغة الأم، وذلك للعوامل التي أشرنا إليها آنفاً، ونفصلها فيما يأتي :

العوامل الجغرافية :

تتمثل أبرز هذه العوامل في اتساع الرقعة الجغرافية واختلاف طبيعتها باختلاف مناطقها، وتباين تضاريسها، مثل الجبال والأنهار والوديان والحدود بين المناطق المتجاورة ، فهذا ممّا يحْدث التأثير والتأثر بين اللهجات..

العوامل الاجتماعية :

تتمثل في طبقات المجتمع وتعدد شرائحه وفئاته المحلية التي تنتمي إليه، وكذلك الظروف الاجتماعية التي تتحكم في حياة أفراد هذا المجتمع، ممّا يتصل بالعادات والتقاليد المتبعة في الحياة اليومية.. فمن حيث المستويات اللهجية بحسب فئات المجتمع وشرائحه نجد أنّ " لهجة الطبقة العليا غير لهجة الطبقة الوسطى أو الطبقة الدنيا في المجتمع، ولهجة المثقفين غير لهجة أصحاب المهن والحرف المختلفة.. "[2] ويضاف إلى ذلك أنّ كل مجال من مجالات الحياة يتطلب شيوع لهجة معينة بين من ينتمون إليه، وهذا يوجد مستويات متباينة في تداول اللهجة في المجتمع؛ كما أنّ كل بيئة لها نظامها الخاص بها، فأبناء

[1] _ ابراهيم انيس ، في اللهجات العربية ، مكتبة انجلو ، القاهرة ، ط 2003 ، ص 20

[2] _ سالوى بوشاكر ، اللهجات العربية وعلاقتها بالفصحى (لهجة الجزائر نموذجا) ، جامعة عبد الرحمان ميرة ، بجاية ، 20140/2013، ص 9

البيئات الزراعية لهم ظروف اجتماعية خاصة تأثر عليهم في لهجتهم تخالف أبناء المناطق الصناعية أو التجارية ، كما أن هناك اختلافاً في الظروف الاجتماعية وأنماط المعيشة التي لها تأثيرها في توجيه مستوى اللهجة.

الاحتكاك بين اللغات واختلاط بعضها بالبعض :

يتم هذا الاحتكاك والاختلاط نتيجة الغزو والهجرات إلى البيئات الأخرى، فقد يغزو شعب من الشعوب شعبا آخر يستعمل لغة أخرى، فيقوم صراع عنيف بين اللغتين: الغازية والمغزوة " وتكون النتيجة عادة إما القضاء على إحدى اللغتين قضاء يكاد يكون تاما، أو أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من كلتا اللغتين الغازية والمغزوة. "[1] فتؤثر لغة على الأخرى في مفرداتها وألفاظها نتيجةً لهذا التمازج والاختلاط بينهما، ويشمل ذلك التأثير نطق بعض الأصوات وإدماج كلمات من لغة أو لهجة ما في الأخرى..

الصراع اللغوي :

يحدث هذا الصراع نتيجة تقارب اللغات بعضها البعض، وحدوث تنافس بينها." وقد حدَّثنا التاريخ عن أمثلة كثيرة للصراع اللغوي، فقد غزا العرب جهات كثيرة متعددة اللغات واستطاعت اللغة العربية في آخر الأمر أن تغزو تلك اللغات في مهدها وأن تحل محلها، فقدت تغلبت على الأرامية في العراق والشام، وعلى القبطية في مصر، وعلى البربرية في بلاد المغرب.."[2] وهذا الصراع قد يكون بين لغتين أو أكثر، فتتغلب لغة على الأخرى وتؤثر فيها في مفرداتها وأصواتها ويحصل تغيير في اللغة المغلوبة بحيث تتجلى فيها ألفاظ اللغة الغالبة من الناحية الصوتية والمعجمية على الخصوص..

كل هذه العوامل التي تؤثر على الأفراد في استعمالهم للغة التي تساعد على تشكل عدة لهجات أخرى تنتمي إلى اللغة المتأثرة، وهناك " عاملان رئيسان لقوة التأثير وإحداث التغيير، في مختلف لغات العالم، كما يقول إبراهيم أنيس وهما : الانعزال بين بيئات الشعب الواحد؛ والصراع اللغوي نتيجة الغزو أو الهجرات.." وقد شهد التاريخ نشوء عدة لغات مستقلة من اللغة الواحدة نتيجة أحد هذين العاملين أو كليهما معا.. "[3]

---

[1] _ ابراهيم انيس ، في اللهجات العربية ، ص 21

[2] _ المرجع نفسه ص 21- 22

[3] _ ابراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص 20

تنوعات اللهجة الجزائرية وخصائصها :

إن ظاهرة اختلاف اللهجات لا تقتصر على بلد دون آخر من البلدان العربية، وإنما يشمل امتدادها كل الأقطار شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وللرقعة الجغرافية تأثير بيّنٌ في تغيُّر اللهجات؛ فكلّما تباعدت المسافات الجغرافية تباينت العادات والتقاليد وزادتْ درجة الاختلاف بين اللهجات شيئاً فشيئاً.. وهذه اللهجات تتبع تلك العادات والتقاليد، وتتصل باللغة التي أُستُمدّتْ منها، كما تتصل بالبيئة التي نشأت فيها؛ ذلك أنّ اللغة الواحدة تنقسم إلى عدة بيئات لغوية ولكل منها لهجات خاصة بها، أي أن اللغة الرسمية تتفرع عنها عدة لهجات ، ولكن هذا التفرع لا يمنع من كون هذه اللهجات تشترك في خصائص اللغة الأم، وتعد اللهجات الجزائرية من أبرز اللهجات العربية ومن أصعبها في الأداء، وهي مزيج من اللهجات المحلية وتنوعاتها المختلفة منتشرة عبر ربوع الوطن. إذْ يقول عبد المالك مرتاض " والعامية الجزائرية يتمثل هيكلها العام في اللهجات الاقليمية التي تختلف من جهة إلى أخرى بل أحيانا تختلف من قرية الى قرية مجاورة لها.. "[1]

عندما دخلت اللغة العربية إلى الجزائر بقدوم الفتح الإسلامي للمغرب، كانت قبلها لهجات أخرى سائدة، ثم ظهرت عدة لهجات في مناطق مختلفة، وهذا باحتكاك اللغة العربية باللغات الأخرى. وهو ما يدخل ضمن عمليات التأثير والتأثر التي لطالما أثارها العلماء والدارسون قديما وحديثاً، وهي ظاهرة لا مناص منها في العلاقات القائمة بين الشعوب والأمم عبْر العصور؛ وفي هذا يقول ابن جني: " اعلم أن العرب تختلف أحوالهم في تلقي كل الواحد منها لغة غيره، فمنهم من يحف ويسرع فيقول ما يسمع. ومنهم من يستطعم فيقيم على لغته البته، ومنهم من طال تكرار لغة غيره عليه فألصقت به ووجدت في كلامه. " [2]

فاللهجة الشعبية الجزائرية إذاً هي مجموعة من اللهجات الإقليمية تختلف من منطقة إلى منطقة أخرى متباينة في ما بينها، وأحيانا يكون هذا الاختلاف حتى في القرى والمناطق المجاورة والمقاربة لبعضها البعض، وهذه اللهجات المحلية لها عوامل وأسباب في تشكلها وتفرعها من اللغة الرسمية والتي سبق ذكرها، منها عوامل طبيعية ومنها عوامل لغوية في نطق الأفراد في التواصل فيما بينهم، ففي اللهجة الجزائرية نجد عدة عاميات ولهجات جزائرية محلية مختلفة منها لهجة الشمال ولهجة الجنوب ولهجة

[1] _ عبد المالك مرتاض ، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2012، ص 7

[2] _ ابن جني ، الخصائص ، ج 1 ، تحقيق محمد نجار ، دار الكتب ، القاهرة ، ص 383

الشرق ولهجة الغرب، ونجد فيها عدة "اختلافات لهجية ، تختلف من منطقة الى اخرى، فنقول إن هناك عامية جزائرية تضم لهجات متنوعة . "[1]

ونحن نرى أنه من الأجدر بنا أن نضيف إلى المناطق الجزائرية الأربع الكبرى منطقة خامسة، تتمثل في **منطقة الوسط** بلهجاتها المتميزة، ذات الاتصال القوي باللغة الفصيحة التي تنحدر منها في المقام الأول، وهي في نظرنا أقرب اللهجات الأخرى إلى العربية الفصحى.. وبهذا يشمل المخطط خمس مناطق بلهجاتها المتنوعة.. وهي على النحو الآتي:

اللهجات الشعبية الجزائرية				
لهجات الشرق	لهجات الغرب	لهجات الشمال	لهجات الجنوب	لهجات الوسط

ولكل منطقة من هذه المناطق خصائصها التي تتميز بها عن باقي المناطق الاخرى، ولها لهجتها ومفرداتها التي تنفرد بها ومنها ما هو عامي ومنها ما هو فصيح ومنها ما هو دخيل عم اللغة الأصلية، ولكل منها خصائصها اللغوية واللسانية والصوتية والصرفية تميز أفرادها عن باقي أفراد مجتمع اللهجات المحلية الأخرى.

هذا، ومن الثابت أنّ لكل إقليم أو منطقة من أقاليم الجزائر ومناطقها لهجته الخاصة التي يتميز بها عن باقي الأقاليم والمناطق الأخرى، إذ نجد لهجات الشرق ولهجات الغرب ولهجات الشمال ولهجات الجنوب ولهجات الوسط، ولكل منها ما يميزها عن سائر اللهجات، غير أنّ هذا التمايز لا ينفي ما هنالك من ارتباط وثيق وتقاطعات كثيرة بين هذه اللهجات، وعليه يمكن القول إنّ اللهجة الجزائرية المنبثقة ذات الأصول العربية لا ينفط بعضها عن البعض، ولا يكاد يغيب عنها ذلك الحبل المتين الذي يصل بعضها ببعض ويجمع كيانها الموحد، باستثناء بعض الخصائص والمزايا التي لحقت بعض هذه اللهجات دون أخرى، لأسباب وعوامل تاريخية وجغرافية وغيرها، مما يندرج ضمن سنّة التأثير والتأثر..

أولا : لهجـة المنطقة الشرقية :

تعد من أقرب اللهجات الجزائرية إلى اللغة العربية الفصحى"[2]، وتتمثل في بعض مناطق الجزائر منها قسنطينة، أم البواقي، تبسة وهي ولايات في الجزائر لها ميزاتها الخاصة في لهجة أراد مجتمعها ، وتظهر في

[1] _ سهام مادن ، الفصحى والعامية و استعمالات الناطقين الجزائريين ، ص 36

[2] _ سلمى خنافرة ، العربية وتحديات اللهجات في الجزائر بعض لهجات الشرق الجزائري ، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي ، الجزائر سنة 2015 ، ص 35

عدة ألفاظ ومفردات خاصة، وعدة حكم وأشعار وأمثال خاصة بمنطقة الشرق تظهر من خلال حياتهم اليومية والاجتماعية وهي تتمثل في منطقة الأوراس في عرفت بالشدة والقساوة في مقاومة الاستعمار الفرنسي، وشدة طبيعتها وتضاريسها فلديهم عدة قصائد تصف طبيعتها وتضاريسها وسياحتها وكذلك تصف مقاومتها للاستعمار الفرنسي، منها أبيات شعرية: أنشودة جبل الأوراس قول الشاعر الشعبي:

"جبل الأوراس ما فيك الهندي ** على وطني نضرب من عندي

جبل الأوراس ما فيك الدردار ** على وطني نضرب بالنار

جبل الأوراس قل أنا جبل الأوراس

جبل الأوراس ما فيك الباكور ** على وطني نضرب وندور"[1]

وما نلاحظه هو أن للمنطقة شعرا خاصا بها بمفردات وألفاظ خاصة، مثل الأوراس، الهندي، الدردار، الباكور فهذه مفردات خاصة بطبيعة منطقة الشرق، فنجدها ليست مستعملة في باقي المناطق الجزائرية الأخرى.

وكذلك قصيدة أخرى تصف جبال الأوراس وتضاريسها التي لها مكانة كبيرة في الطبيعة الجزائرية وهذا ما يؤثر على لهجة سكان المنطقة ، قصيدة الجبل الأبيض:

" الجبل الأبيض سكنوه تبسة حتى لسوق أهراس ** اللي عدو للكافر رخصة والدَّاير العساس

واللّي متوظف راكب كابران على الناس ** يلم في العرامة والرتب ويمركي في الكراس "[2]

ونجد كذاك بعض الأمثال والحكم ينفرد بها أهل هذه المنطقة ويتميزون بها، ولكن هذا لا يمنع من تداولها في سائر المناطق؛ وغنما القصد أنها متداولة بكثرة في الخطابات الجارية في المجتمع بهذه المنطقة:

المثل 1: إيشعّل في الدخان ويقول هذا الدخان منين: ويقصد بها الإنسان الذي يقوم بفعل النميمة بين الطرفين، ولكنه لا يعترف بذلك.

المثل 2: أخرج لربي عريان يكسيك: ويقصد به أنه لا داعي للكذب أو التماطل، وأن يكون الإنسان عفويا دون أن يراوغ في الحياة والله سبحانه هو الذي يجزيه على أعماله وتعبه لأنه أعلم به.

غير أن هذه الأمثال والحكم لا تقتصر على منطقة دون أخرى، فهي متكررة في كل المناطق تقريبا، مع وجود بعض الأمثال والحكم التي تشتهر في منطقة ما أكثر من المناطق الأخرى.. [3]

---

[1] _ العربية وتحديات اللهجات في الجزائر ، ص 65

[2] _ المرجع نفسه ، ص67

[3] _ الملاحَظ أنّ كل منطقة جزائرية لها أمثالها بصيغة لهجتها، أمّا مضامين الأمثال فمتقاربة كثيراً ..

وكذلك اشتهرت منطقة الشرق بعدة عادات وتقاليد خاصة بها في حياتهم اليومية وفي مناسباتهم منها : البوقالات، وكذلك لهم كلمات ومفردات خاصة بهم في حياتهم اليومية وظروف معيشتهم منها : الحراقة، الدشرة، الزنقة ، الطابونة ، المير، الميزيرية ...، وكذلك نلاحظ أنه يوجد تقارب كبير بين لهجة سكان منطقة الشرق واللهجة التونسية وهذا راجع إلى العامل الجغرافي والتقارب بين المناطق..

ومن خصائص لهجة الشرق الجزائري أنها تلتقي مع لهجة منطقة شمال الصحراء (المنطقة السهبية) في كثير من الألفاظ المستعملة، وكذلك العادات والتقاليد الاجتماعية.. فمن الألفاظ المشتركة بين المنطقتين، قولهم : يسكّر: بمعنى يغلق ؛ وقولهم : ياسر، بمعنى كثيراً..

وممّا تتميز به لهجة منطقة الشرق وتنفرد به فهو مخاطبة المذكر بخطاب المؤنث والعكس، ويظهر ذلك عند استعمال الضمير، أو عند إسناد الفعل إلى الضمير، مثل قولهم : أنتِ (بكسر التاء) عند مخاطبة المذكر ، وقولهم : أنتَ (بفتح التاء) عند مخاطبة المؤنث؛ وكذلك ينطبق الأمر ذاته على الضمير المتصل بآخر الفعل، كقولهم : جيتِ بكسر التاء لمخاطبة المذكر، وقولهم : جيت بالسكون لمخاطبة المؤنث.. والجدير بالذكْر أنّ هذه اللهجة نفسها متداولة في القطر التونسي، وهذا راجع إلى العوامل الجغرافية كما ذكرنا آنفا، نظرا للتقارب بين هذه المناطق منذ العصور القديمة.. [1]

ثانيا : لهجة المنطقة الغربية :

تعدّ منطقة الغرب للجزائر احدى أهم حواضر الجزائر، عرفت بتاريخها العريق و تراثها المتراكم لمرور مختلف الحضارات وثوراتها المتعددة من ألفاظ وشعر خاص بها، ومنها منطقة تلمسان، وتعد أهم منطقة في الغرب الجزائري، لها لهجة خاصة بها تميزها عن باقي اللهجات الأخرى لمناطق الجزائر، وذلك لعدة أسباب منها موقعها الجغرافي وحدودها مع المغرب، مما جعلها تقترب من اللهجة المغربية، بحيث " تعتبر لهجة مدينة تلمسان جزئية من لهجة مميزة لمنطقة تعرف بتلمسان وضواحيها ونردومة وضواحيها الواسعة إلى فلاوسن والغزوات ومنطقة السواحلية إلى مسيردة وبني سنوس وصفاتها مشتركة هي نطق الضمير الهاء للمفعول به أو للمجرور مائل إلى الواو ، فمثلا نسيته تنطق نسيتو ، مخاطبة المؤنث بصفة المذكر في الأفعال فقط مثلا (أدخلي يا فلانة... تنطق: أدخل يا فلانة) مع تميز كل لهجة بلحنها الخاص ككثرة الإشباع وإمالة بعض الحروف في لهجات فلاوسن وما جاورها "[2]

---

[1] _ تمّ الاطلاع على هذه الاستعمالات من خلال المجالسة والمحاورات الشفهية..

[2] _ حسيبة سلام ، تحديات ترجمة اللهجات المحلية و العامية الأمثال الشعبية نموذجا ، الجزائر ، سنة 2015، ص 19

ومن أمثلتها : مخاطبة الأخ بـ (خاي أو خويا) ومخاطبة المذكر والمؤنث معا بالضمير (نتين)، واستعمال الفعل (عبي) بمعنى خذ، واستعمال كلمة (صاحبي) بمعنى (أخي) في مناطق أخرى، وتسكين ضمير الهاء في آخر الفعل، كقولهم : سقسيْتَهْ بمعنى سألتُه؛ وجاوبْتَهْ بمعنى أجبْتُه... وهكذا..

ومن أبرز ما يميز لهجة هذه المنطقة وجود مناطق منها تقوم بإبدال بعض الحروف بأخرى، كإبدال القاف همزة، فكلمة: (قال) مثلاً: تنطق في هذه المناطق (آل) وهي لهجة أندلسية خالصة معروفة بفاس"[1] ، وهي تشبه في هذا الجانب اللهجة المصرية التي تشتهر بنطق القاف همزةً.. فما نلاحظه هنا أن الحدود الجغرافية لها تأثير كبير في تغير الكلمات ونطق بعض الألفاظ والحروف في الاستعمالات اليومية للمنطقة . كما توجد عدة ألفاظ واستعمالات أخرى تميز لهجة هذه المنطقة عن باقي اللهجات في المناطق الجزائرية الأخرى. وإنما هذه عينات أتينا بها على سبيل المثال..

ثالثا : لهجـة المنطقة الشمالية :

تعرف لهجة منطقة شمال الجزائر بخصائص تميزها عن غيرها من لهجات المناطق الأخرى ومنها : أنّ الجزائر العاصمة لها نظام صوتي وتركيبي خاص بها، ففيها بعض المفردات التي تتميز بها عن باقي المناطق بعدة اختلافات وتغيرات صوتية ونطقية، في الاستعمالات اليومية.

ونلاحظ أنّ " لهجة المناطق الشمالية تفتقر أحيانا لخاصية التعريف (بالألف والام)، نحو: جاء الشتاء تنطق جات شتا، فنلاحظ إسقاط الألف في البداية وإسقاط الهمزة في أواخر الكلمات (الشتاء) وسقوط الحركات كحذف الألف واللام للتعريف. "[2] ، وكذلك بعض الأفعال تستعمل للمؤنث والمذكر معا ، نحو : راحو الرجال وراحو النسا، وذلك بكسر الراء في لفظ الرجال وحذف نون النسوة من الفعل، واسقاط الهمزة في لفظة النساء تنطق نسا، وهو ما نجده في باقي اللهجات الجزائرية. وأمّا الفعل راحو وما جاء على هذه الشاكلة، ففي لهجات المناطق الأخرى يمكن أن يُسند هذا الفعل إلى تاء التأنيث في مثل هذا الموضع، إذ يقال: راحت النسا، وحضرت الناس، ومثل هذا كثير...

ونلاحظ كذلك أن المتكلمين في مناطق الشمال يتميزون بمفردات خاصة بهم نذكر منها : المسيد: بمعنى المدرسة ، والحومة: بمعنى الحيّ الشعبي أو المنطقة السكنية الشعبية، ولفظة: هقذا (بالقاف المثلثة)

---

[1] _ المرجع نفسه ، ص20

[2] _ ينظر سلوى بوشاكر ، اللهجات العربية و علاقتها بالفصحى لهجة العاصمة نموذجا ، جامعة عبد الرحمان ميرة ، بجاية ، سنة 2013، ص 45_46

أو :هكا، بمعنى هكذا...وهناك نماذج كثيرة تميز لهجة هذه المناطق الشمالية، وقد تشترك في بعضها مع لهجات المناطق الأخرى، لكنها تبقى من مميزات لهجة الشمال، ولا سيما لهجة العاصمة..

نستنتج أن لهجة المناطق الشمالية لها مزاياها الخاصة بها التي تتميز بها عن سائر المناطق والأقاليم الجزائرية الأخرى، وذلك راجع إلى عدة عوامل منها الموقع الجغرافي على ساحل البحر، والتأثر بالظروف السياسية بحُكْم قرب العاصمة من مواقع المسؤولية والمراكز القيادية، كما أنّ هناك عامل الاستعمار الفرنسي الذي أدى إلى تغير الكثير من الأصوات ووجود بعض الألفاظ الأجنبية الدخيلة عليها، وهذا العامل الاستعماري يوجد في المناطق الأخرى كذلك، غير أنه أكثر تجلياً في مناطق الشمال ولا سيما العاصمة باعتبارها المنفذ الذي دخل منه المستعمر عبْر ساحل البحر، والمكان الذي استقر فيه لعقود من الزمن بعد ذلك..

رابعا : لهجـة المنطقة الجنوبية : [1]

لهجة الجنوب في بعض المناطق هي من أقرب اللهجات الجزائرية إلى اللغة العربية الفصيحة وهي متداولة في البوادي وفي جنوب الجزائري، ونظرا لاتساع الجنوب الجزائري وتنوع أجناسه تفرعت منه عدة لهجات مستعملة في بيئات مختلفة، كما أنّ لكل منطقة تقاليدها وعاداتها واستعمالاتها للمفردات المتنوعة الخاصة بها، ونطق الأصوات على طريقتها، واستعمالها في التراكيب المختلفة المتباينة. غير أنّنا كلما توغلنا في أقصى الجنوب اكتشفنا مميزات خاصة لهذه اللهجة بحسب المنطقة وموقعها الجغرافي وبيئتها وتاريخها عبر العصور.. إذ نجد بعض الظواهر الصوتية الخاصة بهذه المنطقة، كإبدال الذّال دالاً كما في كلمة (مادا بيا ، بدلاً من: ماذا بيا) وهي عبارة تقال لاستحسان الشيء وقبوله؛ وهناك أيضاً إبدال الضاد دلاً مفخمة كما في كلمة (مضرب = مضرب) وهي بمعنى: مكان؛ وكذلك (والجنوح إلى الترقيق بدل التفخيم في الكثير من الأصوات، منها ترقيق حرف الراء، كما في كلمة (فرد) بينما نجدها مفخمة في المناطق الأخرى..

هكذا كلمّا عدنا من الجنوب باتجاه الوسط وجدنا اللهجة الجزائرية بهذه المناطق تقترب أكثر من اللغة الفصيحة، وكلما ابتعدنا عن الوسط وجدنا لهجات هذه المناطق تبتعد حينا وتقترب حينا آخر من اللغة الفصيحة. وذلك لعدة عوامل لعل من أبرزها قرب المناطق الحدودية البعيدة من لهجات أخرى لها اتصال بها على امتداد العصور.. إذْ نجد مثلاً منطقة وادي سوف تستعمل بعض الكلمات مثل:

[1] _كلّما ابتعدْنا باتجاه الجنوب لاحظنا تغيُّر اللهجة وتميُّزها عن لهجة المناطق الوسطى نطقاً واستعمالاً..

لفجار، لسهار، لنظار، وخيتي فوق، يوقد، القليلة ، برق، نطق القاف مجهورة (g) ، وهو ما سماه بعضهم " ذلك الصوت المغلظ بين القاف والكاف وهو دخيل على العربية الفصحى."[1] بحيث أنّ " تغليظ الكاف التلفظ بالكاف الفارسي، وهي أشبه الحروف بالجيم القاهرية، وانتقال مخرج القاف إلى الأمام قليلا يولد هذا الصوت الشديد المجهور، الذي هو بين القاف والكاف "[2]

خامساً : لهجة منطقة الوسط (المنطقة السهبية : غرب شمال الصحراء) :

تمثلها لهجة المناطق الداخلية المتمثلة في مناطق السهوب، فلها لهجتها الخاصة بها بمفرداتها وألفاظها، ومنها لهجة منطقة الأغواط والجلفة، والمناطق المتصلة بها والمجاورة لها، من ناحية الشمال والشرق والغرب والجنوب بالنسبة إلى المركز المتمثل في مدينتي الأغواط والجلفة، ويضاف إلى ذلك بعض مناطق الجنوب القريبة منها؛ كما أنّ الجنوب العميق كذلك له لهجته الخاصة به، والمناطق الجنوبية أيضاً تختلف أحيانا فيما بينها من حيث اللهجة، وإن كانت متقاربة إلى حد كبير فيما بينها ، وكذلك فيما بينها وبين المناطق السهبية الوسطى..

إنّ المنطقة السهبية (غرب شمال الصحراء)، في النطاق الجغرافي الذي اشرنا إليه آنفا، لها من المميزات ما يجعلها تنفرد بعدة خصائص لا نجد كثيرا منها في سائر اللهجات الجزائرية. ومن أبرز هذه المميزات كونها أقرب إلى اللغة الفصيحة، إذ نجد أنّ أغلب اللفاظ المستعملة تنحدر من أصل فصيح، بل إن هذا التشابه الكبير يمتدّ إلى استعمال الألفاظ وصياغة التراكيب وانتقاء الصور البلاغية، بحيث يمكن إقامة موازنة بين لهجة هذه المنطقة واللغة الفصيحة، على مستويات متعددة لسانية (معجمية وصوتية وصرفية وتركيبية أو بلاغية فنية تشمل البعد الأدبي والجمالي لمختلف النماذج اللغوية بينهما.. وكل ذلك نتيجة قوة التقارب بينهما، وهو ما نجده في مختلف النماذج النثرية والشعرية المتداولة في المنطقة.. ويمكن ان نأتي ببعض منها لبيان هذه الظاهرة، ألا وهي ظاهرة التقارب الكبير بين اللغة الفصيحة ولهجة المنطقة.. وفيما يأتي بعض النماذج لإثبات ما قلناه في الصلة القوية بين لهجة منطقة غرب شمال الصحراء واللغة الفصيحة، مع تحوير بسيط في النطق وإضافة بعض الحروف القليلة لتتلاءم

[1] _ عبد الحفيظ بوالصوف ، (ديسمبر 2018) ، [توظيف اللهجة السوفية وخصائصها في الرواية الجزائرية]،مجلة الكلم ، مجلة دورية تصدر عن مختبر اللهجات ومعالجة الكلام) ، جامعة أحمد بن بلة ، وهران _ الجزائر العدد7 ،ص 21

[2] _ بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالفصحى (دراسة لسانية بني فتح) مديرية النشر ، قالمة ، سنة 2008 ، ص 52

مع الاستعمال اللهجي بالمنطقة؛ يقول شيخ شعراء الأغواط، الشاعر علي عبد اللاوي في قصيدة الخامس من جويلية: [1]

أمناضل كانّكْ ليا تسمع ** أتجاوبـني وتردْ لي عن سـؤالي
أحكيلي واش كنت في الثورة تصنع ** أجميع اللي درتها وريهالي
مادامك حي أعطيني فيها مرجع ** وحده وحده قصتك تحكيهالي

نلاحظ أن الألفاظ المستعملة كلها ذات أصل فصيح، مثل (كانّكْ = كأنّك ؛ ليا = لي ؛ تردْ لي سؤالي = تُرُدّ عن سؤالي ؛ أحكيلي = احك لي ؛ واش = أي شيء ؛ أجميع = جميع ؛ وريهال = أرني إياها ؛ مادامك حيّ = ما دمتَ حيّاً ؛ وحْدة وحْدة = رويداً رويداً ؛ تحكيهالي = تحكيها لي..)

ويقول الشاعر : [2]

بسم الله ابديت قصيدي ننظم ** بصلاة الرسول يسهل مبداها
صلى الله عليك يا سيد الامم ** اصلاتك في الفم زينة محلاها
اصلاتك بيـها نتحـّى ونسلّم ** في السبحة ألفين مرة نقراها
نستغفر ونزيد بالدعاء نختم ** خمسة اوقات اشهادتي ماننساها
هي زادي في لاخـرة نلقاها ثَمْ ** قدامي زينة اعمالي نلقاها
نعقب عالصيراط زاهـي متـنعم ** قع امة رسول الله نتمنـاها
التكـلان على الله ربـي دايم ** الهربا لاوين بعدو نلقـاها

في هذه المقطوعة الشعرية نلاحظ أيضاً وجود كلمات فصيحة الأصل وهي كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال، قوله : (قْصيدي = قصيدي ؛ في الفُمْ = في الفَم ؛ زينة = جميلة ؛ محلاها = ما أحلاها ؛ نْتَحّي = أحيّي ؛ نلقاها ثَمْ = ألقاها هناك (ثمة) ؛ قُدّامي = قُدّامي، أمامي ؛ زينة = جميلة(هنا بمعنى صالحة) ؛ نُعْقُبْ ع الصيراط = أمُرّ على الصراط ؛ زاهي = زاهٍ، مستبشر ؛ قع، قاع = كلّ، جميع ؛ التكلان = التكلان، الاتكال، التوكّل ؛ الهربا = الهروب ؛ لا وين بعْدو نلقاها = لا أجدها عند أحد من بعده..)

[1] _ الشاعر علي عبد اللاوي من منطقة الأغواط، من ديوان مخطوط ..

[2] _ المصادر الشفهية، من النصوص المسموعة مشافهةً ، إذْ لم نعثر لها على مصدر يوثقها ..

هذه بعض النماذج بهدف بيان الصلة القوية بين لهجة المنطقة واللغة الفصيحة، فقد لا حظنا أنّ هناك كلمات تُستعمَل كما هي فصيحة من دون أن يطرأ عليها أي تغيير ؛ كما أن هناك كلمات يحْدُث فيها تغيير بسيط إمّا في تغيير حرف أو حركة أو حذف حرف أو زيادة آخر ؛ وقلّما نجد كلمات على درجة كبيرة من التغيير.. ويقاس على هذه النماذج سائر الكلام بلهجة المنطقة، ولا سيما في الأمثال والحكَم والأقوال المأثورة عن الآباء والأجداد، النابعة من تجاربهم وخبراتهم في الحياة..

وهناك ظاهرة أخرى هي تطابق المعاني بين المقولات والحكَم والأمثال السائرة بين ما يستعمَل بلهجة المنطقة وما يستعمل في اللغة الفصيحة، وفيما يأتي نماذج للتوضيح :

المثل الشعبي : الحر من قمزة والبرهوش من دبزة.

المثل الفصيح : العبد يقرع بالعصا ، والحر تكفيه الإشارة.

المعنى ومجال الاستعمال : هذا المثل له بعد نفسي وأخلاقي حول العقليات المختلفة في الناس، فمنهم الحرّ صاحب العقل والمروءة، يفهم بمجرد الإشارة، وفيهم اللئيم العنيد الذي لا تنفع معه إلاّ الشدة والحزم ..

المثل الشعبي : داري تستر عاري أو دارنا تستر عارنا

المثل الفصيح : بيتي أستر لعوراتي

المعنى ومجال الاستعمال : له بعد نفسي، ويُضْرَب في الأنفة والعفّة والتستر عن النقائص حتى لا يظهر بها الإنسان الحُرّ امام الناس فيكون محل سخريتهم، لكي يبقى محافظا على مكانته.

المثل الشعبي : أخدم يا التاعس للناعس

المثل الفصيح : رُبّ زارع لنفسه حاصد لغيره

المعنى ومجال الاستعمال : هذا المثل يجسد البعد الاجتماعي في مجال العمل والسعي والاجتهاد، للذي يسعى ويكدّ ويجتهد ولكنه لا يستفيد شيئا من سعيه، بل يترك الثمرة ليقطفها من بعده من دون أيّ جهد أو عمل، فيكون التعب من نصيب الأول والاستفادة للثاني الذي لا يستحقها..

المثل الشعبي : هَمْ يضحّكْ وهَمْ يبكّي

المثل الفصيح : شر البلية ما يضحك

المعنى ومجال الاستعمال : من الأمثال ذات البعد النفسي، وذلك بأن يكون المرء في شدّة ومصيبة وبلاء حتى تشتد معاناته، وإذا به من عدم تحمّله لها يتلقاها بالضحك، كأنما يضحك على نفسه

وحيرته من كيفية تلقّي هذه الهموم وتحمّلها، أي كأن لسان حاله يقول : لا قدرة لي على تحمّل هذا الهمّ، ولذلك ينقلب تألّمه إلى ضحك من شدة استغرابه..

هذه أمثلة عن التقارب الكبير بين لهجة منطقة غرب شمال الصحراء (المنطقة السهبية) وبين اللغة الفصيحة التي هي اصل هذه الاستعمالات، وهذا ما يفسّر قوة التطابق، سواء أكان ذلك في الصياغة التركيبية أم في المعنى والدلالة وما تُحيل عليه هذه الأمثال والحكَم من الأبعاد النفسية والاجتماعية، فهي تعكس حالات معينة يعيشها الناس في يومياتهم، وتنقل تجاربهم ومعايشتهم لمختلف الظروف التي يمرّون بها في حياتهم.. [1] وتجدر الإشارة ههنا إلى أنّ هذه الظاهرة لا تقتصر على لهجة المنطقة، بل نجدها في سائر اللهجات الجزائرية الأخرى، غير أنّها تتميّز بقربها الشديد من اللغة الفصيحة وتطابقها الكبير معها لفظا ومعنى.. وسنتناول في الفصل الثالث نماذج متعددة ومتنوعة لألفاظ وعبارات وتراكيب وصفات باللهجة الشعبية للمنطقة، مصنفة وفق حقول موضوعية يتضح فيها قرب هذه اللهجة من اللغة الفصيحة، وذلك بتأصيل هذه الاستعمالات وبيان مجالات توظيفها وأثرها الاجتماعي..

إن التنوع في اللهجة الجزائرية بارز بشكل كبير في بيئاتها المختلفة ومجتمعاتها المتباينة وقبائل مناطقها ، إلا أن هذا التنوع، لم يمنع من أن تشترك هذه اللهجات عموماً في لغة واحدة هي اللغة العربية الفصيحة التي يُرجَع في التأصيل إلى قواعدها العربية ومدوناتها ومصادرها الأصيلة، ومنها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والمأثور عن العرب شعراً ونثْراً ..

اللهجة الجزائرية وإشكالية التعبير في الأدب الجزائري:

إذا عدنا إلى إشكالية التعبير في الأدب الجزائري نجد اختلافا جلياً في وجهات النظر بين الكُتّاب، إذ يرى بعضهم أن إشكالية اللغة في الحوار المسرحي أو فن المسرح بصفة عامة له مبرراته التاريخية والفنية، ويربطها أساسا بقضية التعريب، يقول أحسن تليلاني: " ... إلا أنه في الجزائر قد ارتبط بقضية التعريب وطموح تحقيق الشخصية الجزائرية في إطارها العربي الإسلامي، وهو طموح حملته المقاومة الوطنية للاستعمار، وطرحت النخب المعربة بأكثر قوة على السلطة السياسية عقب الاستقلال، غير أن طموح التعريب لا ينبغي أن يطغى على مقتضيات الفن من جهة ولا أن يفرض تقييم إنتاج الماضي بعيون الحاضر، فالمسرح الجزائري خلال الثورة التحريرية كان في عمق الصراع ضد الاحتلال، وهو صراع مرير استباح كل الأسلحة سواء قاوم المسرح باللهجة الشعبية أو باللغة العربية الفصحى أو باللغة الفرنسية،

[1] _ المصادر الشفهية، من خلال المجالس والمحاورات المستمدة من التواصل اليومي..

فهو مسرح جزائري مقاوم كان في مستوى رهانات اللحظة التاريخية، حيث لم تكن الفترة فترة مفاضلة ولكن فترة تعبير وكفى." [1]

يتضح من قوله هدف المسرح الجزائري ألا وهو مقاومة المستعمر الفرنسي بشتى الوسائل وبأبسط الأمور، والمحافظة على الشخصية والهوية الجزائرية العربية الإسلامية مهما اختلفت لغة الكتابة المسرحية، سواء أكانت لغة عربية فصحى أصيلة نزل بها القرآن الكريم إذْ يجب المحافظة على موروثنا الديني، أم كانت لهجة عامية بلسان الشعب الجزائري تؤدي إلى توعيته والحفاظ على أرضه ومنبته الأصلي، أم كانت لغة فرنسية توحي بثقافة المجتمع الجزائري.

وسعى بعض رواد الأدب الجزائري إلى تأسيس مسرح جزائري قائم على اللغة العربية الفصحى تماشيا ومقتضيات الوقت الراهن آنذاك، عندما عمل المستعمر الفرنسي على" إبادة مقومات الشخصية الجزائرية ومنها محاولته قتل اللغة العربية؛ فقد كان الفرنسيون يوقنون بأن اللغة العربية هي أساس الدين وصلة الجزائريين بأمجادهم وأجدادهم وبالعالم الإسلامي كله، فحاربوها بكل وسيلة وعدوها لغة أجنبية، واستعملوا كل جهودهم لبث احتقارها في نفوس الجزائريين." [2] فأصدرت السلطة الجزائرية قرارا بتعريب إدارتها والاستغناء عن اللغة الفرنسية المتداولة في ذلك الوقت. وبما أن المسرح دارس للقضايا الاجتماعية والتاريخية فقد قدمت الكثير من الموضوعات التاريخية مثل مسرحية "بلال" لمحمد العيد آل خليفة ومسرحية "حنبعل" لأحمد توفيق المدني ومسرحية "يوغرطة" لعبد الرحمن ماضوي ومسرحية "عنبسة" لأحمد رضا حوحو ومسرحية "الخنساء" لمحمد الصالح رمضان، فضلاً عن الموضوعات الاجتماعية مثل: "مضار الخمر والحشيش" لمحمد عابد الجيلالي، و"امرأة الأب" لأحمد بن ذياب... وغيرها.

ومراعاة للوضع الذي كانت تعيشه الجزائر على الصعيد الثقافي، والذي اتسم بالأمية وانتشارها في الأوساط الشعبية لم يكن يسمح باستمرار تجربة الكتابة باللغة بالفصحى، ولكن الجزائريين لم يتوقفوا عند هذا الحد ولم يقولوا أبدا، فلنستغن عن هذا النوع من الأدب بل حاولوا التعبير عن قضاياهم باللهجة التي يتكلمون بها في حياتهم اليومية، وهذا ما دفع بالحركة الأدبية قدما إلى الأمام وجعلها تتخذ العامية أداة للتعبير في الشعر الشعبي والمسرح والرواية، استناداً إلى ما جاء عند أرسطو في كتابه "فن الشعر" حين يتكلم عن اللهجة العامية، فيقول: " إن أوضح الأساليب اللغوية هو ما تألف من

[1]- أحسن ثليلاني: المسرح الجزائري والثورة التحريرية، دراسة تاريخية فنية، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 200

[2] _ المرجع نفسه، ص: 75

الكلمات الدارجة العادية، فهو يكسب المسرحية الوضوح المستهدف." [1] ولهذا كتب المؤلفون بالدارجة واستقرأوا التاريخ والآداب الشعبية واستلهموا آراء الكُتّاب والأدباء وأفكارهم منها ومن الأساطير التي يزخر بها الأدب العربي عبْر تاريخه العريق.

ومن أبرز الكُتّاب الجزائريين الذين أيّدوا فكرة استعمال اللهجة الجزائرية لإيصال الخطاب إلى كل الجزائريين، نجد الكاتب" أحمد رضا حوحو يعلن عن قبوله للهجة العامية التي يفهمها الجميع، فربما يعسر على الإنسان العادي فهم عبارة من كتاب أو استجلاء جملة من صحيفة، ولكنه لا يصعب عليه فهم أكبر عالم إذا ما خاطبه في مسألة ما بلغته التخاطبية.." [2]

ونظرا لظروف المجتمع الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي الذي لم يكفه القمع والبطش والإجرام بل سعى أيضا إلى محاربة العربية باعتبارها أحد مقومات الأمة، فقد حاول كتاب المسرح الجزائري التقرب من شرائح المجتمع والتعبير باللهجة التي يفهمها كل الجزائريين ويستوعبونها ألا وهي اللهجة العامية لهجة الاتصال المباشر مع الشعب الجزائري، فألفوا عن حياة التهميش والفقر والجهل والمرض والاضطهاد وحياة الضنك التي كان يعيشها آنذاك، يقول صالح لمباركية :" فاللهجة العامية هي الوسيلة الناجحة في توصيل الأفكار إلى الأوساط الجماهيرية العريضة، فلغة مسرح محمد التوري وعبد الحليم رايس ومحي الدين باشتارزي وغيرهم من الكتاب لغة عامية شعبية بسيطة لغة الشارع والسوق دراجة محلية لمسوا الواقع الاجتماعي الجزائري وعبروا عنه بكل صدق وأمان، فكشفوا عن الأمراض الاجتماعية وغيرها بالأسلوب الذي يعتمد على النقد بالدرجة الأولى." [3]

تنوع المستويات اللغوية في الكتابة:

يشمل هذا التنوع مستويَيْن بارزيْن هما : اللغة الفصيحة واللهجة الشعبية العامية الجزائرية، إضافة إلى الأمازيغية واللغة الفرنسية، إذ يرى بعضهم ضرورة الاهتمام بهذين المستويَيْن معاً في صياغة الخطابات اليومية في المجتمع الجزائري، من أجل ربط الشعب بلغته وهويته، مع ضمان إيصال الخطاب إلى مختلف الشرائح الاجتماعية. وهنا يرى أحمد طالب الإبراهيمي أنه" لكي ينجح المسرح ينبغي سد الهوة، التي تفصل بين الدارجة والفصحى لأن وجود اللغتين معا، وإن لم تكن تختص به الجزائر إلا أنه يشكل فيها

---

[1] _ أرسطو: فن الشعر،ترجمة: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، دت، دط، ص190

[2] _ محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، دط، ص: 202.

[3] _ صالح لمباركية: المسرح في الجزائر، دراسة موضوعاتية فنية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2005، ج2، ص: 5.

قضية جديرة بالاهتمام بسبب ما يوعز به المستشرقون، لاتخاذ العربية الدارجة البعيدة كل البعد عن الفصحى كلغة للتفاهم في المغرب العربي، والحل هو تقريب الشقة بين اللغتين عندما يتجنب الأديب أو المؤلف الألفاظ الغريبة، فينزل إلى مستوى الشعب ليعبر عن مطامحه باللغة التي يفهمها." [1]

لقد ناقشَ النقدُ الأدبي مشكلةَ التعبير اللغوي في الكتابات الدرامية، وكان ذلك النقد، حتى المتشدد منه، أكثر ميلا إلى التباسط مع العامية، باعتبارها حالة واقعة لا بد من الاعتراف بحضورها في الكتابات الأدبية، فهي لهجة المتلقي التي تعبر عن واقعه وكل ما يعتريه، كما أنها قادرة على التعبير عن الأحداث وأبعاد الشخصيات، وقادرة على إثارة الكوميدي والتراجيدي وتكوينهما ببراعة متناهية تؤدي الغرض الذي وضعت لأجله، فصار لها جمهورها الواسع وأضفت سحرها الخاص على مختلف القصص والكتابات الدرامية مما جعلها تتحكم في تغيير الذوق الاجتماعي.

كما أن هناك سمة أخرى من سمات اللغة في التعبير الأدبي الجزائري ألا وهي استخدامه لأكثر من مستوى لغوي واحد، فنجد الفصحى إلى جانب العامية والعامية إلى جانب اللهجة القبائلية فاللغة الفرنسية.. وكل هذه المستويات اللغوية مكمل للآخر ومكون للبنية اللغوية للمجتمع الجزائري، فقد" صدرت حديثا بعض الكتب الناطقة بالفرنسية، التي بدأت تولي أهمية خاصة لنشأة المسرح الجزائري المكتوب باللهجة العامية وتطوره، من بينها المسرح الجزائري لأرليت روث، ومذكرات محي الدين باشطارزي، ومذكرات علالو شروق المسرح الجزائري." [2] فقد زاوج المسرح الجزائري في كثير من الأحيان بين الفصحى والعامية والفرنسية والقبائلية واستطاع أن يبلّغ الرسالة بمضامينها الواسعة، لأنها عبرت بصدق عن واقع المجتمع الجزائري، وحققت الأساليب غايات جليلة في الأوساط الاجتماعية وعلى مستويات عريضة. وإذا عدنا مرة أخرى إلى لغة التعبير الجزائري بصفة عامة، فهي في اعتقاد بعض الكُتّاب الجزائريين، مثل مولود معمري وكاتب ياسين، تتكون من أربع مستويات تمثلها أربع لغات في الجزائر، وذلك على النحو الآتي:

– المستوى الأول: تمثله اللغة العربية وهي اللغة الرسمية، وهي في نظر هؤلاء في الوقت نفسه ليست لغة أي أحد من الجزائريين.

---

[1] _ أحمد طالب الإبراهيمي: من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية (1962 - 1972) ترجمة :حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1972،دط،ص:27.

[2] _ العمري بوطابع، المسرح الجزائري (1938–1966) دراسة نقدية فنية، أطروحة دكتوراه من جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر، لسنة الجامعية : (2010/2009)

– المستوى الثاني: تمثله اللغة الفرنسية ووضعها القانوني غير واضح، لكنها تتمتع بمكانة مرموقة لأنها لغة التعامل اليومي، وهذا ما يمليه الواقع الاجتماعي الجزائري..[1]

– المستويان: الثالث والرابع: تمثلهما اللغتان الشعبيتان : العربية الجزائرية والأمازيغية، وهما تمثلان لغة الحديث اليومي لكل أفراد الشعب الجزائري. [2]

وقد سعى المستعمر إلى إذكاء الصراع بين اللغة العربية التي هي اللغة الأصلية والرسمية للجزائريين وبين اللغة الفرنسية التي هي لغة الاحتلال التي يُراد لها أن تلغي الأولى على اعتبار أنها (أي العربية) تمثل عنصراً أساسياً من عناصر الهوية الجزائرية إلى جانب الدِّين والوطن.. " إلا أن الصراع بين العربية وهي لغة الجزائريين الوطنية، وبين الفرنسية وهي لغة دخيلة اكتسحت نفوس بعض الجزائريين وتسربت إليهم عن طريق الاستعمار السياسي للجزائر من قبل الفرنسيين إلى نحو قرن ونصف من الزمان." [3]

إنّ ظاهرة التنوع في اللهجة الجزائرية يجب النظر إليها من منطلق الثراء اللغوي الذي يجمع بين هذه اللهجات المتقاربة فيما بينها لتشكيل أنموذج جزائري متميّز يستمدّ وجوده في الغالب من اللغة الأم، فهو تنوّع يحمل في طياته ثروة كبيرة من التراث الجزائري، ويمثل خزاناً من العادات والتقاليد التي تتميز بها كل منطقة، كما أنّ ثمة الكثير من الخصائص المشتركة بين هذه اللهجات، وهذا دليل التقارب الكبير الموجود بينها، بحُكْم التقارب الاجتماعي في العادات والتقاليد؛ وهذا التقارب لا ينفي وجود التعدد الذي يدخل في نطاق التنوع والثراء..

---

[1] – أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص169.

2 _ أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ، ص: 169.

3 _ عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925–1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ط2، ص: 19.

الفصل الثاني

مميزات لهجة منطقة غرب شمال الصحراء

بين اللهجات الجزائرية

المبحث الأول

التقارب والتمايز بين اللهجات الجزائرية

وموقع لهجة غرب شمال الصحراء

المبحث الأول :

التقارب والتمايز بين اللهجات الجزائرية وموقع لهجة غرب شمال الصحراء

توطئة :

يظهر التنوع اللهجي في الجزائر بشكل واضح ولعله تنوع مميز عن باقي الدول العربية في مختلف مناطقها الجغرافية، لاتساع رقعة اللهجات من جهة، وطبيعة اللهجة الجزائرية من حيث الصعوبة مقارنة مع اللهجات العربية الأخرى.. كما يظهر الاختلاف بين اللهجات المحلية الجزائرية فيما بينها، إلاّ أنه اختلاف تنوّع في أغلبه، إذ إنّها متقاربة إلى حد كبير على الرغم من الاختلافات الي لا تخلو منها سائر اللهجات في كل الأقطار..

إنّ المتتبع للتنوع اللهجي في الجزائر يمكنه أن يقف على عدة مواطن تتقارب فيها لهجات مختلف المناطق، على الرغم من تباعدها الجغرافي، كما يقف على مواطن الاختلاف الذي يندرج ضمن ظاهرة التنوع اللغوي؛ فضلاً عن ذلك التشابه الحاصل بين اللهجة الجزائرية ولهجات الأقطار الأخرى، ولا سيما لهجات المناطق المحاذية بحُكْم العوامل الجغرافية..

إن شساعة الجزائر منحتها تنوعا لهجيا في مختلف المناطق وجهات الوطن، وذلك لعدة أسباب مختلفة اجتماعية وجغرافية وثقافية. ذلك أنّ" وللهجة معجميا، لا يمكن تحديدها إلا بثلاثة عوامل: عامل متصل بالخطاب التواصلي الشفوي، الذي تجسده طبقات اجتماعية متباينة في مستوياتها، ووظائفها، وعامل مرتبط بموقع جغرافي منعزل حينا ومتداخل حينا آخر، وعامل يعود إلى المنظومة اللسانية نفسها."[1] أي أن الخطابات التواصلية الشفوية بين أفراد مجتمع ما، في موقع جغرافي معين وطبيعة لها ميزاتها وخصائصها، سواء أكانت منعزلة أم متداخلة مع البيئات الأخرى؛ فبتنوع البيئات والمجتمعات والمنظومة اللسانية تتنوع اللهجات، وهذا ما يتضح بجلاء في بيئة المجتمع الجزائري، ويرى بعض الباحثين أنّ " العامية الجزائرية يتمثل هيكلها اللغوي العام في هذه اللهجات الإقليمية التي تختلف من جهة إلى جهة بل أحيانا من قرية إلى قرية مجاورة لها. "[2]

فاللهجة الجزائرية، كباقي اللهجات العربية، متفرعة في أغلبها من اللغة العربية الفصيحة، فعلى الرغم من تعدد اللهجات في الجزائر وتنوعها غبر ربوع الوطن الشاسع " إلا أن هذه اللهجات الجزائرية ما لا

---

1 ــ يوسف بن نافلة ، (ديسمبر 2018) ، [الوظائف اللهجية في رواية الماء لواسني الأعرج] ، مجلة الكلم ، مجلة دورية ، جامعة بن بلة ، وهران ، الجزائر ، العدد7 ، ص 40

2 ــ عبد المالك مرتاض ، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 2012، ص 7

تزال تحافظ على صلتها باللغة العربية الفصحى لأنها تحمل في طياتها كلمات فصحى يتداولها الأفراد فيما بينهم في الحياة اليومية من دون درايتهم بأنها ألفاظ صحيحة.. "1 أي أن معظم اللهجات الجزائرية تقترب من اللغة العربية الفصحى في بعض الألفاظ والمفردات التي يستعملها الأفراد للتواصل فيما بينهم في عملية التواصل بين مختلف طبقات المجتمع. وفي هذا يرى بعضهم " أن معظم الألفاظ العامية الجزائرية فصيحة و إنما أفسدتها العامة بألسنتها، فأخذت تبتعد عن الفصحى من جهة أو من جهة أخرى.. " 2

فعلى الرغم من تفرع للهجة الجزائرية وتشعبها وتعددها تبعاً لتعدد المناطق نجدها تنحدر من لغة واحدة هي اللغة الأم (اللغة العربية الفصيحة)، ويتضح ذلك من عملية التأصيل اللغوي؛ فهي تتداخل وتتشابه في بعض التراكيب المستمدة من العربية الفصيحة؛ كما نجدها تشترك في وجود بعض الألفاظ الدخيلة على المجتمع الجزائري، نتيجة الحملات الاستعمارية المتعاقبة، ولا سيما الاستعمار الفرنسي.

ومهما يكن، فثمة تقارب وتمايز بين اللهجات الجزائرية فيما يجري تداوله في يوميات الجزائريين من الألفاظ والعبارات والصيغ والتراكيب المختلفة، ويظهر ذلك ضمن ما هو متداول في المجتمع من الأمثال والحكم، والنصوص الشعرية الشعبية وسائر الأقوال، وذلك بتأثير الموقع وطبيعة المنطقة واختلاف التجارب بين الناس. وانطلاقا من هذه الثنائية:(تقارب– تباين) بين اللهجات الجزائرية، رأينا أن نستعرض أهمّ أوجه التشابه والاختلاف بينا، ونقدّم أبرز الملاحظات المستخلصة من هذه المقارنة.

مواطن التقـارب :

يوجد تقارب وتداخل وتكامل بين اللهجات المحلية الجزائرية في كثير من المفردات والتراكيب، ونوجز هذه الأوجه التي تعكس درجات التقارب فيما يأتي:

- تتّسم كل اللهجات الجزائرية بوجود الدخيل الفرنسي باستعمال عدة كلمات أجنبية من بقايا الاستعمار داخل المجتمعات الجزائرية في التواصل فيما بينهم، نحو لفظة (تريسيتي) التي "هي لفظة آتية من التأثير اللغوي الفرنسي، غير أن لفظة الكهرباء أخذت تنتشر بين المتعلمين وتحسب هذه اللفظة البشعة ستضمحل من عامياتنا بعد زمن محدود. "[3]
- تشترك اللهجات الجزائرية في الانتماء إلى لغة واحدة هي الأصل، وهي اللغة العربية الفصيحة، وذلك على مستوى المباني والمعاني معاً..

1 ــ سلمى خنافرة ، العربية وتحديات اللهجات في الجزائر ، ص 30

2 ــ عبد المالك مرتاض ، العامية الجزائرية و صلتها بالفصحى ، ص 6

3ــ العامية الجزائرية و صلتها بالفصحى، ص 43

- تخضع اللهجات لجزائرية لعدة عمليات لسانية صوتية وصوتية وتركيبية كالقلب والإبدال والحذف والإدغام والتصغير وغيرها.
- تتطابق هذه اللهجات في بعض الخصائص التركيبية، مع تفاوت في درجات التطابق بحسب المناطق..
- على مستوى انتقاء الألفاظ ودلالاتها في التعبير تتشابه اللهجات الجزائرية غالباً، بحيث لا اختلاف بين منطقة وأخرى إلاّ في نطق هذه الألفاظ أو حدوث تغيير بسيط في شكلها.. ومن ذلك مثلاً، قولهم : (وين = أين ؛ ويكتا ، وينتا = متى ؛ واش بيك ، وش بيك = ماذا بك ؛ أكحل = أسود ؛ والو ، لالا = لا ؛ إيه ، واه ، أنعم = نعم ؛ باهْ ، باش = بماذا ... والأمثلة من هذا القبيل كثيرة.)، وعليه يمكن استعمال أيّ لهجة منها كما هي والتعامل بها في أي منطقة من مناطق الجزائر من دون أن يُطْرَح إشكال الفهم والتجاوب لدى المتخاطبين..
- تشترك هذه اللهجات في أنها لا تقوم على نظام لغوي وقواعد نحوية ثابتة، بل يمكن التصرف في استعمالها، وتبقى مع ذلك محافظة على دلالاتها ومعانيها..
- تتفق اللهجات على نطق بعض الحروف بشكل مغاير عن الأصل المكتوب في اللغة الفصيحة، كما نجد مثلاً في كلمة (رخيص) الفصيحة التي تُنْطَق في اللهجة الشعبية بالسين ترقيقا..

مواطن التمايُز :

نفضل ههنا أن نستعمل مصطلح التمايُز مقابلاً لمصطلح التقارُب، وذلك بدلاً من مصطلح الاختلاف أو التبايُن الذي يقابل مصطلح التشابُه،[1] حتّى نُثبت بأنّ الأصل هو التقارب بين اللهجات الجزائرية، وأنّ هذا التمايُز هو من قبيل ظاهرة التنوع اللغوي والثراء الذي تتميّز به اللهجة الجزائرية، لا من قبيل الاختلاف والتباعُد..

تختلف اللهجات الجزائرية في نطق بعض الحروف أو الأصوات، فلكل لهجة نطقها الخاص من حيث مخارج الحروف، والتفخيم والترقيق، والإدغام، وغير ذلك من الخصائص الصوتية أو الصرفية.. فسكان الجنوب مثلاً يفخمون ولا يشددون، على حين أنّ أهل الشمال والشرق يرققون ويشدّدون، كما نجد في الحروف الآتية : (الراء، الزّاي، اللاّم، الدّال، الضاد ...)

1 ــ يشيع في عقد المقارنات بين الأشياء استعمال مصطلحي: التشابه والاختلاف، غير أنّ الذي يبدو لنا أنّ التشابُه وإن دلّ على التقارُب فهو يدلّ على أنّ الطرفين متباعدان في الأصل، لكنهما يتفقان أو يتشابهان في بعض الخصائص.. وقد آثرنا أن نستعمل في هذا السياق مصطلحي: التقارُب والتمايُز، للتدليل على أنّ اللهجات الجزائرية متقاربة في الأصل وأنها تتمايز تمايُزاً لا يُباعد بينها، بل هو من قبيل الثراء والتنوع اللغوي..

- إبدال بعض الحروف من دون أن يؤثر ذلك على المعنى أو عملية التفاهم، كما نجد مثلاً لدى أهل الجنوب نطقهم للذّال زاياً (ذ=ز)، ونطق أهل الشمال للضاد دالاً (ض=د)، ونطق أهل الوسط للغين قافاً (غ=ق)، ونطق القاف قافاً مثلثة (ق=ق بثلاث نقط)... وهكذا من مثل هذه الظواهر الصوتية المتعددة التي لا تعطّل عملية التواصل.
- تختلف اللهجات في نطق بعض الكلمات الدخيلة من اللغة الفرنسية خصوصاً باعتبارها أكثر اللغات تأثيرا في اللهجة الجزائرية، ونعني هنا الكلمات المنقولة مباشرة من الفرنسية إلى العربية باللهجة الشعبية، كما نجد في كلمة : (غاز المقابلة لكلمة gaz بالفرنسية) فهناك من يفخمه فينطقها كما في لغتها، وهناك من يرققها ؛ وكلمة: (صالة المقابلة لكلمة sallon بالفرنسية) بترقيق اللام فيها أو تفخيمها.. ومثل هذه الكلمات كثير..
- تتباين لهجه المناطق الشرقية عن لهجات باقي المناطق في مخاطبة المذكر بضمير المؤنث، ومخاطبة المؤنث بضمير المذكر، كان يقال: أنتَ للمؤنث، وأنتِ للمذكر، أو يقال للمذكر : أسمعتي، ويقال للمؤنث: أسمعتْ، وهذا يقتصر على الفعل الماضي دون المضارع.. وما أكثر الأمثلة من هذا القبيل، لكن هذا امر مألوف لا يسبب أي خلل في عملية التواصل..
- كما تتباين لهجة الغرب عن سائر اللهجات في إتمام الفعل بأنواعه – في صيغة الغائب– بضمير الهاء التي يشبه هاء السكْت، فيقولون مثلاً : كلّمْتَهْ ، نْكَلّْمَهْ ، كلّْمَهْ، بينما يقال في المناطق الأخرى: كلَّمْتُو ، نْكَلّْمُو ،كلّْمُو ؛ بمعنى: بمعنى: كلَّمْتُهُ ، أكلّمُهُ ، كلّمْهُ... ويقاس على هذا بقية الأفعال التي تاتي على هذه الشاكلة..

نخلص من هذه المقارنة بين اللهجات الجزائرية أنّ أوجه التشابه بينها أكثر من اوجه الاختلاف، كما أنّ ما يوجد من التباين بينها لا يؤثر سلباً على عملية التواصل، إذْ نجد الناس يتواصلون ويتفاهمون من دون أدنى إشكال يُطْرَح، على الرغم من اختلاف اللهجة والمنطقة، وهذا دليل على أنّ قوة درجة التقارب بين اللهجات الجزائرية، وعليه نؤْثِرُ أن نستعمل ههنا مصطلح التمايُز لا مصطلح الاختلاف، لأنّ هذا التمايُز نابع من التنوع اللغوي لا من مجرد التباعد بين هذه اللهجات..

التعريف بمنطقة غرب شمال الصحراء وموقع لهجتها بين اللهجات :

*** أولاً : تقديم فكرة موجزة عن منطقة الدراسة :**

تضمّ هذه المنطقة التي هي موضوع الدراسة عدن جهات تشغل مساحة شاسعة، وتتمثل هذه الجهات في مدينة الأغواط بضواحيها وهي كثيرة واسعة ؛ ومن الشمال مدينة الجلفة بضواحيها وهي أكبر

المناطق السهبية مساحة وسكاناً ؛ وجزء من مدينة المسيلة متمثلاً في مدينة بوسعادة ؛ ومن الغرب مدينة آفلو وجزء من مدينة البيّض ؛ وإلى الجنوب جزء من مدينة بريّان.. وسيتم تركيزنا ههنا على منطقتي الأغواط والجلفة، باعتبارهما تمثلان النواة الأساسية للدراسة؛ وما نقوله عنهما ينسحب بالضرورة على الضواحي التابعة لهما، نظراً للتطابق بين الاستعمالات اللهجية في كل هذه المناطق والضواحي.. وإن كان تركيزنا سيكون على منطقة الأغواط أكثر، باعتبارها تمثل مركزاً ونواة لمنطقة الدراسة..

تأسيس مدينة الأغواط:

يعود تأسيس مدينة الأغواط التي هي مركز المنطقة إلى عهد قديم، فهي من المدن الجزائرية العريقة، ففي " القرن العاشر كان على ضفة واد جدي (مزي) واحة نخيل أين تمّ بناء اغواط ويصعب معرفة تاريخ نشأة المدينة بدقة في حين أن البعض يرجع ذلك إلى الفترة الهلالية سنة 1045م." [1]

كما تحدث الكّتّاب والمؤرخون عن هذه المدينة لما لها من وجود قديم وتاريخ حافل قبل مجئ الاستعمار الفرنسي.. فقد " ذكرت الأغواط في كتاب ابن خلدون[2] وهذا خلال القرن الثالث عشر الميلادي، كما ذكرها العياشي في رحلته عام 1662م3 عندما نزل الركب أمام الأسوار وذكرها الدرعي سنة 1709م4 عند دخوله إلى المدينة وغيرهم من الذين ألهموا بسحر واحاتها الجميلة ووادي مزي والجبل المبسوط داخل المدينة...وفي سنة 1857م عثر أحد الفرنسيين وهو الدكتور مايلوفير (Maillefer) على ميدالية رومانية في المكان الذي بني به برج موران[5] في أعلى الجبل في حين يرجح المؤرخون تاريخ إنشاء الأغواط وتسميتها إلى عهد مغراوة وهي قبيلة قديمة جدا كانت تسكن الخيم وسط المغرب تمتد من الأغواط إلى غاية تلمسان وعند دخول الإسلام إلى المنطقة اعتنقه السكان بصدق لما وجدوا فيه من مكارم الاخلاق، حيث نزع عنهم عادات الجاهلية. كما تساءل البعض هل كان لقبيلة مغراوة لهجة خاصة أم كانوا يتكلمون العربية..." ويرى بعضهم أنّ مدينة الأغواط " تُعَدّ أقدم مدينة

1 _ مراحل واشواط من تاريخ وتراث منطقة الأغواط، ص26

2 – ابن خلدون عبد الرحمان بن زيد 1406/1332م.

3 – أبو سالم العياشي رحلة سنة 1662م رحالة مغربي من أصل فاسي 1699/1628م

4 – أبو العباس سي احمد بن مُحَمَّد بن ناصر الدرعي – الرحلة الحجازية 1709م .

5– E.FAGNAN R.A.tome 37 P.365/368 Année 1893 Office de Publication Universitaire Alger Edition N° 21310985.

إسلامية في منطقة الواحات الجزائرية، إذ يرجع تأسيسها على أقلّ تقدير إلى القرن الرابع الهجري، أيام الدولة العبيدية.." [1]

وقبل مجئ الاحتلال الفرنسي، كانت الأغواط من أهم المدن على مستوى الصحراء الوسطى والغربية التي لم يتوقف الكتاب عن التأكيد بأنها عاصمة الصحراء، يقول الفرنسيون عن الأغواط بأنها مهمة جدا بالنسبة للصحراء كما هي الجزائر مهمة بالنسبة للبحر، حيث تجمع سكانها والعروش المجاورة علاقات حميمة ..فقصورها بنيت عند غابات النخيل وهذا تزامنا مع وصول بعض العائلات من الزيبان وناحية مشرية وهم بدلة، ندجال أو نجال، سيدي ميمون وقصبة بن فتوح في الشمال، بومندالة وبن بوطة في الجنوب وهم على شكل أرصاد أو حراس في أماكن متفرقة، ومع وصول سيد الحاج عيسى رأى أن هذه القصور ليست موحدة ففي خلال سنة 1700م[2] تجمعت وأصبحت مدينة قوية وبدأت المدينة تتطور وتزدهر حتى وصل عدد السكان ما بين 3000 و4000 نسمة..

الموقع الجغرافي والخصائص الطبيعية والعمرانية :

مدينة الأغواط (المدينة التاريخية العريقة) هي إحدى الولايات الجزائرية الثماني والأربعين، تحمل الرقم (03) ضمن التقسيم الإداري للبلاد، يحدها شمالا ولاية تيارت ؛ وغربا ولاية البيض؛ وجنوبا ولاية غرداية ؛ وشرقا ولاية الجلفة. ومدينة الأغواط هي مقرّ الولاية؛ تتوسط منطقة الأطلس الصحراوي وتتمركز في قلب منطقة السهوب..

تشتهر المدينة طبيعيا بالنخيل الباسقة والأشجار المثمرة والبساتين والحدائق الغناء، كما أنها تعرف بتربية المواشي بحكم طابعها الرعوي والسهبي. وتتميّز مدينة الأغواط وكل ضواحيها بالحفاظ على العادات والتقاليد الموروثة من الأجداد جيلا بعد جيل، إذ يتميّز أهلها بكرم الضيافة والأُلْفة والترحيب بالضيوف، ونجدة المستغيث ومساعدة المحتاج والتحلي بسلوك التضامن الجماعي. واسمها على الأرجح مستمدّ من الغوط، وهي الحدائق والبساتين التي كانت تُعْرَف بها قديماً. وجاء في المعجم أنّ " (الغوطة) الأَرْض المنخفضة، و(الغوطة) مُجْتَمع النَّبَات وَالْمَاء وَمِنْه غوطة دمشق." [3] وفي هذا يقول شاعرالثورة الجزائرية مفدي زكرياء مفتخراً بالمدينة، كما فعل مع سائر المدن الجزائرية في إلياذته المشهورة : [من المتقارب]

1- مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط، جمع وتنظيم وتحقيق خالد بوزياني، منشورات اتحاد الكتّاب الجزائريين، فرع الأغواط، أعمال الملتقى الأول، أفريل 1998م، من مقال للدكتور بديار بشير بعنوان: أعلام الثقافة بمنطقة الأغواط، ص103

2 – وفي رواية انه خلال سنة 1550م عندما حاصرها سلطان المغرب مما يدل على تنظيم المدينة وتحصيناتها.

3 _ المعجم الوسيط، 666/2

أبالغوطتيْن يباهي الشـآم ** وأغواطنا بالشـآم استخفّـا

كأنّ حدائقه العابقـات ** نوافج مِسْـك تضوّعْن عُرْفَـا

وقد ظلت الأغواط تمثل الطريق الرئيسي للقوافل القادمة من مختلف الجهات وهي كذلك بوابة للصحراء، موقعها جد مهم بوجودها على الجهة اليمنى لوادي مزي وبوجود وادي مساعد جنوبا ؛ وهي في خط ملتقى بين الجزائر، غاو، مراكش وتوزر وهو مدار قطب شرق غرب وطريق القوافل[1]، وتأتي شمالا على خط 48°_38°، وشرقا على خط طول 3°شرقا، أما ارتفاعها على سطح البحر فيبلغ حوالي 700متر ، على السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي، ونشأتها كانت على الهضاب عرفت بتزقرارين. أما بساتينها وأراضيها الفلاحية فبعضها يقع شمال تلك الهضاب، وتسمى الأولى بالواحات الشمالية، وتقابلها الواحة الجنوبية؛ وبعضها الآخر الضاية القبلية (الجنوبية) وتقابلها الضاية الغربية.[2] فهي إحدى المناطق الداخلية معتدلة المناخ و الطبيعة..

تحيط بالمدينة أسوار عالية مبنية بالحجارة الصلبة والطوب (القالب) المصنوع من التراب والطين والجبس يعلو هذه الأسوار برجان أحدهما في الجهة الشمالية الشرقية للجبل ويسمى برج موران (Ford Morand) والآخر في الجهة الجنوبية الغربية يدعى برج بوسكارين (Ford Bouscarin) هذه التسمية نسبة للجنرالين الفرنسيين اللذين قتلا من طرف المقاومة الشعبية في أواخر سنة 1852م إثر الهجومات المتتالية للقوات الفرنسية قصد احتلال المدينة، وقد يكون تمّ بناؤهما في أماكن أبراج المدينة القديمة وهما البرج الشرقي والبرج الغربي على قمة الجبل الذي يتوسط المدينة. [3]

وتشتهر الأغواط كبعض المدن الجزائرية الجنوبية بالنخيل وببساتينها الضاربة في جذور التاريخ، كانت أول نشأتها على هضبات عرفت بتزقرارين تتميز المدينة بطابعها العربي الأصيل الذي يعود إلى مؤسسيها العرب الهلالين- على أنقاض المدينة الأمازيغية المندثرة- خلال العصور الوسطى في القرن الحادي عشر للميلاد: ق11م. كما أنّ لدى الأغواط مميزات كثيرة فوقوعها على ملتقى الطرق التي تتفرع نحو الغرب إلى أولاد سيدي الشيخ، وإلى الجنوب نحو ميزاب وورجلان (ورقلة)، وإلى الشرق نحو الزيبان (بسكرة)، وإلى الغرب نحو وهران وقسنطينة جعل منها مركزاً تجارياً مهماً. وتشتهر المدينة بأحيائها وأزقتها القديمة "كزقاق الحجاج " وزقاق الطاقة وزقاق الزبارة، وغيرها من الشوارع ذات التسميات القديمة..

1- E. Fromentin, Un été dans le Sahara .P.133. Ibid 1853

2 _ ينظر، مداني لبتر ، الأغواط صفحات من الحضارة والتاريخ ، ط 1، 2006، دار هومة ، ص 13 _14

3 _ صادقي مخلوف، مراحل واشواط من تاريخ وتراث منطقة الأغواط، ص24

المجال التجاري :

ظلّت مدينة الأغواط منذ القديم " مدينة محصنة جيدا بها عدد هائل من التجار والثروات المتنوعة من الصوف، الوبر، الأغنام، الخيول، الجمال، الماعز، الحلفاء والنسيج ويذكر كذلك وجود بني ميزاب واليهود الذين يملكون الدكاكين؛ حتى أصبحت مركزا مشهورا ومعروفا بالحلي والفتايل الذهبية والفضة والألماس والجواهر والنحاس المبيّض.." [1]

وهي اليوم تشتهر بثرواتها الطبيعية خصوصاً إنتاجها للغاز الطبيعي، بحيث تتواجد بها حقول مهمة بمنطقة حاسي الرمل، وبها احتياطي ضخم من هذه المادة الحيوية مما أهّل الجزائر لأخذ مكانة مرموقة عالميا في مجال الطاقة، وتضخ هذه المادة عبر عدة أنابيب لتغذي أوروبا بأجود أنواع الغاز الطبيعي. ومن أشهر أنابيت الغاز التي تنطلق من منطقة حاسي الرمل من ولاية الأغواط وعبْر مدينتها باتجاه أوربا أنبوب الغاز المتجه نحو إيطاليا، ويمر على مشارف المدينة من الناحية الغربية الشمالية..

المجال السياحي:

وهناك مواقع سياحية متعددة بضواحي المدينة، منها : قصر كوردان بدائرة عين ماضي التي تبعد بـ70 كلم غرب شمال المدينة، ويوجد بهذه الدائرة مقر الزاوية التيجانية التي تُعَدّ إحدى أكبر واشهر الزوايا على مستوى العالم العربي وإقريقيا، ولها امتدادات في عدة دول عربية وإفريقية..

وقداشتهرت منطقة عين ماضي بقصر كوردان (Cour des Dames) فناء أو ساحة السيدات وهو قصر سياحي تمّ بناؤه سنوات 1872م حيث اشتهر بالزخرفة والهندسة المعمارية، توجد أمامه مقبرة عائلة سي أحمد التيجاني ومقربيه من بينهم الزوجة المسماة أوريلي بيكار وأحمد عمار التيجاني.

ويوجد بعين ماضي محط السلطان يذكر أن هذا القصر بناه الأمير عبد القار سنة 1838م عند مروره بالمنطقة ويذكر أن أول مدرسة فرنسية بنيت بعين ماضي كانت سنة 1864م. [2]

ومن أهم المناطق السياحية بالأغواط منطقة الحصباية والرميلية بمدخل بلدية سيدي مخلوف على حدودها، حيث توجد آثار لرسوم صخرية قديمة منحوتة منذ آلاف السنين، وهي مصنفة ضمن الآثار المعترف بها عالمياً؛ وقد " جاء في بعض المصادر والمراجع أن سيدي مخلوف تواجد خلال القرن السادس الهجري، وهو شيخ كبير وعالم قدم إلى المنطقة بعد عدة أسفار حيث أنشأ زاوية شرق بلدة تعظميت يمتد

---

1 George Hirtz L'Algerie Nomade et Ksourienne1830/1954 P.145 Diffusion LACUSSEL 1988.

2 _ صادقي مخلوف، مراحل وأشواط من تاريخ وتراث منطقة الأغواط، ص190

شعاعها إلى كامل الصحراء وبها نال مرتبة سلطان الصحراء. [1]. وأمّا الزاوية التي أنشأها فهي " تتمثل في خيمة كبيرة توقد أمامها النار ليراها المارة في الليل فيهتدون اليها.. [2] وقد كتب الكثير من الفرنسيين عن المخاليف كما ذكرناه، تجمع أحفاد سيدي مخلوف وعدة (زورة) أو الطعم اي يطعمون الطعام تقام هذه الوعدة بعد موسم الحصاد... مع بداية فصل الخريف من كل سنة.. [3] ويؤُمّ مدينة سيدي مخلوف منذ القديم وفود من المخاليف وغيرهم من القبائل المجاورة، وحتى البعيدة للمشاركة في هذه التظاهرة السنوية (الوعدة / الزورة)، بحيث يتم فيها الذّكْر وقراءة القرآن وذبح الذبائح لإكرام الوافدين وإطعام الفقراء والمساكين، فضلا عن النشاط المتنوع الذي رافق هذه التظاهرة في السنوات الأخيرة..

وهناك أيضاً منطقة الغيشة بدائرة آفلو التي تقع غرب المدينة على بُعْد 100 كلم، وتتبعها بلديات: تاويالة، أنفوس، لالماية؛ وهناك منطقة منطقة عين سفيسيفة ببلدية الحويطة التي تبعد عن المدينة بحوالي 35 كلم إلى الشمال الغربي، وهناك منطقة مادنة ببلدية حاسي الدلاعة الواقعة على بُعْد 80 كلم جنوب المدينة؛ وتشتهر هذه المنطقة بفوهتها الناتجة عن سقوط نيزك في غابر الزمان، وتعد هذه الفوهة الرابعة من حيث العمر، والثانية من حيث الحجم في العالم، بعد تلك التي توجد بمنطقة أريزونا الأمريكية..

وهناك مناطق أخرى بها آثار قديمة تدلّ على تاريخ هذه الربوع وعراقتها، وإنما ذكرنا أشهر الأماكن التي يتم تداولها بين الباحثين والمهتمين بتراث المنطقة..

المجال التعليمي والثقافي :

فضلاً عن المدارس القرآنية والكتاتيب التي انتشرت في مدينة الأغواط وضواحيها منذ القديم،عرفت مدينة الأغواط نشاطا تعليمياً وثقافياً متنوعاً، يتمثل في إنشاء المدارس والجمعيات، إذْ " يذكر أن أول مدرسة فرنسية بنيت بالجنوب الجزائري هي بمدينة الأغواط وتسمى مدرسة الوسط (Ecole du Centre) تمّ بناؤها سنة 1856م[4] ثم مدرسة ثانية تمّ بناؤها سنة 1863م بالشطيط بجوار مسجد سيدي الشيخ قديما... وقد بلغ عدد المتمدرسين سنة 1900م 450 متمدرسا من بينهم 355 ذكورا

1- Administrateur de l 'Annexe de Laghouat Tale N° 1087 du 04/02/1928. Ibid

2- مُحَمَّد جريدان المدعو أفلاطون شيخ الزاوية الشريفة، سيدي مخلوف، الوكيل (المقدم) ال27 حسب الاحصائيات.

3 حسب الكاتب الفرنسي أوميل ديرمانغام في كتابه (Le Pays d'Abel) الوعدة بمثابة وعد قطعه الأوائل وتعاهدوا من أجل الالتقاء عند ضريح جدهم كل سنة وهي أقدم وعدة تقام بالمنطقة يذبح الثور (الفرد) والشاة السوداء (النعجة الدرعة) يوزع اللحم على السكان، أما الأركاب (الركب) هي قوافل الفرق تأتي فوق الجمال والخيول.

4- بشير بديار، ابن كريو، حياته وحبه وشعره، مطبعة بن سالم /ط1 (2009) ص39

و150 إناثا، أما المدارس فكانت موزعة بين المدينة وبعض المناطق القريبة منها، ففي مدينة الأغواط ثلاث مدارس 02 للذكور وواحدة بنات، وفي منطقة عين ماضي مدرسة للذكور ومدرسة للبنات، وفي منطقة قصر الحيران مدرسة واحدة للذكور، وفي منطقة العسافية مدرسة واحد للذكور، وفي منطقة المخرق مدرستان واحدة ذكور وواحدة للبنات...

وكانت المدارس تحت أعين الاستعمال يوجهها كيفما يريد وفقا لأهدافه من محاربة التعليم القرآني واللغة العربية.. فكان لا يسمح إلاّ بقدر محدود ومعلوم من التعليم، ولكن هذا لم يمنع من وجود المدارس العربية الحرة التي تتمثل في مدرسة التربية والتعليم والتي حملت اسم أحمد الشطة، وهي تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المعروفة بمدرسة العلماء بنيت سنة 1949/1947م وهي بناية صلبة واسعة تتكون من ستة أقسام بها قسمين خصصا للبنات، أما مجموع المتمدرسين فقد بلغ 565 من بينهم 52 بنتا وعدد آخر يزاولون التعليم بالمدارس العمومية..[1]

وهناك مدارس على مستوى المساجد ومدارس خاصة بالأحياء أو البيوت دون أن ننسى الخيم المنتشرة في البوادي تعلم كتاب الله تخرج منها علماء أجلاء وفقهاء تعلموا بالطريقة التقليدية المتمثلة في الدواية المصنوعة من صوف (وذح) الشاة والقلم المصنوع من القصب واللوحة من الخشب والصلصال وهو نوع من الطين والختمة عند نهاية الحزب والتصريف وهو جولة يقوم بها الطالب حول البيوت أو الدوار ليجمع نصيباً من النقود أو المواد الغذائية، (بعد أن (يَعْرَضْ: أي يقوم باستظهار ما حفظه لتأكيد حفظه، حتى يكون جديرا بما يُقَدّم له) .

وهناك (التكرار) الذي يقوم به حفظة القرآن في الزوايا والكتاتيب، وهو تلاوة الحزب الراتب جماعيا وهي طريقة للحفظ حتى لا ينسى الطالب ما حفظه من كتاب الله والأجرة التي تسلم للطالب (المعلم) من طرف القندوز (التلميذ) ومما يردده الطلبة في الكتاتيب قولهم: (أَنْعَمْ سيدي سرحنا يْسَرَّحْ قلبك للجنّة والبربوشة تستنّى عند الباب البرّاني.)[2]

كما اشتهرت الأغواط قديما كباقي المدن بوجود الجمعيات والنوادي والحركات مناهضة لسياسة الاحتلال، وأشهرها جمعية العلماء المسلمين التي اغتنمت الفرصة بمكوث الشيخين مبارك الميلي والبشير الابراهيمي بالأغواط، إذْ تمّ ببناء المدرسة العربية التي قدمت أمثلة رائعة في الدفاع عن الثقافة العربية

1 – ينظر، صادقي مخلوف، مراحل واشواط من تراث وتاريخ منطقة الأغواط، ص213

2 – هذه العبارة رجاء من الطلبة (القْناديزْ: بالقاف المثلثة) لسيدهم (الطّالبْ: أي: معلّم القرآن) وتعبير منهم عن الرغبة في الخروج (التَّسْراحْ) بعد أن يقضوا ساعتيْن أو أكثر يومياً في الصباح وفي المساء، ص214

والاسلامية وعدم ترك الفرص للمعارضين وكذا حكام الاحتلال، كما تعمل الجمعية على محو الأمية، ومن أهم النوادي في المدينة نادي الأدب الذي تمّ تأسيسه سنة 1937م بالإضافة إلى فرقة الثريا 1939م التي شاركت في مهرجانات خارج الوطن كمهرجان القاهرة الدولي، كما تأسس فريق نادي هلال الأغواط متزامنا مع الجمعيات وتوالت الأحداث لتظهر الصحافة المحلية... [1]

وإلى جانب ما ذكرنا كان للزوايا دور كبير في تعليم الناس وتحفيظهم القرآن الكريم وتعاليم الدين الإسلامي، ففي بعض المناطق والضواحي حيث تقلّ المدارس " حلّتْ الزوايا محل المؤسسة التعليمية واضافتْ إلى دورها التربوي المحض دوراً ثانياً لا يقلّ شأنا عن الأول، يتمثل في الترقية الثقافية مع إعطاء الفرص لكل فرد من المجتمع في التعلُّم.." [2]

ومن مظاهر النشاط التعليمي الذي كانت تقوم به الزوايا بالمنطقة تحفيظ القرآن الكريم ، وتعليم الحديث الشريف مع الشروح المعتمدة كموطأ الإمام مالك، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، غضافة غلى حفظ المتون وشرحها.. وذلك في إطار " الفقه المالكي، وكان الطالب يدرس بالتدرّج فيبدأ بمتن ابن عاشر مع شرحه (الميّارة الكبرى والصغرى)، ثم ينتقل إلى رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وينتهي إلى مختصر خليل بن إسحاق..." [3] إضافةً إلى متون العقيدة الأشعرية، ومتون اللغة العربية..

لقد كان لهذا النشاط التعليمي والثقافي دور بارز في تنوير العقول، ومن أبرز ما يمكن الإشارة إليه من آثار هذا النشاط: " اتساع الأفق الثقافي لدى بني الأغواط الذين أصبحوا من خلال مطالعاتهم وندواتهم الفكرية المعهودة يلتقون بأبرز الشخصيات الصوفية كالإمام الجنيد والإمام ابي حامد الغزالي والشيخ محي الدين بن عربي، وغيرهم.. وتكوّن تدريجياً شعور الانتماء إلى تاريخ ثقافي مشترك وفضاء عقائدي واسع..

ومن أبرز آثار النشاط التعليمي والثقافي الاهتمام البالغ بتكوين مكتبات خاصة تضمّ كُتُباً قيّمة ذات مستوى ثقافي عال تعتبر من أمهات كتب التصوف، ونذكر من بينها : الرسالة القشيرية للإمام القشيري؛ كشف المحجوب لأرباب القلوب للإمام الهجويري؛ مؤلفات الإمام عبد الوهاب الشعراني؛

1 – صادقي مخلوف، مراحل واشواط من تراث وتاريخ منطقة الأغواط، ص215

2 – مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط، جمع وتنظيم وتحقيق خالد بوزياني، منشورات اتحاد الكتّاب الجزائريين، فرع الأغواط، أعمال الملتقى الأول، أفريل 1998م، ص138

3 – مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط، ص139

الحِكَم العطائية لعطاء الله السكندري؛ الرعاية لحقوق الله للإمام الحارث المحاسبي؛ الإبريز للشيخ عبد العزيز الدباغ؛ إحياء علوم الدين للغمام أبي حامد الغزالي." [1]

وفي مجال النشاط المتعلق بالإبداع الأدبي كان لأهل المنطقة حظ وافر وأثر بارز، يتمثل في الغنتاج الأدبي، ولا سيما الشعري منه في موضوعات متعددة، نظرا لما تميّزوا به من المَلَكَة في تعلّم اللغة العربية بعلومها وفنونها المختلفة.. ومن ذلك تذوقهم للأدب وإقبالهم عليه من مصادره ومنابعة العربية الأصيلة، حتّى تكوّن لهم رصيد أدبي كبير.. وكانت هناك نخبة من الكُتّاب والأدباء يقدّمون نماذج أدبية راقية، خصوصاً في مجال الإبداع الشعري.. واستعملتْ في هذا المجال لغة الفصاحة إلى جانب اللهجة الشعبية، وتارة تمتزج هذه بتلك في لغة وسط تُتاح للجميع ليفهموا معانيها ويدركوا مقاصدها، خصوصاً إذا تعلّق الأمر بالإصلاح التربوي والتوعية بأوضاع البلاد في زمن الاحتلال.

وكانت القصائد الشعرية في عمومها حول الموضوعات الآتية : قضايا التوحيد ؛ مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ التربية الروحية ؛ مدح شيوخ الطُّرُق؛ ؛ الحثّ على التحلّي بالأخلاق العالية في المجتمع ؛ وصف المجالس والرحلات والأسفار ؛ الافتخار بمآثر العلماء والإشادة بجهودهم .. ومن المبدعين في هذا المجال ما قدّمه ابن الدّين الحاج عيسى (ت1896م) من القصائد التي كانت ذات نزعة صوفية، علما أنه من تلاميذ الشيخ موسى بن حسن المصري الأصل(ت1849م) وهناك قصائد حفيده الشيخ الحاج عيسى عيسى. وفضلاً عن كونه شاعراً وأديبا متصوفاً فإنّ لابن الدين الحاج عيسى كتابات أدبية أخرى، من أبرزها كتاب(الرحلة) يصف فيه رحلته من مدينة الأغواط إلى أرض الحجاز، وقد أوردها الكاتب والمؤرخ الجزائري المعروف أبو القاسم سعد الله، ووصفه بالرحالة البارع، وقد قام بنشر هذه الرحلة التي تعدّ من أبرز ما كُتِبَ في باب الرحلة في القرن التاسع عشر. [2]

ومن مؤلفات الشيخ ابن الدين أيضاً: (رسالة الكواكب الدرية في جواب من سأل عن الحقيقة المحمدية ؛ تقييد شرح على فصوص الحكم ؛الإبريز المنسبك في تفضيل الآدميّ على الملك) [3] وهناك عدد كبير من الأعلام بالمنطقة، وإنما هذه بعض الإشارات إلى أنّ المنطقة عرفتْ حركة وفكرية وتعليمية وثقافية واسعة على الرغم من قيود الاحتلال وتضييقه على كل نشاط فكري.. كما كانت هناك رحلات علمية لبعض الأعلام إلى مراكز العلْم خارج البلاد.

1 – مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط، (كانت وفاة الشيخ بن الدين في عام 1314 هـ/ 1896م) ص141-142

2 – ينظر المرجع نفسه، ص141-142

3 – المرجع نفسه، ضمن مقال للدكتور بشير بديار بعنوان: أعلام الثقافة بمنطقة الأغواط، ص119

لقد ذاع صيت مدينة الأغواط بعدما تربعتْ على مكانة مرموقة عالية في الجانب الثقافي، ولها تاريخ عريق في هذا الجانب، فالمعروف عن أهلها من القدم تقديسهم للعلم والعلماء، والدليل على ذلك وجود مكتبات خاصة ومخطوطات في عدد كبير من البيوت لدى السكان. ويستنطق دليل هذا القول المشايخ المعاصرون من ذوي المعرفة العالية والاهتمام الثقافي بأغلب العلوم..

وبالإضافة إلى الأدباء وفحول الشعراء الذين تزخر بهم المدينة وضواحيها. ومن أشهرهم رائد الشعر الشعبي الملحون، ألا وهو التخي عبد الله بن كريو(ت1921م) الذي ذاعتْ شهرته في العالَم. وقد غنّى قصائدة المتميزة عدة فنّانين بعدة دول، منهم الفنان الراحل خليفي أحمد.. ويعبّر ابن كريو عن اعتزازه بانتمائه إلى مدينة الأغواط، وممّا يقول في ذلك، في قصيدة من أشهر قصائده: [1]

أنا من لغواط ما نيشي منا بِسْوالك فكّرتني هاضو لعلال

لغواط اللَي جا ،يْمِيْزو شرقينا واللّي ناسو عايشة همّة ودلال

*** ثانياً : مميزات لهجة المنطقة وموقعها بين اللهجات :**

ذكرنا آنفاً أنّ ثم تقارباً كبيراً واضحاً بين مختلف اللهجات الجزائرية، على الرغم ممّا يوجد بينها من التمايُز، وتقع لهجة منطقة غرب شمال الصحراء موقعا أساسياً بين اللهجات الجزائرية، وذلك دليل على أهميتها ومكانتها المستمدّة اساساً من صلتها القوية باللغة العربية الفصحى، وهذا مرتبط ارتباطا وثيقاً بأهمية موقعها الجغرافي عبْر امتداد العصور، وبمكانتها التاريخية ومستواها الحضاري وخصوصيتها الثقافية، فهذه المنطقة تتمركز في موقع بارز بين المناطق الجزائرية، ولها تاريخ حضاري وثقافي عريق، بحيث كانت منذ القديم معْبراً للقوافل والوفود، ومقصداً للعلماء، ومقرّاً للنشاط الديني والعلمي والتعليمي، ولهذه العوامل والاعتبارات حازتْ هذه المنطقة صفة التميُّز وارتقتْ لهجتها بين اللهجات المحلية والعربية على حد سواء..

فمن أبرز العوامل التي تميز المنطقة ولهجتها تشبّع أهل المنطقة بالثقافات العربية الأصيلة، والاعتزاز بالطبيعة البدوية في الضواحي المجاورة على الخصوص، ممّا أبقى مختلف العادات والتقاليد قائمة بين الناس

---

1 ــ ومطلع القصيدة قوله : ابراهيم شعيب – ديوان بن كريو– دار اللواء –الطبعة الثانية 1996 ص5. ومطلع القصيدة قوله :

هلكني ترّاس جا متعنينا ** ويفتّش عن نسبتي جاني سوّال

قالي بالله بديتك في الكلام تسامحنا ** لا تجحدش كون صادق في المقال

هلكني : أثار اشتياقي ؛ ترّاس : رجل ذو همّة وقيمة ؛ متعنّينا : يقصدنا أي يعنينا بالكلام ؛ نسبتي : انتمائي ؛ سوّال : سأّال: صيغة مبالغة من سأل ؛ لا تجحدشِ : لا تخفِ شيئاً تعلمه ..

لفترات طويلة إلى أن ترسختْ لدى السكان وتوارثتها الأجيال.. ومن الاعتبارات التي جعلت هذه اللهجة تبقى محافظة على قدر كبير من أصالتها بُعْدها عن مواقع تمركز الاستعمار بالشمال الجزائري، وتأخر زحفه إلى احتلالها بحوالي عشرين عاماً بعد استقراره بالمناطق الأخرى..

كما أنّ مقرّ المدينة، وهو الذي يمثّل قلب هذه المنطقة، كان ملتقى لقوافل العلماء والتجّار الذي جعلوا منها منطقة عبور بين الشمال والجنوب، امتدادا إلى مناطق أخرى موسعة؛ وهذا ما جعلها منطقة متميزة بحبّ العلْم والثقافة والعناية بالعلماء وإكرامهم وتشجيع طلبة العلم على مواصلة الطلب وتوفير ما أمكن لهم من أجل تحقيق غاياتهم.. وبهذا استفاد أهل المنطقة من هذه الحظوة التي جعلت منها بعد ذلك قبلة لكثير من الشخصيات العلمية والثقافية، إذْ تركوا فيها آثارهم وبصماتهم التي لا تزال قائمة إلى اليوم في عدة مواقع..

ومن جهة أخرى كان أهل المنطقة يحرصون على مواصلة طلب العلْم والتحصيل، فكانوا يسافرون في رحلات طويلة الأمد إلى مراكز العلم والحضارة في المعاهد الكبرى، مثل الأزهر بمصر والزيتونة بتونس وغيرهما من المعاهد العلمية والحضارية.. وقد عاد هؤلاء بالخير الكثير على المنطقة، إذ تشبعوا بالتعاليم الدينية السمحاء وتثقفوا بالثقافة العربية الأصيلة، واصبحوا من اقوى الذائدين عن الحياض بإسهامهم في تكوين الأجيال وتعليمهم وغرس مبادئ الدين الحنيف والوطنية الحقة وحبّ العربية في نفوسهم..

وكان لأعلام المنطقة في زمن الاستعمار دور أساس في المقاومة الثقافية إلى جانب المقاومة المسلحة التي اشتهرت بها المنطقة بين مختلف المناطق الجزائرية بما قدمت من التضحيات وقوافل الشهداء..

لقد تميزت المنطقة بعراقتها الحضارية وأصالتها واهتمام أهلها بالعلم والثقافة، فكانت من أهم الحواضر يقترن اسمها باسم تلمسان في الغرب وقسنطينة في الشرق، وهما المدينتان اللتان كان لهما الشأن الكبير في مجال العلم والحضارة.. ولا يزال ضريح الولي الصالح سيدي الحاج عيسى القادم من مدينة تلمسان قائماً إلى اليوم في قلب المدينة بأعلى جبل يتوسطها.. إذ طاب له المقام واستقر بها إلى أن توفي ودُفن في ترابها.. وقد كان له دور كبير في التثقيف والتعليم ولمّ الشمل وجمع الكلمة والدفاع عن الوطن، وكانت له حظوة كبيرة لدى اهل المنطقة، ولا تزال إلى اليوم..[1]

هذا، وحظي علماء المنطقة بمكانة معتبرة في مختلف الهيئات والجمعيات، كما هو الشأن مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان كتابها وبعض ابرز أعضائها من أعلام المنطقة.. وكانت لهم علاقات

1 – لا يزال مقر سيدي الحاج عيسى وضريحه قائما إلى الآن يتوسط المدينة في مكان عال، ويقوم الناس بزيارته وفاء وعرفانا بما قدمه للمنطقة عموما ومدينة الأغواط على الخصوص، وهو معروف لدى الصغير والكبير..

دائمة واتصالات مستمرة مع رئيس الجمعية الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، والشيخ الإمام البشير الإبراهيمي، والشيخ مبارك الميلي.. وغيرهم..

ومن أبرز الأعلام بالمنطقة في هذا الشأن، يُذكر على سبيل المثال: الشيخ الحاج عيسى ابو بكر الذي شغل منصب الكاتب العام للجمعية، وكان الإمام ابن باديس يزوره من حين لآخر بمدينة الأغواط، بالمدرسة العريقة التي كانت مقرا للتعليم والتكوين، وهي مدرسة الشهيد أحمد الشطة صاحب القبر المجهول؛ كما كان من هؤلاء الأعلام الشيخ احمد قصيبة الذي كان صديقا مقربا من الشيخ البشير الإبراهيمي، وكان يتردد عليه بمنفاه الذي يبعد عن مدينة الأغواط بحوالي مائة كيلومتر إلى الشمال الغربي.. كما قام الشيخ مبارك الميلي بزيارات متعددة إلى المنطقة والقى دروسه بالمدرسة المشار المذكورة آنفاً، كما فعل سابقوه من رؤساء الجمعية وروادها الأوائل رحمهم الله جميعا..

للعوامل التي ذكرناها، يجري استعمال لهجة غرب شمال الصحراء على نطاق واسع، فهي تشغل حيّزاً كبيراً في القطر الجزائري الممتدّ في الوسط الجزائري، والمتشعّب إلى مناطق أخرى محاذية..

كما تشترك لهجة منطقة غرب شمال الصحراء مع عدة لهجات أخرى في القطر الجزائري شرقاً وغرباً، وتتقاطع معها في كثير من الاستعمالات اللفظية ودلالاتها الاجتماعية والثقافية والعرفية.. وتلتقي لهجة هذه المنطقة مع لهجات عربية أخرى من المناطق المجاورة للقطر الجزائري في وتتطابق معها في ألفاظ وتعابير التي تحيل على نفس المعاني..

كما أنّ هذه اللهجة قريبة جدّاً من اللغة الفصيحة، حتى إنّ أغلب ألفاظها ذات منطلق عربي فصيح، بل إنها تتطابق معها حتى في الأمثال السائرة والحِكَم المتداولة بين الناس. بل إنّ الكثير من الاستعمالات التي يتداولها عامة الناس هي استعمالات فصيحة يتبادلونها من غير تكلُّف أو تصنُّع، لأنها نابعة من طبيعة اللهجة ذاتها..[1]

ولكي تتضح لنا هذه الاعتبارات التي أشرنا إليها بدا لنا أن نورِد بعض النماذج بهدف تأكيد ما توصّل إليه البحث من نتائج في هذا الشأن. وهي نماذج متنوعة تتجلى فيها عدة مزايا لهذه اللهجة، ومن أبرز هذه المزايا صلتها القوية باللغة الفصيحة، مع وجود بعض الخصوصيات اللهجية التي وُجدتْ في بعض اللهجات العربية الفصيحة قديماً، وهذا ممّا يؤكّد أصالتها وعراقتها، وأنّ الحملات الاستعمارية عبْر العصور لم تنل كثيراً من هذه اللهجة، ولم تؤثّر فيها كما أثرتْ فيها لغة القرآن الكريم الذي كانت العناية

1 – الملاحَظ على عملية النطق لدى أهل المنطقة أنها مختلفة عن المناطق الأخرى، كما أنّ الكلمات المستعملة ذات أصل فصيح في أغلبها، باستثناء بعض الألفاظ الدخيلة المعلومة لدى الجميع ..

بها حفظاً وتدارساً عند أهل المنطقة منذ القديم، كانت عنايتهم به من أبرز العوامل التي جعلتْ هذه اللهجة تبقى محافظة على صلتها بلغة القرآن الكريم.. وهذا ما سنتبينه في النماذج الآتية :

نماذج تطبيقية من لهجة المنطقة :

يتضح لنا ممّا سبق أنّ علاقة هذه اللهجة باللغة الفصحى هي علاقة تكامل وترابط، باعتبارها فرعاً عنها للتقارب الشديد بينهما.. ولا تزال لهجة هذه المنطقة من أهم اللهجات التي بقيت محافظة على أصالتها وصلتها باللغة العربية الفصيحة – التي هي لغة القرآن الكريم – بما تحمله (أي اللهجة) من كلمات وتعابير أصيلة يتداولها الافراد فيما بينهم في الحياة اليومية من دون درايتهم بأنها ألفاظ صحيحة فصيحة كما وردت في المصادر العربية كالمعاجم وغيرها..

وهذه الظاهرة لا تقتصر على لهجة هذه المنطقة، غير أنها تتجلى بقوة فيها؛ ويرى بعضهم " أنّ معظم الالفاظ العامية الجزائرية فصيحة وانما أفسدتها العامة بألسنتها فأخذت تبتعد عن الفصحى."[1]

إنّ هذا الابتعاد يحتّم على الباحثين أن يلتفتوا إلى هذا الجانب المهمّ في البحث في مجال اللهجات المحلية وأصولها الفصيحة، وما هو ماثل بين أيدينا اليوم يوفّر مادّة خصبة وثرية للبحث والدراسة، إن في مجال التخاطب العام وإن في مجال الحِكَم والأمثال وإن في مجال النصوص الشعرية المتنوعة المتوفرة بغزارة في هذه المنطقة..

– **أحْذَاْك** : لفظ عربي فصيح معناه (بجوارك): يُراد به القُرب من الشيء؛ وهو مستعمل كثيراً بالمعنى نفسه في اللهجة الشعبية بالمنطقة. فمن ذلك مثلاً، قولهم: (راني أحْذاك = إنّي بالقُرْب منك، أو: أراني بالقُرْب منك.) ولكنّ هذا اللفظ قليل الاستعمال فيما هو مجرد، إذْ كثيرا ما يستعمل فيما هو محسوس.

– **أسْتَنّى**: لفظ فصيح بمعنى: انتظرْ، وهو مركب من الفعل (تأنّى) مسبوقاً بالألف والسين والتا، ولا يُستعْمَل في اللهجة الشعبية للمنطقة إلاّ بهذه الزوائد التي يراد بها طلب الانتظار.. وأمّا اصل الفعل فهو التأني، وقد قيل: (من تأنّى نال ما يتمنّى)، فاقتران التأنّي بالسوابق الزائدة على أصل الفعل (تأنّى) إنما يدلّ على معنى تفيده هذه الزوائد، الا وهو تأكيد الطلب.. ومن حِكَم اهل المنطقة قولهم: (اللّي يستنّى خير من اللي قاطع ليّاسْ) بمعنى أنّ الذي ينتظر شيئاً لديه أملٌ في تحقق مطلبه ونيل ما ينتظره، وهو أفضل ممّن فقد الأمل في ذلك؛ فقولهم (قاطع ليّاسْ) معناها: أنه تأكّد قطْعاً بأنّ الأمر ميؤوس منه.

1– عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية و صلتها بالفصحى، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 2012 ، ص6

– **جُغقْمَة** : غمج الماء تناوله، والغمجة: الجرعة، هذا في اللغة الفصيحة. [1] وامّا في اللهجة الشعبية بالمنطقة فيتم قلب الكلمة بتقديم حرف الجيم على حرف الغين (أي: جغم بدل غمج) ثم إبدال الغين قافاً (جغم = جقم) وذلك وفقا للعادات النطقية لدى أهل المنطقة، إذ ينطقون الغين قافاً، وظاهرة القلب والإبدال متكررة في اللهجة الشعبية، إذْ يتم قلْب الكلمات عمّا هو متداول في اللغة الفصيحة، وذلك بتغيير مواضع الحروف (بتقديم حرف وتأخير آخر) أو بإبدال حرف بحرف آخر.. لكن الكلمة تبقى محافظة على صلتها بالفصحى، كما تحافظ على المعنى ذاته.. وهذا من مميزات لهجة المنطقة..

– **حُوْشْ** : المنزل الواسع أو الفضاء والساحة من المنزل، كلمة كثيرة التداول بلهجة المنطقة في مجال السكن والبناء، وهي كلمة فصيحة. وهذه الكلمة من الكلمات التي تتميز عن غيرها في النطق لدى أهل المنطقة، إذْ تُنْطَق بضمّ الحاء وعدم تسكين الواو، لكن مع تسكين الشين، لأنّ أهل المنطقة لا ينطقون الواو في الوسط، وإنما يستعملونها للمدّ ويفخمون الحرف الذي قبلها، بينما نرى كل اللهجات الجزائرية الأخرى تقف على الواو بتسكينها مع فتح الحرف الذي قبلها.. وهناك كلمات كثيرة من هذا القبيل، وذلك ممّا تنفرد به لهجة المنطقة دون سواها من اللهجات الأخرى..

ونجد هذه الظاهرة في المدّ بالواو ، وكذلك في المدّ بالياء ، فإذا كان المدّ بالواو تمّ ضمّ الحرف الذي قبلها، وإن كان المدّ بالياء تمّت إمالة الحرف الذي قبلها بين الفتح والكسر.. فمثال الأول، قولهم: (حُوشْ ، ذُوقْ ، لُون ، شُوكْ ، عُودْ (أي حصان) ، جُوقْ (أي دور في لعبة ما) ... وهكذا..) ؛ ومثال الثاني، قولهم: (بيتْ ، طيرْ (أي عُقاب) ، لْويزْ (أي ذهبْ) ، ويـنْ (أي أين) ، عيبْ ، سيفْ.. وهكذا..) والأمثلة من هذا وذاك كثيرة جدّا والفاظها كثيرة التداول في لهجة المنطقة، وهو من أبرز ما يميّزها عن اللهجات الأخرى، فهذه الظاهرة ممّا تنفرد به لهجة المنطقة..

– **دسّ/ يدسّ** : هي كلمة فصيحة، وتُستعمل في اللهجة الشعبية للمنطقة بالمعنى نفسه الذي تُستعمَل به في اللغة العربية الفصيحة، ومعنى: دسّ = أخفى؛ وقد جاءت في المعاجم العربية بهذا المعنى، كما ورد في الصحاح: " دسّ الشيء في التراب أي أخفاه فيه.." [2]

وتحمل هذه الكلمة معنى آخر في اللهجة الشعبية للمنطقة، وهو حفظ الشيء والعناية به، وهو معنى قريب من المعنى الأول الذي هو الإخفاء، فلكي يتم الحفاظ على الشيء يتم دسُّه.. غير أنّ الدّسّ لا يكون دائما بمعنى الإخفاء في لهجة المنطقة، فقد يكون لمجرّد الحفاظ على الشيء من دون الحاجة إلى

1- ينظر، معجم الصحاح للجوهري، اللفظ رقم: 332

2 – الجوهري، مختار الصحاح، (د س) ج 1 ص 86

إخفائه.. إذ يقول قائلهم : (دسّْ هذي الأمانة عندك حتَّانْ نقولك أعطيهالي..: أي احفظها أو احتفظ بها عندك إلى أن اطلبها منك..) ، كما قد يكون المعنى هو الإخفاء، كقولهم مثلاً: (دسّْها وما تْــوَرّيــها لْحَتّى واحد = احتفظ بها عندك وأخفها حتى لا يراها أحد) فهنا توجد قرينة تجعل اللفظ يدل على معنى الإخفاء، مع أنّ معنى الحفاظ على الشيء موجود أيضاً..

والخلاصة أنّ دلالة اللفظ على معنى لا يعني عدم دلالته على الآخر، لأن مجال الدلالة واسع تحدده ظروف التخاطب وسياقات التواصل..

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى في وأد أهل الجاهلية للبنات وشعور أحدهم بالعار إن وُلدتْ له بنت، قال تعالى: ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. ﴾ [النحل/59]، فقوله : (أم يدسه في التراب بمعنى : يئدها : وهو : أن يدفنها فيه حية ، كما كانوا يصنعون في الجاهلية..) لأنّه إن أبقاها أبقاها مهانة لا يورثها ، ولا يعتني بها ، ويفضل أولاده الذكور عليها.. فيلجأ عندئذ إلى وأدها..

– **سْرَطْ** : جاء في المعاجم أنّ قول العرب: سرط الطعام أو الشيء، بالكسر سرطا وسرطانا ؛ بلعه واسترطه وازدرده.. إذْ ورد في لسان العرب: " سرط : سار فيه سيرا سهلا. اي ابتلعه ولا يجوز سرط، وانسرط الشيء في حلقه."[1] . وهي بالعامية بمعنى (بلع) وتُستعمَل كلمة (سْرَطْ) لمن يبتلع الشيء بكامله أو لمن يكون نهماً في مجال الطعام، كما تستعمل مجازاً لمن ينهب المال وغيره من الثروة مثلاً، كأن يقال: فلان سرط كل شيء.. أي: لم يترك شيئا لغيره.

كما قد تُستعْمَل هذه الكلمة في وصف الأشياء غير العباد، كأن يقال مثلاً عن الْبِرْكَة من الماء بأنها سَرْطتْ إنساناً أو شيئا ما، بمعنى أنها ابتلعته ولم يظهر له أي أثر: وهذه هي المعاني المتداولة لهذه الكلمة في لهجة المنطقة..

– **الزْقاقْ** : بمعنى : الشارع الصغير أو الممَرّ الضيّق، وهي كلمة فصيحة متداولة كثيراً في التراث الأدبي العربي القديم[2] ؛ وتُستَعْمَل في لهجة المنطقة بمعنى الشارع عموماً سواء أكان واسعاً أم ضيّقاً، وهذا من باب التطور الدلالي للألفاظ، إذ يكون من مظاهره توسيع دلالة اللفظ أو تضييق دلالته.. وأمّا نُطق هذه الكلمة فيكون بالقاف المثلثة في الموضعيْن كليهما، مع تسكين السين وتسكين الزاي وكذلك القاف

1 – ابن منظور ، لسان العرب(باب السين)، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1(1993) ص2641

2– ينظر مثلاً: كتاب البخلاء للجاحظ، ص62

المثلثة الأخيرة، أمّا القاف المثلثة الأولى فيتم فتحها.. وتستعمَل هذه الكلمة في سياقات متعددة ومجالات تواصلية متعددة، فهي من الكلمات الكثيرة التداول في لغة التخاطب اليومي..

– **زُقّ الطير** : لماذا (الزُّقّ والطير)؟ ذلك أنّ الزُّقّ يعني الإناء الصغير ، والطير يشير إلى المعدة الصغيرة للطير، فهو لا يأكل كثيراً، وهو ما يتناسب مع معدة أولئك الأطفال الصغار الذين يتناولون إفطارهم الجماعي في صحون صغيرة خارج بيوتهم في تجمعات صغيرة..

وهذا التركيب الإضافي يدلّ على نوع من العادات والتقاليد القديمة المتوارثة عبءر الأجيال في شهر رمضان المبارك، وتتمثل هذه العادة في أن يخرج الأطفال في وقت الإفطار (مع بداية أذان المغرب) إلى الشارع بالقرْب من بيوتهم في شكل تجمّعات متعددة هنا وهناك، بحيث تتعدد مجموعاتهم، ويقومون بتناول لإفطارهم جماعياً، علْماً أنهم غير صائمين، ويقومون بتبادل أنواع المأكولات التي أخرجوها في صحونهم الصغيرة المتعددة الأنواع والأذواق، بحيث يقوم كل منهم بإعطاء الآخر شيئا من مائدته الصغيرة.. وهكذا، حتى يتمّوا لإفطارهم، ويعودون إلى بيوتهم، فيجدون أُسَرَهُم قد أتمّوا إفطارَهم أو كادوا، وذلك في هدوء تامّ وتركيز على الدّعاء وتبادل الحوار العائلي من دون ضجيج الأطفال، في تلك اللحظات الأولى التي يبحثون فيها عن الهدوء والاستقرار...

– **الزعاف** : يقال في اللغة العربية الفصيحة : سُمٌّ زُعاف ، أي: قاتلٌ؛ والزّعاف في لهجة المنطقة بمعنى القلق والغضب والاضطراب النفسي جرّاء تصرّف معين أو كلمة يسيء بها أحدهم إلى الآخر، فيقول قائلهم : (زعفني فلان = أغضبني وأقلقني) ، أو يقول آخر حين يُعْرَض عليه أمْرٌ ما ليشارك فيه او يتدخل لحلّ معضلته، يقول : (خلّيني من الزعاف = دعني منه لأنه يسبّب لي القلق..) ؛ ويقولون: فلان زعفان أو فلان متنوّي بمعنى : غضبان وقلق من حصول أمْر ما لا يحبّه، قد يكون قوْلاً أو فعلاً ما..

– **الطّعامْ / السَّفّة** : الطعام[1] عند أهل المنطقة هو ما يُعْرَف بالكسكسي عند الجميع، وهو عندهم من أفضل المأكولات وأشهرها على الإطلاق، والطعام أنواع، وكل منطقة من المناطق الجزائرية لها عاداتها وتقاليدها في إعداده وتناوله.. وفي منطقة غرب شمال الصحراء يتم تناوله بطريقتيْن مشهورتيْن: الأولى أن يتم تحضيره مع الخضر والفواكه ولحم الخروف لأنه الأفضل، ومنه ما يتم تناوله ممزوجاً مع الزبيب ومسقياً بالحليب؛ أمّا السمن الذي يُعَدّ به فالسمن البلدي ويُطْلَق عليه في المنطقة (دهانْ العربْ) وهو السمن المستخلص من حليب الغنم الخالص، وهو أفضل وأرقى أنواع السمن على الإطلاق..

1– في كل منطقة جزائرية يحمل الكسكسي اسماً خاصا به يعْرَف به في تلك المنطقة.. أما في هذه المنطقة فيحمل اسم (الطعام) وكأنّ هذه التسمية توحي بأنه ينوب عن كل أنواع الطعام الأخرى، إذ يسمَّى باسمها مجتمعةً..

وبالعودة إلى الطعام (الكسكسي)، فإنّه عنوان للولائم والمناسبات الكبرى، سواء في الأفراح أو الأتراح، كما أنه أفضل وجبة يفتخر بها أهل المنطقة ويدْعون إليها من يحبّون من أجل إكرامه، ويستقبلون به الضيوف ويتغنون بقيمته ومكانته عندهم بين سائر الأطعمة..

فممّا يقولون مثلاً في الإشادة بهذه الأكلة المتميزة : (الطّْعامْ همّة ولو كان بالما) أي أنّ الطعام هو عنوان للهمة والقيمة الاجتماعية بين الناس، فمن أرادوا أن يكرموه بالأكل، يعرضون عليه الطعام ويقدّمونه له على الأطباق التقليدية، مثل (قصعة العُودْ أو النُّصْفِيَّة التي هي قصعة عُودْ مصغّرة للعدد القليل، على حين تكون القصعة (الكبيرة) للعدد الكبير.. [1] مع العِلْم أنه مع تطور الحياة اليوم قلّ استعمال أواني العُود هذه، لقلّة من يجيدون صناعتها، كما كانوا في الزمن الأول، كما أنّه قد ظهرت أواني عصرية من العُود، واصبح الناس يستعملونها لملاءمتها وخفتها، إلى جانب الأطباق الزجاجية المعروفة..

– سكَّرْ البابْ : أي أغلقْه ؛ (يسَكَّرْ تَسْكَارْ = يُغْلِق إغْلاقاً) : يُقال هذا عن أيّ شيء يُراد إغلاقُه، وهي كلمة فصيحة في الأصل، جاء في المعجم: " (السكر) مَا يسد بِهِ النَّهر وَنَحْوه والمسناة وكل مَا يسد من شقّ أَو بثق (ج) سكور." [2] وهي من الكلمات المتداولة كثيراً في لهجة المنطقة، وتتشابه في استعمالها مع لهجات المناطق الشرقية من الجزائر، وكذلك مع بعض اللهجات التونسية التي تستعمل هذه الكلمة للمعنى ذاته.

– شويّْ، شويّة = قليل / ضدّ ياسرْ : تستعمل هذه الكلمة في اللهجة العامية بالمنطقة للدلالة على قلة الشيء، إذ يقال مثلاً :(هات شويّْ، هات شويّة) بمعنى ناولني قليلاً؛ وهي كلمة صحيحة فصيحة اذ جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: " الشين والواو والياء أصل يدل على الأمر الهين، ومن ذلك الشوى رذال المال.."[3] وكلمة (شويّة) ضدّ كلمة (ياسرْ) التي بيّنّاها آنفاً.. وهي مثلها متداولة بكثرة في كلام الناس وحِكَمهم وأشعارهم، ومثالها قول الشاعر :

رفادت حملي الضيف إذا جاني ** تجبد ما عندها و(أتقول) **أشويا** [4]

1– من العادات أن يكون عدد الذين يتحلّقون حول (القصعة) عشرة أشخاص، وأمّا (النُّصْفِيّة) فيكون عددها حوالي أربعة أو خمسة أشخاص، قد يزيد قليلاً أو يقلّ ..إذْ تُسْمَع نداءات اصحاب الوليمة: (ديرو عشْرات ، أو ديرو ربْعات، أو ديرو خمسات ...)

2– المعجم الوسيط، /438

3– ابن فارس ، المقاييس ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر دمشق ،جزء 3 ، باب الشين ، ص244

4 _ صادقي مخلوف، أشهر التآليف في الكلام اللطيف من شعر لمخاليف ، قصيدة (نسأل في الزمان) ، ص148

وقد تُستعمل كلمة (شويّة) فيما هو مادي، كما تُستعمل فيما هو معنوي، ففي مجال الأشياء المادية يقال مثلاً: (بقات قا شويّة من الدراهم أو من العوْلة ؛ بمعنى: لم يبق إلاّ القليل من المال أو من المدّخرات) ؛ ومن استعمالها فيما هو معنوي قولهم مثلاً جوابا على السائل: (كيف حال المريض؟ شويْ بخير = لا بأس قليلاً ؛ ها شويّْ بْخير = ربما نقول أحسن قليلاً ؛ قا شْويّة – ماكان ماكان = شيء قليل جدا من التحسُّن، لا يمكن اعتباره راحة أو شفاء – حالته ليست جيدة، أي أنه لا يزال متعباً ولم يُشْفَ جيّداً..) وهناك مجالات كثيرة يتم فيها استعمال هذيْن اللفظيْن المتضاديْن: (ياسرْ/ شويّة)، وتحددها ظروف الحياة وسياقات التخاطب والتواصل..

– **قُدْوَة / غدوه** : هي من الغداة، والغدوة، ومنها غدا يغدو غدوّاً إذا خرج باكراً. وعكسها الروحة والرواح بمعنى العودة والرجوع.. وفي القرآن الكريم:(... غدوّها شهر ورواحها شهر) وفي الحديث الشريف عن الطيور في باب التوكّل: (... تغدو خماصاً وتروح بطاناً) ؛ وغدوه : تُنْطَق في اللهجة الشعبية بالمنطقة بالقاف (قُدْوَه) ومعناها: غداً ، وقد يُقْصَد بها الغد المعلوم على سبيل الحقيقة، كأنْ يقول القائل مثلاً: (قُدْوَة نتلاقاوْ) بمعنى : غدا نلتقي ؛ أو يُقْصَد بها المستقبل كقولهم للصغير: (قُدْوَة تكْبَر وتتعلّم.) أي: ستكبر في المستقبل وتتعلم اشياء كثيرة ؛ وقد تُستعمَل بمعنى موعد اللقاء يوم القيامة، كقولهم مثلاً: (باهْ تقابل مولاكْ قُدْوَة ؟) أي: (بماذا ستُقابل الله في يوم الحشْر؟) وهي تأتي في سياقات متعددة سواء أكانت مستعملة على الحقيقة أو المجاز.. [1]

– **نْتاعي: مِلْكِي**: معناها (لِي أنا): كلمة عربية فصيحة، أصلها (مَتَاعي)، والمتاع هو ما يملكه الإنسان ويلازمه أو يصحبه معه في حلّه وترحاله، وهذه الملازمة هي التي جعلت معنى الكلمة مقترناً بالمِلْكية.. وهذه الكلمة (نتاعي)كثيرة التداول في لهجة المنطقة، وفي بعض المناطق الجزائرية الأخرى، يقولون (مْتاعِي) بالميم الساكنة بدل النون، ويوجد مثل هذا أيضاً في اللهجة التونسية، وذلك أقرب إلى الأصل.. غير أنّ الميم والنون من الحروف التي يكْثُر الإبدال فيما بينها، إذ تشتركان في الغُنَّة الملازمة لهما، فضلاً عن كثرة إبدال أحدهما من الآخر أو إدغامه فيه، سواء في اللغة الفصيحة أو في اللهجات الشعبية.. وهي مأخوذة من اللفظ الفصيح (متاعي: أي ملكي). لأنّ متاع الإنسان هو ما يكون ملكاً له..

– **وِينْـراكْ؟ / وِيرَّاكْ**: بكسر الواو وتسكين النون وفتح الرّاء وتسكين الكاف في الأخير؛ وقد تُنطَق بإدغام النون في الرّاء ؛ وهي صيغة سؤال، بمعنى : أين أراك ؟ ويُراد بها السؤال عن المكان، كأنما قد قيل:

1 – نشير إلى أنّ هذه النماذج مستعملة حالياً في الخطابات اليومية بين الناس في مختلف مجالات الحياة..

أين مكانك الذي تتواجد فيه، هذا من الناحية الحسية ح وقد تُستتَعمَل فيما هو مجرد على سبيل المجاز، بحيث لا يكون الغرض هو السؤال عن المكان، وإنما تقديم اللّوْم والعتاب للمخاطَب على تخلُّفه عن الحضور أو الالتحاق بمن ينتظره، أو التأنيب على تقصيره في أمْر ما كان يُنْتَظَرَ منه القيام به..

– **ياسر = كثير / ضد شوية** : لفظة مستعملة كثيراً في اللهجة بالعامية بالمنطقة، ويُراد بها الكثرة، وضدّها (شويّ أو شويَّة) ويتم تداولها في الحديث عن الأشياء المادية والمعنوية، ورد في لسان العرب: "... والياسر من الغنى والسعة." [1] فمن استعمالها للأشياء المادية قولهم : (كاينْ ياسرْ الناس، أو كاين الناسْ ياسرْ = يوجد الكثير من الناس) ؛ وقولهم : (ياسرْ عليكْ = يكفيك هذا فهو كثير عليك) ؛ ومن استعمالها فيما هو معنوي، قولهم لمن يتمادى في الإساءة مثلاً: (فلان كثّرْ ياسرْ تأكيداً على تماديه) وقولهم : (نحوس نشوفك ياسرْ عليّ = أريد أن اراك وهذا يكفيني)، وهنا أخذتْ معنى (يكفي) وهذا كثير فيما هو متداول بين الناس في يومياتهم..

– **يْحَوّسْ / يدوّرْ**: بمعنى: يبْحث أو يُريد: وكلمة (يدوّرْ) مأخوذة من الدوران، ذلك أنّ الذي يبحث عن شيء ما يكون عادة في حركة دوران من دون أن يشعر، خصوصا إلا كان المكان ضمن حيّز محدود، فالدوران يكون واضحاً أكثر.. ولهذه الكلمة (يحوّسْ / يدوّرْ) في اللهجة الشعبية بالمنطقة استعمالان: حسّي ومعنوي؛ فأمّا في الاستعمال الحسّي فيُراد بها البحث عن شيء ملموس، كمن ضيّع شيئا كان بيده، كالقلم وغيره من الأشياء المادية، فيقال: (راه يحوَّسْ عليه بمعنى: إنه أو أراه يبحث عنه)؛ وأمّا في الاستعمال المعني المجرّد فمعناها (يُريد)، كأن يقول قائلهم: (واش راك تْحوَّسْ تْدِيرْ؟) أي (ما ذا تريد أن تفعل؟) ؛ كما يمكن خروجها عن السؤال إلى سياقات أخرى، كأنْ يُقال في هذا الشأن، في سياق التهديد: (راك تْحوَّسْ عليها) أي (إنك أو أراك تبحث عن العقوبة أو غيرها ممّا يتصل بشيء تمّ التحذير منه على سبيل المثال. وقد تكون في سياقات أخرى، بحسب ظروف التخاطُب وملابسات الحوار..

هذه أمثلة مختارة ونماذج منتقاة من واقع الاستعمال والتداول الفعلي على مستوى لهجة منطقة الدراسة، والغرض منها هو بيان بعض مميزات هذه اللهجة من حيث النطق أو من حيث المعجم والتركيب والدلالة، ولا يمكن إحصاء ما يجري تداولُه من مثل هذه الألفاظ والعبارات، كما لا يمكن الإحاطة بمعانيها ودلالاتها، لأنها تمثل فضاءات واسعة على امتداد الزمن وتعاقب العصور والأجيال، فضلاً عن تنوع استعمالاتها وتعدد سياقاتها، وفقاً لاعتبارات نفسية واجتماعية وثقافية، وغيرها..

1– ابن منظور ، لسان العرب ، نفس المصدر ، باب الياء ، 1958

المبحث الثاني

الخصائص الاجتماعية والثقافية

للهجة منطقة غرب شمال الصحراء

المبحث الثاني : الخصائص الاجتماعية والثقافية للهجة منطقة غرب شمال الصحراء

توطئة : الطابع الاجتماعي والثقافي للّغة ولهجاتها :

إنّ للغة أبعاداً كثيرة على اعتبار أنها وسيلة التواصل والتخاطب والتفاهم وقضاء الحاجات بين الناس في مختلف المواقع والمجالات، وهي في المقام الأول ذات أبعاد اجتماعية وثقافية لا تنفك عنها، لكونها ظاهرة اجتماعية، كما أنها تعكس مظاهر حضارة المجتمع ومستوياته الثقافية.. ولا تقتصر دراسة اللغة على الجوانب اللسانية وحسب.. بل إنّ اللسانيات المعاصرة التي تتوخى الدراسة العلمية للغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، منذ أن بزغ فجرها مع العالم اللساني السويسري (فرديناند دي سوسير[1] ferdinand de saussure. هذه الدراسات اللسانية المعاصرة قد تفرعت مجالاتها واتفقت جميعها على الاتصال الحتمي الوثيق بين اللغة ومجالات الحياة الاجتماعية والثقافية وغيرها، بحيث لا يمكن دراسة اللغة بمعزل عن هذه المؤثرات والعوامل التي لا يمكن إغفالها أو الاستغناء عنها..

هذا الطابع الاجتماعي هو موضوع حديثنا في هذا الباب، والمقصود به التفاف الجماعة اللغوية بعضها حول البعض والتفاهم بوساطة الحوار باستعمال الرموز الصوتية، والتعبير عن كل ما يختلج في نفس المتكلم من مكبوتات ومشاعر وأفكار، فاللغة هي التي تستعمل لتحقيق التفاهم والتعايش بين أفراد المجتمع مهما اختلفت مراتبهم وتباينت أعمارهم وتباعدت مواقعهم.

لذا تعد اللغة عنصرا مهما في النشاط الإنساني، إذْ لا نتصور الاستغناء عنها سواء أكان ذلك في الحياة الاجتماعية أو في الحياة الأدبية. وتُعَدّ اللغة الأدبية وسيلة الكاتب في إيصال أفكاره وبلوغ أهدافه وتبليغ محتوى الرسالة التي يريد إبلاغها إلى المتلقين.. فاللغة عندئذ أداة للتبليغ ووسيلة للتعبير.

وباعتبار أن اللّهجات مستمدة من اللّغة الأمّ، فإنها بالضرورة تحمل خصائصها وسماتها البارزة، وإن اختلفتْ عنها في مجال التعبير وطريقة الصياغة في كثير من المواضع..

[1]– هو أول من نادى بالدراسة العلمية للغة، بعد أن سادت الدراسات التاريخية والمقارنة في العصور التي سبقته، وكانت وفاته في 22 من فيفري من العام 1913م، أمّا أهمّ أعماله فكانت محاضراته في اللسانيات العامة، وقد نشرها تلاميذه بعد وفاته في 1916وكان أبرزهم : شارل بالي وألبرت سشيهاي.. ومن أبرز ما أكّد عليه أنّ اللغة مؤسسة اجتماعية وظاهرة إنسانية، وهي نظام قائم بذاته، وأداة للتواصل بين الأفراد. ولها أشكال كثيرة تنتج من الملكة اللسانية لدى مستعمليها..

وليست اللهجة الجزائرية بمعزل عن هذا الاتصال باللغة الفصيحة، على الرغم ممّا تركه الاستعمار من مخلفات لهجية متأثرة إلى حد كبير باللغة الفرنسية، فضلاً عن التأثر باللغات الأخرى. ذلك أنّ المجتمع الجزائري في أغلبه هو مجتمع إسلامي عربي في تقاليده وعاداته وثقافته، لذلك نجد لهجاته تحنح إلى اللغة العربية، باستثناء بعض اللهجات الأخرى في بعض المناطق المتناثرة، حيث تتميز كل منها بخصائصها، مع وجود تقارب بينها في عدة مواضع ..

وإلى جانب هذه اللهجات نجد الجزائريين في هذه المناطق يستعملون العربية الفصيحة كما يستعملون لهجاتها المنبثقة عنها، مع تأثرهم بثقافة المستعمر كما ذكرنا آنفا.. ومهما يكن فهذه كلها لهجات جزائرية أصيلة، وهي لا تتعارض مع العربية الفصيحة أو الشعبية في المجتمع الجزائري؛ حتى إنّ كثيرا من الأدباء والكتّاب الجزائريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية يحنّون إلى العربية ولهجاتها الشعبية ويميلون إليها، لأنهم يدركون أنّ ميلهم هذا إنما هو رجوع إلى الأصل وليس مجرد ترف وتسلية، إذ نجدهم يعترفون بأنهم كانوا ضحايا الثقافة الاستعمارية التي فُرضتْ فرضاً على المجتمع الجزائري..

هذا، وتندرج هذه الدراسة التطبيقية الميدانية ضمن علم الاجتماع اللغوي؛ ذلك أنه من البديهي أن الكلام يحدث في سياق اجتماعي وبالتالي لا غنى عن المنظور الاجتماعي في دراسة اللغة والكلام ويشمل السياق الاجتماعي للكلام عددا كبيرا من العوامل، ويعنى هذا البحث بدراسة اللهجات أو ما يسمى بالتطبيق اللغوي داخل المجتمع أو استعمالات المتكلمين باللغة وواقعها الاجتماعي. ونخلص من ذلك إلى ما يراه الباحثون في هذا الشأن من أنّ علم الاجتماع اللغوي يعنى " بدراسة العلاقة بين اللغة والظواهر الاجتماعية وبيان أثر المجتمع من نظمه وتاريخه وأصوله ... في مختلف الظواهر اللغوية ". وبحُكْم العلاقة القائمة بين اللغة والحياة الاجتماعية، فإنّ " علم اللغة الاجتماعي ينظم كل جوانب بنية اللغة وطرائق استعمالاتها التي تربط بوظائفها الاجتماعية والثقافية والحضاري." [1]

ويعرفه فيشمان " بأنه العلم الذي يبحث في التفاعل بين جانبي السلوك الانساني (استعمالات اللغة) والتنظيم الاجتماعي للسلوك." [2] بمعنى أنّ اللهجة ماهي إلا لغة عامية يستعملها العوام جماعة معينة تربطهم دائرة جغرافية واحدة ويحملون خصائص لغوية مشتركة مما تعكس لنا الأداء الفردي للجماعة ما.

[1] – كمال بشر ،علم الاجتماع اللغوي ،(مدخل) ،دار غريب للطباعة والنشر ،(دط) ،1997 ،ص29

[2] – عز الدين صحراوي ،اللغة بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية ، مجلة العلوم الانسانية، العدد الخامس، فيفري 2004

إن تفرع اللغة العربية الفصحى إلى لهجات له عدة عوامل جعلت منها لغة بديلة ، يقول مُحَمَّد عبد الله عطوات في هذا المقصد في كتابه (اللغة الفصحى والعامية): "إن السبب الرئيسي لتفرع اللغة إلى اللهجات يرجع إلى انتشار اللغة في مناطق مختلفة وواسعة ،وإلى استخدامها لدى جماعات كثيرة العدد وطوائف مختلفة من الناس."[1]

عراقة المنطقة وتأثير معالمها في المجتمع وثقافته :

من المعلوم أنّ البحث في أصل السكان وتاريخهم وحياتهم الاجتماعية والثقافية في أي منطقة ذات عراقة في التاريخ، يتجلى فيه الاختلاف بين المؤرخين والباحثين في تاريخ هذه المنطقة وعادات أهلها وتقاليدهم وأساليب حياتهم وأنماط معيشتهم.. وذلك على الرغم من وجود الكثير من الحقائق التي يتفق حولها الباحثون، إمّا لكونها موثقة ومحفوظة، أو لكثرة ما يتداوله الناس ممنْ عايشُوا جانباً من الحياة في الفترة التي هي موضوع الدراسة، أو فيما يقترب منها زمنياً وجغرافياً.. وقد " تضاربت الأقوال وتنوعت الروايات عن أصل سكان الأغواط الأوائل أو القدماء، لقد أجمع الكثير أن سكان الأغواط هم من العرب والفاتحين بوجود الأشراف بهذه المدينة وضواحيها وكثرة الزوايا والطرق وانتشار المقابر ذات النمط الاسلامي، فبمنطقة سيدي مخلوف لوحدها تمّ إحصاء حوالي 30 مقبرة حسب تصاميم المسمى بوكس 1927م ، والتي بقيت على حالها إلى اليوم مما يدل على قدم استيطان القبائل العربية بالمنطقة.

وقد عرفت المنطقة عدة أحداث حددتْ وجهتها الاجتماعية والثقافية، من أبرزها قدوم الولي سيدي الحاج عيسى إلى مدينة الأغواط في سنة 1698م ليقيم في قصر ابن بوطة الذي بقي مشيدا إلى غاية سنة 1852م .. وقد كان مولد سيدي الحاج عيسى بتلمسان في سنة 1668م وكانت وفاته خلال سنة 1737م بمدينة الأغواط. ويعود نسبه إلى إحدى العائلات المهمة التي تعد من أشراف تلمسان، أبوه اسمه عيسى بن إبراهيم وأمه محبوبة بنت سيد الحاج بوحفص أحد الأشخاص البارزين والمهمين من قبيلة أولاد سيد الشيخ، ولا نعلم الأسباب التي أجبرته على ترك منازل قومه، فغادر على إثرها بلده تلمسان في سنة 1694م مرورا بوهران وصولا إلى الجزائر حيث مكث بها مدة من الزمن حتى انتهى به المطاف في قصر ابن بوطة حيث استقر نهائيا بالأغواط.[2]

[1] – مُحَمَّد عبد الله عطوات ،اللغة العربية الفصحى والعامية ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص48

[2] – E.FAGNAN R.A.tome 37 P.365/368 Année 1893 Office de Publication Universitaire Alger Edition N° 21310985.

ونظرا لعلمه ووقاره أحاطت به الفرق والعروش وكبر مقامه وعلتْ منزلته بينهم ، وبدأ توحيد الصفوف بنصائحه التي لم يبخل بها عن شيوخ المنطقة، وهذا العمل الخيري دفع الجميع إلى الالتفاف حوله ليجعل منهم قوة داخل قصر ابن بوطة، وذلك في سنوات 1700م، وقد رافق سيدي الحاج عيسى في رحلته جماعة من أتباعه وخدمه الذين اعتمد عليهم في نشر الصلح ساعيا إلى حل كل المشاكل. وكان في أغلب الأحيان موفقا نظرا لعلمه وحكمته، فكان حكيما في تدخلاته في مواقع النزاع كما كان أديبا تداولت الروايات الشعبية أشعاره المتنوعة في الحكمة والوعظ والرثاء ومدح الرسول ﷺ، وفي وصف طبائع الناس والعروش، وكذا الصيد الذي كان مولعا به. ولا يسلم من أشعاره من تطاول عليه؛ وقد ترك سيدي الحاج عيسى أحفادا لهم مكانة في المجتمع الأغواطي والعروش والقرى والمدن المجاورة.

ويذكر أن سيدي الحاج عيسى رحمه الله كان كثير التنقل عبر المدن التي اشتهرت بالعلماء في شرق الجزائر وغربها وشمالها وجنوبها، ولقد برهن على حرصه على الصلح والمشورة وتوحيد الصفوف؛ ويقال إن له أقوالا ورؤى صالحة وكرامات..

ومن المعالم التي كان لها دور كبير وأثر فعّال في توحيد فئات المجتمع ونشر التعليم وتثقيف الناس، نذكر المساجد المتعددة التي كانت منتشرة في المدينة، وأشهرها في تلك الفترة:

- المسجد العتيق: أول مسجد بني بالمدينة حوالي 1300م أو 1550م يذكر أنه بحي بن بوطة سابقا ويذكرانه تمّ غلقه سنة 1852م من قبل الاحتلال واستعمل لأغراض أخرى واسترجعه السكان فيما بعد. ولا يزال مفتوحاً إلى اليوم، تُقام فيه الصلوات وتُلقَى فيه الخُطَب.. محافظا على طابعه المعماري القديم..

– مسجد سيدي موسى بن حسن: يذكر أن هذا الأخير حل بالأغواط أول مرة سنة 1828م، كما ذكر في مقال آخر أنه قام ببناء زاوية في سنة 1829م وعلم بها القرآن الكريم . ولقد ذكر مسجد الشاذلية المسمى أيضا (مسجد الدراويش) بزقاق الحجاج. ولقد جاء في مقال آخر أن سي موسى[1] غادر المنطقة رفقة 300 من أتباعه ليلتحق بالشيخ بوزيان ويستشهد بمقاومة الزعاطشة سنة 1849م.

وهذه المقاومة كان لها تأثير كبير على سكان منطقة الأغواط. وقيل أيضاً إن تاريخ ترميم المسجد كان بعد احتلال المدينة بـ ستة عشر عاماً..

[1]– موسى بن علي بن حسن من مواليد سنة 1775م بدمياط – مصر.

– مسجد الخليفة: قد يكون ثاني مسجد، ويذكر أنه حُول إلى كنيسة سنة 1859م ولقد ذكره فرومانتان في كتابه[1] دون تفصيل، وذكر في مصدر آخر أنه قديم وتمّ هدْمُه من قبل الاحتلال سنة 1852م إثر القصف المتواصل على المدينة.. [2]

– المسجد الكبير: 1874م، وهو الآن يحمل اسم جامع الصفاح ..

– مسجد الشيخ عبد القادر: الكائن بزقاق الحجاج... يذكر أنه بقصر أو قصبة أبي الفتوح سابقا.

وفي المقال[3] ضمن الاحصائيات الفرنسية لسنوات 1900م فيوجد في البلدة أربعة مساجد منها التي رممت في ذلك الزمن وأخرى تمّ بناؤها..

– مسجد سيدي الشيخ : 1892م هل هو تاريخ البناء أم الترميم.

– مسجد الشطيط الغربي : 1905 تحت ادارة سي مبروك كويسي رحمه الله كإمام ومعلم قرآن خلفا لأبيه الذي أداره منذ سنة 1845م.[4]

إنّ الحديث عن هذه المعالم من شأنه أن يبيّن لنا مدى عراقة المنطقة حضارياً، وهو ما يعكسه انتشار العمران بها واستقرار الوفود وتشييد المعاهد والمدارس والمساجد لغرض التعليم ونشر الثقافة، وهذا ما جعل العلماء والدعاة والشيوخ يقيمون بالمدينة ويعملون على مباشرة جهودهم الإصلاحية والتعليمية بها، لأنهم وجدوا ضالتهم فيها. وقد بقي كثير من هؤلاء العلماء بالمدينة وانتسبوا إليها إلى أن قضوا نحبهم بها ودفنوا في ترابها، فهم يُعَدّون من أبنائها المخلصين الذين لا يبرحون ذاكرة الأجيال، بما قدّموا من إسهامات جليلة للسكان في أوقات المِحَن والأزمات..

هذا، وإنّ الطابع الاجتماعي والثقافي للمنطقة، المتميّز بالتنوع والثراء، يؤدّي بالضرورة إلى تنوع في التعاملات اليومية بين الناس، ومن ذلك ما يتصل بلهجتهم التي استقوْها من مختلف المؤثرات والتيارات التي تعاقبت على المنطقة منذ القديم.. ولا غرو أن تنطبع لهجة المنطقة بطابع خاص بها، له جذور راسخة

---

[1] - E. Fromentin Un été dans le Sahara P.154

[2] – تواصل قصف المدينة لعدة أيام مع مقاومة الأهالي الذين تمت إبادة الثلثيْن منهم كما أجمع عليه الباحثون والمؤرخون في مجزرة فظيعة شنيعة من أكبر مجازر الاحتلال..

[3] – ضمن احصائيات الاحتلال بعد سنوات 1931م.

[4] – إبراهيم كويسي بن سي مبروك كويسي، أحد أبرز علماء مدينة الأغواط، ويُعَدّ مرجعا مهما للباحثين في تاريخ المنطقة..

ممتدة في عمق التاريخ.. وعلى هذا نجد الكثير من المميزات لهذه اللهجة ناتجة من قِدَمها وتاريخها العريق، إذا استثنيْنا تلك الألفاظ الدخيلة القادمة من لغة الاستعمار بحُكْم طول مكوثه.. أمّا الأثر القديم المتّسم بالأصالة والعراقة فهو الذي يتمثل في الاستعمالات اللهجية الأصلية المستمدة من ثقافة المنطقة ومن عاداتها وتقاليدها منذ أمد بعيد، وقد استطاع الناس أن يحافظوا عليها، على الرغم من تسارع المتغيرات في عصر التكنولوجيات الحديثة..

امتدادات لهجة المنطقة وأبعادها الاجتماعية والثقافية :

إنّ اللهجات امتداد للّغة، وليست اللغة مجرد وسيلة للتعبير والتواصل يستعملها الكاتب ليصوغ عن طريقها المعاني والمواقف والأفكار، بل هي وسيلة وغاية في آن واحد، هي وسيلة لا بد من توظيفها في التواصل والتخاطب، إذ بدونها لا يمكن التفاهم بين الأفراد في المجتمع الواحد أو في المجتمعات المتعددة؛ كما أنها غاية بالنظر إلى حمولتها الاجتماعية والثقافية التي تتجاوز المستو اللساني إلى ما وراءه من الأبعاد والدلالات التي يبوح بها المتكلم من خلال تلفّظه بهذا اللفظ أو ذاك، في سياقات متنوعة متعددة تمليها ظروف التخاطب وملابسات الحياة ومتغيراتها.. فاللغة عندئذ هي الوعاء الاجتماعي والثقافي الذي تلتقي فيه الكثير من العادات والتقاليد فيحافظ عليها من الضياع والاندثار..

كما تعد المأثورات والإبداعات التعبيرية من أمثال وشعر شفوي وحكم ومقولات شعبية ملامح التفكير الشعبي واستعمالاته اليومية نابعة من إبداع وإلهام شعبي أو اجتماعي لتلبية حاجات يومية أو إبراز مقومات دينية أو اجتماعية أو فنية أو ثقافية ، وهذه المأثورات هي التي تميز كل لهجة عن باقي اللهجات بخصائص وميزات خاصة بها بحسب استعمالاتها في مجتمعها وبيئتها وطبيعتها..

واللهجات فرع عن اللغة، وهي مجموعة من الصفات اللغوية، التي تنتمي إلى بيئة خاصة وترتبط بلغة معينة في الأصل، لكنها سرعان ما تتأثر بلغات ولهجات أخرى، ويشترك في هذه الصفات اللغوية للّهجة جميع أفراد هذه البيئة التي تجمعهم.. [1]

وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع، وأشمل تضمّ عدّة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية، التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات، كما أنّ اللهجة ضرب من التنوع اللغوي العاكس لأنماط الحياة زمانا ومكانا وحرفة وصيغة وثقافة، ومناهج وسلوكاً في المجتمع

[1] – يلاحَظ الاختلاف أحياناً في استعمال بعض الألفاظ كما في نطقها بين سكان المدينة وسكان المناطق والضواحي المجاورة.

المعين، وقد تناول عدد من الباحثين اللغويين ظاهرة اللهجة في ثنايا كتبهم، ومنهم من ألف فيها كتبا مستقلة، أمّا العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية، التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.

إنّ اللهجة الشعبية التي تشيع تسميتها باللهجة العامية هي اللهجة الغالبة في الانتشار والتداول، إذ يتحدث بها الناس في حياتهم اليومية المعتادة للتعبير عن شؤونهم المختلفة، وهي قسيمة اللغة الفصيحة، لكونها مستمدة منها ومتصلة بها، وتصدق هذه الصفة على اللغات كلها، فليس في العالم لغة غير متشعبة إلى هذا المستوى من العامية والفصحى.. فلا عجب عندئذ إذا وجدنا تقارباً كبيراً وتقاطعاً وتكاملاً بينهما في مختلف الخصائص والمزايا الثقافية والأدبية والفنية، فضلاً عن علاقتهما بالبيئة الاجتماعية، على اعتبار أنّ كل لغة أو لهجة يتكلمها الناس في مجتمع ما إنما هي نتاج مؤثرات كثيرة وظروف وأحداث يعايشها الناس فيترجمونها في منطوقهم اللغوي كيفما كان لهجة أم لغة..

وقد تحدث القدماء في هذا الباب، وأشاروا إلى هذه الصلة وتلك الخصائص والمزايا، وأطلقوا على اللهجات المتفرعة عن اللغة الفصيحة (لغات)؛ فمصطلح لهجة لم يَرِدْ في استعمالاتهم القديمة.. ومن ذلك ما أورده الجاحظ مثلاً في مواضع متعددة، إذْ يسمّي العامية بلغة المولدين والبلديين، وقد لاحظ أن في كل مدينة ألسنة ذلقة غير أن اللحن كان فاشيا في العوام.. وتحدثوا عن العامية في القرن الرابع فقالوا: إن اللغة العامية أصبح معترفا بها في ألفاظها وأساليبها وينتقي منها خيرها إلا بعض منها.

واللغة العربية كغيرها من اللغات تعرضت عبر الزمن إلى عوامل أدت إلى تشعبها إلى عدة لهجات، وظاهرة العامية ليست ظاهرة تنفرد بها اللغة العربية بل عرفتها كل اللغات تقريبا، وهي ليست أكثر من لهجات الفصحى المتشعبة منها..

وعلى هذا فإنّ " العربية الدارجة هي التي نشأت من حياة العرب ومخالطتهم للشعوب، فصارت لغة التخاطب والتفاهم، والتي تتميز تميزا واضحا عن العربية الفصحى من السمات والخصائص المشتركة بينهما في المادة الصوتية، وصوغ القوالب وتركيب الجمل والقواعد النحوية والمادة اللغوية وطرائق التعبير، كما تجيز العامية كل ما تقتضيه ضرورات الحياة، فلا تتوقف للانتقاء والاختيار ولا تعنى بالسبك وتجويد النسيج وإنما هي سريعة مرسلة، كما ينبغي أن تكون وسيلة التعبير ووسيلة التخاطب والتفاهم المستعجلة، إضافة إلى

هذه الخصائص التي انفردت بها اللهجة العامية عن الفصحى نذكر مجموعة أخرى من المميزات والتي من بينها: [1]

- تعدّ العامية لغة انفعالية لا يسيطر عليها المنطق ولا يتحكم فيها العقل.
- أنّ هذه اللهجة وجدت لضرورة التعبير اليومي السريع.
- أنّ اكتسابها منذ الصّغَر من عوامل سهولتها واتساع رقعة تداولها.

وهناك عدة مميزات للهجة العامية، يمكن إيجازها فيما يأتي:

- "اللهجة العامية حية متطورة وتغير نحو الأفضل، لأنها تتصف بإسقاط الإعراب، وبشكلها العادي المشترك المألوف واعتمادها الفصحى معينا لها. كما أنّ الاقتصاد في اللغة عموماً هو جوهر من جواهر البلاغة. ثمّ إنها تتميز بالاقتباس والتجديد في المعنى، فالعامية نامية مسايرة لطبيعة الحياة تحرص على إماتة وإهمال ما يجب أن يهمل واقتباس ما تقتضيه الضرورة من الألفاظ.." [2]

والعامية ينعدم منها الإعراب على عكس اللغة الفصحى، وتمتاز بالتلقائية والعفوية، وهذا ما نلحظه أثناء المعاملات اليومية، فالمتكلم بها لا حاجة له لإجهاد عقله أثناء الكلام، على خلاف اللغة الفصحى والتي تكتسي مكانة كبيرة كيف لا وقد نزل بها القرآن الكريم، فهي لغة الإبداع والجمال التعبيري، كما أن لها ميزة مثيرة مما تجعلها تختلف عن اللهجات واللغات الأخرى، نظرا لما تتسم به من تنوع في الأساليب والعبارات وخلوها من اللحن، ووجود ظاهرة الإعراب بها مما يكسبها جمالا ورونقا، فهي اللغة الوحيدة التي تجمع بين أفراد الأمة العربية الإسلامية .

وإضافة إلى اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية اللتين تعدّان نوعين من أنواع التعبير الأدبي نجد كذلك الأمازيغية في بعض الكتابات الأدبية من قصص مثلت في الواقع الجزائري وفي الإذاعة الوطنية عبر الأثير، كما نجد اللغة الفرنسية نتيجة التأثر والتأثير..

ومن بين الكتابات الأدبية الجزائرية نذكر كاتب ياسين ومولود فرعون وآسيا جبار وغيرهم من الكتاب، وما نلحظه هنا هو التنوع اللغوي في مختلف الكتابات وثقافة كتابنا مما يجعل إبداعاتهم الفنية يبلغ مستواها حتى خارج الحدود الجزائرية لمواكبة الآداب العالمية.

---

[1]- مُحَمَّد عبد الله عطوات ،اللغة العربية الفصحى والعامية ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص48

[2]- المرجع نفسه ، ص49

خصائص لهجة المنطقة وقربها من اللغة الفصيحة :

لقد تعددت اللهجات في الجزائر وتنوعت عبر أقطار الوطن، وكلّها ذات قُرْب باللغة الفصيحة، إلا أن هناك بعض اللهجات الجزائرية مازالت تحافظ بدرجة أكبر على صلتها بالعربية الفصحى في وجود بعض الألفاظ الفصيحة المستعملة في العامية إلى يومنا، إذْ يقول بعضهم :" إن معظم الألفاظ العامية الجزائرية فصيحة وإنما أفسدتها العامة بألسنتها ، فأخذت تبتعد عن الفصحى من جهة أول من جهة أخرى. "[1]

إنّ كل اللهجات التي تفرعت من اللغة الأم، لها تأصيل لغوي وتعود إليها في معظم قواعدها، فهي تشترك في عدة صفات فصيحة، وكل لهجة لها مزايا خاصة بها تتميز بها عن الأخرى، في بعض الخصائص الفنية والاجتماعية واللسانية، وذلك في نطق بعض الأصوات وصيغة بعض الألفاظ أو المفردات، إلا أن هذا الاختلاف لا يمنع من وجود أوجه تشابه وتداخل بين اللهجات المحلية.. وهذا ما نلحظه بوضوح خصوصاً في اللهجة الجزائرية وتنوعاتها في مختلف ربوع الوطن، فاللهجة الجزائرية كباقي اللهجات العربية تفرعت عنها عِدّة لهجات في مختلف المناطق عبْر ربوع الوطن وبيئات المجتمع الجزائري، وهذه اللهجات يرجع تأصيلها في أغلبها إلى اللغة العربية الفصحى أي اللغة الأم.

وعلى الرغم من تعدد اللهجات في الجزائر وتنوعها عبر ربوع الوطن، إلا أنّ هناك بعض اللهجات الجزائرية لا تزال تحافظ على صلتها باللغة العربية الفصحى، لأنها تحمل في طياتها كلمات فصيحة، بل لأن أصولها فصيحة، يتداولها الأفراد فيما بينهم في الحياة اليومية من دون درايتهم بأنها ألفاظ فصيحة صحيحة في أصل بنيتها ودلالتها، فمعظم الألفاظ العامية الجزائرية فصيحة، وإنما أفسدتها العامة بألسنتها، فأخذت تبتعد عن الفصحى من جهة أو من أخرى،..

وتتمركز هذه اللهجات التي لا تزال تحافظ على قربها من العربية، في عدة مناطق جزائرية، في مقدمتها **منطقة غرب شمال الصحراء**.. وتكثر في الأرياف وفي مناطق الجنوب، وفي المناطق الجبلية الوسطى، وقد صنفت هذه اللهجات على أنها الأقرب إلى العربية نظرا لوضوح عباراتها وتسلسلها وعدم خضوعها للفرنسة كثيرا، مقارنة بلهجات الشمال الجزائري وبعض المناطق الأخرى.

هذا، وتعد المنطقة الغربية من شمال الصحراء من المناطق المتباينة في الجزائر فهذه المنطقة ذات مزايا خاصة بين باقي المناطق، سواء أكانت اجتماعية أو طبيعية أو ثقافية أو فنية أو لهجية، وتشمل هذه

[1] – مُحَمَّد عبد الله عطوات ،اللغة العربية الفصحى والعامية ، ص48

المنطقة الشاسعة عدة نواح وجهات في ضواحيها الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية؛ وأمّا قلب هذه المنطقة ونواتها ومركزها التذي تتمحور حوله باقي المناطق والجهات فيتمثل في مدينتي الأغواط والجلفة اللتيْن تُعَدّان بمنزلة المنطقة الواحدة التي انقسمت إلى قسميْن بفعل العوامل التاريخية والجغرافية وغيرها من الظروف الطبيعية التي أسهمتْ في تشكيل جغرافية هذه المنطقة الشاسعة ورسم معالمها. ومن المعلوم أنّ كل مدينة تتفرع عنها مناطق متعددة تتصل بها اتصالا كبيراً في خصائصها ومزاياها في مختلف المجالات. وعلى هذا، فإنّ تركيزنا في البحث والدراسة سيكون انطلاقا من هذه النواة، باعتبارها أصلاً لما يتفرع عنها، ما عدا بعض الاختلافات البسيطة التي قد نجدها في بعض الضواحي التابعة لهذه المنطقة الأصلية في المدينتيْن المشار إليهما آنفا..

إنّ لهجة المنطقة التي هي موضوع دراستنا ههنا لها من المزايا والخصائص التي تميزها عن اللهجات الأخرى ما يجعلها جديرة بالالتفات إليها بحثا ودراسة لاستخراج خباياها واستكشاف أسرارها؛ إنّها تكاد تكون لغة فصيحة في بعض المواضع بدرجات متفاوتة، وهذا دليل محافظتها على اتصالها بالعربية الفصيحة، وهو بالتالي دليل أصالتها، على اعتبار أن اللغة العربية الفصيحة قد حافظت على أهم خصائصها، بما لا يتحقق في غيرها من اللغات السامية الأخرى؛ ولذلك قرّر كثير من الباحثين المنصفين من العرب والمستشرقين في مجال فقه اللغة أن العربية هي أم اللغات السامية، وليست مجرد واحدة من هذه اللغات..

ومن هذه الخصائص الاجتماعية للهجة المنطقة السهبية أنّ من أهم ما يميزها اجتماعيا أنها ملتقى عدة حضارات ولّدت مزيجاً من الكلمات مما يجعلنا نقول إنّ قاموس اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية غني بألفاظه وتعابيره وثري بدلالاته وأبعاده، خصوصاً في مجال الحياة الاجتماعية، ولهجة الأغواط لا تختلف عن لهجة الجلفة فهما يلتقيان في العديد من الكلمات أو في العديد من المسميات ، لها ميزات خاصة لا نجدها في اللهجات الأخرى. [1]

وفي مجال الاستعمال، نجد أهل المنطقة يطلقون عدة مسميات على شيء واحد، مثل : أُوريسة (جاريكانة) بمعنى وعاء للماء وغيره من السوائل ؛ سوبرية : إناء لحفظ أو نقل المأكولات ولا سيما السوائل منها ؛ بتّية (برميل) : وعاء كبير لحفظ الماء بكميات كبيرة.. فهذه الكلمات متقاربة في معانيها، على الرغم من تخصيص كل منها بمجال استعماله ووظيفته.

[1] – هذه المميزات والخصائص التي تخص لهجة المنطقة تشمل جانب النطق كما تشمل استعمال الكلمات ومدلولاتها.

ومن خصائص لهجة المنطقة اعتماد أهلها بشكل كبير في النطق على حرف القاف، مثل قولهم: قرداية، ويراد بها اسم مدينة غرداية ؛ ولقواط التي يراد بها اسم مدينة الأغواط ؛ وكلمة صقير وهي بمعنى: صغير ؛ وكلمة بقْداد، ويراد بها بغداد ؛ وكلمة يفـرّق بمعنى: يفـرّغ ؛ وكلمة القالِي، ويراد بها: الغالي ؛ وكلمة مشقول، بمعنى: مشغول ؛ وكلمة يقـرّد، بمعنى: يغـرّد .. وهكذا في سائر الكلمات على هذه الشاكلة..

كما نجد أنّ من خصائص لهجة هذه المنطقة استعمال القاف المثلثة بدل القاف المعروفة في الكثير من الكلمات، إذ يقول أهلها مثلاً: قالُّو (بالقاف المثلثة) بمعنى: قال له ؛ مْشَـرَّقْ(بالقاف المثلثة) بمعنى: متجه نحو الشرق ؛ الْمَـدّرَّقْ(بالقاف المثلثة) بمعنى: المختفي.. وهكذا..

إنّ مثل هذه العادات النطقية بلهجة المنطقة ذات علاقة بالطابع الاجتماعي والثقافي للمنطقة، ذلك أنّها (أي المنطقة) تجمع بين بيئات متعددة تمتزج فيها العادات والثقافات فيما بينها، فهناك البيئة البدوية الخالصة التي يمثلها أهل البداوة الذين يقيمون في الأماكن البعيدة عن المدينة، ويقلّ اتصالهم بالحضر إلاّ في بعض المواسم، كحضور الأسواق الأسبوعية لبيع مواشيهم أو اقتناء حاجياتهم المختلفة من مأكل وملبس وغير ذلك ممّا يحتاجونه في حياتهم البدوية التي تتسم بقساوة العيش وصعوبة الحياة..

ومن جهة أخرى هناك البيئة الحضرية التي تتمثل في سكّان المدن، وهم درجات من حيث الفصاحة واستعمال اللهجة، فكلّما اقتربنا من مركز المدينة قلّ استعمال الألفاظ الفصيحة وزاد استعمال الألفاظ الدخيلة، وكلّما ابتعدْنا عن المدينة كان العكس..

ولذلك نجد أنّ سكان الأرياف أكثر محافظة على أصالة اللهجة لأنه يقل اختلاطهم بما يغيّر طريقة تخاطبهم، فتبقى المادة اللغوية لديهم محافظة على بقائها ونقائها.. وكلّما كثر احتكاكهم بالناس في المدينة أخذتْ فصاحتهم تتناقص.. وهذا يشبه إلى حد كبير ما كان من القبائل العربية البدوية التي كانت تمثل رقعة الفصاحة حين شرع اللغويون في جمع اللغة.. فهذه القبائل كانت قليلة الاتصال بالحجاز حيث مركز الحضارة والتطور الاجتماعي الذي يتّسم بالاختلاط بين مختلف الأجناس وهو ما يؤدّي إلى تراجع مستوى الفصاحة وانتشار اللّحْن.. [1]

[1]– لقد ضاع الكثير من الألفاظ النادرة التي كانت متداولة في البيئة البدوية، برحيل مصادرها الأصلية من الشيوخ والعجائز ممّن كانوا يستعملونها ولا يعرفون سواها، وما يتم تناقله اليوم فيه الثابت المعلوم وفيه ما يحتاج إلى التحقيق للتأكد من صحة الرواية الشفهية..

إنّ هذه الاعتبارات التي ذكرناها حول لهجة المنطقة لها اتصال وثيق بحياة الناس، فتنوع البيئة الاجتماعية بين بيئة بدوية وبيئة حضرية، وامتزاج الثقافات المختلفة نتيجة التواصل الدائم بين مختلف الفئات من مختلف البيئات، كل هذا يؤدّي إلى وجود عادات نطقية تعكس هذه التنوعات، فخشونة الحياة مثلاً تنجم عنها ظاهرة التفخيم للأصوات المنطوقة، وعكس ذلك ينجم عنه ترقيق لدى بعضهم؛ كما أنّ طبيعة اللفظ ومكوناته الصوتية لها علاقة بنطقه، إذ نجد أن هناك بعض الألفاظ المستعملة بالمنطقة لا تُسْتَعمل في مناطق أخرى مثلاً، فكل جهة لها ألفاظها، بل إنّنا نجد هذا التنوع والاختلاف حتى على مستوى المنطقة الواحدة، إذ يتباين استعمال بعض الألفاظ بين جهة وأخرى..

ويمكن أن نأتي بجملة من الأمثلة عن هذا التنوع والتعدد في البيئة الاجتماعية والثقافية، فيما يأتي: [1]

– استعمال أهل البادية وبعض مناطق الريف للفظ (خوّان / يخْوَنْ / الخوْنَة =) ويقابلها عند أهل المدينة لفظ (سرّاق / يَسْرَق / السَّرْقَة) .

– استعمال أهل البادية للفظ (باط / باطْ بالتفخيم) ويقابلها عند أهل المدينة لفظ (والو / أَهَا بالغنة مع الهاء).

– استعمال أكثر أهل البادية للفظ (السّلْقُومَة) ويقابلها عند أهل المدينة لفظ (المُـقْـرُفْ).

– مناداة بعض أهل البادية للوالد بقولهم: (سيدي/ أُبَّيْ) ويقابلها عند بعض أهل المدينة لفظ (أبِي) ؛ ومناداتهم للوالدة بقولهم: (أُمّا/ لَعْزُوج) ويقابلها عند بعض أهل المدينة لفظ (ماما/ أُمّا) ؛ ومناداتهم للجدة (حنّا / جدّة/ لَعْزُوج) ويقابلها عند بعض أهل المدينة لفظ (أُمَّيْمَة/ أُمّا)..

– استعمال أهل البادية للفظ (حُوش: بالتفخيم) ويقابلها عند أهل المدينة لفظ (دار). وكلا اللفظين فصيح كما هو معلوم، وهو ما تتداوله معاجم اللغة العربية..

– استعمال أهل البادية للفظ (إِيهْ بكسر الهمزة وترقيقها / آيَهْ/ أَنْعَمْ) ويقابلها عند أهل المدينة لفظ (إيهْ بإمالة الهمزة). وكلا اللفظين فصيح. وتقابلهما(أيْ / نعم) في اللغة الفصيحة ..

– استعمال أهل البادية للفظ (نْسوَّلْ/ اسْوالْ) وهي فصيحة من سأل يسأل وع قلب الهمزة واواً لتسهيل النطق، ويقابلها عند أكثر أهل المدينة لفظ (نسقْسِي/ اتْسَقْسِي) وهي أيضاً فصيحة بمعنى: أستقْصِي/ استقصاءً... وفي هذا يقول الشاعر:

سوّلتْ اعْرَافو لْكلْ ورقة وعْضدْ ** وجْدُورو وجْميع زايدْ تابع ليه. [1]

[1] – مصادر شفهية، من الاستعمالات اليومية في الأوساط الشعبيتة.

– استعمال أهل البادية للفظ (ويْنَـاهْ؟: بمعنى: مَنْ) ويقابلها عند أهل المدينة لفظ (شْكُون؟). وكلتاهما فصيحة، فالأولى تقابل (من: الاستفهامية للعاقل) والثانية هي من التركيب: أيّ شيء تكون؟ بعد أن جرتْ عليه عملية النحت..

– استعمال أهل البادية للفظ (قَاوِي) ويقابلها عند أهل المدينة لفظ (بَرْدانْ) تعبيراً عن الشعور بالبرد، ويكون هذا في فصل الشتاء، واللفظ (قاوي) له أصله في اللغة الفصيحة، وكذلك اللفظ (بردان). فالأول من (الإقواء) وهو التواجد في مكان خلاء أو أرض جرداء، بحيث يشعر الإنسان فيه بالتجرد ممّا يقيه من البرد في فصل الشتاء، وهذا المعنى لم نجد أحداً اشار غليه أو تحدث عنه من أهل اللغة أو المفسرين، وقد استخلصناه من دلالة هذا اللفظ في اللهجة الشعبية في بوادي منطقة الأغواط، فهم لا يقولون (فلان بردان) كما يقول أهل الحضر، وإنما يقولون (فلان قاوي).. وفي هذا المعنى يأتي قول النابغة الذبياني :[2]

يا دار مية بالعلياء فالسند ** أقوتْ وطال عليها سالف الأبَد

وَقَفتُ فيها أُصَيلاناً أُسائِلُها ** عَيَّت جَواباً وَما بِالرَبعِ مِن أَحَدِ

فقوله : (أقْوَتْ) بمعنى : خَلَتْ من الناس، والبيت الثاني يوضح هذا المعنى ويؤكّده، ويبيّن ما آلتْ إليه الدار بعد طول عهد حتى لم يبق فيها شيء من علامات الحياة.. ومكان كهذا إذا شتا صار بارداً لعدم وجود ما يقي فيه من البرد.. وهذا ما يتصل بقولهم في اللهجة الشعبية بالمنطقة (فلان قاوي: بمعنى يشعر بالبرد). أمّا لفظ (بردان) فهو مشتق من لفظ البرد كما يبدو من لفظه..

ولعل من أقوى ما يؤيّد دلالة لفظ الإقواء على البرد ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ النَّار الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشَئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَة وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة/56] فلفظ (المُقْوِينَ) في الآية يدلّ على من حلّوا بالمكان الخالي كالصحراء مثلاً، وما دام الحديث هنا عن النّار، فلا شك انّه هؤلاء يحتاجون إليها، لتنتفعوا بدفئها وإضاءة المكان بها واتخاذها وسيلة للإنارة ومآرب أخرى يجدونها فيها.. لكنّ الدّفْء في مقدمة ما يحتاجونه من النار حال كونهم في الصحراء.. وقد قال أغلب المفسرين بأنه يُراد بها المسافرون أو المستمتعون بها في حال السفر أو الاستقرار..

– استعمال أهل البادية للفظ (لْقَبْ) فيقولون في إسناد هذا الاسم إلى الضمير: (لَقْبِي، لَقْبُو) ويقابلها عند أهل المدينة لفظ (فَم) ويقولون في إسناده إلى الضمير: (فمِي، فَمُه..). وكلمة (لْقَبْ)

---

[1]– من قصيدة للشاعر الشعبي محفوظ بلخيري من مدينة مسعد وهو يسائل الحجر والشجر عن أخبار محبوبته..(سوّلْتْ= سألتُ / اعْرافُو= اغصانه / لْكُلّْ= كلها / ورقة واعضدْ= أوراقا وسيقاناً / وجْدُورو= وجذوره / وجميعْ زايدْ ليه= وكل ما هو تابع له..)

[2]– العلْياء: مان مرتفع ؛ السند: سند الوادي حين يتصل بالجبل ؛ أقْوتْ : خَلَتْ من أهلها ؛ سالف الأبد : ما مضى من الدّهر ..

نجدها مستعملة عند أهل البوادي الذين يقلّ اتصالهم بالحضر، أمّا من يكثرون التردد على المدن فقد يستعملونها وقد يستعملون معها كلمة (فَم). وامّا أهل الحضر في المدينة فلا يستعملون هذا اللفظ إلاّ نادراً عند مَن عاشوا حياة البادية من كبار السّن المخضرمين (بين المدينة والبادية) وإنّما يستعمل أهل المدينة لفظ (الفَم) في مخاطباتهم..[1]

وكلا اللفظين له أصل فصيح؛ فلفظ (الفَم) مستعمل كما هو في اللغة الفصيحة، مع تغيير بسيط في نُطْقِهِ، إذْ يُنْطَق في الفصيح بفتح الفاء، وينطَق في اللهجة الشعبية بضمّ الفاء والميم مع مدّ الميم بالواو (فُمُّو) أو الياء (فُمِّي) بدل الضمير، أو إضافة ضمير آخر (فُمُّكْ)... وأمّا لفظ (اللَّقَبْ) فتأتي فصاحته من كونه مشتقّاً من لفظ (اللَّقَب) باللغة الفصيحة، ويراد به التسمية أو الكنية، ومنه(اللقَب العائلي). ويقال أيضاً : (يُلَقَّبُ فلان بكذا وكذا..). وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى : (ولا تنابزوا بالألقاب..) [الحجرات/11] والألقاب هنا هي ما يتبادله الناس من التسميات والألقاب التي يُغَيّرون بها لا يحبونها لأنها تُسيء إليهم، كأنْ يقول أحدهم للآخر: (يا منافق، يا كافر) وعن ابن عباس ﷺ أنّ التنابز بالألقاب أنْ يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها، وراجع الحقّ، فنهى الله أن يعير بما سلف من عمله.

إنّ هذه النماذج التي سُقْناها ههنا إنّما هي أمثلة لتوضيح ظاهرة التنوع على مستوى اللهجة الواحدة، وهي لهجة منطقة الدراسة؛ ومن الجدير بالذِّكْر أنّ هذه الاستعمالات التي أوردناها ونسبْنا بعضها إلى البادية أو الريف وبعضها إلى المدينة أو الحضر ليست بالضرورة مقتصرة كل الاقتصار على جهة دون أخرى، وإنّما اشرنا إلى الاستعمال الغالب، ولكنّ ذلك لا ينفي تداول نفس اللفظ هنا وهناك، خصوصاً مع تطوّر الحياة وتوفر وسائل الاتصال والتواصل بين مختلف الجهات بالمنطقة الواحدة، بل حتى بين المناطق المتباعدة..

وثمّة أمثلة أخرى من هذا القبيل تتصل بحياة الناس وظروفهم الاجتماعية والثقافية، مع الإشارة إلى أنّ هذه الظواهر متداخلة في الاستعمال، وأنّ ثمة عدة تقاطُعات بين أهل البادية والأرياف وسكان المدينة في تداول بعض الألفاظ، فليس بالضرورة أن تقتصر هذه الاستعمالات على منطقة دون اخرى، وإنما أردنا الإشارة إلى التنوع بين المناطق لاعتبارات، لأنّ تعاقب الأجيال عبْر العصور وتغيُّر الحياة الاجتماعية وتطور الوسائل العصرية التي تطورتْ معها ثقافة المجتمع...كل ذلك أدّى إلى وجود تداخل بين مختلف

[1] – مصادر شفهية، من مجالسة أهل البادية والمدينة والسماع منهم..

الاستعمالات، وعليه، فليس من السهل اليوم البحث عن أصالة الألفاظ وبداوتها نظراً لهذا التداخل وسهولة التواصل والاتصال اليومي بين أهل البادية والريف والمدينة..

ومهما يكن من تنوع واختلاف بين اللهجات في المناطق المتعددة أو في المنطقة الواحدة، فإنّ ثمة عدة مزايا مشتركة بين هذه اللهجات، بما يتلاءم مع طبيعة الحياة اليومية في المجتمع، ومختلف التعاملات الجارية باستمرار التي تتطلب الخفّة والسرعة واقتصاد الجهد في الأداء الكلامي، وذلك باتباع عمليات القلب والإبدال والحذف والإدغام والإيجاز، وغيرها ممّا تتميّز به اللهجة الشعبية المنطوقة من مظاهر التخلص ممّا يسبّب الثقل في النطق أو في التعبير، ميولاً إلى السهولة من اجل ضمان جريان عملية التواصل بأحسن الطُّرُق وأيسرها..

وهناك ظاهرة أخرى لها علاقة بمسار المجتمع عبْر الزمن، وتتمثل في وجود بعض الكلمات والتسميات ذات أصول مختلفة تبدو غير عربية، وهي بلا شك نتيجة لظروف اجتماعية وثقافية سابقة عرفتها المنطقة عبْر تاريخها العريق؛ ومن هذه مثلاً أسماء بعض المناطق، وهي أسماء مركبة قديمة لبعض المناطق، مثل: تيلغيمت، تيمزيغت، تاويالة ، لالماية ، ترقلل، التي يقال إن أصلها أمازيغي.. [1] غير أنّ ثمة من يفسرها تفسيراً غير ذلك، خصوصا عندما يقرنها بأسماء مركبة أخرى قديمة كذلك بالمنطقة، مثل: تاجموت أي تاج الموت، وتاجرونة ، على شاكلة : حضرموت باليمن، وبعلبك بلبنان، وما جاء على هذا المنوال..

إنّ دراستنا لهذه اللهجة الجزائرية في منطقة شمال غرب الصحراء، تمثل دراسة لإحدى المناطق التي تتجلى فيها العلاقة القائمة بين العربية الفصيحة واللهجة الشعبية، أو لنقل إنّ لهجة هذه المنطقة مستمدة في أصلها من اللغة الفصيحة؛ ولذلك نجد المجتمع كله بمختلف شرائحه وطبقاته في هذه المنطقة يتفاعل مع مختلف الاستعمالات اللهجية التي تبدو قريبة من الفصحى إلى حد كبير، وهذا مجال خصب وثريّ يحتاج من الباحثين إلى جهود متواصلة في هذا الشأن..

ثبـات لهجة المنطقـة ومحافظتها على أصالتها:

على الرغم من كل ما تعرضت له الجزائر في كل مناطقها وربوعها من الحملات الاستعمارية التي كانت تروم النيل من هويتها المتمثلة في دينها الإسلامي ولغتها العربية ووطنيتها المتجلية بقوة في حبّ الوطن والاستعداد للتضحية من اجله.. على الرغم من كل هذه الحملات بقيت اللهجة الجزائرية ثابتة محافظة على خصوصياتها ومزاياها ثبات اللغة العربية التي رسّخها القرآن الكريم وزادها قوة وثباتاً على امتداد

[1] – هذه المناطق تابعة لمنطقة الدراسة، وهي الآن عبارة عن بلديات ودوائر، وكل ناحية منها لها ما يميزها تاريخيا واجتماعيا وثقافياً..

العصور.. فمنذ أن وطئت أقدامه هذه الأرض، حرص الاستعمار على تثبيت قدمه وترسيخ ثقافته في المجتمع الجزائري، إذْ سعى إلى تقديم لسانه وتأخير اللسان العربي أو تعطيله بطريقة أو أخرى في شتى مجالات الحياة.. ولم تقف سياسة فرنسا عند هذا الحد في مكافحة اللغة العربية ، بل تعداه إلى أسوأ من ذلك، وقد قامت بفرنسة التعليم في المراحل الابتدائية، وجعل العربية لغة أجنبية واختيارية في بقية المراحل الأخرى. وقسمتها إلى ثلاث لغات منفصلة بعضها عن البعض، من أجل إهمالها جميعا في التعليم ، وهي[1]: العربية العامية التي يستعملها عامة الشعب ولا قيمة لها في المحافل الرسمية، كما أنها غير صالحة للتعليم ؛ والعربية الفصحى التي هي (لغة القرآن) وقد سعى إلى جعلها لغة ميتة محدودة الاستعمال ؛ والعربية الحديثة، وهي أقلّ شيوعاً بين أفراد المجتمع ...

ولكن على الرغم من كل هذا بقيت الفصحى تقاوم، إذ حافظ عليها الجزائريون في المراكز التعليمية المستقلة التي تديرها بعض الجمعيات، وكذلك في بعض الزوايا التي يسمح لها بالنشاط التعليمي، وكانت المساجد الرسمية قد حافظت كثيراً أيضا على الفصحى إلى حد كبير[2]. وعلى الرغم من هذه الظروف الحالكة، استطاعتْ اللهجات الجزائرية أن تحافظ على ثباتها على خصائصها الاجتماعية والثقافية، التي تصلها بعادات المجتمع الجزائري وتقاليده المتوارثة عبْر الأجيال المتعاقبة. وعلى الرغم من بقاء الاستعمار الفرنسي ما يزيد على قرن وربع القرن في أرض الجزائر ، فإنه لم يستطع تحقيق أهدافه في طمس الشخصية الجزائرية العربية الأمازيغية الإسلامية الراسخة والمستمدّة من تاريخ الجزائر العريق..

وظلت مختلف المناطق الجزائرية تقاوم على أكثر من صعيد، على الصعيد الاجتماعي، وعلى الصعيد الثقافي، فضلاً عن الكفاح المسلّح، فقد كان الشعب يدرك أنّ هويته الثقافية تتعرض لمحاولة المسخ والتغيير من قِبَل المستعمر، فظل محافظاً عليها، مستمدّاً قوّته وثباته من مبادئ الإسلام وتعاليمه، وممّا ترسّخ لديه عن طريق جهود العلماء والمصلحين والمربّين الذين كان لهم دور في الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري. ومن عناصر الهوية لغته العربية، وما يتفرع عليها من اللهجات المتوارثة عن الاباء والأجداد.. وحتى وإن امتزجتْ هذه اللهجات بشواب لغة الاستعمار التي صارتْ جزءاً منها، فإنها (أي اللهجات) بقيت محافظة على سماتها الرئيسية.. خصوصاً تلك اللهجات التي تأخر وصول الاستعمار إلى مناطقها، فكانت أوفر حظاً في الحفاظ على سلامتها من تأثير لغته وثقافته، ومنها لهجات المناطق الجنوبية، ومنها

[1]- العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص131.

[2]- ينظر: التاريخ الثقافي للجزائر، ص15.

لهجة منطقة غرب شمال الصحراء التي استطاعتْ أن تحافظ على الكثير من خصائصها الثقافية على الرغم من عمليات التأثّر والتأثير التي لا بدّ منها في كل اللغات واللهجات..

لقد تعددت اللهجات في الجزائر وتنوعت عبر أقطار الوطن، وتأثرتْ بدرجات متفاوتة بلغة الاستعمار وبلهجات أخرى نتيجة الاحتكاك المتواصل، إلا أن هناك بعض اللهجات الجزائرية مازالت تحافظ على صلتها بالعربية الفصحى مع بعض النقائص، في كون وجود بعض الألفاظ الفصيحة المستعملة في العامية إلى يومنا ، يقول عبد المالك مرتاض :"إن معظم الألفاظ العامية الجزائرية فصيحة وإنما أفسدتها العامة بألسنتها ، فأخذت تبتعد عن الفصحى من جهة أول من جهة أخرى ".[1]

هذا، وتعد المنطقة الغربية من شمال الصحراء من المناطق المتباينة في الجزائر فهذه المنطقة ذات مزايا خاصة بين باقي المناطق، سواء أكانت اجتماعية أو طبيعية أو ثقافية أو فنية أو لهجية، وتشمل هذه المنطقة الشاسعة عدة نواح وجهات في ضواحيها الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية؛ وأمّا قلب هذه المنطقة ونواتها ومركزها التذي تتمحور حوله باقي المناطق والجهات فيتمثل في مدينتي الأغواط والجلفة اللتيْن تُعَدّان بمنزلة المنطقة الواحدة التي انقسمت إلى قسميْن بفعل العوامل التاريخية والجغرافية وغيرها من الظروف الطبيعية التي أسهمتْ في تشكيل جغرافية هذه المنطقة الشاسعة ورسم معالمها. ومن المعلوم أنّ كل مدينة تتفرع عنها مناطق متعددة تتصل بها اتصالا كبيراً في خصائصها ومزاياها في مختلف المجالات. وعلى هذا، فإنّ تركيزنا في البحث والدراسة سيكون انطلاقا من هذه النواة، باعتبارها أصلاً لما يتفرع عنها، ما عدا بعض الاختلافات البسيطة التي قد نجدها في بعض الضواحي التابعة لهذه المنطقة السهبية في غرب شمال الصحراء، ولا سيما تلك القريبة منها.

ولا بأس أن نورد في نهاية هذا المبحث بعض النماذج التي تدل على أنّ من أبرز الخصائص الاجتماعية الثقافية للهجة المنطقة تأثرها بالتراث والحياة العربية الأصيلة، فلا نكاد نجد هذه اللهجة تخلو من الشار الدالة على عراقتها وأصالتها، ومن ذلك وجود كلمات كثيرة مستمدة من لغة فصيحة نابعة من صميم الحياة العربية، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بطبيعة اللفظ من حيث هو لفظ في ذاته ودلالته اللغوية، أمْ فيما يوحي به اللفظ ممّا يتصل بحياة الناس في المجتمع، بما يعكس مستوياتهم الثقافية والفكرية..

[1]– عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى ،ص 6 .

وقد ظلت لهجة المنطقة محافظة على مزاياها المختلفة وأصالتها، ومن ذلك استقاؤها الكثير من الألفاظ والمعاني من التراث العربي، واستمدادها من هذه الثروة التي لا تنضب، إذ نجد الشعراء الشعبيين بالمنطقة قد اطلعوا على هذا التراث وتأثروا به في قصائدهم.. ومن أبرز هؤلاء الشعراء الشاعر عبد الله بن كريو، إذْ يقول في إحدى قصائده :

ابن سينا شيخْ في الطّبّْ اَحكاية ** قال العشق إذا مْكن مالو تَطباب

لقد جاء ذكْر الطبيب ابن سينا، وهو أحد الأعلام البارزين في التاريخ والطب واللغة والفلسفة وغيرها منم العلوم، وله في الطب كتاب (الشفاء)، وفي هذا الكتاب يقول: " ... والنفوس البشرية إذا زالت الغبطة العليا في حياتها الدنيا، كان أجل أحوالها أن تكون عاشقة مشتاقة، لا تخلص عن علاقة الشوق اللهم إلا في الحياة الأخرى.."[1]

وهو ما نجده لدى الشاعر ابن كريو في البيت السابق، مع العلْم أنّه (أي الشاعر) قد اشتغل قاضياً وكانت له ثقافة ودراية واطلاع .. ولعل هذا القول منه دليل على معرفته بما قاله ابن سينا في هذا المجال، إن لم يكن مطّلعاً على كتابه.. والدليل على ذلك هذا التأثر الضمني الذي نقل فيه الشاعر المعنى وعبّر عنه بطريقته وأسلوبه الشعري بلهجة المنطقة..

ومن تأثّر لهجة المنطقة باللغة الفصيحة، قول الشاعر نفسه:

هي نجم ثرية الفلك الدوار ** وأنا بُعْدْ سْهيل عَنّو لا دَانِي

واشْ يْقرب ذي لْذاكا في الدّار ** هيَ شرقية وْذاكا يماني

وهذا تأثراً منه بالشاعر العربي عمر بن أبي ربيعة الذي يقول: [2]

أيها المنكح الثريا سهيلا ** عمّرك الله ، كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت ** وسهيل إذا ما استقل يماني

لكنّ الشاعر الشعبي لم يذْكر اسم عمر بن أبي ربيعة، ولعله يعرف هذين البيتين ويعرف ما كان من شأن عمر بن ابي ربيعة في الغزل وما له فيه من القصائد والقصص، وكذلك كان الشاعر ابن كريو له

[1]- ينظر، إبراهيم شعيب، ديوان ابن كريو ، ص44

[2]- المرجع نفسه، 46

قصائد وقصص مع الغزل، وهذا ما يرجح أنه كان مطلعاً على كثير من مثل هذه الآثار الأدبية من التراث الأدبي العربي في شعره وقصصه وما كان من أخبار الشعراء وغيرهم..

نماذج لأثر الحِكَم والأمثال بالمنطقة في الحياة الاجتماعية :

الحِكْمَة أو المثل الشعبي كان ولا يزال في مختلف المجتمعات عاملاً رئيساً من عوامل توجيه الناس في حياتهم على امتداد العصور، وهو يمثل ثروة ثقافية زاخرة تعْكس درجة الوعي في المجتمع وتبيّن اساليب حياة الناس وأنماط معيشتهم وكيفيات تعاملهم، كما أنه يُعطِي صورة حقيقية واضحة عن مختلف الظواهر الاجتماعية ومظاهر الحياة الثقافية والفكرية والدينية وغيرها..

والمثل أو الحكْمة من أبرز الأساليب التربوية والوسائل التثقيفية الهادفة والمؤثرة في توجيه الحياة الاجتماعية، بما تحققه من غرس المبادئ السامية والأخلاق العالية في أوساط المجتمع، فهي تهذّب سلوك الأفراد وتحثّهم على التمسُك بالقيم الأخلاقية الراقية عبْر تطبيق مضامين هذه الحِكَم والأمثال في حياتهم، كما تعمل على نشر الأُلْفَة والتضامُن والتعاون بين الناس على اختلاف مراتبهم ومستوياتهم الاجتماعية.. كما أنّ الناس يتجاوبون مع ما تحمله الحكَم والأمثال من توجيهات ويحرصون على تداولها فيما بينهم، ويتناقلونها جيلاً بعد جيل.. فضلاً عمّا يتضمنه المثل أو الحكمة من المعارف والعلوم المفيدة في مجالات الحياة المختلفة، باعتباره ينقل تجارب السابقين وخبراتهم وما تعلموه على امتداد مسيرتهم الحياتية.. وقد لمسنا الاهتمام بالمثل والحكْمة في مناطق الجنوب عموماً، وفي منطقة غرب شمال الصحراء على الخصوص، من خلال وقوفنا على كمّ كبير منها يتداوله الناس فيما بينهم، على أنواع متنوعة واشكال مختلفة من الصياغة والتعبير..

ومن تلك الأشكال والصيغ، ما نجده في كلام أهل المنطقة وجود المتقابلات المسجوعة، سواء أكانت كلمات أم عبارات، وتشيع هذه الظاهرة أكثر في الحِكَم والأمثال والأقوال التي تتضمّن نصيحة أو قاعدة من قواعد السلوك الاجتماعي، ولها تأثير بالغ في نفوس الأفراد، إذْ يُقْبِلون عليها ويانسون لها، إذْ يجدون فيها سهولةً في الحِفْظ وسلاسةً في التداول.. [1]

ونجد هذه الظاهرة كذلك في القصائد الشعرية.. ومن هذا القبيل في الحكَم والأمثال، قولهم مثلاً : (أخدم يا صقري لكبري وأخدم يا كبري لقبري / أشري الجار قبل الدار / الحر من قمزة والبرهوش من

[1]- يستعمل أهل المنطقة هذه المتقابلات كثيرا في كلامهم ، وتكون عادة في مواطن النصح والتوجيه على شاكلة الحِكَم والأمثال.

دبزة / القَـدّْ مْياتْ مَرّة والقطْعْ مَرَّة / اللّي عُمْرُو مَـدَّة ما تُقتْلُو شـدّة (بالقاف المثلثة) / أحْدَمْ آسقْرِي لْكُبْرِي واحْدَمْ آكُبْرِي لْقَبْرِي / ياكُلْ كِي لَمْحَلّة ويَصْبَحْ كِي لَمْسَلَّة / جا يسْعَى ودَّرْ تسْعَة / حَبّْ الكَلَبْ في فُمُّو تَرْبَحْ صْلاحَكْ مَنُّو (تشابه الميم والنون في الغنّة.))

ومنها في قصائد الشعر، قول الشاعر : [1]

العبْدْ الميتْ يَتَـنْسَى من بعْدْ أمَدْ ** وحتى وْيُولمْ وقتْ ليَّام تْنَسّيه

وفْراق الحيّينْ ماعَندوش الحدْ ** وكل نْهار يْفَكّْرك وِيرُدّكْ ليه

كلّْ دْقيقة كِي العام نْقولْ ازْوَدْ ** يا مَطْوَلْ ليل الشّْتَا للقاعدْ فيه

المكتوبة كاتْبة ما فيها بُدْ ** والشّي نافذْ قا العبْدْ تْضِيقْ عليه

لو يدري ما راه في اللّوح مْجَرّدْ ** اللّي جاهْ جْميع جَمْلة يَرْضَى بيه

وفي المقابل نجد الكثير من الأقوال والأمثال والحكَم لا تتحقق فيها هذه المتقابلات المسجوعة، فمن ذلك مثلاً، قولهم : (زْواجْ ليلة يْليقْلُو تدْبيرْ عامْ / ياكُلْ مْع الذّيبْ ويبْكي مْع الراعِي / الحْديثْ والمقْزَلْ / اللّي يُرْقُصْ ما يْقَطّي لَحِـتُو (يُرقُص: بالقاف المثلثة) / اللّي ناضْلَكْ من مَضْرَبْ نوضْلُو من زوج / دِيرْ روحكْ بهْلُولْ تاكُلْ لَكْسُورْ / خوكْ خوكْ لا يْقُرّكْ صاحبكْ / اللّي يُـخْرُجْ في الليل لابُدُّو مْنَ السّْبَعْ / اللّي عدُّو ضْفُرْ يَحْفَرْ واللّي عدُّو جْناحْ يْطِيرْ ...) والأمثلة من هذا القبيل كثيرة في موضوعات متعددة متنوعة وفي مختلف مجالات الحياة ..

---

[1]- الأبيات من قصيدة: فطّ القلب للشاعر محفوظ بلخيري من شعراء مدينة مسعد.(وهي كما تبدو تجري مجرى المثل والحِكمة)

المبحث الثالث

الخصائص اللسانية

للهجة منطقة غرب شمال الصحراء

المبحث الثالث : الخصائص اللسانية للهجة منطقة غرب شمال الصحراء

أولاً : الخصائص الصوتية للهجة الشعبية بالمنطقة :

توطئة :

شُغل الباحثون بدراسة الجانب الصوتي والبحث فيه منذ القديم، إذْ نجد في الدراسات العربية القديمة اهتمامًا كبيراً بالأصوات ومخارجها، بل ونجد بعض الاختلافات بين الدارسين مما يثبت تطور هذا العلم من فترة لأخرى ومن دارس لآخر. وفي العصر الحديث زاد هذا الاختلاف والتنوع ذيوعًا وانتشاراً مع تطور الوسائل التكنولوجية، وأصبحت دراسة الأصوات تتم في المخابر وبوساطة أحدث الأجهزة، وأصبح الاهتمام بهذا العلم ضرورة حتمية لأي دراسة لغوية.

إنّ من طبيعة علم الأصوات أن يتصل بمختلف العلوم والمعارف، وهو المنطلق في الدراسات اللسانية الحديثة.. لتأتي بعده فروع الدراسة الأخرى كالبحث في المعجم والصرف والتركيب الدلالة والجانب البلاغي، وغير ذلك من فروع الدراسة الأخرى.. بل إنّ الحاجة إلى دراسة الأصوات مهمّة وأساسية في سائر العلوم والفنون الأخرى التي لا تستغني عن هذا الجانب، كالعلوم الطبيعية والتكنولوجية والموسيقى وغيرها، إذْ تهتم بمعرفة المخارج والصفات لمختلف الحروف والأصوات وتدرس شدتها وذبذباتها وترددتها، وأوضاع الأوتار الصوتية، فضلاً عن الاهتمام بالصوت من الناحية الفنية والجمالية..

وعلاقة الصوت بالموسيقى قوية من حيث المفهوم ويرتبط ارتباطًا وثيقا بالإيقاع على اختلاف أنواعه وأشكاله، وذلك باكتساب الصوت خاصية نغمية تؤدّي دوراً موسيقيا تستلذه الأذن، وفي هذا يرى اللغويون القدماء الذين عُنُوا بدراسة الصوت وأدركوا أهميته وقيمته الإيقاعية والجمالية :" ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعا لذّ لسامعه فحفظه، فإذا حفظه كان جديرًا باستعماله ، ولو لم يكن مسجوعًا لم تأنس النفس به، ولا أنقت لمستمعه، وإذا كان كذلك لم تحفظه ، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعماله ما وضع له، وجني به من أجله.."[1]

والصوت بوصفه العام هو "حركة تذبذبية تصدر عن جسم مصوت فتنتقل هذه الذبذبات عبر وسط سائل أو غازي أو صلب ليصل إلى الجهاز السمعي، فيتم تحليله لتحصل الاستجابة بعد ذلك"[2].

[1]- ابن جني، الخصائص، تحقيق، مُحَمَّد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط4، ج1، ص217

[2]- عبد الحميد زاهية، علم الأصوات وعلم الموسيقى دراسة صوتية مقارنة ، دار بافان، الأردن، ط1(2010)، ص41

لا يقتصر الصوت على اللغة أو على التواصل الفيزيائي الذي يمثله الكلام بين البشر وإنما يتعدى عن ذلك ليشمل كل أجزاء الطبيعة، كما لاحظنا ذلك في الخطاطة السابقة، وهذه الأصوات تنقسم إلى قسمين:

الأول: أصوات طبيعية كصوت الحجر والحديد والخشب والريح، أي أنها أصوات لظواهر طبيعية، ولما في الكون من مكونات جامدة، والثاني: اصوات آلية كصوت الطبل والأوتار وما شاكلها..[1].

إذا كانت اللغة هي النظام العام الذي يكفل التواصل السليم المنطقي بين البشر، فإن الصوت هو دليل وجودها واستمرارها، والتاريخ القديم يثبت هذه الفكرة من خلال انتقال جل النصوص الدينية وغيرها إلينا عن طريق الرواية الشفوية أي عن طريق الصوت إلى عهد غير بعيد عند ظهور الكتابة، فالصوت إذن "هو الأساس الذي يقوم عليه بناء مفرداتها وصيغها وتراكيبها، بل وأدبها كله شعرًا أو نثرًا، لذلك لابد لدارس اللغة من دراسة أصواتها.."[2]

ولا عجب إن قلنا إن اللغة بحروفها وأصوات كان لها اشتقاق من أصوات الطبيعة أو نوع من التطابق حتى وإن لم يكن مقصودًا أو محللاً.

وقد ربط ابن سينا حين وصف اللغة من الناحية الشفوية السمعية بما يناسبها أو يشبهها في الطبيعة، فراح يعدد الأصوات ويبيّن مدى تعالقها مع الطبيعة، حيث أفرد لها فصلا وسمه بـ(أسباب حدوث الحروف) فاستنتج انه بالإمكان حصول أصوات من دون نطق تشبه الأصوات المنطوقة المعرفة في لغة التواصل فمثلا يمكن حدوث صوت التاء يقرع الكف بإصبع قرعا قويا، والراء تحدث عن تدحرج كرة على لوح من خشب من شأنها أن يهتز اهتزازا غير مضبوط بالحبس..." [3]

وعليه، فلابد للباحث من دراية بخبايا الطبيعة وأسرارها من الناحية الصوتية حتى يتمكن من معرفة علاقة الصوت اللغوي بشبيهه في الطبيعة، فتفسير الظواهر الصوتية ينبني على المعرفة التامة بأحوال الأجسام الطبيعية المحدثة للأصوات، كما يجب على المشتغل بهذه الصناعة أن يعرف الأجسام التي لا تحدث أصواتا ولا أنغامًا ومعرفة سبب ذلك..[4]

---

[1]- ينظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، دار صادر، بيروت، ج1، ص168.

[2]- حني عبد الجليل يوسف، التمثيل الصوتي للمعاني، دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1(1417-1998)، ص13.

[3]- ينظر: محمد صالح الضالع، علوم الصوتيات عند ابن سينا، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، (2002)، ص41.

[4]- ينظر: عبد الحميد زاهية، مرجع سابق، ص 22-23.

ولعل من أهم أوجه الاختلاف بين اللهجة العامية واللغة الفصيحة هو الوجه النطقي الصوتي من أداء المتكلمين وتصرفاتهم في الحركات الإعرابية، وذلك من أجل سهولة النطق بها، وهو ما لا تخلو منه أية لهجة شعبية، إذ إنّ الجانب الصوتي يأتي في مقدمة الاهتمام عند القيام بدراسة اللهجات؛ ويتجلى ذلك في عدة ظواهر صوتية تتميز فيها اللهجة عن اللغة، أو تتميز فيها لهجة عن أخرى، وهو ما سنتناوله ههنا من خلال استعراض أهم الظواهر الصوتية في لهجة منطقة غرب شمال الصحراء، وما تتميز فيه عن اللغة الفصيحة، مع إيراد أمثلة من واقع استعمال هذه اللهجة..

الظواهر الصوتية في لهجة منطقة غرب شمال الصحراء :

ظاهرة الابدال :

ظاهرة الإبدال من أهم الظواهر التي يمكن الحديث عنها في دراسة هذه اللهجة، وهي ظاهرة لغوية اهتمّ بها اللغويون من القديم " والابدال مصدر يبدل الشيء، اتخذه عوضا منه أو خلفا له، وهو فن عرفه النحويين، إحلال حرف مكان حرف آخر."[1]

والإبدال من العادات النطقية القائمة على تعويض حرف بحرف آخر، وهي من أبرز السمات في اللهجات الشعبية بصورة عامة. وهو متكرر كثيراً في لهجة المنطقة، بل إنه من أكثر الظواهر انتشاراً، فلا يكاد يخلو فيها موضع منه.. وهو من أبرز الخصائص التي تميّز هذه اللهجة عن غيرها من اللهجات.

ومن صور هذه الظاهرة، مثلاً: إبدال الغين قافا ، إذ يقولون : " قزال = غزال ؛ صقير = صغير ؛ القْلَمْ = الغنم ؛ قالية = غالية ؛ يقْتَبْ فيه = يغتابه ؛ قير هذا = غير هذا ؛ مقبون = مغبون ؛ يقْريه = يُغْريه قرداية = غرداية ؛ لقواط = الأغواط ؛.. والأمثلة من هذا القبيل كثيرة، فهذه الظاهرة تنطبق على الكلمات التي يكون فيها صوت الغين، بحيث يتم إبداله باستعمال صوت القاف.. ومثال ذلك قول الشاعر :[2]

قرداية تاريخ ماضي وحاضر ** قطب السواح تبقى من جيل لْجيل

نتفكر لقواط يوم تفارقنا ** خلَّيْنا لحباب يا معتاه نهار

ومن صور الإبدال أيضاً في لهجة المنطقة، إبدال القاف كافاً، غير أنّ هذه الظاهرة أقل انتشاراً من الأولى، كما أنّ مواضع ورودها في لهجة المنطقة قليلة، فلا توجد كلمات كثيرة تتجلى فيها هذه الظاهرة، وقد تكون ممّا وفد إلى المنطقة من اللهجات الأخرى، تكون بسبب قلّة شيوعها كثيراً نظراً لقلة مادتها في

[1] ــ زبير دراقي ، محاضرات في فقه اللغة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 1992، ، جزائر ، ص 71

[2] ــ صادقي مخلوف، أشهر التآليف في الكلام اللطيف من شعر المخاليف ، قصيد (التراث الثقافي والتاريخي)، ص 147

مجالات التخاطب اليومي.. " ومن أمثلة هذا النوع قولهم : (يُكْتلُو بمعنى يقتلُه ؛ وعند بعضهم يقال: يُقْتْلُو بالقاف المثلثة) فهذه المادة تُستعمل في لهجة المنطقة بالكاف أو بالقاف المثلثة بدل القاف، وذلك في كل كلماتها ومشتقاتها من الأسماء والأفعال..

ولكن ليست كل قاف يتم إبدالها كافاً، إذ نجد عدة كلمات تقترن فيها القاف بالحروف ذاتها، لكنها تُنطَق قافاً مع هذه الحروف، وهذا ما يجعلنا نشير إلى خصوصية هذه الظاهرة بوجودها في مواد لغوية محدودة..[1]

ومن ظواهر الإبدال ما يقع بين اللام والنون ؛ وما يقع بين الباء والميم.. إذْ يتمّ تحويل النون إلى لام كما في قولهم : (فنجال بدل فنجان) ، وقولهم : (رجم بدل رجب). وهناك أمثلة أخرى من هذا القبيل، وإنما اكتفيْنا بهذه النماذج قصد الإشارة إلى وجود هذه الظاهرة في لهجة المنطقة. ومن أمثلة هذا النوع من الإبدال، قول الشاعر: [2]

مدّتْلي **فنجالْ** مرّ من العلقم ** وجاني كي طيب الشهدة نستطعم

ولو قارنّا بين ظاهرة الإبدال الأولى بين الغين والقاف، والظاهرة الثانية بين اللام والنون وبين الميم والباء، لوجدنا أنّ الإبدال الأول يكون بين حروف المتجانسة التي يقع الاختلاف في نطقها صوتياً فقط، من دون تغيير الحرف، إذ القاف هي الغيْن ذاتها في الأمثلة السابقة، وإنما اختلفتا في النطق وحسب.. بينما نجد أنّ الإبدال الثاني بين الميم والباء وبين اللام والنون يقع بين الحروف المتقاربة من حيث المخرج، وهو ما جعلهم يستعملون هذا بدلاً من ذاك..

ظاهرة الإدغام :

الإدْغام (أو: الادّغام) هو إدماج حرف في حرف مثله، بحيث ينطقان حرفاً واحداً مشدَّداً ويشمل ذلك كل أنواع الكلمة من اسم وفعل، مثل: (شدْدَ = شَدَّ ؛ هَمْمَ = همَّ ؛ كلْلَ = كلَّ ...). ويكون الإدغام لازماً إذا سكن الحرف الأول منهما وتحرّك الثاني، كما في الأمثلة السابقة.. بينما يجوز الفكّ والإدغام، في فعل الأمر المبني على السكون، مثل: (أُشْدُدْ = شُدَّ (فعل أمر) وكذلك الفعل المضارع المجزوم بعلامة السكون ، مثل: (لم يَمسَسْ = لم يَمَسَّ..) . وإذا جاز الفكّ والإدغام وجب الإدغام، لأنّ فيه تخفيفاً، واللغة العربية لغة الخفّة والإيجاز، وهذا من قبيل الاقتصاد والتخفيف من جهة النطق..

[1] _ ظاهرة إبدال القاف كافاً من خصائص لهجة بعض المناطق الشرقية من الجزائر، كما هو الشأن في منطقة (جيجل) ..

[2]- مخلوف صادقي ، أشهر التآليف في الكلام اللطيف من شعر المخاليف ، قصيدة (مدتلي فنجان) الشاعر زريقات بوبكر ، ص148

وظاهرة الإدغام من أبرز الظواهر التي تشتهر بها لهجة منطقة غرب شمال الصحراء، إذ يتم إدماج الحروف بعضها في البعض، فيقولون : (**عدّكْ بدل عندك،** بإدغام النون في الدّال) وهنا نلاحظ إدغاما بوضوح الشدة، مع اختفاء الغنّة من النون لعدم وجودها في الدّال.) وأمّا إذا كان الإدغام بين الميم والنون فإنّ الغنّة تبقى موجوده، لأنها من صفة الحرفيْن كليهما، كما في قولهم : (خلّيها **مـمْبَـعد بدل: من بعد**) [1] : أي أُتْرُكْها فيما بعد، وهنا نلاحظ إدغاماً للنون في الميم بعدم وضوح الشدة، مع بقاء الغُنّة كما ذكرْنا، وهنا يجوز لنا كتابة الكلمة بميميْن معاً من الناحية الخطية، كما يجوز كتابة ميم واحدة مشددة مع إظهار الشدة، أمّا الباء في كلمة (بعد) فتبقى كما هي.. يقول الشاعر: [2]

مدّتْلي فنجالْ مرّ من العلقم ** وجاني كي طيب الشهدة نستطعم

نلاحظ ههنا إدغام الدّال في كلمة: (مدّتْلي) وبفكّ إدغامها يقال: (مدْدَتْ لي) مع استعمال الشدة دليلاً على إدماج الدّال في أختها.. وأمثلة هذه الظاهرة كثيرة في لهجة المنطقة ككثرتها في اللغة العربية..

ظاهرة التفخيم :

التفخيم عكس الترقيق، جاء في اللسان أنّ التفخيم والتعظيم، وفخَّم الكلام: عظَّمه، ومنطق فخْم، جزل على المثل، وكذلك حسَب فخْم والتفخيم: في الحروف خلاف الإمالة، وألف التفخيم هي التي تجدها بين الألف والواو، كقولك: سلام عليكم، وعلى هذا، كتبوا: الصلاة الصلواة، الزكاة الزكواة، الحياة. [3]

وظاهرة التفخيم من أبرز الظواهر الصوتية في لهجة منطقة غرب شمال الصحراء، وتتجلى في عدة مواضع من كلام الناس في نطقهم لبعض الحروف بهذا الشكل، واشهر الحروف التي يقوم أهل المنطقة بتفخيمها في نطقهم أثناء التخاطب اليومي: (حرف الراء، وحرف اللام، وحرف السين، وحرف الذال، وحرف الواو) ولكنّ ذلك لا يشمل هذه الحروف في كل مواضعها واستعمالاتها، وإنما يلحقها في بعض الكلمات دون أخرى؛ أي أنّ هذه الحروف لا تُنْطَق دائما مفخَّمة عندهم، بل نجدها في بعض المواضع مرققة.. غير أنّ هذه الظاهرة (أي التفخيم) كثيرة التداول في لهجة المنطقة، وفيما يأتي بعض الأمثلة على ذلك:

---

[1] – ما جاء من قبيل هذا المثال باقتران النون مع الباء يمكن أن يندرج ضمن ظاهرة أخرى هي الإقلاب، وهي التبديل عند النطق بالحرف، ويكون عند التقاء حرف النون الساكنة أو التنوين بحرف الباء..

[2] – مخلوف صادقي ، أشهر التآليف في الكلام اللطيف من شعر المخاليف ، قصيدة (مدتلي فنجان) الشاعر زريقات بوبكر ، ص148

[3] _ ابن منظور ، لسان العرب ، باب الفاء ، مادة (ف خ م) ص 3362

فمن تفخيم الراء قولهم : مقْروم (أي: مُغْرَم) ؛ ومن تفخيم الصاد قولهم: الصُوقْ بالقاف المثلثة (أي: السوق ؛ وقولهم : السُّورْ (نطقاً بالصاد) ؛ وقولهم: خمسطاعش، سطّاعش... ومثلها من الأعداد حيث توجد السين التي تُنطَق صاداً ؛ ومن تفخيم الذّال قولهم : ضُرْكا (أي: الآن) ؛ ومن تفخيم الواو قولهم : والُو (أي: لا).. وهناك أمثلة كثيرة على هذه الشاكلة.. [1]

ظاهرة النحت :

النحت من الظواهر اللغوية التي تتصل بالجانب الصوتين وذلك بنطق كلمة واحدة بدلاً من عدة كلمات، كما تتصل بالجانب التركيبي بإدماج عدة كلمات في كلمة واحدة مركبة، والفعل " نحت ينحُت العود ، براه ونحت الخشب : نجرها والحجر سواه وأصلحه."[2] وفي هذا المعنى يندرج النحت في اللغة، ذلك أنّ المتكلم يقلّص كلامه ويخففه محولاً عدة كلمات إلى كلمة واحدة مركبة، وقد تكون هذه الكلمة فعلاً أو اسماً أو صفةً، وأمثلة هذه الظاهرة كثيرة في لغة العرب منذ القديم.. وفيما يأتي أمثلة منه : (بسمل = قال باسم الله الرحمن الرحيم، ومنه (البسملة) ؛ حيعل = قال: حي على الصلاة حي على الفلاح، ومنه (الحيعلة) ؛ مشأل = قال: ما شاء الله، ومنه (المشألة) ؛ حوقل = قالك لا حول ولا قوة إلاّ بالله، ومنه (الحوقلة) ؛ مشكن = قال ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ومنه (المشكنة) .. وغير هذه الأمثلة كثير في لغة العرب، وقد أثبته الخليل بن أحمد ، وتحدث عنه ابن جني في باب الاشتقاق، وعقد له ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة فصلاً مهمّاً في حديثه عمّا فوق الثلاثي، إذ رأى أنه من باب النحت، وكذلك فعل الثعالبي، إذ أثبت أنّ " العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار، كقولهم: حيعلة: حي على الفلاح / صلدم: الصلد – الصدم / ظبطر- ظبط ، ظبر / صهطق : صهل– صلق.. "[3]

وظاهرة النحت من الظواهر الكثيرة في لهجة منطقة غرب شمال الصحراء، ويراد بها التخفيف والاقتصاد في التعبير عن طريق تقليص التراكيب واختصارها في كلمات.. وتتجلى هذه الظاهرة في عدة كلمات، كما في قولهم : (كيفاش = كيف حدث هذا الشيء ؛ باش + بأي شيء ؛ منين ؟ = من أين، من أي جهة أو مكان؟ ؛ لَخْ = لا خبر لديّ (لفظ بدوي) ؛ يتقهوَى = يتناول قهوته ؛ يتيتّى = يتناول الأتاي (أي:

[1] – الأمثلة والنماذج المستشهد بها ههنا كما في مختلف المواضع من البحث إنّما هي من أفواه المتكلمين كما ينطقونها في محاوراتهم اليومية.

[2] ــ زبير دراقي ، محاضرات في فقه اللغة ، ص89

[3] ــ أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ظ تح أمين نسيب ، دار الجيل ، بيروت ، ط1، 1998، ص 462

الشاي) ؛ يتبهدل = يتعرض للبهدلة ؛ يتمسْخَر = يقول قولاً فيه سخرية على سبيل المزاح ؛ يتفيْهَم = يُظْهِر لغيره أنه يفهم جيّداً من باب التباهي..؛ معليهش = ما عليه شيء.. والأمثلة على هذه الظاهرة كثيرة في اللهجة الشعبية بالمنطقة..

ظاهرة قلب الهمزة ياءً أو واواً للتخفيف :

من أهم ما تتجلى فيه هذه الظاهرة في لهجة المنطقة، تخفيف الهمزة، ونطقها حرفا كالواو أو الياء، ومن ذلك مثلاً كلمة: (مؤمن ، مؤمنين) التي تنطق بترك الهمزة والتلفّظ بالواو وحدها من أجل التخفيف؛ وهذا يوافق ما جاء في قراءة ورش عن نافع، وهي القراءة التي يعتمد عليها كثيرا في الجزائر والمغرب العربي..

ومن صور تخفيف الهمزة بتركها والاكتفاء بنطق الحرف الذي تقترن به، نجد مثلاً كلمة: (سايل) بمعنى (سائل) إذ يقولون : سايل عليك فلان : بمعنى: يسأل/سائل عنك...؛ ومن هذا القبيل قولهم: (عايش = عائش ؛ زايد = زائد ؛ مسايل = مسائل ؛ فايت = فائت ؛ مصائب = مصايب ؛ دايم = دائم ؛ عايم = عائم ؛ دايرة = دائرة ؛ عايلة = عائلة ؛ بِيرْ = بئر ؛ فارْ = فأر) والأمثلة من هذا القبيل كثيرة في اللهجة الشعبية بالمنطقة..

ومن قبيل القلب أيضاً في اللهجة الشعبية بالمنطقة، الانتقال من الحرف الذي يسبب نوعا من الثقل إلى حرف آخر يكون أيسر لغرض التخفيف وتسهيل النطق، ومن ذلك مثلاً الانتقال من الهمزة إلى الواو، كما نجد في قول أحد الشعراء بالمنطقة : [1]

من بعدك لا رفيقة لا أميمة وتونّسني ** ولا من **سوّل** على حالتي وشْ جْرى بيا

محلّ الشاهد في قوله (سوّلْ) بدلاً من سأل ، كما أنهم يقولون أيضا (سالْ، يسالْ، بمعنى: سأل يسأل) وكل ذلك بقصد التخفيف في نطق الكلمة، كما أنه يتفق مع أوزان الشعر الشعبي التي تقوم على الانتقال بخفة بين الحركة والسكون.. [2]

ظاهرة القلب المكاني للحروف :

القلب المكاني ظاهرة لغوية موجودة في أكثر لغات العالم، وتقوم على تقديم بعض حروف الكلمة على بعض، و أكثر ما يكون في المهموز و المعتل. وهو غير الإقلاب الذي هو" تحويل الشيء عن وجهه بتقديم

[1] _ أشهر التآليف في الكلام اللطيف من شعر لمخاليف، ص149

[2] _ قوله : رفيقة (بالقاف المثلثة) = رفيقة العمر ؛ تونسْني = تؤنسني ؛ ولعل استعمال الفعل: (يسالْ) في البيت أخفّ وانسب..

بعض أصوات الكلمة عن بعض لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي."[1] فظاهرة القلب المكاني يراد بها في اللهجة الشعبية تغيير موقع حرف من حروف الكلمة لتسهيل النطق بها قصد التخفيف والتسهيل، بحيث لا يمكن التلفظ بالكلمة من دون عملية القلب هذه.. والأمثلة عن هذه الظاهرة كثيرة في الكلام اليومي بين أفراد المجتمع ومحاوراتهم، كما نجد ذلك أيضاً في الحكَم والأمثال وقصائد الشعر.. ومن الأمثلة على ذلك، قولهم : (السمش بدل الشمس ؛ عماه بدل معاه ؛ ينعل بدل يلعن ؛ يعجل بدل يجعل ؛ السجرة بدا الشجرة ؛ يقضب بدل يقبض (أي يمسك) ؛ يجبد بدل يجذب..) يقول أحد شعراء المنطقة:[2]

" رفّادت حمْلي، الضيف إذا جاني ** **تجْبدْ** ما عندها وتقول شْوَيَّا "

ولا بدّ أن نشير ههنا إلى أنّ اللفظين: (جبذ وجذب) كلاهما فصيح تداول في لغة العرب، ولهما معنيان مختلفان على الرغم ممّا يبدو بينهما من التقارب؛ فالفعل (جذب) يكثر استعماله فيما هو مجرد، بينما يستعمل الفعل (جبذ) فيما هو محسوس.. غير أن الفعل (جبد – يجبد) في لهجة المنطقة يشمل المعنيَيْن ويتوسع فيهما، والسياق هو الذي يحدد دلالته.. فهم يقولون مثلا: (فلان يجبَدْ في الماء من البئر: بمعنى يستخرجه ؛ ويجبَدْ في العولة من لمْدِينة[3]: بمعنى يُخرجها عندما يأتي أوان استهلاكها ؛ ويجبدْ في الحبْل : بمعنى يسحبُه ؛ ويجْبدْ في الناس في الجماعة : يعني يغتابهم ويتتبع عوراتهم ؛ ويجبدْ في المدّرّقْ (بالقاف المثلثة) : بمعنى يكشف الأسرار وما هو مخفيّ...) والأمثلة كثيرة من هذا القبيل..

ثانياً : الخصائص المعجمية :

سنقوم ههنا بالبحث في المعجم الشعبي للمنطقة، باستعراض بعض الألفاظ من البيئة الاجتماعية والثقافية بما هو مستمد من واقع الحياة.. ونأتي بما يقابل هذه الكلمات من الألفاظ الفصيحة، لنبيّن من خلال ذلك عدة جوانب: منها ما يتعلق بنطق الكلمات ومنها ما يتعلق بتحوير بعضها ، ومنها ما يتصل بالمعاني والدلالات التي تحملها هذه الألفاظ، بحيث تتضح لنا من هذه المقاربة عدة خصائص لسانية للهجة المنطقة على المستوى المعجمي..

[1] _ رمضان عبد التواب ، لحن العامة والتطور اللغوي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1، ص 48

[2] _ صادقي مخلوف، أشهر التآليف في الكلام اللطيف من شعر لمخاليف، ص148 (تقول = بالقاف المثلثة بلهجة المنطقة.)

[3] _ العوْلة أو الذخيرة = ما هو مدّخر من الطعام ؛ لَمْدِينة = حُفْرَة يتم إعدادها من الطين تحت الأرض للادّخار ولحفظ المؤونة من التلف، وهي بمنزلة الثلاجة في أيامنا..

البايقة / بوايق: (تُنطَق بالقاف المثلثة)، وتدل في لهجة المنطقة على العمل الشنيع الذي يستدعي الاستنكار والرفض والتقريع لصاحبه، لأنه عملٌ مرفوض في عادات المجتمع وتقاليده ويتنافى مع السلوك الاجتماعي السائد.. ومثلها في العربية الفصيحة كلمة (بائقة والجمع: بوائق؛ وقد جاء في الحديث الشريف: عن أَبي هريرة ﷺ أَن النَّبيَّ ﷺ قَالَ : " واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، قِيلَ: مَنْ يا رسولَ اللَّهِ؟ قَالَ :الَّذي لا يأْمنُ جارُهُ **بَوَائِقَهُ**. "[1] [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.]

البُرْمة /جمعها: بُرُمْ : هي في أصل دلالتها بلهجة المنطقة: القِدْر الكبيرة التي تستعمل للطّهي في المناسبات الكبرى، كما أنها تُطلَق أيضاً على أنواع القِدْر مطلقاً.. والمعنى ذاته نجده في العربية الفصحى، إذْ جاء في لسان العرب: "... الزُّبْدُ حين يَحْصُلُ في **البُرْمة** فيُطْبَخُ فهو الإِذْوابةُ فإِن خُلِطَ اللَّبَنُ بالزُّبْدِ قيل ارْتَجَنَ والإِذْوابُ والإِذْوابةُ الزُّبْدُ يُذابُ في **البُرْمةِ** ليُطْبَخ سَمْناً فلا يزال ذلك اسمَه حتى يُخْفَن في السِّقاءِ وذَابَ إِذا قام على أَكْمَلِ الذَّوْبِ وهو العَسَل ويقال في المثل ما يَدْرِي أَيُخْثِرُ أَم يُذِيب ؟ وذلك عند شدَّةِ الأَمر قال بشر بن أَبي حازم : وكُنْتُمْ كَذاتِ القِدْرِ لم تَدْرِ إِذْ غَلَتْ ** أَتُنْـــزِلُها مَذْمُومةً أَمْ تُذِيـبُها ؟ ..."[2]

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: " بُرْمَة [مفرد]: ج بُرُمات وبُرْمات وبِرام وبُرَم وبُرْم: نوع من القدور يُصنع من الفخّار." فقد جاء استعمال لفظ (البُرْمة) في المعاجم كما هي في لهجة المنطقة، واقترنت بالطبخ والإذابة، مع إشارة بعضهم إلى أن أصلها أن تكون مصنوعة من الفخار، وقد كانت كذلك في القديم، بل إنّ هذا النوع من (البُرم) قد عاد من جديد إلى الاستعمال في زماننا، إذ أصبح بعضهم يهتمّ بالتقاليد والعادات فيعود إلى إحيائها من جديد، وصناعة الفخار المنتشرة اليوم تمثل جزءاً من هذا الاهتمام.

تاق/ يتوق : تُنطَق بلهجة المنطقة بالقاف المثلثة، وتدل عل معنى الإطلالة على الشيء بقصد معرفته أو معرفة ما بداخلة، فهي بمعنى: يُطِلّ ليكتشف.. وهي كلمة فصيحة من: تاق يتوق إلى الشيء، إذا اشتاق إليه، أو تاقت نفسُه إليه؛ ولا يخفى ما بين المعنيَيْن من التقارب، فالمتشوق إلى الشيء يرغب في الاطلاع عليه والقرْب منه لمعرفته أكثر؛ غير أنّ لهذه الكلمة في اللهجة الشعبية دلالات أخرى حسية ومعنوية..

ترّع / يترّعْ / مْترَّعْ : يقولون بلهجة المنطقة: تَرّعْ البابْ : بصيغة الأمْر، أي: افتحه فتحاً كاملاً على مصراعيه، ومنه: التُّرْعة، وهي الفتحة الكبيرة في شكل ممرّ للعبور منه.. ويقولون: البابْ امْتَرَّعْ : أي مفتوح بكامله. والكلمة ذات أصل فصيح، فقد جاء في المعجم الوسيط أنّ " الترعة: فَم الْجَدْوَل والقناة الواسعة

[1] ــ البوائق: كل أنواع الإساءة والأذى والغدر وعدم مراعاة حقوق الجار..

[2] ــ لسان العرب، مادة: ب ر م، 396/1

للسقي أَو الملاحة وَالْبَاب ودرجة السّلم وَالرَّوْضَة فِي مَكَان مُرْتَفع (ج) ترع.." [1] وجاء استعمالها بمختلف مشتقاتها الأخرى من الأسماء والأفعال..

تْلَعْ / يَتْلَع أو يْتَلَّعْ : تستعمل في لهجة المنطقة بمعنى: الفرار من الشيء، وإذا استُعملتْ بصيغة التعدية، يقال: تلّعُو/ يتلعُو : بمعنى يجعلُه يهربُ بعيدا بحيث لا يفكّر في العودة إلى المكان مرة أخرى. ويقولون: فلان تالع : أي كثير السفر والتنقّل فلا يكاد يعود إلى أهله وديارِه إلاّ قليلاً، فكانه هاربٌ من شيء ما.. ولم أجد هذا المعنى في المعجم الوسيط، وهو من المعاجم الحديثة، وإنما وجدت معنى آخر، مفاده " تلع الرجل تلعا : طَال عُنُقه وطالت قامته وَيُقَال تلع عُنُقه فَهُوَ أتلع وَهِي تلعاء (ج) تلع..." [2]

تْوالي / من تْوالي / أُمّالِينِي: يراد بها في لهجة المنطقة (من جهتي، من ناحيتي)، إذْ يقول قائلهم: (هذا الشيء راه من تْوالِي: بمعنى من جهتي وناحيتي)، وتُستعمَل هذه الكلمة كثيراً فيما هو حسّيّ، كقولهم مثلاً: (جاري اللّي من تْوالِي/ أو اللي أُمّاليني: أي الذي من جهتي، أو الذي يليني) وهي ذات أصل فصيح، مأخوذة من الفعل(وَلِيَ– يَلِي، فهو مُوال) ومنه تسمية وليّ العهد، لأن الولاية تكون من جهته، وكذلك ولاية المرأة إذْ تكون شؤونها من جهة من يتولى أمرها؛ وثمة عدة معان متقاربة ومتصلة بعضها ببعض في هذا السياق، فقد جاء في المعجم:"(وليه) (يَلِيهِ) وليا ولاه وَالشَّيْء وَعَلِيهِ ولَايَة ملك أمره وَقَامَ بِهِ وَفُلَانًا وَعَلِيهِ نَصره وَفُلَانًا أحبه والبلد تسلط عَلَيْهِ فَهُوَ وَال(ج) وُلَاة وَالْمَفْعُول مولي عَلَيْهِ... وقولهم (ولي الْعَهْد) وَارِث الْملك و(ولي الْمَرْأَة) من يَلِي عقد النِّكَاح عَلَيْهَا وَلَا يَدعهَا تستبد بِعقد النِّكَاح من دونه و(ولي الْيَتِيم) الَّذِي يَلِي أمره وَيقوم بكفايته؛ و(فِي الاقتصاد السياسي) من يتَحَمَّل مخاطر الإنتاج فَلهُ الْغنم وَعَلِيهِ الْغرم.."[3]

ومن هذا المعنى ما جاء في الحديث الشريف في كتاب الطعام (باب التسمية في أوله والحمد في آخره) عن عُمَرَ بنِ أَبي سلَمَة رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ " :سَمِّ الله، وكُلْ بِيَمِينكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ." [متفقٌ عَلَيهِ].

خزر، يخزر، خَزْرَة/ شاف، يشوف، شوْفَة: كلمة فصيحة في الأصل، ومجمل القول فيها أنها تأتي بمعنى تضييق العيْن عند النّظر، فهي تتصل بأحوال العيْن، إذ يقال: " خزر يخزر خزرا تداهى؛ خزر الرجلَ: نظره

[1] _ المصدر نفسه، مادة: ترع، 84/1

[2] _ المعجم الوسيط، مادة: تلع، 86/1

[3] _ المصدر نفسه، مادة: ولي، 231/1

بلحظ الْعين؛ (خزرت) الْعينُ خزرا: صغرتْ وَضَاقَتْ (خلقَة) وحولت؛ وَخزر النَّظَرُ: صَار كَأَنَّهُ فِي أحد الشقين؛ وخزرَ فُلَانٌ: فتح عينه وأغمضها وَنظر كَأَنَّهُ يرى بمؤخر عينه، فَهُوَ أخزر، وَهِي خزراء (ج) خزُر؛ وخزر الشَّيْخ عَيْنَيْهِ: ضيق جفنيهما حَتَّى كَأَنَّهُمَا خيطتا ليحدّد النّظر؛ وَيُقَال خزر الشَّاب عَيْنَيْهِ: فعل ذَلِك دهاء؛ وَخزر الشَّيْءَ ضيقه؛ وتخازر: ضيق عَيْنَيْهِ ليحدّد النّظر وَنظر بمؤخر عينه وَأظْهر الخزر وَلَيْسَ بِهِ... والخزرة: انقلاب الحدقة نَحْو اللحاظ، وَهُوَ أقبح الْحول.." [1]

فكلمة (خزر، يخزر) فصيحة كما يتضح لنا مما سبق، غير أنّنا نلاحظ أن استعمالها في اللهجة الشعبية بالمنطقة أوسع دلالةً منه في اللغة الفصيحة، وذلك ما يتجلّى في تنوع دلالة هذا اللفظ وتشعب معانيه بين ما هو حسي وما هو معنوي.. ومن ذلك مثلاً، قول الشاعر:

أنت تْدَسْ والزمان يقُلّكْ هاتْ ** راه الوقت صْعابْ يامن **تخزرْ** فيه.[2]

إنّ كلمة (تُخْزرْ) في هذا البيت ذات دلالة معنوية على النظر بعين البصيرة لا بالعين الباصرة في تقلبات الزمان، ولا يراد بها النظر الحسي المعروف..

وترتبط بهذه الكلمة كلمة أخرى هي (شاف) وما يتصل بها من مشتقاتها، فقد جاء في المعجم الفصيح قولهم: " شاف شوفا أشرف وَنظر؛ وَالشَّيْء صقله وزينه ... و(اشتاف) إِلَيْهِ: تطاول وَنظر؛ وَ(اشتاف) الْفرس وَغَيره: نصب عُنُقه وَجعل ينظر؛ وَالشَّيْءَ: تتبعه بنظره؛ و(تشوف) الشَّيْء: بدا من علُو وتزين؛ وَله وَ(تشوف) إِلَيْهِ تطلع؛ وَيُقَال: تشوف الْخَبَر وأمرا طمح لَهُ." [3]

فهاتان الكلمتان: (خزر ؛ شاف) فصيحتان ولكنهما ليستا من الكلمات المستعملة بكثرة في أوساط التخاطب اليومي باللغة الفصيحة، إذْ يتم تداول كلمات أكثر شيوعاً بين الناس في زماننا اليوم، وهي (نظر، أبصر، رأى)... بينما نجدهما (أي: خزر، شوف) أكثر استعمالاً وشيوعاً في اللهجة الشعبية بالمنطقة، وهما متقاربتان تقارباً دلالياً كبيراً ، لكن ثمة بعض التمايز بينهما، وهو ما يبيّنه سياق الكلام.

ويُراد بكلمة (خزر، يُخْزر) في لهجة المنطقة النّظَر عموماً في الأصل، فيقال: (فلان يُخْزرْ زينْ وفلان ما يُخْزرشْ زينْ، بمعنى: فلان ينظر جيّداً، وفلان لا ينظر جيّداً) كما يستعملون كذلك كلمة (يْشُوفْ: بمعنى ينظر أو يرى أو يُبْصِر) فكلها بالمعنى نفسه في سياق النظر العام؛ أمّا في السياقات الخاصة فنجد دلالات

[1] _ المعجم الوسيط، مادة: خزر، 231/1 وما بعدها

[2] _ يُنظَر، أشهر التآليف من الكلام اللطيف في شعر المخاليف، (البيت من قصيدة : أنت دس والزمان يقلك هات) ص، 152

[3] _ المعجم الوسيط، مادة: شاف، 500/1

أخرى لكلمة (يخزر أو يشوف) ومن ذلك مثلاً أن تأتي كلمة (يُخْزرْ أو يْشُوفْ) بمعنى النظر بطريقة مخصوصة لاعتبار معيّن، كالذي ينظر إلى أحدهم بطرف العيْن تعبيراً عن عدم الرضى عنه، أو بقصد التنبيه أو التحذير من شيء ما، وهذه النظرة يصحبها بعض التقطيب الذي يظهر في الوجه؛ وقد تكون هذه (الخزْرة) الجانبية نظرة إعجاب، فتصحبها ابتسامة خفيفة. وفضلاً عن سياقات التخاطُب التي تحدد دلالة الكلمة، فإنّ القرائن الحالية تزيد من وضوح دلالة (الخزرة أو الشَّوْفَة). ومن الأمثلة التي تُستخدم فيها كلمة (يشوف) بحيث لا يكن استخدام كلمة (يُخْزر) لأن المقام لا يناسبها، من هذه الأمثلة، قول أحد شعراء المنطقة: [1]

الْمْسَمْيَا لقواط ها هي نسبتْنا ** واللّي حَبّْ يْزورنا يْقَدّمْ **وِيشُوفْ**

ولعلّ كلمة (الخزرة) تدلّ في غالب استعمالها على ما هو محسوس، وأمّا كلمة (الشوْفَة) فكما تستعمَل في الدلالة المجردة، بقول قائلهم: (فلان شيّنْ فيَّ الشَّوْفَة): أي أبدى لي غضبه وامتعاضه وعدم رضاه؛ كما يقولون أيضاً : (شوف للعواقب.. أي: أُنظُر بعين البصيرة في العواقب..)، تستعمل كذلك في الدلالة الحسية، ومن ذلك قول الشاعر:

ولا تامنشْ الْواذْ إذا **شفتو** حاملْ ** ربما هبطا للماء فيها يديه.[2]

شْتَاهْ / يَشْتِيهْ : يُراد بها في لهجة المنطقة (أحبّه، يُحبُّه / فضله يُفضّله). وهي كلمة كثيرة التداول بين الناس في تخاطبهم اليومي، وهي تتصل بحُبّ الشخص أو الشيء المادّي أو المعنوي بصورة عامة.. فيقولون مثلاً: (أنا نشتي فلان وما نشْتِيشْ فلان، بمعنى : أنا أُحِبّ فلانا ولا أحبّ فلانا كما يقولون: (فلان يشْتِي لُقْرايَة وفلانة تَشْتِي الطّْيَابْ، بمعنى: فلان يُحبّ الدراسة وفلانة تُحبّ الطبخ) ؛ وفي مجال الدلالة المجردة، يقول قائلهم سائلاً: (واشْ/ وشْ تشْتِي: أُمُّكْ ولا أُبَّيَّكْ؟ فيجيب الآخر قائلاً: نشتيهَمْ في زُوج، أي: أحبهما معاً) وهكذا في سائر الاستعمالات المتعددة والصيغ المتنوعة الشائعة بين الناس في حواراتهم ومخاطباتهم اليومية.. وهذه الكلمة مما تتميّز به لهجة المنطقة عن غيرها، مع أنّها موجودة في مناطق أخرى قليلة، لكنها أقلّ شيوعاً فيها كما هي في هذه منطقة غرب شمال الصحراء..

وقد يستعمل أهل المنطقة كلمات أخرى تحمل دلالة هذه الكلمة أحيانا، مثل قولهم: **(يْدَوَّرْ ، يْحَوَّسْ)** وذلك بحسب السياق، فإذا أمكن أن تحمل هاتان الكلمتان معنى كلمة (يشتي) تم استعمالهما، والسياق هو الذي يبين ذلك، غير أنّ هذا لا يكون في كل الاستعمالات. ومن ذلك قولهم: (وشْ/واشْ تْدَوَّرْ ؛ وشْ/

[1] – مخلوف صادقي، أشهر التآليف في الكلام اللطيف من شعر المخاليف ، قصيدة (قافلة السهوب لإذاعة الأغواط) ص 122

[2] _ المرجع نفسه ، من قصيدة (الصبر دواء للمحاين) ص 225

واشْ تْحوَّسْ؟) بمعنى: ماذا تُريد أو ماذا تُفضّل أو ماذا تُحِبّ، وهي قريبة من قولهم: (وشْ/واشْ تَشْتِي).كما يقول قائلهم مثلاً: (مانيشْ نْدَوَّرْ نَحْضَرْ ؛ أو منيش نْحَوَّسْ نحْضَرْ = بمعنى: ما نشتيشْ نَحْضَرْ، أو منيش شاتي نحضر= ويقابله في اللغة الفصيحة = لا أريد أن أحْضُر، لا أحبّ أن أحْضُر.)

وقد تُستعمَل هاتان الكلمتان (**يْدَوَّرْ ، يْحَوَّسْ**) بمعنى البحث عن شيء مادي ضائع، كقولهم: (وشْ/واشْ تْدَوَّرْ ؛ وشْ/واشْ تْحوَّسْ؟) بمعنى: عمّاذا تبحث؟ ولعلنا نلاحظ أنّ هذه الكلمة مأخوذة من الدّوران، فالذي يبحث عن شيء ما يقوم عادة بنوع من الدوران حول المكان الذي يبحث فيه عن هذا الشيء..

وقد يكون البحث متعلقا بشيء معنوي مجرد، فيكون عندئذ قولهم: (وشْ/واشْ تْدَوَّرْ ؛ وشْ/واشْ تْحوَّسْ؟) يدلّ على الإنكار أو التهديد، جرّاء قوْل أو فعْل ما قام به المخاطَب، فيكون معناهما في هذه الحال: لماذا تفعل؟ أو تكونان بنبْرة تهديدية مصحوبة بغضب المتكلّم..

وقد تكون كلمة (يْحَوَّسْ) بمعنى : يتجوّل، كمن يكون في رحلة للراحة والاستجمام، في الأماكن الطبيعية أو في غيرها من الأماكن التي يطيب له فيها التجوال.. ومن هذا مثلاً قول الشاعر: [1]

ماذا **حوَّسْنا** من الضِّي والمرفد ** ومْشيْنا في البرّْ عاليه وهاويه.

فالفعل (حوّسْنا) هنا بمعنى: تجوّلْنا، والسياق يبيّن أن الشاعر يريد هذا المعنى، ويقول قائلهم: (يالَّهْ/ يالاَّ نْحَوَّسُو = بمعنى: هيّا نتجوّل) ؛ أو يقول: (نديرو تَحْوِيسَة = بمعنى: نقوم بجوْلة..) وهكذا..

قانص / يقانص: (بالقاف المثلثة): كلمة عربية فصيحة، تدلّ في عمومها على الصيْد، وقد تداولتها معاجم اللغة انطلاقا من هذا المعنى، فهي من قولهم" قَنَص الصيْدَ يَقْنِصُه قَنْصاً وقَنَصاً واقْتَنَصَه وتَقَنَّصَه. صاده كقولك صِدْت واصْطَدت. وتَقَنَّصَه: تَصَيَّده. والقَنَص والقَنِيص: ما اقْتُنِص. قال ابن بري: القَنِيص الصائد والمِصِيد أَيضاً..." [2] ومن ذلك، قول الشاعر قديماً :

حَرُمَتْ عليَّ وليتها لم تحرم ** يا شاة منْ قنصٍ لمن حلّتْ به

" أي: يا شاة إنسانٍ قنص، على أنه من الوصف بالمصدر للمبالغة. يريد أن قنصاً مصدر بمعنى الصيد أريد به اسم الفاعل، أي: يا شاة إنسان قانص. وأراد بالإنسان نفسه.." [3]

---

[1] _ البيت للشاعر محفوظ بلخيري من مدينة مسعد، وهو من قصيدته الطللية المشهورة: فط القلب.. (الضِّي= جمع ضاية (بلهجة المنطقة) وهي الأرض المخصصة للحرث والزرع والحصاد / المرْفدْ= المكان المرتفع / عاليه وهاويه = أعلاه واسفله)

[2] _ ابن منظور، لسان العرب، مادة: قنص، 500/1

[3] _ عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، ص810

وقد جاء استعمال كلمة القنص في التراث الفصيح مقترنة بالخبرة والدراية بالأشياء ومعرفة أسرارها، وهذا ما نجده في قصص العرب ومجالسهم، ومن ذلك ما نجده في أدبيات العقد الفريد، إذ " أرسل مسلم بن عمرو لابن عم له بالشام يشتري له خيلاً. فقال له: لا علم لي بالخيل. فقال: ألست صاحب قنص؟ قال: بلى. قال: انظر كل شيء تستحسنه في الكلب في الفرس. فأتى بخيل لم يكن في العرب مثلها." [1]

والمعنى ذاته تؤدّيه هذه الكلمة في لهجة منطقة غرب شمال الصحراء، فهي ذات أصل فصيح، إذْ تتصل بهذا المعنى، فيقولون: (فلان راه يقانص في حاجة..، بمعنى: إنّ فلانا يترقّب ليحصل على شيء ما، فكأنه يقتنصه) فهي من القنص أو الاقتناص الذي يأتي بعد الترقُّب والبحث عن الفرصة المناسبة لاغتنامها..

قَرْنَصْ/ مْقَرنَصْ: (بالقاف المثلثة):

يكاد يتفق أصحاب المعاجم العربية على معنى واحد أو متقارب لهذه الكلمة، إلاّ أنها وردتْ عندهم بالسين وبالصاد، إلاّ ما جاء في جمهرة ابن دريد، إذْ كان مختلفاً عنها في تحديده، كما سنبيّن.. فقد جاء في اللسان .." وبازٍ مُقَرْنَصٌ أَي مُقْتَنىً للاصطياد، وقد قَرْنَصْته أَي اقْتنيته. ويقال: قَرْنَصْت البازي إذا ربطته ليسقط ريشُه، فهو مُقَرْنَص.." [2]

وجاء في معجم تاج العروس: " قرنص، مقرْنصْ : قَرْنَصَ الدِّيكُ: فَرَّ" مِنَ دِيكٍ آخَرَ، "وقَنْزَعَ"، كقَرْنَسَ، بالسِّين، "أَو الصَّوابُ بالسِّين"، عن ابن الأَعْرَابِيّ، وأَبَى الصَّادَ، ونَسَبَهُ ابنُ دُرَيْدٍ للْعامَّة .قَرْنَصَ" البَازيَ: اقْتَنَاهُ لِلاصْطِيادِ"، فهو مُقَرْنَصٌ: مُقْتَنىً لِذلِك، وذلِكَ إِذا رَبَطَه لِيَسْقُطَ رِيشُه، "فقَرْنَصَ البَازِي" نَفْسُه، "لازِمٌ مُتَعَدٍّ". وذَكَرَهُ اللَّيْثُ بالسِّينِ. "والقَرَانِيصُ: حُرَزٌ في أَعْلَى الخُفِّ، الوَاحدُ قُرْنُوصٌ"، بالضَّمّ..." [3]

ما يمكن ملاحظته في هذه الكلمة (قرنص) أنّها لا تتوافق مع ما ورد في المعاجم العربية من المعنى، فهي واردة بلفظين: قرنس وقرنص؛ فأمّا قولهم: (قرنس: بالسين) فهي تعني الفرار عموماً، وفرار الدِّيك على الخصوص؛ وأمّا (قرنص) فتعني عندهم الاقتناء عموماً، واقتناء البازي للاصطياد على الخصوص.. و

كلا المعنيَيْن (الفرار والاقتناء) ليسا قريبيْن من دلالة هذه المادة (قرنص) في لهجة المنطقة؛ إذْ تعني في الكلام العامّي: التواجد في المكان المرتفع لمراقبة الأسفل، أو تعني الجلوس في مكان يسهُل الظهور منه للآخرين، فهم يقولون، مثلاً: راه مقرنصْ فوق الحيطْ، أو فوق الجبل (بمعنى: ها هو ذاك جالس فوق الجدار

[1] _ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص43 ؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ص66

[2] _ ابن منظور، لسان العرب، 4669

[3] _ الزبيدي، تاج العروس، 4506

أو على قمة الجبل). وقد تُستعْمَل هذه الكلمة بمعنى الجلوس عموماً، فيقال: (فلان مقرنص، بمعنى: جالس).

وممّا يؤكّد ما ذهبنا إليه من اختلاف دلالة الكلمة بين الاستعمال الشعبي والفصيح إشارة ابن دريد في الجمهرة إلى أنّ هذه الكلمة (قرنص: بالصاد) هي كلمة عامية وليست فصيحة، بخلاف قول العرب (قرنس: بالسين)، ومفاد قوله: " .. وقرنسَ الديكُ، إذا فرّ من ديك آخر، يقال :قرنصَ كما تقوله العامة. ورجل نِقْرِس ونِقْرِيس، إذا كان نظّاراً في الأمور مدقِّقاً فيها. وتقنسرَ الإنسانُ، إذا شاخ وتقبّض..." [1]

النَّـوْ / الصّبْ / المطرْ / القيثْ (أي: الغيث) :

النوء في التراث الفصيح له معنى غير المعنى المتداول في الثقافة الشعبية،، إذ تقول العرب: " ناء النجم، إذا سقط. قال أبو عبيد: الأنواء ثمانية وعشرون نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة كلّها ، يسقط منها في كلّ ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته ، وكلاهما معلوم مسمّى ، وإنّما سمّى نوءا: لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ، أي ينهض ويطلع. فهذه منازل القمر وهي معروفة. قلت : وأصل النوء : الميل في شقّ." فالنوء إذاً هو سقوط نجم أو طلوع آخر.. بينما نجد معنى النوء في الثقافة الشعبية هي المطر، وهذا اللفظ (النوء) هو ما يتم تداوله دلالةً على المطر بكلّ أنواعه على وجه العموم، وتقترن هذه الكلمة عند أهل المنطقة بأحد مشتقات الفعل (صبّ)، فيقولون: (صبّتْ النّوْ ؛ النّو تْصُبْ ؛ النّوْ صَابّة) ، كما يقولون: (صبّتْ وصْحاتْ، بمعنى: نزل المطر وتوقّف)، وقد يقولون هذه العبارة على سبيل المجاز، من باب المثَل في شأن الأمْر الذي يَحْدُث وينتهي حتى لا يُسْأَلَ عنه من جديد.. فتكون هذه العبارة عندئذ بمعنى: حدث الأمْر وانتهى..

وأمّا في تعدد تسميات المطر وتعيين مراتبه، فذلك ممّا تميّزتْ به العرب تعدد التسميات والنعوت والأوصاف للشيء الواحد. [2] ومنه حديثهم عن مراتب المطر بحسب مقدار نزولة وأوقات استمراره، وأول هذه التسميات لمراتب المطر، قولهم (الرَّشّ والطَّشّ)، فهما لفظان فصيحان.. ونجد لفظ الطش نفسه مستعملاً في لهجة المنطقة، إذْ يقول قائلهم: (هاهو بْدا الطَّشْطيشْ، بمعنى: ها قد بدأ النزول الخفيف للمطر... أو يقول: النَّوْ راها تْطَشْطَشْ، أو تْرشْرشْ (من الرُّشْراشْ): بمعنى: إنّ المطر بدأ بالنزول بقدر

[1] _ ابن دريد، جمهرة اللغة، ص651

[2] _ هذا ما نجده في معاجم المعاني، وهي معاجم موضوعية، تستعرض تعدد الأسماء أو المراتب أو الأنواع للشيء الواحد.. والكتب في هذا كثيرة لعل من أشهرها فقه اللغة وسر العربية للثعالبي[ت 429هـ].

خفيف، أي قطرات رقيقة متفرقة) ومن هذه المراتب أيضاً مرتبة (الغيث)، وهي نفسها واردة في لهجة المنطقة، إلاّ أنها تُنْطَق بالقاف بدل الغين، فيقولون (القيث) بإمالة حركة القاف بين الفتحة والكسرة، كما يميلون الكثير من الكلمات، إذ الإمالة ظاهرة صوتية من أبرز الظواهر التي تتميز بها لهجة المنطقة عن غيرها من المناطق الأخرى..[1]

ولّى – يْوَلّي : تأتي في لهجة المنطقة على أكثر من معنى، ومن أهم المعاني: (رجع، يرجع / تحوّل، يتحول)، فمن المعنى الأول(رجع) قولهم: (فلان ولّى من نُصّ الطريقْ، أي: رجع بعد أن بلغ منتصف الطريق)؛ ومن المعنى الثاني(تحوّل) قولهم: (رْحيتْ القمح حتّان ولّى سْميدْ، أي: طحنْتُه حتّى صار دقيقاً). وتُستعمل هذه الكلمة للدلالة الحسية كما في هذا المثال؛ وقد تُستعمل للدلالة المجردة، كما في قولهم: (دِيرْ الخير في عْدُوّكْ يْوَلّي يَشْتِيكْ[2]، أي: اِفعل الخير في عَدُوّكَ، بمعنى (أَحْسِنْ إليه) يتحوّل إلى مُحِبّ لك.)

وهذا اللفظ فصيح، وممّا يتميّز به أنه من الأضداد، بمعنى أنه يدلّ على معنيَيْن متضادّيْن في اللغة الفصيحة، وهما: (الإدبار، والإقبال)، وهذا ما ورد في معاجم اللغة، إذْ " يُقَال ولى فلَان هَارِبا وَالشَّيْء وَعَن الشَّيْء أدبر عَنهُ ونأى وَعَن فلَان بوده تغير عَلَيْهِ وَفُلَانًا نَصره واستقبله بِوَجْهِهِ وَفُلَانًا.."[3] فمن المعنى الأول (الإدبار) ما جاء في قوله تعالى في القرآن الكريم: " ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا." [الفتح/22] أي: لانهزموا عنكم ، فولوكم أعجازهم، وهذا من الرجوع بمعنى التقهقر.. والآيات كثيرة في هذا المعنى وما يتصل به..

ثالثاً : الخصائص الصرفيـة :

بين المفرد والجمع :

يستعمل أهل المنطقة ألفاظاً وعبارات تدل على المفرد وأخرى على الجمع، ولا يوجد ما يدلّ على التثنية، كما لا توجد علامات تجعل اللفظ دالاً على المثنى، وإنما تندرج صيغة التّـثنية عندهم ضمن صيغة الجمع، فيقولون مثلاً : جا الضيف (للمفرد) ؛ جاوْ الضْيافْ (للمثنى والجمع). نلاحظ أنّ علامة الجمع السابقة (الواو) المتصلة بالفعل جاءتْ دليلاً على ما يزيد على المفرد.. وأمّا إذا أُريدَ تحديد العدد فيتم ذكْرُه، فيقال مثلاً: جاوْ زوج ضْياف، جاوْ خمْسْ ضْيافْ... وهكذا.

---

[1] _ من الكلمات التي يميلها أهل المنطقة بين الكسر والفتح نذكر على سبيل المثال:(الْويز: أي الذهب/ العين/ السيف/ البيت...وغيرها) ؛ وممّا يميلونه بين الواو والسكون، قولهم: (عود: أي حصان/ زوج: أي العدد2/ حوش: أي منزل واسع/ لون... وغيرها.

[2] _ يشْتِيكْ = يحبّك (وهي من الألفاظ الخاصة بالمنطقة، وتوجد في مناطق أخرى قليلة من الجزائر) وسنتناولها في الصفحات القادمة.

[3] _ المعجم الوسيط، مادة: ترع، 1057/2

وقد يستعملون التاء أحياناً، فيقولون: جاتْ الضْيافْ، وهذه التاء دليل على كثرة عدد الضيوف. وهذا يشبه ما نجده في لغة العرب، إذْ يقولون: قالت العرب، وفي القرآن الكريم نجد قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ. ﴾ [الحجرات/14]

تسمية الأعداد :

في تسمية الأعداد أو الأرقام يتميز أهل المنطقة بنطق خاص للبعض منها، وفيما يأتي بيان لكيفية نطقهم لمختلف الأعداد، حيث نجد تميزهم في نطقها: 2 = زوج / 3 = تْلاتَة / 4 = رَبْعَة / 11 = حْداعَشْ / 12 = ثْناعَشْ / 13 = تْلطّاعَشْ أو ثْلطّاعَشْ...وهكذا، وفي نطق مع الأعداد المركبة يُدْخِلون حرف العيْن قبل آخر العدد (...عشْ) بينما نجد أغلب المناطق الأخرى يُسْقطون هذه العين في النطق العدد..

ظاهـرة التصـغير :

التصغير من أشهر الظواهر اللسانية التي تتميز بها لهجة المنطقة، فلا يخلو منه الكلام اليومي بين الناس، وقد يكون هذا التصغير للتحبيب، أو للتحقير والتقليل من الشيء ، أو لبيان قيمة الشيء وأهميته عندهم.. وهي تتصل بطبيعة الحياة الاجتماعية وطبيعة وظروف العيش والتعامل واساليب التواصل المتوارثة بين أبناء المنطقة، فهي ليست ظاهرة جديدة، وإنما هي عادات لسانية تمّ تداولها منذ القديم، وسارت فيها الأجيال على خطى أسلافهم، من دون تغيير لها..

والتصغير من المباحث الصرفية المشهورة في اللغة العربية الفصيحة؛ وهو تغيير يقع فب بنية الاسم للدلالة على معان مختلفة يحددها سياق الكلام، ومن هذه المعاني: التحبيب في تصغير (غزال) = غُزَيِّلٌ ؛ والتحقير في تصغير (شاعر) = شُوَيْعِر ؛ والتقليل في تصغير (دراهم) = دُرَيْهِمات ؛ والتقريب في تصغير الظرف (قبْلَ / بَعْدَ) = قُبَيْلَ / بُعَيْد... وقد يكون لمجرّد التصغير، كما في تصغير (كتاب) = كُتَيِّب.. وهذه المعاني هي المتداولة عند النحاة، فعند الجرجاني صاحب التعريفات يأتي " تصغير صيغة الاسم لأجل تغيير المعنى، تحقيرا أو تقليلا أو تكريما أو تعظيما.."[1]

إنّ أبناء هذه المنطقة يستعملون التصغير بصورة عفوية من دون تكلّف أو تصنُّع في الكلام، ولا يستطيعون ترك هذا النوع من التعبير في محاوراتهم وتخاطبهم اليومي في مختلف شؤون الحياة.. وهذه الظاهرة من أبرز الظواهر التي تتميز بها المنطقة عمّا سواها..[2]

[1] _ الجرجاني ، التعريفات ، دار الطلائع ، ص 32

[2] _ لا يكاد يخلو كلامهم من هذه الظاهرة التي هي جزء من لهجتهم، وإن كانت موجودة في بعض المناطق لكنها هنا من طبيعة الكلام.

وأمّا أهمّ أغراض التصغير المتداولة في كلام أهل المنطقة، نجد : التحبيب والتحقير والتعظيم والاهتمام أو قد يكون التصغير مقصودا لذاته، أي لمجرد تصغير الشيء تبعاً لحجمه.. ولا بدّ من معرفة أن ظاهرة التصغير في لهجة المنطقة لا تكون بالضرورة لغرض معيّن في كل الأحوال، فقد يكون الغرض منها واضحاً من بين الأغراض التي أشرنا إليها آنفاً، وقد تُستَعمل هذه الصيغة باعتبارها طريقة في الكلام ضمن العادات اللسانية التي داب عليها الناس في كلامهم، فهي من طبيعة كلامهم وقد أصبحوا يأنسون لها، لما يجدونه فيها سلاسة سهولة الكلام وسلاسة التعبير وجماليات الحوار ، فصارتْ بذلك من أهمّ الصيغ التي يحبون التواصل بها..

ولا يفوتنا أن نلاحظ وجود تاء التأنيث في آخر الكلمة المصغّرة، وليس الغرض منها التأنيث لذاته، وإنما المراد تلك هي طبيعة صيغة التصغير التي اعتاد الناس على تداولها.. فهذه الصيغة تشمل المذكر والمؤنث، كما تشمل المفرد والجمع المؤنث في بعض الصيغ.. وفيما يأتي بعض النماذج المختارة لهذه الظاهرة في كلام أهل المنطقة ولهجتهم :[1]

أُكْتَيِّبْ/ج:أُكْتَيِّبات = قد يُرَاد به مجرد التصغير، أي: كتاب صغير، كقولهم: (اشْريت أُكْتيِّبْ صْقَيَّرْ = اشتريتُ كتيّباً): أي كتاباً صغيراً ؛ وقد يراد به التقليل من قيمته، كقولهم، مثلاً: (فلان دارْ أُكتَيْبْ) أي: صغير لا قيمة له.

أُكْسَيْرَة = تصغير كلمة (كسْرَة) وهي كلمة فصيحة تكبيراً وتصغيراً، والتصغير هنا بلهجة المنطقة قد يكون لغرض التحبيب والتفضيل، من باب قيمة النعمة؛ وقد يكون للتقليل من باب أنها غير كافية فلا تُشبع..

أُخْبَيْزَة /جُ خْبَيْزَات = تصغير (خُبْزَة) وهي كلمة فصيحة أيضاً، وقد يكون تصغيرها بلهجة المنطقة لغرض بيان الأهمية بين الطعام، وقد يكون للتصغير على اعتبار أنها خبْزة صغيرة الحجم، لأن من عادات أهل المنطقة أنهم عندما يقومن بإنضاج الخبز على الطين يجعلون أحجاما متباينة من الخبز، فهناك الخبزة الكبيرة والخبزة المتوسطة والخبزة الصغيرة، والحجم الصغير يكون عادة مخصصاً للأطفال من باب إكرامهم والتعبير عن محبتهم، وهو ممّا يزيد من لُحْمة الأُسْرة وتكافلها ولمّ شملها.

تْمَيْرَة /ج تْمَيْرَات = تصغير لكلمة (تَمْرَة)، ويتم تصغير هذه الكلمة عادة من باب التقليل حقيقةً بسبب العدد، أو مجازاً على اعتبار كون النصيب بسيطاً متمثلاً في مجرد قليل من التمر..

حْلَيْبَة = تصغير لكلمة (حليب) على سبيل التحبيب لوجود رغبة في تناول الحليب، أو لبساطة الأمر.

لْبَيْنَة / شْنَيْنَة = تصغير لكلمة (شنين، بمعنى: لبن) ويراد بها الشيء لذاته، وقد يُراد بها التقليل.

[1] _ المصادر الشفهية، من المجالس والمحاورات في مختلف الأماكن من المنطقة..

أُمَّيْهَة / لُمَّيْهَة = تصغير لكلمة (ماء / الماء) وهي من الصيغ النادرة الخاصة بالمنطقة، ولا يشترط أن تكون دائما للتقليل، فهي ممّا اعتاد عليه أهل المنطقة في التعبير، فلا يكادون يستعملون لفظ(الماء) إلاّ قليلا..

قْهَيْوَة = تصغير لكلمة (قهوة) وهذه الصيغة فيها تناوب بين التصغير وعدم التصغير، لكن التصغير فيها أكثر، وقد يكون للتحبيب وبيان قيمة القهوة وأهميتها..

أُوَيْتِيَة = تصغير لكلمة (أتايْ، بمعنى: شاي)، وهو تصغير يعود إلى العادة اللسانية في التصغير أكثر من وجود غرض معيّن يراد التعبير عنه..

بْرِيجْ / دْلِيلِيعة: ج دْلِيلِيعات = تصغير لكلمتيي (بُرْجْ / دلاّعَة): فالبُرْج هو القطعة من الدلاعة التي تُعْرَف في اللغة الفصيحة باسم (البطيخة)، وهي تلك التي تكون خضراء من الخارج وحمراء من الدّاخل، وهي من الفواكه اللذيذة التي يتم تناولها في فصل الصيف.. وهي من الفواكه المستهلكة بكثرة لدى أهل المنطقة.. وعادة ما يتم تصغير هذه الكلمة للتحبيب والتعبير عن الرغبة في هذه الفاكهة لما لها من طعم شهي، خصوصاً مع وجود العطش بسبب اشتداد الحرّ..

بْتِيتِيخَة / ج بْتِيتِيخَات = تصغير لكلمة (بتّيخة) وهي سائر البطيخ غير الدلاع، وهذا البطيخ ذو ألوان متعددة تميل في معظمها إلى الصفرة.. وتُصَغَّر عادة للتحبيب والرغبة في تناولها..

الدْوَيْرَة /ج الدْوَيْرَات = تصغير لكلمة (دار)، وقد تُصَغَّر لبيان صِغَر الحجْم على سبيل الحقيقة، كما قد تُصَغَّر تحبيباً للتعبير عن الاشتياق إلى المقرّ الذي اعتاد عليه الناس والِفُوه وأنسوا له فلم يقدروا على مفارقته، والمعروف عن اهل المنطقة في أغلبهم أنهم يحنّون إلى منطقتهم ومنازلهم، فلا يكادون يبتعدون عنها حتى يأخذهم الشوق والحنين إليها، لما هنالك من رابطة قوية على المستوى الأُسَرِيّ والاجتماعي، وهذه السمات من الظواهر الاجتماعية التي يتميّزون بها..

هذه بعض النماذج للتوضيح، وما أكثر الأمثلة عن ظاهرة التصغير لمختلف الأغراض والدلالات، ومردّ هذه الأغراض إلى سياقات الكلام وظروف التخاطُب، فهي التي يتحدّد على ضوئها ما يريده المتكلم من أغراض التصغير، وفقاً لما جرى عليه العُرْف بين الناس في تعاملاتهم اليومية واصطلاحهم على فهم دلالات هذه الأبنية والتراكيب.. والجدير بالملاحظة أنّه قد يوجَد أكثر من دلالة لتصغير الكلمة الواحدة، إلاّ أنّ بعض الدلالات تكون أظهر من بعض، وأقرب إلى الفهم.. [1]

[1] ــ يلاحَظ أن العوامل الصوتية مثل نبْرَة الكلام وأشكال التنغيم في لهجة أهل المنطقة قريبة منها اللغة الفصيحة، وهو ما تتميز به عن لهجات المناطق الأخرى..

ويبقى انتشار ظاهرة التصغير في لهجة المنطقة من الظواهر اللسانية الصرفية التي تتجاوز مجرد تصغير الأشياء لأغراض معينة ودلالات مقصودة من المتكلمين، إلى كونها أحد أسرار هذه اللهجة، وتفسيرها في نظرنا لا يكون من منطلق لساني كتفسير أي ظاهرة لسانية، وإنّما المرجع في تفسيرها هو طبيعة النسيج الاجتماعي والعوامل النفسية لدى سكان المنطقة، وهو ما يمكن إسقاطه على بعض الظواهر الأخرى في هذه اللهجة.. فبفعل التراكم الذي يعرفه المجتمع في العادات والتقاليد وما يتصل بها من خصوصيات على امتداد عصور متتالية، تتكوّن الكثير من الخصائص التي تطبع كل منطقة بما يميزها في مختلف المجالات الحياتية، ومنها ما تنطبع به اللهجات من هذه الخصائص..

رابعاً: الخصائص التركيبية والأسلوبية :

اللهجة الشعبية وظاهرة الإعراب :

اللهجات الشعبية أو اللهجات العامية، هذه تسميتها، ويقولون عن الشعر الذي يتم نظْمُه بها (الشعر الملحون) ويقصدون بذلك أن هذه اللهجة تتخلص من الإعراب في أواخرها، وتتميز بالتسكين في أول الكلمات وفي آخرها.. والحقيقة أنّ الإعراب من خصائص بعض اللغات المعربة ومنها اللغة العربية، كما أنّ ثمة لغات غير معربة.. وقالوا إنّ تسمية الملحون آتية من (اللحن) وهو إسقاط الإعراب.. والذي يبدو لنا غير ذلك، وهو أنّ المراد بلفظ الملحون أنه شعر غنائي بالنظر إلى نظام الحركة والسكون فيه، وما يميّزه من الإيقاع الذي يمنحه صفة الغنائية، وهي الصفة التي وسم بها النّقّاد الشعر العربي قديمه وحديثه.. ذلك أنه لا يمكننا أن نَحْكُمَ على الشعر الشعبي بأنه ملحون بمعنى أنه يُسْقِط الإعراب ولا يراعيه، لأنّ هذا النوع من الشعر له لهجته الخاصة به، ، وإنما ذلك هو سمتُه، وتلك هي خصائصه، فلا بدّ أن يكون بما يتناسب مع طبيعته.. ولا يصحّ هذا الحكْم (أي إسقاط الإعراب) إلاّ على شعر نُظم باللغة الفصيحة المعربة..

وعليه نستخلص أنّ اللهجة الشعبية لهجة غير معربة، أمّا اللغة الفصيحة فهي معربة.. ولكل منهما أحكامها التي تتلاءم مع طبيعتها، فهذه لهجة لها خصائصها وأحكامها وتلك لغة أصلية لها قواعدها وقوانينها وأحكامها.. وإنما تلتقيان في كون اللهجة مستمدة من اللغة الأصل، لكنها مستقلة عنها متميزة بقواعدها وإيقاعها.. وهذا لا يقتصر على لهجة دون أخرى، بل يشمل كل اللهجات، غير أنّ لكل منها خصائصها التي تميزها عن غيرها، حتى وإن كانت هناك عدة عناصر مشتركة بين اللهجات.. [1]

[1] ــ يحرص بعض الباحثين يعقد مقارنات تمييزية بين اللهجة واللغة الفصيحة، ولكن الأجدى أن تقام مقاربات بينهما لتحقيق الفائدة ممّا يوجد بينهما من التكامل والتقارب.

إننا نجد الكثير من الكلمات والعبارات والتراكيب المستعملة في اللهجة، هي نفسها تلك المستعملة في اللغة الفصيحة الأم، فنحكم عليها بأنها مستمدة منها ومتفرعة عنها؛ ونقاربُ بينهما، لكننا نخطئ عندما نريد إسقاط قواعد اللغة الفصيحة القائمة على مناهج منظمة متوارثة بين العلماء جيلاً بعد جيل، على لهجة شعبية قائمة على كثرة التداول والاستعمال في الأوساط الاجتماعية، وليس لها قواعد منهجية، إلاّ من بعض العادات اللغوية متمثلة في جملة من المواصفات الصوتية والصرفية والتركيبية، ويتداولها فئات الشعب كلّها على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية والعلمية، يستعملونها في الخطابات غير الرسمية ونجدها في كل الأماكن.. ولا بأس أن نسوق ههنا بعض الأمثلة للمقاربة بين اللغة الفصيحة واللهجة الشعبية بالمنطقة، للوقوف على بعض الخصائص التي تميز كلاً منهما.. ومن ذلك قول الشاعر: [1]

نوض بحملك ولا طيح ** وكون في كلامك نصيح

اللي ما ياخض راي كْبيرو ** الهمّ هو تدبيرو

فالكلمات المستعملة في هذين البيتيْن، كما في الكثير من الأبيات بلهجة المنطقة ، نجد فيهما تطابقا كبيرا بين اللغة الفصيحة واللهجة الشعبية بالمنطقة، ونوجزها فيما يأتي:

(نوض = انهض ؛ حملك = حملك ؛ ولا = وإلاّ ؛ طيحْ = اسقُطْ ؛ كونْ = كُنْ ؛ نصيحْ = ناصحاً / نصيحاً ؛ اللي = الذي ؛ ما ياخض راي كبيرو = لا يأخذ برأي كبيره ؛ الهم هو تدبيرُو = الهمّ هو تدبيره.)

فالملاحظ على هذه الكلمات أنها مأخوذة من اللغة الفصيحة، لكننا لا نستطيع أن نحوّل اللهجة إلى لغة فصيحة، وإنما نحن نقارب بينهما، فهذه لهجة لها خصائصها وتلك لغة لها قواعدها.. والتقارب بينهما هو غاية ما يمكن الحديث عنه في هذا الباب..

ظاهرة الحذف والتسكين :

الحذف لغة " حذف الشيء حذفا، قطعته من طرفه والحجَّام بحذفه الشعر من ذلك "[2] ، ويجمع اللغويين أنَّ الحذف في كلام العرب كثير، ومن ذلك ابن جني في كتابه (الخصائص) إذْ يضعه في [باب شجاعة العربية] ويقول فيه: "... اعلم أن معظم ذلك إنما هو حذف وزيادة والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى

[1] _ مخلوف صادقي، أشهر التآليف عن الكلام اللطيف من شعر المخاليف ، قصيدة (الحديث قياس) ، ص 150

[2] _ ابن منظور ، لسان العرب ، باب الحاء ، مادة :ح ذف، ص 710

والتحريف.. "[1] ، وهي من الظواهر التي يلجأ، إليها عند وجود ثقل في نطق الكلمة أو الجملة قصد التخفيف في تركيب معين.. وسنورد بعض النماذج لظاهرة الحذف في لهجة المنطقة، قصد التوضيح :

– حذف الهمزة من أول الكلمة مع تسكين الحرف الأول المنطوق به، ونجد ذلك في الضمائر: مثل : نْتَ ، نْتِ ، نْتمْ/ نْتوما ، حْنا (في مقابل) : أنت ، أنت ، نحن، أنتم... في اللغة الفصيحة.

–كما نجده في الأسماء، مثل : البَلْ = الإبِلْ ؛ لُخْتْ = الأُخْت ؛ لاَرْضْ = الأرْض ؛ ليّامْ = الأيام...

– وقد نجد تسكين أول الكلمة من دون وجود حذف، وذلك في بعض الأسماء، وفي الأفعال الماضية.

– في الأسماء، مثل: كْتابْ = كِتاب ؛ عْلامْ = عَلَم ؛ طْريق = طَريق ؛ سْلامْ = سَلام ؛ طْفُلْ = طِفْل.

– في الأفعال الماضية، مثل: حْضَرْ = حَضَرَ ؛ قْرا = قَرَأَ ؛ بْنَى= بَنَى ؛ عْدَلْها= عَدَّلها ؛ نْوَى= نَوَى.

– وقد نجد هذا النوع من الحذف في الأفعال، لكنّ الشائع هو إثبات الألف أو الهمزة نطقاً في الأفعال الأمرية أكثر من غيرها، على النحو الآتي : أربحْ: بمعنى: انطلقْ(أي اذهبْ) ؛ اكتبْ ؛ اسمعْ ؛ أَبْدا ؛ أهْدا (أي أُتْرُكْ) ؛ اجْرِي ؛ أرواحْ (أي تعال) ؛ أَبْنِي (من البناء)..

– وقد نجد حذف هذه الألف أو الهمزة في الأفعال الماضية، مثل : شْراَ = اشترى ؛ عْطَى = أَعْطَى ؛ هْدَى = أَهْدَى ؛ خْلاَهاَ = أخْلاها..

– وهناك ظاهرة حذف الهمزة من آخر الكلمة لغرض التخفيف، ومن أمثلة ذلك:

السّمَا = السماء ؛ الْمَا = الماء ؛ الفْضَا = الفضاء ؛ الدّوَا = الدّواء ؛ الْبْلا = البلاء ؛ الشّرَا = الشّراء ؛ الشّواَ = الشّواء ؛ القْدَا = الغَداء (بالقاف بدل الغين) ؛ العْشَا = العَشاء ؛ الهْوَا = الهواء...

هذا، وتتميّز كل لغة بتنوع تراكيبها وأساليبها، بحيث تأتي على أنماط متعددة وفقاً لطبيعة هذه اللغة، وكذلك اللهجات تتميّز بأنماط معينة دأب عليها الناس في تواصلهم.. فمن هذه التراكيب ما هو مثبت ومنها ما هو منفي ومنها ما هو مؤكّد.. وغير ذلك من الأنماط الأخرى..

كما لا ينفك الأسلوب في أي كلام عن كونه خبريا أو إنشائيا، مهما تعددت صيغه وتراكيبه.. وقد أسهب البلاغيون في الحديث عن الأساليب الخبرية والإنشائية، وتباينت آراؤهم فيها أحيانا.. غير أن الذي يعنينا ههنا هو ما يتصل بموضوعنا، ألا وهو مقاربة استعمالات الخبر والإنشاء في لهجة منطقة غرب شمال الصحراء التي هي موضوع دراستنا، وفي اللغة العربية الفصيحة، بقصد التأصيل وبيان طبيعة المعاني

[1] ـ ابن جني، الخصائص، ج1 ، تحقيق محمّد علي النجار، دار الكتب العلمية، القاهرة ، ص 383

والدلالات، ومدى التقارب بينهما.. وسنقدّم فيما يأتي نماذج تطبيقية لجملة من التراكيب والأساليب بلهجة المنطقة لنتبيّن مختلف التنوعات التركيبية والاستعمالات الأسلوبية التي تتميز بها.. [1]

1/ الإثبات :

بعض الأدوات المستعملة في أسلوب الإثبات : ياك... ؛ راه...؛ ياك راه....؛ (وقيلا راه .... تستعمل في عدم التأكد ..)؛ الرسمي راه....؛ (راه هما بمعنى : أراه ، أو : إنّه أو لقد... أو ما يتضمن معنى الإثبات)، هذا في الجمل الابتدائية الإخبارية (أي التي تحمل أخبارا بعينها) ؛ وأمّا في الجواب والردّ لإثبات خبر أو تأكيده، فهناك عبارات أخرى كذلك، مثل قول أحدهم عندما يُسْاَل عن أمْر ما قصد إثباته أو نفيه: (رسمي..؛ قعْ ما فيهاش حديث.. ؛ ثابت.. ؛ صحيح .. كون متهني أو روح متهني، أو كون مهني..؛ خبر مدقق... وغيرها)

2/ التوكيد :

– **صحيح صحيح** : يستعمل هذا التعبير بتكرار كلمة: صحيح، مع التشديد عليها في النطق، بغية التأكد من الخبر بعد وروده، والتثبت من أنه لا مجال للشك فيه.. وقد تستعمل الكلمة الأولى فقط في أول الأمر، ثم تضاف إليها الثانية تكراراً وتأكيداً..

– **راك مثبت زينْ**: أي: إنّك متأكّد تمام التأكّد ؟ هل أراك متأكداً جيداً ؟ تأتي استفهامية أو خبرية، والتنغيم الصوتي هو الذي يبيّن المراد من العبارة.. ويتم توظيف هذه العبارة في سياق تأكيد الخبر الذي جاء به المخاطَب، إذ قد يكون خبرا غير مؤكّد، فيُراد التثبّت منه باستعمال هذه العبارة، مع إمكانية تغيير بعض الكلمات على تفاوت بسيط في الاستعمال، غير أن الغرض يكون واحداً.

3/ النفي :

والو : تستعمل هذه الصيغة في مناطق أخرى غير منطقة غرب شمال الصحراء..

أهاأهْ (بالغنة): وهي صيغة خاصة بلهجة المنطقة وشائعة غي الأوساط الشعبية فيها..

أها (باستعمال الغُنّة في آخرها): هذه الصيغة نوع من النفي بالاعتماد أحيانا على النغمة الصاعدة أو النازلة، بحسب طريقة الكلام وسياق الحديث بين المتخاطبين..

لالا (لتكرار النفي وتأكيده): هذه الصيغة مستعملة كذلك في مناطق أخرى غير المنطقة السهبية، كمناطق الشمال والشرق والغرب..

[1] _ ما هذه إلاّ نماذج قصد تقديم فكرة عن أساليب التعبير في الكلام اليومي لدى أهل المنطقة..

أبداً (لتأكيد النفي بقوة) : كثيراً ما تستعمل هذه الصيغة وحدها هكذا، مقطوعة عن الكلام قبلها أو بعدها، وأحيانا تستعمل مقترنة بغيرها مما يتم به تأكيد النفي.. وهي تستعمل لترسيخ النفي وعدم ترك مجال لأيّ احتمال آخر..

باط ؛ باطلْ : **بمعنى** : (**لا**):كلمة تستعمَل في المناطق الأكثر إيغالاً في البداوة، ويقلّ استعمالها في المناطق الحضرية، ولا تزال هذه الصيغة تستعمل في منطقة الجلفة، إذْ نجد بعضهم يستعملها في المجتمع الحضري، لكن ذلك قليل نسبيا، بالكلمة الأخرى التي تشيع أكثر، وهي قولهم: (والُو).[1]

هذا، ، ويتم النفي في بلهجة المنطقة باستعمال أداة النفي في أول الكلمة، وحرف الشين في آخرها، وعادة ما تكون هذه الكلمة فعلاً ماضياً أو مضارعاً، مثل : (ماقلتش = ما + قلت + ش ؛ ما نقولش = ما + نقول + ش). علماً انّ هناك عدة صيغ بحسب إسناد الفعل إلى الضمائر على اختلافها..

كما يُلاحَظ أنّ صيغة النهي كذلك تأتي باستعمال الفعل المضارع، مسبوقا بأداة النفي ومختوما بحرف الشين، مثل : (ما تقولش = ما + تقول + ش)

والجدير بالملاحظة أن هذا الأسلوب لا يقتصر على لهجة المنطقة، وغنما هو متبع في عموم اللهجة الجزائرية، وحتى في اللهجات العربية أحياناً. فهو مما تشترك فيه مع غيرها ..

7/ الاستثناء :

إلاّ هذا أو هذي : تستعمل كما هي في اللغة الفصيحة، لكنها في لهجة المنطقة تأتي في أول الكلام أحيانا، فيقال مثلاً: إلاّ هذي خليها والباقي أدّيه، بمعنى : خذ كل شيء إلاّ هذه... ومثل هذا كثير..

قا هذاك أو هذيك: تستعمل هذه العبارة عادة في أول الكلام، بدءاً بحرف القاف الطويلة، ثم يأتي بعدها ذكْر المستثنَى، ثم يأتي الإخبار عن الحكْم أو عما أُستُثْنِيَ منه.. مثل قولهم : قا هذي اللي مكانش منها، بمعنى ك إلاّ هذا الخبر فإنه غير صحيح ؛ وقولهم: قا أنت اللي ما ناخُضش رأيك، بمعنى: إلاّ أنت فلن آخذ برأيك، أي: لن أصدّقك.. وهكذا..

مْقيرْ أو مَنْ قير: استعمال عبارة : مْقير، بسكون الميم وكسر القاف مع إمالتها... وهي تقابل عبارة : من غير ، باللغة الفصيحة.. علما أنّ لفظ (غير) هو من أدوات الاستثناء في اللغة العربية. مثل قولهم :

[1] _ بعض الاستعمالات نجدها تقلّ في المدن وتكثر في البوادي والأرياف، لأنها أكثر محافظة على الأصالة بحُكْم بُعدها ..

بقات مقير وحدة التالية، بمعنى : لم يبق غير واحدة وهي الأخيرة؛ وقولهم : من قيرك أنت ما نثيق في حتى واحد، بمعنى: لن أثق في أحد من غيرك أنت أو من دونك أنت.. [1]

8/ الاستفهام :

وين ؟ : أين ؟ في أيّ مكان ؟ باستعمال الواو بدل الفاء في أول الكلمة... وتُلْفَظ بكسر الواو مع إمالتها قليلا إلى الفتحة، وهذه الإمالة من الخصائص التي تنفرد بها لهجة المنطقة..

ويكتا ؟ ويْكتْ ؟ ويْنْتا ؟ : متى ؟ بالإمالة كما سبقت الإشارة.. في أيّ وقت ؟ مع إبدال القاف كافاً، واستعمال الواو بدل الفاء في اول السؤال ؟

كيفاه ؟ كيفاش ؟ بأية كيفية ؟ بأية طريقة ؟

اعْلاهْ ؟ اعْلاشْ ؟ أعلاواش: لماذا ؟ على أيّ شيء ؟[2]

وشْ ؟ واشْ ؟ ماذا ؟ قد تاتي وحدها ، إذا كان قد سبق الكلام عن شيء معين، حتى لا يتم تكراره... وكثيرا ما تأتي في بداية سؤال : كما في قولهم : وش قالكْ ؟ وش قُتْلو؟ واش راها الصحة ؟

هاواشْ؟ كيف الحال أو ما الأخبار؟ وأحياناً تستعمل بقصد التحية عند اللقاء بعد الافتراق لمدة قصيرة فقط؛ كما قد تُسْتعمل في التساؤل بقصد التهديد والاستعداد للتصدي للخصم، بمعنى (ما الذي تريده؟)

باهْ ؟ باشْ ؟ : بماذا ؟ : تستعمل للسؤال عن الوسيلة، بمعنى : ليس لدي الوسيلة؛ وقد تدل على افتقاد شيء مادي كالمال أو معنوي كالحياء من موقف معين أو حرج من شيء ما.. فتكون عندئذ بمعنى : ليس لدي بماذا أقابل الأمر.. كأنْ يقولوا مثلاً : (باه نقابلْ ؟ بالقاف المثلثة)، أيك ليس لدي ما أقدمه...أي : من قول أو عمل أو موقف صحيح .

9/ التعجب :

يا معتاه أو محتاه: أي: ما أعتاه : من العتو ، بالعين أو بقلب العين حاءً، وكلاهما من أصوات الحلق، فهي قريبة منها في المخرج..

[1] – قد تستعمل كلمة (سوى) بدلا من (قير = غير) تقريبا كما تستعمل في اللغة العربية الفصيحة..

[2] ــ يستعمل بعضهم حرف الهاء (باه، عْلاهْ...) بينما يستعمل آخرون حرف الشين (باشْ، عْلاشْ...)

مزينو؛ وضدّها : مشينو : الأولى بمعنى: ما أزينه ، أي: ما أجمله . والثانية بمعنى : ما أسوأه (ما أشينه) لأي: ما أسوأه.. وذلك بإبدال الهاء واواً، وهذا كثير في الانتقال من اللغة الفصيحة إلى اللهجة الشعبية الجزائرية عموما ، ولهجة المنطقة على الخصوص..

وعلى هذه الصيغة تُقاس صيغ التعجب القياسي.. وهناك ايضا التعجب السماعي : ويكون بصيغ متعددة ومتنوعة لا تخضع لوزن أو ضابط معين، كما في الفصحى..

10/ أسلوب النداء :

يا : كما في اللغة الفصيحة، وتستعمل في اللهجة الشعبية للبعيد والقريب..

آ : تستعمل لنداء القريب كم تستعمل لنداء البعيد أيضاً..

يااااو: تستعمل لنداء البعيد ، كما تستعمل للتنبيه أحيانا على شيء وقع فجأةً أو لا يراد حصوله. فكأنها في هذا السياق بمعنى : توقفْ..

آآآوْ : تستعمل للنداء أحيانا، كما تستعمل للاستغراب من بعض الأمور غير المتوقعة، وهي شبيهة إلى حد ما بالتي قبلها..

إيييوْ : هذه الصيغة تستعمل لنداء البعيد ، كما تستعمل في سياقات أخرى، مثل : التعبير عن الفرحة والسعادة والانطلاق والتحرر، كأن تُقال في الفضاءات الواسعة حيث لا يراد منها الاستجابة للنداء، بقدر ما يراد بها التعبير عن بعض المكنونات في النفس..

11/ العرض والتحضيض :

بلاك + جملة فعلية او اسمية : مثل: (بلاك تقرا على روحك خيرْ لَك) : تقال ابتداءً لعرض شيء ما.

لوكان + جملة فعلية أو اسمية : مثل: لوكان تدير بالراي وتكمّل في خدمتك خيرْ لك ؛ لوكان تنسى الحكاية خير، بمعنى: لو تتخلى عن الموضوع سيكون أفضل..

هاء التنبيه + بلاك (هابلاك) + فعل : ، مثل : (هابلاك تفيق وتقرا على روحك) : تقال تكرارا للمرة الثانية أو الثالثة للترغيب في الشيء والحث عليه..

تدير مزيـة : ، مثل : (تدير مزية تروح تطلب السماح من جارك): في شكل نصيحة للمخاطَب..

لا يْعود + فعل أو اسم: تقال عند عد عدم امتثال المخاطَب لما طُلِبَ منه : مثل: (لا يْعود تسمع الحديث) أيك لولا سمعت الكلام فذلك أحسن لك من أن تندم..

قا + فعل : للعرض ورجاء فعل شيء ما ، مثل : (قاخوض رايي ودير وش نقولك، قا اسمحلو خير)

12/ التحذير :

– **ها رُدّ بالك:** بمعنى راجع نفسك، وفكّر جيدا في العواقب، ولا تتصرف بما يجلب لك السوء..

– **بلاك ، ها بلاك** : هي مختصر : ردّ بالك، والهاء للزيادة في التنبيه والتحذير..

– **حلّ عينيك زين** : صيغة تحذير للمخاطَب، وهي كناية عن شدة التحذير، فكأنه من غفلته كان مغمض العينين، ويراد له أن ينتبه من غفلته ويعرف عواقب الأمور..

– **دير حسابك** : صيغة تحذير في شكل نصيحة، وهي أكثر تهذيبا وتوجيها، وتستعمل في سياق الهدوء قبل تفاقم الأمور..

– **والله ياون تديرها ان تشوف** : صيغة تحذير قوية مباشرة، خصوصا إذا اقترنت بالقَسَم، فحينها تكون أشدّ تحذيراً، بهدف ردع المخاطَب وكفّه عن فعلته وزجره عن الإقدام عليها.. [1]

– **ديرها وتشوف** : صيغة تحذير في نوع من الهدوء، وتستعمل اردع المخاطَب عن أمر ما، قبل أن يعزم على القيام به بصفة ثابتة، فيكون إحجامه عنه ممكناً قبل فوات الأوان..

نخلص من مختلف النماذج التي قدمناها، وهي عيّنات من الكمّ الهائل الذي يحتاج إلى بحوث موسعة لفترات أطول، نخلص إلى أنّ هاته الكلمات والألفاظ العامية هي في الأصل فصيحة إلا أن العامة حورتها وغيرت ما فيها؛ وهذه الخاصية نجدها في المدن الكبرى التي يكثر فيها مزيج من الأجناس. وقد اتفق المؤرخون على أن أفصح لغة هي لغة قريش، ولذلك فإنّ كلّ لغة أو لهجة قريبة من لغة قريش تعدّ هي الأفصح أو الأقرب إلى اللغة الفصيحة المثالية..

وانطلاقاً من هذا نستدل بأن أقرب لهجة جزائرية إلى الفصحى هي اللهجة التي تتحقق فيها هذه القرابة بينها وبين لغة الفصحاء الذين نطقوا بلسان عربي فصيح في استعمالهم لمختلف الأنماط التركيبية والأسلوبية.. ولعلّنا نجد هذه السّمة بارزة في كثير من اللهجات الجزائرية، غير أن هذه اللهجات تتفاوت فيما بينها في درجات قربها أو بُعدها من الفصحى..

ولعلّنا نقرّر أيضاً أنّ المناطق المعروفة باسم المناطق السهبية، وهي المناطق الواقعة في غرب وشمال الصحراء هي الأكثر قرباً من اللغة الفصيحة بحكْم عدة عوامل تاريخية وجغرافية وحضارية وغيرها.. وتقع مدينة

[1] _ هذه الانتقاءات من اجتهادنا، وليس القصد منها تحديد نماذج بعينها، بل القصد تقديم فكرة عن الاستعمال اليومي..

الأغواط وضواحيها، ومدينة الجلفة وضواحيها في قلب هذه المنطقة، إذْ نلْحظ بوضوح ذلك التقارب الكبير بين لهجاتها واللغة الفصيحة .. [1]

خامساً : الخصائص الدلالية :

الترادف ومراتبه :

الترادف في اللغة" هو ما اختلف لفظه واتفق معناه أو هو إطلاق كلمات على مدلول واحد. كالأسد والسبع والليث وأسامة والتي تعني مسمى واحد. والحسام و السيف والمهند و اليماني بمعنى واحد.. " [2]

وقد اختلف علماء اللغة منذ القديم في وجود ظاهرة الترادف في العربية، فذهب بعضهم إلى إقرارها وإثباتها، وأنه لا سبيل إلى إنكارها؛ وذهب آخرون إلى إنكارها، إذ رأوا أنّه لا يمكن أن يتكرر الشيء نفسه مرتيْن، وأنّ مجرد التكرار يعني اختلاف المعنى.. وذهب فريق ثالث مذهباً وسطاً في أنّ هذه الظاهرة موجودة، لكن ذلك لا يعني أنّ اللفظ المتكرر هو ذاته، وهذا هو الرأي الصحيح ..

وظاهرة الترادف من أبرز الظواهر الدلالية في لهجة المنطقة، بحيث يجري تداول الألفاظ المتتابعة ذات المعاني المتقاربة، وذلك قصد تأكيد المعنى المراد الوصول إليه، من أجل ترسيخه في ذهن السامع، وبلوغ المقاصد الت يسعى المتكلم إلى تحقيقها.. ولعل هذا الترادف يكون أكثر ظهوراً في الأمثال والحكم والقصائد الشعرية. وهو ما يمكن ملاحظته في مواضع متعددة، ومن ذلك مثلاً، قول الشاعر:

وقفة ع الصّحارِي **تأملْ وأُخْزُرْ** ** بين التقاليد والحضارة ما كاين تبديل [3]

فقوله: (**تأملْ وأُخْزُرْ**) ترادف بين اللفظيْن، وإن كان بينهما اختلاف، إلاّ أنّهما متصلان من حيث إنّ التأمّل يسبق الخزْرة (النظر)، والخزرة هنا تجمع بين الخزرة المادية للآثار والمعالم الموجودة الشاهدة على تقاليد منطقة الصحراء وحضارتها، وبين الخزرة المعنوية التي ترتبط بالتأمُّل لمعرفة قيمة هذه الآثار وأثرها في النفس..

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر: [4]

يا عاقل تْبدلت ليـَّامْ لْكُـلّْ ** **الدَّنيا والنـاس** دخلتْ بعضـاها

وينا واحـد راه **هـانـي مـدّلْ**** قلبو زاهي والـمحـايـنْ خـلاهـا

---

[1] _ هذه حقيقة ناصعة لا اختلاف حولها، وهو ما يقرره الباحثون في مجال اللهجات، وينطبق الأمر على مناطق أخرى أيضاً..

[2] _ إميل بديع يعقوب ، فقه اللغة العربية و خصائصها، ص 170

[3] _ أشهر التآليف، قصيدة (التراث الثقافي والتاريخي والأثار) ص 147

[4] – علي عبد اللاوي، ديوان الدنيا والناس (مخطوط/ البيتان الأول والثاني) ؛ وينا واحـد : مَنْ مِنَ الناس ؛ المحايَنْ: المصائب والهموم.

نلاحظ الشاعر هنا يستعمل ألفاظا وعبارات مترادفة، على درجات متفاوتة من الترادف، أي: من حيث التقارب بينها في المعنى.. وهي قوله: (الدنيا والناس) فهما متقاربان في المعنى حسب سياقهما ههنا، وإن كانا مختلفيْن في المعنى الإفرادي الخاص بكل منهما..

وكذلك قوله: (هاني مدّلّلْ) فهما لفظان مترادفات ترادفاً قوياً، إذ إنّ الهناء يفضي إلى الدلال، فالثاني نتيجة للأول.. ولكن هذا الترادف لا يحصل معه تكرار يخل بالمعنى أو يفسد القصد الذي أراده الشاعر..

سادساً: الخصائص البلاغية :

نجد في لهجة المنطقة من الظواهر البلاغية ما نجده في اللغة العربية الفصحى، سواء من جهة علم المعاني وأشكال التراكيب أو من جهة علم البيان أو من جهة علم البديع، على ما هنالك من الفروق في استعمال هذه الظواهر، بين اللغة واللهجة، إنْ من حيث النطق وإنْ من حيث الصياغة، ومع ذلك يبقى التقارب الكبير جليّاً بينهما في المجال البلاغي.. وسنورد بعض الأمثلة البلاغية في هذا الشأن:

1/ التشبيه : التشبيه أحد فروع علم البيان في البلاغة العربية، ولا تخلو منه لغة أو لهجة، وهو أنواع متعددة، ولا يمكن تصوّر حوار مطول أو نص بلا تشبيه.. والتشبيه ممّا يلجأ إليه الشعراء في الشعر الفصيح أو الشعبي، ولعلّ الشعراء الشعبيين أكثر التجاءً إليه، لأنهم يجدون فيه قوة في التعبير وتحقيقا للمعاني التي يريدونها في قصائدهم.. ونجد لديهم أنواعا من التشبيه في نصوصهم.. ومن هذه الأنواع، مثلاً، نجد :

التشبيه الضمني في قول الشاعر: [1]

أُمْنياتي كل حاجه تتعدلْ ** وتْوَلّي لَـمْيَاه تسكَنْ مجراها.

يتضمن البيت تشبيهاً ضمنياً، من دون ظهور أركان التشبيه كما في سائر أنواع التشبيه المعروفة، بحيث نجد أنّ الشطر الثاني يفسّر ما جاء في الشطر الأول، والشاعر هنا يشبّه أمور الحياة وشؤون المجتمع بالمياه المتلاطمة، وشبه استقرار هذه الأمور وهدوءها بعودة هذه المياه إلى مجاريها.. علماً أنّ الشطر الثاني فيه تضمين، إذْ استمدّه الشاعر من الكلام الشائع في الأدب الشعبي والفصيح الذي يستعمل عبارة (عودة المياه إلى مجاريها) تعبيراً عن رجوع الأشياء إلى طبيعتها، بعد زوال ما يحصل من اضطراب أو اختلال..

التشبيه البليغ : مثاله في قول الشاعر: [2]

الصبر دْوا لَمْحاينْ يا عاقلْ ** ومهما طالتْ دَالْتُو لابدّْ تْجِيهْ. 1

[1]- المرجع نفسه، مخطوط ديوان : الدنيا والناس..(البيت الأخير من القصيدة نفسها).

[2]- المرجع نفسه، مخطوط ديوان : الدنيا والناس..(البيت الأخير من القصيدة نفسها).

فالشاعر هنا يشبّه الصبر بالدواء، ويحذف أداة التشبيه، وهذا لغرض تأكيد النُّصْح بأنّ الصبر كالدواء عند حلول المصائب والنكبات، فمن تحلّى به استطاع أن يتجاوزها.، ولبيان مكانة الصبْر ومدى الحثّ على التّحلي به التجأ الشاعر إلى التشبيه البليغ، حتى لا يدع مجالاً للتردد لدى المخاطَب، سعياً إلى إقناعه بهذه الحقيقة ومواساته عند الملمّات.. وهذا تشبيه مجمل ذلم يُذْكَر فيه وجه الشبه الذي يبيّن كيفية كونه دواءً أو فيماذا يُشْبه الدّواء، وكأنّ الشاعر ترك ذلك لتصور المخاطَب وآفاق توقعه لهذه الحقيقة، ذلك أنّ المخاطَبين يختلفون في تصوراتهم وآفاق توقعاتهم لما يتضمنه الخطاب..

التشبيه التّامّ: مثاله في قول الشاعر: [2]

قلبكْ قاسي كي الحجرة متجلمدْ ** ما تعرفْ معنى الْمْحبة ما تسْمِيهْ

قوله: (قلبكْ قاسي: بالقاف المثلثة بلهجة المنطقة) والشاعر يوجّه الخطاب هنا إلى الصخر والشجر الموجود في المكان الذي كان يتردد عليه مع محبوبته، فقد خاطب الصخر ولم يُجِبْه، فوصفه بهذا الوصف مجازاً؛ وأكّد هذا المعنى بتكرار الترادف حين أضاف كلمة (متْجلْمدْ) وتعني شدة القساوة، كأنّ الشاعر رأى بأنّ وصفه بالقساوة لا يكفي فزاد كلمة (متْجَلْمَدْ) تعبيراً عن هذه الحقيقة المؤكدة، وما جاء هذا الوصف إلاّ تعبيراً عن شدّة تأثّره بفراق محبوبته وحرارة اشتياقه إليها، فوجد في مخاطبة هذه الجمادات حرية في التعبير وسعةً في استحضار المعاني التي يريدها وفضاءً لبث معاناته والبوح بما ينتابه من الأحاسيس تُجاهَ هذا الموقف الصعب الذي لم يُطِق تحمُّله.. وزاد تأكيده على هذا الموقف وما فيه من المعاناة عندما أتى بوجه الشبه في الشطر الثاني، حتى لا يترك في الخاطر شيئاً من ذلك الشعور المؤلم. وهذا تشبيه تامّ ذُكِرتْ فيه كل الأركان من المشبه والمشبه به والأداة ووجه الشبه.. وأمثلة التشبيه – بأنواعه – كثيرة في لهجة المنطقة سواء في الخطابات اليومية أو في الحِكَم والأمثال أو في قصائد الشعراء..

الاستعـارة :

هي نوع من التشبيه لكنها أبلغ منه، إذْ يُقرّب فيها بين الطرفين بدعوى اتحادهما وامتزاجهما؛ وهي تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه، إذ يتم فيها استعارة المعنى لغير لفظه. [3]

---

[1] _ أشهر التآليف، قصيدة (الصبر دواء للمحاين) ص 225

[2] _ الشاعر بلخيري محفوظ، من أشهر شعراء مدينة مسعد (من قصيدته الطللية الطويلة المشهورة: فطّ القلب. وهي من أجود ما قيل في الشعر الشعبي الجزائري) وفي قوله: متجلْمدْ، يحيلنا على بيت امرئ القيس في معلقته :

مِكَرّ مِفَرّ مُقبل مُدْبر معاً ** كجلمود صخْر حطّه السيْلُ مِنْ عَلِ.

[3] _ عبد العليم بوفاتح، فنون البلاغة العربية، مطبعة بن سالم بالأغواط– الجزائر/ط1 (2009) ص241

الاستعارة ضرب من المجاز، وهي قائمة على علاقة المشابهة بين الطرفيْن (المشبه والمشبه به). ويُشْتَرَط فيها أن يُحْذَف أحد الطرفيْن، ويبقى الآخر دليلاً عليه، فوجود أحدهما يشير إلى حذف الآخر. وأقوى الطرفيْن هو المشبه به، لأنّ المشبه معلوم لدى المتكلم والسامع، وإنما يكون الإبداع في البحث عن المشبه به المناسب لهذا المشبه، وبقدر حُسْن اختياره (أي: المشبه به) يكون درجة جودة الاستعارة..

ومن أهم أقسام الاستعارة: الاستعارة المكنية والاستعارة التصريحية؛ فالاستعارة المكنية هي التي يتم فيها حذف المشبه به وترك المشبه، وبالنظر إلى أهميته فإنّه عندما يُحْذَف يبقى في الكلام ما يدلّ عليه من بعض صفاته أو لوازمه.. وأما الاستعارة المكنية فهي التي يتم فيها التصريح بالمشبه به وحذف المشبه..

والاستعارة في لهجة أهل المنطقة من أشهر الصور تداولاً، ولا سيما ما نجده في الكلام اليومي وما يتضمنه من حِكَم وأمثال نثرية أو شعرية، فمن ذلك مثلاً قول قائلهم: (هربت من الطامة طحت في قطاعة الرُّوسْ) بمعنى: أنه حاول الابتعاد عن مصيبة فوقع في مصيبة أكبر منها.

وقد شبه المصيبة تارةً بـ(الطّامّة) وهي شيء مخيف كالغول في الثقافة الشعبية؛ وشبهها تارة بـ(قطّاعة الرُّوسْ) وهي أكثر خطورةً من الطامّة؛ والحقيقة أنه لا وجود لهذه الاشياء، وإنما هي موجودة في تصور الناس فقط. وحذف المشبه في الموضعيْن(وهو المصيبة والمصيبة الأكبر منها) وصرّح بالمشبه به(الطامّة وقطّعة الرُّوسْ) على سبيل الاستعارة التصريحية.

ومن الاستعارة أيضاً قول الشاعر :

ياسامعْني شوفْ لَكْلامي وافْهم ** كلمةْ حق انْقُولْهالك في لشعارْ

أعملْ مجهودك وللنفسْ أتْحـزَّمْ ** ما تطلقْشْ لْجَامْها تَرجَعْ مَشْرارْ

فقوله في الشطر الثاني من البيت الثاني:(ما تَطْلَقْشْ لْجَامْهَا) : استعارة مكنية، إذْ شبّه النّفْس بالحصان الجامح الذي لا ينبغي على صاحبه حراستُه ومراقبتُه باستمرار، حتى لا يؤدّي به إلى الهلاك.. ولكنّه حذف المشبه به (الحصان) وكنّى عنه بصفة من صفاته ألا وهي (اللِّجَام) ..

فكما أن للحصان لجامه فكذلك للنفس لجامها، وهو كبْح جماحها عن الشهوات، لأنّ تركها على أهوائها يجعلها تتعوّد فيصعُب بعد ذلك التحكُّم فيها أو إعادتها إلى جادّة الصواب.. وفي هذا المعنى يندرج قول الشاعر الفصيح : [1]

وَالنَفسُ راغِبَةٌ إِذا رَغَّبتَها ** فَإِذا تُرَدُّ إِلى قَليلٍ تَقنَعُ

ومن أجمل الاستعارات قول الشاعر:[2]

يا مَوْجة شاتي بْبَحرك نتْهنّــى ** راني خايف لايعودْ حْديدك عاجْ
راني خايْف يركْبُوك مْع الفتْنة ** ونْطيحُو في واد مافيهَش مَخْـراجْ
كذا من مَوْجة تْشوفْ وتتْمنّـى ** وتْنال الثمرة على التالي والتّــاجْ

يتحدث الشاعر هنا عن بعض الأحداث والاضطرابات التي شهدها العالَم في السنوات المنصرمة، إذ يشبّه الفتن الحاصلة بالأمواج المتلاطمة التي لا تُعْرَف نتائجها.. ويحذّر من الوقوع في شباكها من دون قراءة في العواقب.. وهنا استعارة تصريحية صرّح فيها الشاعر بالمشبه به ألا وهو (الموجة/الأمواج) وحذف المشبه وهو (الفتنة). وجاء التصريح بالمشبه به، وهو أقوى الطرفيْن، دليلاً على قوة التحذير من الانسياق وراء الأحداث من دون النظر في عواقبها بعين الحكمة..

ولتأكيد هذا المعنى نجد الشاعر يذْكر لفظ الفتنة في البيت الموالي، بما يوحي بحرصه على التحذير من الانسياق وراء الأحداث الجارية في العالَم من دون الوقوف وقفة تأمُّل لاختيار النهج الصحيح قبل الإقدام على أي خطوة أو اتخاذ أيّ قرار.. وهنا يقدّم الشاعر نصيحة لبني وطنه وأمته.. وهذا يحيلنا على ما جاء في الحكمة العربية الفصيحة: (من نظر في العواقب سَلِمَ من النوائب).

الكنايــة :

هي إطلاق لفظ وإرادة معنىً آخر مقصود غير معناه الاصلي، مع جواز إرادة المعنى الأصلي الذي يدل عليه اللفظ المذكور. [1] والكناية من الصور البيانية التي تتسم بطابعها الجمالي الكامن في الرمز والتأويل، فهي

[1] _ هو أبو ذؤيب الهذلي شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام وحسن إسلامه، وهذا البيت من أجمل أبيات قصيدته العينية المشهورة التي قالها في رثاء أبنائه الخمسة، وهي من أجمل القصائد وأرقاها، وقد اشاد بها النقاد والأدباء قديما وحديثاً..

[2] _ الأبيات من قصيدة (زوج امْواجْ) للشاعر الشعبي مُحَمَّد رابحي من الأغواط.(شاتي= أُحِبّ وأُريد / يعود حديدك عاج= تنقلب الأمور إلى غير المتوقَّع/ يْطِيحُو= يسقطون، يقعون/ التالي= الخير / التاج= يرمز به إلى النجاة والوصول إلى الأفضل.)

تقوم على معنييْن متلازميْن لا ينفكّ احدهما عن الآخر: أحدهما حقيقي أصلي ظاهر لكنه غير مقصود، والثاني مجازي كنائي خفِيّ لكنه هو المقصود..

والكناية في لهجة المنطقة من الصور الكثيرة التداول في المخاطبات اليومية بين الناس في مختلف أنواع الخطابات النثرية والشعرية.. ومن ذلك مثلاً قولهم في الحكمة: (اللّي عْطَاهْ رَبِّي ما يْفُكّْلُو العَابَدْ) كناية عن التسليم بأمر الله وحكمته، وأنه هو الرزاق بما تقتضيه مشيئته سبحانه..

ومن الكناية في الشعر، قول الشاعر: [2]

كلّْ آخُرْ بَجْوار خْليلو راشدْ ** ومَوْلــوعين بْعَشّْنا كنا نشتــيه

ماطُقْتَش لَمْعافْرَة في ذا الْمَجْهَدْ ** خَوَّضْلِي بَحْرِي وْوَادِي فاسَدْ بيه

فالبيت الأول كناية عن لمّ الشمل والانسجام التامّ والأُنْس القائم بين الشاعر ومحبوبته، والعشّ كناية عن موصوف، وهو البيت الذي كان يجمعهما، والولع بهذا العُشّ تعبير عن قوة الحُبّ التي جمعتْهما فيه..

وفي البيت الثاني كناية عمّا أصبح عليه الشاعر من عدم قدرته على نسيان محبوبته، إذْ بقي يكابد معاناة التيار القويّ لهذه المحبة، ويصرّح بأنه لن يُطِقْ مقاومة شوقه وحبّه بعد أن تمكّن ذلك منه..

والكنايات بلهجة المنطقة كثيرة لا يمكن الإحاطة بها، وإنما أتينا بهذه النماذج للتمثيل وبيان قيمتها الأدبية وآثارها الفنية وأبعادها الجمالية، بالدرجة التي تكون عليها في الشعر الفصيح، وهو ما نجده في كل أنواع التصوير الفنّي باللهجة الشعبية الجزائرية، ومنها لهجة المنطقة على الخصوص، لما لها من صلة قوية باللغة العربية، ولذلك نجد الكثير من الصور في الشعر الشعبي تشبه ما ورد في التراث الشعري الفصيح..

كثافة الصورة :

يراد بكثافة الصورة هنا أن تكون هناك عدة صور متتابعة أو متداخلة ومتشابكة فيما بينها، مع وجود تنوع فيها بين تشبيه واستعارة وكناية ومجاز بأنواعه. ويكون هذا عادة في مجال الوصف بحيث تشترك جميع

---

[1] _ عبد العليم بوفاتح، فنون البلاغة العربية، مطبعة بن سالم بالأغواط– الجزائر/ط1 (2009) ص241

[2] _ البيتان للشاعر محفوظ بلخيري من منطقة مسعد، من قصيدته: فطّ القلب.. (كُلّْ آخُرْ= كلّ واحد / مولوعين بعشنا= متنعمين فيه في اتم السعادة / نشتتيه= نحبّه / ماطُقْتَشْ(بالقاف المثلثة) = لم أُطِقْ / لَمْعافْرَة في ذا المِجْهَدْ= مصارعة هذا القويّ، ويريد مقاومة حبّه / خوّضْلِي بحْرِي= خوّضْ الماء، بمعنى: أفْسَد صفاءهُ ونقاءَهُ ؛ وهنا كناية عن مدى تأثير محبوبه فيه..)

الصور المتراكمة في تقديم صورة حية عن المشهد الذي يراد وصْفُه.. وظاهرة كثافة الصورة ممّا يتميّز به الشعر الشعبي بالمنطقة، ومن أمثلة هذه الظاهرة نذكر على سبيل المثال، قول الشاعر: [1]

حتّى الْحْرْمَلْ طابْعُو رَمْثْ مزبَّدْ ** امْدَرَّقْ وَرْقُو النُّوَّار مْخبِّيه

والبَاقلْ يزْيان بزْهارْ مْلَبَّدْ ** اِيفَاوَلْ لَلْخير لبْيضْ مَتْلَحْفِيه

نلاحظ في هذيْن البيْتيْن كثافة الصورة من حيث التعدد والتنوع معاً، فمن حيث تعدد الصورة نجد أنّ البيت الواحد يتضمن أكثر من صورة، إذ يوجد في البيت الأول صورة نبات (الحرملْ) المزيَّن بالرّمث وقد غطتْ كثافتُه أوراقه، وهناك صورة الأوراق والأزهار النباتية الأخرى الكثيفة التي تغطّي هذا النبات.. وفي البيت الثاني توجد صورة نبات (الباقلْ) الكثيف المتجمّع وهو مزيَّن بالأزهار من حوله، كما أنّ وجود الأزهار البيضاء التي تحيط به وتلفُّه تجعله يبدو كأنّه يلتحفها ليتفاءَل خيْراً بهذه الألوان البيضاء الجميلة التي تبعث الراحة في نفس من يرى هذا المشهد البديع ..

ووجود ظاهرة كثافة الصورة في الشعر الشعبي، إنّما هي دليل على تمكُّن الشاعر وتحكُّمه في توجيه الوصف وتصوير المشاهد من دون تكلُّف، وهو ما لا يتأتّى لكل الشعراء، إلاّ مَن أوتي براعةً في القول ومهارة في التصوير وقدرةً على التعبير بانتقاء أحسن الألفاظ وصياغة أجود التراكيب.. وهو مل يبدو لنا بوضوح في البيتين السابقيْن..

وما اكثر هذه الأمثلة عند الشاعر نفسه وعند غيره من الشعراء المتميزين.

إنّ ظاهرة التصوير في الشعر الشعبي على درجة كبيرة من الإبداع في مختلف الموضوعات، وهذه الظاهرة وحدها تشكّل موضوعاً ثرياً للبحث، لما لها من أبعاد دلالية وفنية وما تتميّز به من جماليات التأويل..

---

[1] _ الشاعر بلخيري محفوظ، (من قصيدته الطللية الطويلة المشهورة: فطّ القلب.) الحَرْمَلْ: نوع من النبات البرّي ؛ طابْعُو : يُزيّنُه / رضمْثْ : نوع من النبات البري كثير الفوائد للناس والمواشي، إذا وُجِد فإنه يبشّر أهل البوادي بالخير والنماء / مْزَبّدْ : من الزبد، كناية عن الاخضرار بوجود الماء فيه حتّى خرج منه الزبد من شدة اخضراره / امْدَرَّقْ وَرْقُو (بالقاف المثلثة في الكلمتيْن) : يُخْفِي أوراقَه / النُّوَارْ مْخَبِّيهْ : يُغَطّيه الزَّهْر الكثير للنباتات كأنّه يُخْفِيه/ الباقلْ (بالقاف المثلثة) : نوع من النبات الأخضر الجميل بأزهاره / يَزْيانْ : يظهر جميلاً / مْلبَّدْ : كثيف متراكم له منظر جميل / اِيفَاوَلْ للخير : يتفاءلُ خيْراً / لبْيَضْ مْتْلَحْفيهْ : هنا تقديم وتأخير، والمراد: يلتحفُ باللون الأبيض، كانه يتفاءل به خيْراً..

الفصل الثالث

نماذج تطبيقية من المدونة الشعبية
بلهجة منطقة غرب شمال الصحراء

المبحث الأول
حقل الأشياء المادية المحسوسة

المبحث الأول : حقل الأشياء المادية المحسوسة

توطئــة :

تتنوع اللهجة الشعبية لكل منطقة بتنوع مصطلحاتها ومفرداتها وألفاظها وتراكيبها واللهجة لتي محل دراستنا واهتمامنا، ألا وهي لهجة غرب شمال الصحراء، هي كغيرها لهجة متوارثة عبْر الأجيال المتعاقبة، وتتميز بكثرة ألفاظها وغزارة مفرداتها وتعدد حقولها ومجالات استعمالها في الحياة اليومية بين أفراد المجتمع في كل مناحي الحياة.. وهي تعكس جانبا ثريا من العادات والتقاليد المتوارثة.. وهذه الألفاظ والتراكيب والمسكوكات تحمل دلالات وظيفية ذات علاقة قوية راسخة بحياة الناس واهتماماتهم اليومية، ولها دلالات فكرية وثقافية واجتماعية لارتباطها بالعادات والتقاليد المتوارثة..

ومن جهة أخرى نجد أنّ هذه الألفاظ والتراكيب لها تأصيل لغوي وتقارب كبير مع اللغة الفصيحة التي هي اللغة الأم التي تفرعت عنها مختلف اللهجات الشعبية، ذلك أن اللغة هي الإناء الكبير الذي يحتضن كل ما يتلفظ به الفرد داخل مجتمعه، أما اللهجة الشعبية بتراكيبها ومفرداتها وألفاظها فهي وليدة تفرع القبائل والأقوام التي تتوزع على المواقع الجغرافية في البيئة الواحدة التي تجمعها لغة رسمية واحدة وهي اللغة العربية الفصحى في المجتمع الذي هو موضوع دراستنا؛ أي أنّ اللغة الأم التي يُرجع إليها في تأصيل هذه اللهجات الشعبية المتنوعة، باعتبارها تتسم بالثبات والاستقرار على الرغم من تفرع عدة لهجات شعبية عنها، فهذه اللهجات مسيطرة على الاستعمال اليومي في مختلف المجتمعات المحلية المتنوعة وذلك من خلال استعمال ألفاظها ومفرداتها وتراكيبها ضمن الحكم والأمثال والشعر والنثر، في ترجمة مختلف المواقف والتجارب التي يعايشها أفراد المجتمع في حياتهم اليومية..

هذا، ونجد اختلافات جلية بين العادات والتقاليد في المجتمع الواحد، ويزيد التعدد والتنوع والاختلاف إذا تعلّق الأمر بأكثر من مجتم، وهذا على الرغم من كثرة المحطات التي تتلاقى فيها هذه العادات الاجتماعية في تقارب كبير، خصوصا في المجتمع الواحد أو القطر الواحد..

وقد بدا لنا أنّ أفضل طريقة لاستعراض هذه التنوعات اللهجية وبيان مختلف استعمالاتها هو تصنيفها ضمن حقول معجمية دلالية، من أجل الوقوف على تنوعات اللفظ واستعمالاته وطُرُق توظيفه في المجتمع.. وفي الوقت ذاته رأينا أن نقوم بدراسة تأصيلية من الجانب الثقافي والاجتماعي، وكذلك من الجانب اللساني بربطه بأصول انحداره واشتقاقه في اللغة الأمّ، بغية الوقوف على كل لفظ من حيث تحديد حالاته ومجالاته وظروف استعماله بين الناس في المنطقة المحددة للدراسة.. ومن أجل تنظيم الدراسة من

الناحية المنهجية ارتأينا أن نلخص هذه الحقول في ثلاثة أقسام كبرى يشمل كل منها عدة حقول فرعية، وذلك على النحو الآتي:

حقل الأشياء المعنوية المجردة : يشمل ما له صلة بالأمور المعنوية في مختلف مناحي الحياة..

حقل الأشياء المادية والمحسوسة : يتضمن ما له صلة بالماديات على اختلاف مجالاتها..

حقل الصفات والأحوال المختلفة : يشمل ما يتعلق بالصفات والأحوال في مختلف المناسبات..

- **حقل الأطعمة والأشربة :**

يحمل حقل الطعام والشراب مخزونا متنوعا من الألفاظ والمفردات والتراكيب التي تحمل دلالات اجتماعية وثقافية تعد ترجمة للعادات والتقاليد في منطقة ما، وهي تعكس تجارب الأفراد في حياتهم اليومية. وهو حقل ثري نجد فيه نماذج كثيرة ومتنوعة، يتم فيها استعمال ألفاظ شعبية ذات صلة بحياة الناس الاجتماعية وخصائص ثقافاتهم في مجال الغذاء عموماً..

وسنستعرض فيما يأتي نماذج حية مما هو متداول من الألفاظ بالمنطقة التي هي محل الدراسة، في شكل تسميات للأغذية والأشربة في هذا الحقل، وما تحمله من دلالات وما لها من أثر في المجتمع :

– **أرْفِيسْ** : هي لفظة شعبية معروفة كثيرة التداول في المنطقة، وهي اسم لأُكْلة شعبية يتم تناولها في فصل الربيع على الخصوص، وقد تكون في فصل الصيف كذلك، لأنها تتناسب مع الجو الحار أو المعتدل..

التأصيل اللساني : رفس يرفس رفسا الشيء دقّه[1]، بمعنى حول الشيء إلى فتات وأجزاء بعدما كان شيئا واحدا مجتمعاً... وهذه الكلمة تدل على أكلة شعبية تحضر بطريقة خاصة بأهل المنطقة ، وهي تحضر من فُتات الخبز والسمن والتمر .

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : اسم لأكلة تقليدية تعبر عن ثقافة وعادات أهل المنطقة، وتستعمل في حقل الطعام، وترتبط بفصل الربيع، وهو ارتباط له دلالته الاجتماعية، فهذه الأُكْلة مصنوعة من السميد والتمر والزبدة أو السمن...

والمواد التي تصنع منها هذه الأُكْلة كلها مواد مغذية ومفيدة للجسم من حيث قيمتها الغذائية ومن حيث كونها مواد صافية طبيعية ممّا دأب عليه الأجداد والآباء من العادات والتقاليد في الطعام والشراب منذ القديم..

[1] – المعجم الوسيط، 359/1

– **براد/ برادة** : لفظة شعبية ، وهي اسم متداول لإناء القهوة في اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية.

– **التأصيل اللساني** : تدل على أداة معدنية لإعداد القهوة وهي مقاومة لدرجة الحرارة ويسمى بإبريق القهوة باللغة العربية الفصيحة.

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : تستعمل في مجال الشرب، وهي أداة للطهي القهوة، وهي مستعملة بشكل كبير في الوسط الاجتماعي للمنطقة وتدل على عادات وتقاليد الاجتماعية للمنطقة ، يقول الشاعر لمباركي بن الحاج :

غيم وريح كل أعليك إِيصُب ** القهوة في البرّاد والماكول الْهيه. [1]

في قول الشاعر لفظة براد تنتمي إلى حقل الطعام والشراب وهي أداة معدنية مقاومة توضع فيها القهوة .

– **بريق** : إناء يستعمل بالمنطقة كما في المناطق الجنوبية لإعداد الشاي وحفظه، وهو عدة أحجام منها الصغير والكبير والمتوسط، ومنها الحديدي المقاوم للحرارة العالية كي يوضع على النار في إعداد الشاي؛ ومنها النحاسي المزخرف الذي يتم فيه تقديم الشاي للشرب...

– **التأصيل اللساني** : الإبريق كلمة فصيحة تستعمل كثيرا في اللغة العربية منذ القديم، وهي تشمل إبريق القهوة والشاي معاً، لكنها في الثقافة الشعبية تخص الشاي في مقابل البراد أو البرادة التي تخص القهوة..

– **التاي أو لاتاي** : لفظة شعبية لاسم متداول في اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية؛ وهو شراب الشاي أو أوراق الشاي، وتطهى بطريقة خاصة ويقدم للضيوف وفي المناسبات..

– **التأصيل اللساني** : هو الشاي إذ ينطق في اللغة الفصيحة بحرف الشين بدل التاء (أوراق الشاي) وهو من الكلمات المحورة في الاستعمال الشعبي..

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : اسم لشراب متداول في الوسط الاجتماعي للمنطقة في المناسبات والاحتفالات وهو من تقاليد وعادات المنطقة في المجال الاجتماعي، ومنه الأحمر والأخضر.. فالأول معروف ويكثر تناوله في بلدان المشرق العربي، بينما يتم تناول الثاني في بلدان المغرب العربي، ولا سيما في المناطق الجنوبية والوسطى، وكلما اتجهنا جنوبا وجدنا استعماله وتناوله أكثر، وكلما اتجهنا شمالاً وجدنا القهوة بديلا عنه.. فالأتايْ أو لَتَايْ (الشاي) ترافقه الكؤوس الصغيرة؛ والقهوة ترافقها الفناجين..

[1] – لمباركي بلحاج ، صور وخصائل من مجتمع أولاد نايل ، منشورات السهل ، سنة 2009 ، قصيدة (مناقب أهل منطقة الجلفة وعاداتها و تقاليدها) ، الشاعر لمباركي الحاج ، ص 150 ؛ **ألهيه** : هناك، في مكان آخر.

ومن خصوصيات هذا الشراب (لاتاي) أنّ له مكانة كبيرة عند أهل الجنوب، ولا يقوم بإعداده إلا الرجال، ولهم في ذلك طقوس وعادات خاصة، وأدواته محفوظة ومصونة لديهم، ولا تقوم النساء بإعداده إلا قليلا في بعض المناطق.. وفيه أنواع تختلف في جودتها، إذ يتم اختيار نبتته قبل الإعداد..

يقول الشاعر لمباركي بن الحاج :

"والفـناجيل مـن فرفـوري يـا مـسـلم ** ولا تـاي اللي حـب ورقـة جـبـنـاها" [1]

– **القَرْسْ**: نوع من التمر تم تناوله عادة مع اللبن أو الحليب، ومع الخبز المطلوع (أي التقليدي البلدي)؛ لفظان تتلازمان كثيراً في حقل الطعام والشراب وهما متداولان في اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية؛ والقرْس من التمر الذي يتم إعداده بعد تجميعه من النخيل، وذلك برصه في أكياس من الكتان الخاص الذي يُعْرَف به، وهو قابل للحفظ والتخزين لفترة طويلة من دون أن يتغير لونه أو طعمه، فهو ممّا يتم ادّخاره في البيوت، ولا سيما بيوت البادية..

– **التأصيل اللساني** : هما لفظتان فصيحتان، من المأكولات المحبوبة لدى الناس وهي تقدم للضيوف وفي المناسبات. ومما يقترب من هذا اللفظ كما هو دون تغيير ما جاء في المعاجم من أنّ " (القرس) الجامد من كل شَيْء وَالْبرد الشَّديد." [2] فعملية الرص لهذا النوع من التمْر تبدو مثل عملية التجميد... وأمّا من حيث التأصيل الفصيح، فهناك علاقة واضحة بين هذا اللفظ (القرْسْ) ولفظ (غرس) في اللغة الفصيحة من حيث الاشتقاق، كما جاء في المعاجم من كون " (الغراسة) فسيل النّخل .. و(الغريسة) النَّخْلَة أول مَا تنْبت والنواة الَّتِي تزرع والفسيلة سَاعَة تُوضَع فِي الأَرْض حَتَّى تعلق (ج) غرائس وغراس." [3] فالملاحَظ أن ثمة علاقة بين اللفظ (غرس/قرس) وبين النخلة التي هي مصدر التمر بكل أنواعه، ومنه تمر القرْسْ.

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** :لفظتان في مجال الأكل والشراب ، وهي تدل على عادات أهل المنطقة وتقاليدها في المناسبات والاحتفالات ودلالتها على الجود و الكرم أي لها جانب اجتماعي كبير بين أفراد المجتمع، بحيث توظف في أمثالهم وحكمهم، مثل (التمر والحليب ما يأكلهم قالحبيب)، أي أنهما مخصصان للضيف العزيز ذي المكانة الكبيرة، ودلالتهما الاجتماعية مرتبطة بكرم أهل المنطقة، لمل لهذه

---

[1] – صور وخصائل من مجتمع أولاد نايل ، ص 150 (في اللغة الفصيحة يقال: الفناجين، بالياء والنون ؛ وفي لهجات بعض المناطق يقولون: الفناجل، وفي لهجة المنطقة السهبية يقولون: الفناجيل..) مع قلب النون لاماً لاستسهالها في النطق في اللهجة العامية..؛ **والفرفوري**: اسم لفنجان صغير الحجم يضيق في الأسفل ويتسع في الأعلى، وهو الشكل التقليدي المعروف قديما في تناول القهوة..

[2] – المعجم الوسيط ، 725/2

[3] – نفسه ، 640/2

الثنائية المتلازمة (طعام/شراب : تمر/لبن) من أهمية وقيمة في المجتمع، خصوصا لدى أهل الجنوب والوسط حيث الاهتمام بالنخيل والعناية بغرسه على امتداد العام.. [1]

–اجُّبَـنْ : اسم لأكلة شعبية تقليدية ، وهو من مشتقات الحليب، وهو أنواع تقليدي طبيعي وحديث مصنّع، علماً أنّ المصنَّع كثير في ايامنا، بينما يندر وجود التقليدي الطبيعي منه.. ..

– التأصيل اللساني : نوع من الأكل، من مشتقات الحليب الأساسية في الغذاء اليومي لصحة الإنسان، تصنع من الحليب وتؤكل غالبا مع الخبز ،وهي لفظة فصيحة موجودة في اللغة العربية الفصيحة ولكن تختلف عن اللفظة الموجودة في اللهجة الشعبية في طريقة الصنع والأكل .

– الاستعمال اليومي في المجتمع : لفظة تستعمل في حقل الطعام، واسم لأكلة شعبية تقليدية من عادات أهل المنطقة ولها أهمية في الحياة الاجتماعية، إذ يتناولونها في المناسبات على الخصوص، ويتم تداولها بكثرة في فصل الربيع الخصوص.. وهي تُصنع من اللبن بعد أن يُطبخ ويعصر جيدا، ليسقط ماؤه ثم يجفف ويوضع في آنية مخصصة له.. وهي من أجمل الأكلات في عادات أهل المنطقة وتعبّر عن أصالتها، كما ان انتشارها يدلّ على أنّ العام الفلاحي كان جيدا من حيث توفّر الأعشاب والنباتات والكلأ للحيوانات، حتى تدرّ كثيرا من الحليب ويزداد ميلادها، وكل ذلك مؤشر على كثرة الخيرات واستبشار الناس بها..

وأمّا كيفية الاحتفاظ بمادة الجْبنْ وكيفية تقديمها، فذلك يتم بوضعها في شكل طولي داخل بعض الأنواع من النباتات التي تحميها من التلف، ومن أشهر هذه النباتات التي تُعَدّ بمنزلة التبريد والحفظ في درجة حرارة منخفضة لسلامة المادة، من أشهر هذه النباتات نبتة تسمّى (الدُّقُفْتْ)، كما يوضع الجبنْ في نبات (الحلفة) وكذلك في نبات يسمى (الرّتمْ) وهو نوع من الشجار الخضراء المنخفضة المتواجدة بكثرة في المنطقة، وتُعْرَف باخضرارها طوال العام تقريبا مقاربنة بالنباتات الأخرى.. وتستعمل لعدة أغراض أخرى..

– دشيشة الفريك : هي لفظة شعبية، مكونة من كلمتيْن، وهي اسم لطعام متداول في اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية دلالةً على القمح المكسر المفتّت، إذْ يُستغَلّ في الطبخ مع اللحم والتوابل وبعض الخضر الخفيفة أحيانا. ليُصْنَع منه أكل سائل سهل للأكل وطعمه متميّز، ويُستعْمَل في شهر رمضان بصورة يومية تقريبا تداولاً مع (الشَّرْبـة)، والدشيشة أفضل لأنها من خالص القمح الصلب الصافي، كما أن هناك نوعا آخر يكون من خالص الشعير؛ بينما نجد (الشَّرْبَـة) التي هي من العجائن..

[1] – من عادات أهل الجنوب أنه لا يكاد يوجد منزل إلاّ ويوجد بجواره نخلة خاصة به، يستغل تمرها ويعتني بها أهل المنزل ويتوارثون ذلك فيما بينهم، وهذا ما يلاحظه الزائر لمناطق الجنوب..

– **التأصيل اللساني** : هي كلمة فصيحة، تداولتها معاجم العربية فـ "(الدشيشة) طَعَام رَقِيق من قَمح مدقوق."[1] ويدل لفظ (دشّ) في عمومه على الشيء المتفرق المجزأ المتناثر، وهذه كلها من مواصفات هذه المادة الغذائية.. **والفْرِيكْ** : لفظة شعبية متداولة في اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية، وهي اسم لأكلة شعبية معروفة متداولة بين أفراد المنطقة، تُصْنَع .

فهذه الأكلة التقليدية يتم إعدادُها بطريقة خاصة بأهل المنطقة، وهي تصنع من القمح النصف الناضج بعد حرق وفركه، وهي لفظة فصيحة متداولة بين ألسنة الجميع ، خاصة سكان أهل البوادي والأرياف وممن يعملون في الزراعة، وأصله فصيح يؤكده النص الوارد في معجم لسان العرب : " فَرَكَ : الفرك : دلك الشيء حتى ينقلع قشره عن لبه كالجوز، فركه يفركه فركا فانفرك، والفرك : المتفرك قشره، واسْتفْرَك الحب في السنبلة : سمن و اشتد وبَّر . الفريك : طعام يُفرَك ثم يُلَتُ بسمن أو غيره و فركت الثوب و السُنبل بيدي فركًا " [2]. نلاحظ أن اللفظة مستعملة في اللغة العربية الفصحى وفي المعاجم العربية ، وأن لها نفس الاستعمال الذي نجده في اللهجة الشعبية للمنطقة.

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : تستعمل في مجال الطعام، أكلة تقليدية خاصة بأهل المنطقة تعبر عن عاداتها وتقاليدها في المناسبات الرسمية، وتصنع بطريقة خاصة بأهل المنطقة. وهي مما تشتهر به، كما أنها لا تُعَدّ إلاّ بوجود اللحم، وأحسنه هو لحم الخروف. وهي أنواع: دْشيشة القمح، دْشيشة الشعير، دْشيشة المرْمَز. ولكل نوع منها ذوقه المتميّز، غير أن أكثر الأنواع تداولا وتناولا هو دشيشة القمح.

وفي الغالب يُضاف إلى لفظ (دشيشة) لفظ (الفريك) حتى يكاد ملازما له، والفريك هو القمح الذي يتم حصد سنابله قمح اكتمال نضجه (وهو لا يزال أخضر) ، ليتم بعد ذلك إنضاجه على النار حتى تتحول حبّات القمح إلى اللون الأخضر، مع بعض الاحتراق على جوانبها، وتلك هي أفضل طريقة وألذّ دشيشة تلك التي تُعَدّ بهذا النوع وهذه الطريقة.. يفضلها الجميع ويبحثون عنها، ولكنها أصبحت اليوم نادرة بعدما كانت كثيرة التداول والتناول.. علماً أنّ ما هو متوفر اليوم من دشيشة الفريك في المحلات، وما هو متداول في السوق ليس بالشكل الذي تحدثنا عنه آنفاً، ففريك اليوم منه الصحيح ومنه المغشوش المصبوغ، وحتى الصحيح منه يتم إنضاجه بالماء المغلي أو بغيره مما يجعله بذلك اللون الأخضر التي يجلب إليه المشتري، لكنّه في كل الأحوال لا يرتقي إلى النوع المميَّز الأصيل الذي أشرنا إليه..

---

[1] – المعجم الوسيط، 284/1

[2] – لسان العرب ، باب الفاء ، مادة (فرك) ص 3453

– **الضّواقة (من الذوق، بتفخيم الذّال وتسكينها أو بالضّاد الساكنة)**: من بين عادات بلاد الجود والكرم وتقاليدهم المتوارثة عادةٌ تسمّى: الذواقة أو الضّواقَة، وهذه الكلمة عربية خالصة أصلها من الذوق، وهي تترجم العلاقات الاجتماعية الودية بين الأهل والجيران على الخصوص، إذْ يتبادلون ما يتناولونه من الأطعمة فيما بينهم، خصوصاً في بعض المناسبات كما في شهر رمضان المبارك..

– **التأصيل اللساني** : يقول ابن الأثير في كتابه "النهاية في غريب الأثر "[1]: الذَّوَاقُ : المأكُول والمشْرُوب فَعَال بمعنى مفعول من الذَّوق يقع على المصْدر والاسم . يقال ذُقْت الشيء أذُوقه ذَوَاقا وَذَوْقاً وما ذُقْتُ ذواقاً أي شيئاً..

وتُستعمَل هذه المادة بتنوع كلماتها للدلالة على المعنى الحسي المتعلّق بالطعام، كما تدلّ على المعاني المجردة من باب الاستعمال المجازي، فقد جاء في المعجم الوسيط: " (ذاق) الطَّعَام ذوقا وذوقانا ومذاقا اختبر طعمه ؛ وَيُقَال مَا ذقت نوما، وَالشَّيْء جربه واختبره فَهُوَ ذائق وذواق وأحسه يُقَال ذاقته يَدي أحسته. وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التغابن/5]. أذاق فلَانا كَذَا جعله يذوقه وَيُقَال أذاقه الله الْخَوْف وَغَيره أنزلهُ بِهِ وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[النحل/112] (تذاوق)الشَّيْء ذاقه (تذوق) الطَّعَام ذاقه مرّة بعد مرّة؛ وَيُقَال تذوق طعم فِرَاقه؛ وَدعنِي أتذوق طعم فلَان(استذاق) لَهُ الْأَمر انْقَادَ لَهُ وطاوعه وَيُقَال لَا يستذيق لي لشعر إِلَّا فِي فلَان؛ وَالشَّيْء ذاقه (الذواق) طعم الشَّيْء، يُقَال: ذواقه طيب؛ والمذوق يُقَال مَا ذقت ذواقا شَيْئا(الذَّوْق) الحاسة الَّتِي تميز بهَا خَواص الْأَجْسَام الطعمية بوساطة الجهاز الْحسي فِي الْفَم ومركزه اللِّسَان والذّوْق (فِي الْأَدَب والفن)حاسة معنوية يصدر عَنْهَا انبساط النَّفس أَو انقباضها لَدَى النّظر فِي أثر من آثَار العاطفة أَو الْفِكر، وَيُقَال هُوَ حسن الذَّوْق للشعر: فهامة لَهُ خَبِير بنقده؛ و(الذواق) الملول لما هُوَ فِيهِ يُرِيد تذوق غَيره. وجيد الذَّوْق الْخَبِير (المذاق) طعم الشَّيْء يُقَال طيب المذاق.." [2]

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : **الضّواقة** أو الذواقة هي أن يقوم الجار بإرسال بعض من طعامه إلى جاره إكراما منه له.. وتبقى هذه العادة متداولة بين الجيران لا تنقطع، فكلّما طبخ أحدهم شيئا مهمّاً أو

[1]- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد الجزري، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/1979م، تح طاهر أحمد الزاوى – محمود مُحَمَّد الطناحي، ص255

[2]- المعجم الوسيط، 318/1

لذيذاً أحبّ أن يشاركه جارُه فيه، فيرسل إليه طبقاً منه ليذوقه، ولا يعود الإناء فارغاً من عند الجيران إلاّ إذا جعلوا فيه شيئاً، فإنْ لم يجدوا ما يضعونه فيه أحّروا تسليمه للجار حتى يتوفر لديهم شيء مقبول من الطعام أو غيره؛ فإن تعذّر عليهم وجود أي شيء وتحتّم عليه إعادة الإناء وضعوا فيه شيئا من السُّكّر تفاؤلاً بطعمه الحُلْو، لبقاء هذه العادة بين الناس والجيران منهم خصوصاً على أحسن ما يُرام، فكأنها تستمد حلاوتها من تلك الأطباق، وحتى في حال عدم وجود الطعام تبقى هذه العادة قائمة ولو بأبسط الأشياء، فهي حُلْوة كحلاوة السكَّر الذي ينوب عن الطعام أحياناً. وما أجملها من عادة فقد نصح رسول الله ﷺ أصحابه بها، إذ قال لأبي ذر الغفاري: (يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك لأن ذلك حق لهم.) [1] فهذه العادة الحميدة المتعارف عليها بين الجيران تشمل كل الناس، سواء منهم أهل الحاجة أو من ليسوا بأهلها، وتعاهُد الجيران لا يكون بمرة واحدة، وإنما بالملاحظة والمتابعة مرة بعد أخرى، فلا يكاد يمر وقت قصير إلا ويتبادل الجيران هذا المعروف، سواء الأغنياء منهم والفقراء، لأن ذلك يقوي الروابط والوشائج والصلات بين الناس ويلمّ شعثهم، ويجمع كلمتهم ويقوّي الأواصر الاجتماعية وينشر قيَم التعاون والتضامن بي أفراد المجتمع. ومن هذا ما جاء في عدة أحاديث أخرى، منها قول النبي ﷺ: " ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به." [2] فهذه من المشاعر الطيبة الصادقة والأخلاق العالية التي يغرسها الإسلام في نفوس الناس لنشر المحبة وتقوية أواصر الترابط في المجتمع.

– **الرُّب** : لفظة لاسم أكلة شعبية تقليدية ، متداولة في لهجة منطقة الدراسة أي المنطقة السهبية، وهو اسم لعصارة نوع من أطعمة أهل الجنوب، تحضر بالتمر مع القليل من الماء حتى تتحلل حبات التمر، يحضر على النار الهادئة ،ويقدم مع السمن البلدي الأصيل المستخلَص من حليب الغنم..

– **التأصيل اللساني**: هذه الكلمة فصيحة في الأصل، وقد وردتْ في معاجم اللغة إذْ جاء في اللسان: " قال اللحياني رَبَبْتُ الدُّهْنَ غَذَوْتُه بالياسَمِينِ أَو بعض الرَّياحِينِ قال ويجوز فيه رَبَّبْتُه. ودُهْنٌ مُرَبَّبٌ إِذا رُبِّبَ الحَبُّ الذي اتُّخِذَ منه بالطِّيبِ. والرُّبُّ الطِّلاءُ الخاثِر، وقيل هو دبْسُ كل ثَمَرَة وهو سُلافةُ خُثارَتِها بعد الاعتصار والطَّبْخِ، والجمع الرُّبُوبُ والرِّبابُ، ومنه سقاءٌ مَرْبُوبٌ إِذا رَبَبْتَه، أَي جعلت فيه الرُّبَّ وأَصْلَحتَه به وقال ابن دريد رُبُّ السَّمْنِ والزَّيْتِ ثُفْلُه الأَسود." [3] قال الشاعر: [4]

---

[1] – أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار، (4/ 2025)، رقم: (2625.)

[2] – رواه الطبراني في الكبير عن أنس بن مالك . ﷺ . الحاكم في المستدرك عن ابن عباس.

[3] – لسان العرب، مادة : ربب، 403/1

[4] – الشاعر هو عمرو بن شأْس(ت620 ه) وقال هذين البيتيْن مخاطباً امرأته التي أعيتْه وهي تُؤْذِي ابنه عِراراً وتعيّره لأنها ليست أمَّه.

أرادت عِراراً بالهوان ومن يُرد ** عِراراً لعمري بالهوانِ فقد ظلمْ
وإن عراراً إنْ يَكُنْ غيرَ واضح ** فإني أحبُّ الجَوْن ذا المنْكِب العممْ
فإن كنتِ مِنّي أَو تُريدينَ صُحْبَتي ** فَكُوني له كالسَّمْنِ رُبَّ له الأَدَمْ

أَرادَ بالأَدَم النُّحْي يقول لزوجته كُوني لوَلدي عِرار كَسَمْنٍ رُبَّ أَدِيمُه أَي طُلِيَ برُبِّ التمر لأَنَّ النِّحْي إِذا أُصْلِحَ بالرُّبِّ طابَتْ رائحتُه ومَنَعَ السمنَ مِن غير أَن يفْسُد طَعْمُه أَو رِيحُه يقال رَبَّ فلان نِحْيه يَرُبُّه رَبّاً إِذا جَعل فيه الرُّبَّ ومَتَّنه به وهو نِحْيٌ مَرْبُوب وقوله سِلاءَها في أَديمٍ غيرِ مَرْبُوبِ أَي غير مُصْلَحٍ وفي صفة ابن عباس رضي الله عنهما كأَنَّ على صَلَعَتِهِ الرُّبَّ من مسْكٍ أَو عَنْبرٍ الرُّبُّ ما يُطْبَخُ من التمر وهو الدِّبْسُ أَيضاً وإِذا وُصِفَ الإِنسانُ بحُسْنِ الخُلُق، قيل هو السَّمْنُ لا يَخُمُّ والمرَبَّبَاتُ الأَنْبِجاتُ وهي المِعْمُولاتُ بالرُّبِّ كالمعَسَّلِ وهو المعمول بالعسل وكذلك المرَبَّيَاتُ إِلا أَنها من التَّرْبيةِ يقال زنجبيل مُرَبًّى ومُرَبَّبٌ.." [1]

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : لفظة شعبية في مجال الطعام والشراب تدل على أكلة من العادات والتقاليد الاجتماعية لأهل المنطقة، ومعروفة بكثرة عند سكان الجنوب، يستعملونها في حياتهم اليومية وفي تعاملاتهم وتبادلاتهم الغذائية، ولها دلالة على كرم أهل المنطقة وما يمتازون به من خُلُق الترحيب بالضيف. ويتداولونها في شعرهم وأقوالهم وحكمهم الشعبية لوصف العادات والتقاليد الاجتماعية للمنطقة، في مجال الكرم والجود.. يقول الشاعر صادقي مخلوف :

"أحلو وطيب وزادولو دهان الرُّب ** هذا الشق ذاك عمرو لا يعطيه"[2]

– **السَّهَمْ (من الطعام وغيره)** : سْهَمْ أو السَّهَمْ والجمع (أَسْهُوم) في اللهجة الشعبية، بمعنى حظ أو نصيب من أي شيء، وتستعمل هذه المادة على الحقيقة للشيء المادّي الذي يكون للإنسان من الحظ القسمة والنصيب المحسوس، وهذا هو الأصل في استعمال لفظ (السَّهَمْ) كما تستعمل مجازاً لما يكون له من نتيجة مترتبة على أمْر ما أو حدَث ما.. وأصل الاستعمال للفظ (**السَّهَمْ**) أنه يُتداوَل في مجال الأطعمة ، ويُطلَق على النصيب من قطعة اللحم ، ويمكن أن يشمل أنواعا أخرى من الأطعمة ؛ لكنّ دلالته تطورت لتشمل أشياء أخرى غير الطعام..

– **التأصيل اللساني** : السَّهْمُ في اللغة الفصيحة يأتي على عدة أنواع ، فقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة أنّ السَّهْم : " فقد جاء في لسان العرب : السَّهْمُ واحد السِّهام والسَّهْمُ النصيب المحكم السَّهْم

[1] – لسان العرب، مادة : ربب، 406/1

[2] – صادقي مخلوف ، شاعر من منطقة الأغواط، دهان الرُّبّ: هو السمن الممزوج بالرُّب الذي هو عصير التمر (تمر الغَرْسْ تخصيصاً)

الحظُّ والجمع سُهْمان وسُهْمة الأَخيرة كأُخْوة وفي هذا الأَمر سُهْمة أَي نصيب وحظّ من أَثَر كان لي فيه وفي الحديث كان للنبي ﷺ سَهْم من الغنِيمة شَهِد أَو غاب السَّهْم في الأَصل واحد السِّهام التي يُضْرَب بها في المَيْسِر وهي القِداح ثم سُمِّيَ به ما يفوز به الفالِجُ سَهْمُهُ ثم كثر حتى سمي كل نصيب سَهْماً وتجمع على أَسْهُمٍ وسِهام وسُهمان ومنه الحديث ما أَدري ما السُّهْمانُ وفي حديث عمر فلقد رأَيتُنا نَسْتَفِيءُ سُهْمانها وحديث بُرَيْدَةَ خرج سَهْمُك أَي بالفَلْجِ والظَّفَرِ والسَّهْم القِدْح الذي يُقارَع به والجمع سِهام واسْتَهَمَ الرجلان تقارعا وساهَمَ القومَ فسهَمَهُمْ سَهْماً قارعهم فَقَرَعَهُمْ وساهَمْتُهُ أَي قارعته فَسَهَمْتُهُ أَسْهَمُه بالفتح وأَسْهَمَ بينهم أَي أَقْرَعَ واسْتَهَمُوا أَي اقترعوا وتَساهَمُوا أَي تقارعوا وفي التنزيل فساهَمَ فكان من المُدْحَضِين يقول قارَعَ أَهْلَ السفينة فَقُرِعَ وقال النبي ﷺ لرجلين احْتَكما إِليه في مواريث قد دَرَسَت اذهبا فَتَوخَّيا ثم اسْتَهِما ثم ليأْخذ كلُّ واحد منكما ما تخرجه القسمةُ بالقُرْعةِ ثم لِيُحْلِلْ كلُّ واحد منكما صاحبَه فيما أَخَذ وهو لا يَسْتَيْقِنُ أَنه حقه قال ابن الأَثير قوله اذهَبا فتَوَخَّيا ثم اسْتَهِما أَي اقْتَرِعا يعني ليظهر سَهْمُ كلِّ واحدٍ منكما وفي حديث ابن عمر وقع في سَهْمِي جاريةٌ يعني من المَغْنَم والسُّهْمَةُ النصيب.."[1]

وجاء في المعجم الوسيط : " سَهَمَ.(أَسْهَمَ): بينهم: أقْرَعَ. و. له: أعطاه سهماً أو أكثر. و. في الشيء: اشترك فيه. و. الشيء: جعله سهماً سهماً.(سَاهَمَهُ) مساهَمَةً، وسِهاماً: قارَعَه وغالَبَه وباراه في الفَوْز بالسِّهام. وفي التنزيل العزيز: (فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ). و. قاسَمَهُ أي أَخَذَ سهماً: أي نصيباً معه. ومنه: شركة المساهمة. و. فيه: شارَكَ. قال زهير: أَبا ثابتٍ ساهمت في الحزم أَهله فرأْيُك محمودٌ وعهدك دائمُ (سَهَّمَ) الثَّوْبَ أو غيرَه: صوَّر فيه سهاماً. فهو مُسَهَّمٌ.(تساهَمَ) الرجلان: تقارعا. والشيء: تقاسماه.(السَّهَامُ): الضُّمُور والتَّغيّر. و. حَرُّ السَّمُوم.(السُّهَامُ): الضُّمور والتغيّر.(السَّهْمُ): القِدْحُ يُقارَعُ به أو يُلْعَب به في الميسر. والحظُّ والنصيب. وما يفوز به الظافر في الميسر. و(في علم الاقتصاد): صَكّ يمثل جزءاً من رأس مال الشركة يزيد وينقص تبع رواجها. و. وثيقة به مطبوعة على شكل خاص. (مج) و (في المساحة): جزء من أربعة وعشرين جزءاً من القيراط."

-حظّ، نصيب "ارتفعت أسهُمه "، ضربَ في العلم بسهم : أخذ منه بحظّ، ضرَب له سهمًا في كذا : ضرَب له نصيبًا في كذا : جعل له فيه نصيبًا وحصَّة .

- وثيقة مطبوعة على شكل خاصّ ، أسهُم قرض : سندات حكوميّة .

- جزء من أربعة وعشرين جزءًا من القيراط، مقدار ستة أذرع "با ع تسعة أسهم من أرضه لضائقة ماليَّة ."

[1]- ابن منظور، لسان العرب : مادة (سهم)، ص194/3

- جزء معيَّن من رأس مال شركة أو مؤسَّسة وهو يزيد وينقص تبعًا لرواجها "اشترى ثلاثين سهمًا في شركة الكهرباء والطاقة "، أسهُم تأسيس : أسهم أصليّة، حَمَلَةُ الأسهُم : المساهمون .

-خطّ واصل بين منتصف القوس ومنتصف الوتر.

وقد جاء استعمال هذا اللفظ في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ، فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ، فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ.. ﴾ [الصافات/139-143]

أورد ابن كثير في تفسيره أنّ هذه الآيات نزلتْ في يونس عليه السلام . وقد جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:[1] (ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) ونسبه إلى أمه، وفي رواية إلى أبيه، وقوله تعالى:﴿ إذ أبق إلى الفلك المشحون ﴾ قال ابن عباس: هو الموقر أي المملوء بالأمتعة) ﴿ **فساهم** ﴾ : أي قارع ؛ فكان من ﴿ المدحضين﴾ أي المغلوبين) وذلك أن السفينة تلعبت بها الأمواج من كل جانب، وأشرفوا على الغرق، فساهموا على أنّ من تقع عليه القرعة يلقى في البحر، لتخف بهم السفينة، فوقعت القرعة على نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات، وهم يضنّون به أن يلقى من بينهم، فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه، وهم يأبون عليه ذلك، وأمر الله تعالى حوتاً أن يلتقم يونس عليه السلام، فلا يهشم له لحماً، ولا يكسر له عظماً، فجاء ذلك الحوت وألقي يونس عليه السلام، فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها، ولما استقر في بطن الحوت حسب أنه قد مات، ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه، فإذا هو حي، فقام فصلى في بطن الحوت، وكان من جملة دعائه: " يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يبلغه أحد من الناس.." واختلفوا في مقدار ما لبث في بطن الحوت، فقيل ثلاثة أيام، وقيل: سبعة، وقيل: أربعين يوماً، وقال مجاهد: التقمه ضحى ولفظه عشية، والله تعالى أعلم بمقدار ذلك.

جاء في كتاب الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي : " وابن المراغي يقول كثيراً – وهو شيخٌ من جلة العلماء، وله سهمٌ وافٍ في زمرة البلغاء –: ما أحسن معونة الكلمات القصار، المشتملة على الحكم الكبار، لمن كانت بلاغته في صناعته بالقلم واللسان، فإنها توافيه عند الحاجة، وتستصحب أخواتها على سهولة؛ وهكذا مصاريع أبيات الشعر؛ فإنها تختلط بالنثر متقطعةً وموزونة، ومنتثرةً ومنضودة."[2]

---

[1]- رواية البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[2]- أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، 116

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : يستعمل لفظ (السّهم) عادةً في مجال الأطعمة فهو كثير في الأدب الشعبي ، إذ يقال: خليلي سهمي، أي: اترُك لي نصيبي، ويشمل هذا السهم عدة أشياء ولا يقتصر على الطعام والشراب، إلاّ أنه كثيرات ما يتم تداوله في حقل الأطعمة والأشربة تخصيصاً، لكن دلالته توسعت لتشمل عدة مجالات وحقول أخرى، وذلك من باب التطور الدلالي لهذا اللفظ..

وقد استعمله بعضهم في الأدب الفصيح محافظاً على دلالته في التراث الشعبي ، إذ قال وهو في الغربة بعد أن اشتاق إلى (سَهْم اللّحم) الذي هو من عادات منطقة:[1]

اشتقت للكسكسي زانته خضرته ** **وسَهْم لحْمٍ** بقاع القدْر ينشال

وقد يأتي لفظ (السهم) في الأدب الفصيح محتملاً للمعنيين معاً (النصيب أو النبل) كما في قول الشاعر يرثي الأمير أبا مالك :

سهم المنية أين منه فرار ** من في البرية من رجاه يجار

حكم الزمان على الخلايق بالفنا ** فالدار لا يبقى بها ديار

عش ما تشاء فإن غايتك الردى ** يبلى الزمان وتذهب الأعمار

فلفظ (السهم) هنا قد يكون بمعنى (النصيب والحظ والقسمة) وقد يكون بمعنى (النبل والنصل) الذي يصيب الإنسان ، وفي كليهما يحمل دلالة مجازية.. ولا يخفى ما بين الدلالتين من اتصال..

– **الشخشوخة** : لفظة في حقل الطعام والشراب، وهي اسم لأكلة شعبية تقليدية في المنطق، وهي لفظة متداولة في اللهجة الشعبية للمنطقة. تصنع من الخبز الفطير الممزوج بالسمن والقطع الخبز الرقيقة وصنع من الرقاق، ثم يخلط بالمرق والتوابل، وهي تنطق بفتح الشين وتسكين الخاء، وضم الشين الثانية وفتح الخاء الثانية، وأصل الكلمة: (شخش) بضم الشين المثلثة ،وتسكين الخاء المعجمة ، وضم الشين الثانية..

– **التأصيل اللساني** : وردتْ هذه الكلمة في المعاجم العربية، ومنها : القاموس المحيط للفيروز أبادي، إذ قال : " الشَّخْشُ : فتات اليُرمع . عن ابن القطاع "[2] وقال صاحب معجم لسان العرب : اليرمع : الحصى البيض تلألأ في الشمس، وقال رُؤْبة يذكر السَّراب : ورَقْرَقَ الأبصار حتى أفدعا بالبِيدِ ، إيقاد النَّهار اليَرْمَعا ، قال اللَّحْيَانِيُّ : هي حجارة لينة رِقاق بِيض تلمَعُ، وقيل هي حجارة رَخوَة ، والواحدة من

[3]- عبد العليم بوفاتح : ديوان ألحان المجد، والبيت من قصيدة طويلة بعنوان : أنا والبحر والغربة.. ص99 (قيلت حين إقامة الشاعر بالقاهرة لإتمام الدراسة في: 2007/2006)

[2] – مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي ، قاموس المحيط ، دار الحديث القاهرة ، ط 2008 ، حرف الشين ، ص 845

كل ذلك يُرْمُعَة "[1] فنلاحظ أنهم شبهوا قطع الرقاق الخبز التي تصنع منه أكلة باليرمع. (الشخشوخة)، (بالشَخْشْ) أو فتات اليُرْمَعْ، فنلاحظ الكلمة أو اللفظة فصيحة موجودة في المعاجم اللغة الفصيحة .

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : هي من الطعام الرفيع يقدم في المناسبات الخاصة، كالمولد النبوي الشريف والأفراح والحفلات الخاصة ، وتقدم اكراما للضيف؛ وتستعمل هذه اللفظة في مجال الطعام والشراب، اسماً لأكلة شعبية تقليدية من عادات المنطقة الاجتماعية وهي متداولة في المفردات اليومية ضمن لهجة المنطقة باعتبارها جزءاً من عاداتها وتقاليدها المعروفة بها ، وهي تصنع من رقائق الخبز بطريقة خاصة بأهل كل المنطقة وبعض المناطق الأخرى، وإن كانت تعرف بعض التغيير في المكونات وفي طريقة الإعداد.

– **التأصيل اللساني** :

لفظ (الظبي) فصيح ورد استعماله كثيرا في منثور العرب وشعرهم ؛ فممّا جاء في المنثور على سبيل المثال ما أورده الثعالبي في كتابه (يتيمة الدهر وخريدة القصر) "...قال أبو الفرج: فورد عليّ ما حيرني، واسترد ما كان الشراب حازه من تميزي، وحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها الكتابة خطاً وترسلاً ونظماً، فشاهدته بالفراسة من ألفاظه، وحمدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته، وقلت للراهب: ويحك! من هذا؟ وكيف السبيل إلى لقائه؟ فقال: أما ذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا، وأما السبيل إلى لقائه فمستمهل إن شئت قلت: دلني، .... ثم أجفل كالظبي المذعور، وتلوته والراهب إلى صحن القلاية، فإذا أنا ببيت فضي الحيطان، رخامي الأركان، يضم طارقة خيش، مفروشة بحصير مستعمل، فوثب إلينا منه مقتبل الشيبة، حسن الصورة، ظاهر النبل والهيئة، متـزي من اللباس بزي غلامه، فلقيني حافياً يعثر بسراويله، واعتنقني، ثم قال: إنما استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدي لأجعل ما لعلك استحسنته من وجهه مصانعاً عما ترد عليه من مشاهدتي، فاستحسنت اختصاره الطريق إلى بسطي، وارتجاله النادرة على نفسه حرصاً في تأنيسي، وأفاض في شكري المسارعة إلى أمر ..."[2]

كما جاء في (الكامل في اللغة والأدب) للمبرد: " ... والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس. وقد وقع على ألسن الناس والرجل بعين الظبية أو البقرة الوحشية، والأنف بحد السيف، والفم بالخاتم، والشعر بالعناقيد، والعنق بإبريق فضة، والساق بالجمار .

[1] – ابن منظور ، لسان العرب ، باب الراء ، (مادة رمع) ، ص 1731

[1]- الثعالبي : يتيمة الدهر وخريدة القصر : ص65

فهذا كلام جار على الألسن: وقد قال سراقة بن مالك بن جعشم: فرأيت رسول الله ﷺ وساقاه ناديتان في غرزه كأنهما جمارتان، فأرده فوقعت في مقنب من خيل الأنصار، فقرعوني بالرماح، وقالوا: أين تريد؟ وقال كعب بن مالك الأنصاري: وكان رسول الله ﷺ إذا سر تبلج وجهه فصار كأنه البدر.. وعين الإنسان مشبهة بعين الظبي والبقرة في كلامهم المنثور، وشعرهم المنظوم، من جاري ما تكلمت به العرب، وكثر في أشعارها، قال الشاعر:

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ** ولكن عظم الساق منك رقيق.."[1]

وممّا جاء في الشعر العربي ما غناه ابن سريج من شعر عمر بن أبي ربيعة ، إذ يقول: [2]

بالله **يا ظبي** بني الحارث ** هل من وفى بالعهد كالناكث

لا تخدعنّي بالمنى باطلاً ** وأنت بي تلعب كالعابث

حتى متى أنت لنا هكذا ** نفسي فداءٌ لك يا حارثي

يا منتهى همي ويا منيتي ** ويا هوى نفسي ويا وارثي

وثمة الكثير من الشواهد النثرية والشعرية التي ورد فيها استعمال لفظ الظبي ؛ وأحيانا يستعملون لفظ (الغزال) ، غير أن لفظ (الظبي) أكثر وأبلغ في استعمالاتهم..

– الاستعمال اليومي في المجتمع :

تستعمل كلمة (الظبية) في التراث الشعبي للدلالة على ذلك الوعاء الذي يتم فيه ادّخار بعض المواد الاستهلاكية لفترة قصيرة ، وهذا هو الفرق بينها وبين (المزود) كما أنّها تكون اصغر منه حجماً وأيسر استعمالاً لخفّتها وسرعة تداولها.. والظبية مصنوعة من جلد (الظبي) الغزال في الأصل ، غير أنه يمكن اتخاذها من جلد الخروف.. والظبي نوع من الغزال ، لكنه أنواع متعددة..

– الطّْعَامْ (بمعنى الكسكسي) : لفظة شعبية متداولة في اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية، وهي اسم لأكلة شعبية معروفة في المنطقة متداولة بين أفراد وسكان المنطقة، وموجودة في أغلب اللهجات الجزائرية، المتفرعة عن اللغة العربية الفصيحة.

---

[2]- المبرد: الكامل في اللغة والأدب : 222

[3]- أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني : 81

– **التأصيل اللساني** : لفظة وهي اسم تعني الأكل عوما بكل أنواعه أو ما يقوت به الإنسان نفسه من الجوع ،وهي كلمة فصيحة موجودة في اللغة العربية وفي القرآن الكريم ،دلالتها بشكل عام وفي اللهجة الشعبية لهجتها بشكل خاص تدل على أكلة شعبية وهي (الكسكس) خاصة بعادات وتقاليد أهل المنطقة . قال تعالى: ﴿كُل طَعَام كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَا مَا حَّرم إِسْرائِيل عَلى نَفْسِه مِنْ قبْل أن تَنَزَّل التوراة قُلْ فَأتُوا بِالتوراة فَأتْلُوهَا إن كُنْتُم صَادِقِينَ﴾"[1] [آل عمران / 93]

قال تعالى: ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ " [المائدة /75] قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة /61] فلفظة (الطعام) هنا فصيحة، تعني أكل الإنسان عموما وما تنبته الأرض من الخيرات والنِّعَم على اختلاف أنواعها.

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : لفظة اسم لأكلة شعبية من عادات المنطقة الاجتماعية و تقاليدها المتوارثة عبر الأجيال المتعاقبة، وهي لفظة خاصة بأكلة تحضر بطريقة خاصة؛ وهو الكسكس متداول كثير في المنطقة السهبية في عاداتها الاجتماعية بحيث يقدم للضيف اكراما له مع اللحم و المرق واللفظة نجدها متداولة في ألفاظهم اليومية ، وفي الشعر والحكم والأمثال الشعبية وذلك مثل : بعض الأمثال والحكم المعروفة في المنطقة منها :

(لي فاتو الطعام يقول شبعت ولي فاتو الكلام يقول سمعت)

(الطعام همة يا لكان بالماء) ،كذلك قول الشعر يذكر(لفظة الطعام) في شعر الشعبي لمباركي بلحاج :

وأقْصَاعْ الطْعامْ للقَاشي يَتْلَمْ ** وامْسَقِّي بَدهان الضيافة جاها.[2]

قوله أُقْصَاعْ : جمع قصْعَة، وهي نوع من الأواني الكبرى واسعة يُقدَّم فيها الطّعام.. وهي الجفنات في اللغة الفصيحة، ومنها ما جاء من قول حسان بن ثابت: [3]

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بِالضُحى ** وَأَسيافُنا يَقطُرنَ مِن نَجدَةٍ دَما

---

[1] – سورة آل عمران ، الآية 93

[2] – قصيدة ضمن كتاب: من صور وخصائل منطقة أولاد نايل، ص 150 (القْصاعْ= الجفنات/ القاشي: الناس/ امْسَقِّي بدهان الضافة= مسْقِيّ بالسمن البلدي الرفيع المخصص للضيوف..)

[3] – عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، 145/3

فالتغني بالجود والكرم من عادات العرب منذ القديم، وهو ما نجده في التراث الفصيح والتراث الشعبي على السواء، فهؤلاء يذْكرون (الجفنات أو الجفان) ، وهؤلاء يذْكرون (الْقْصَاعْ)

– **التأصيل اللساني** :اسم لأكلة شعبية تصنع بطريقة خاصة من عادات المنطقة الاجتماعية ، ويسمى فطيرا عكس المطلوع (الخبز). وهو نوع من الخبز يصنع بطريقة خاصة، بدون خميرة ويدهن بالسمن أو الزبدة ويوضع في وسطه التوابل ويقدم على شكل طبقات، وهي لفظة وجدناها في بعض المعاجم العربية منها :

جاء وفي المعجم الوسيط : "(الفطير) : كلُّ ما أعجل به قبل نضجه ، وخبز فطير أُنضج قبل أن يختمر ، ويقال : رأى فطير : خطر بالبال وأُبْدِيَ بلا تثبُّتٍ (الفطير): خبزة تُؤْدَمُ بزبدة أو نحوه، ولها أنواع (ج) فطائر "[1] وفي معجم اللغة العربية المعاصر : " فطير [مفرد] : كل ما أعجل به قبل نضجه ، خلاف الخمير " العجين / خبز الفطير "، فطيرة [مفرد] : ج فطائر و فطير : رقاقة من العجين تحشى باللحم أو الخضر أو الفاكهة أو أي مكونات أخرى و تثنى وتخبز ، ما يعجن بالسمن أو الزيت أو نحوهما ."[2]

نلاحظ كلمة (الفطير) كلمة فصيحة موجودة في اللغة العربية الفصحى و ذلك لوجود الكلمة في المعاجم العربية ، بعد تأصيلها للغة العربية ، فنلاحظ تقارب في استعمال اللفظة بين اللغة العربية الفصيحة واللهجة الشعبية للمنطقة السهبية.

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : لفظة متداولة في لهجة المنطقة الدراسة، لأكلة شعبية من عادات وتقاليد المجتمع في المنطقة السهبية، وهي لفظة متداولة في مجال الطعام والشراب من العادات اليومية الاجتماعية عند أهل المنطقة، ومتوارثة عبر الأجيال وهي من أساسيات الغذاء اليومي في المنطقة، وهذا اللفظ متداول بكثرة في الكلام اليومي ..والحديث عن (كَسْرَة الْفْطِيرْ) يجرنا إلى استحضار نوع آخر من الخبز الاساسي بالمنطقة، وهو ما يسمّى عندهم (كَسْرَة المطلوع) الذي يتم إنضاجه في (طاجين مصنوع من الطِّين) [3] لتأتي هذه الكسْرة ذات ذوق متميّز، خصوصاً إذا تمّ تناولها فوْر نضوجها مع شيء من السَّمْن البلدي الممزوج بالرُّبّ الذي هو عصير تمْر القَرْسْ؛ أو إذا ت تناولها مع اللبن والتمر ح أو حتّى مع القهوة، أو مع كل أنواع المأكولات الأخرى.. فهذه الكَسْرة ممّا يتميّز به أهل المنطقة، ولا يستغنون عنه في

[1] – مجمع اللغة العربية المعاصرة ، معجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط 2001 (باب الفاء) ، ص 695

[2] – أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ، مج 1 ، ط 1 ، القاهرة ، عالم الكتب، سنة 2008 (حرف الفاء) ص 1722

[3] – أصبح خبز المطلوع يُطْهَى اليوم في طاجين مصنوع من الحديد، وهو على عدة انواع، لكن يبقى طاجين الطين هو الأفضل.

غذائهم اليومي.. وهم يذْكرون هذا النوع من الخبز في كلامهم ويتبادلونه فيما بينهم.. وإذا طال تناولهم لها يتذكرونها ويشتاقون إليها، وقد قال الشاعر في ذلك، عندما كان في الغربة : [1]

اشتقْتُ للتّمْر والمطلوع مع لبَن ** وسَمْنِ عُرْب بلون الرُّبّ سيّال.

– **الكسرة / الخبزة** : الكسْرة أنواع في استعمالات اللهجة الجزائرية.. وهي لفظة شعبية مستعملة في لهجة المنطقة السهبية في مجال الأكل، وهي اسم لما يصنع من العجين في شكل دائري أسطواني، وتُصْنَع من دقيق القمح الصلب في الأصل، على الرغم من أن الناس يصنعونها اليوم من دقيق القمح اللين.. ويزينونها بالسانوج (الحبة السوداء) وهي ذات قيمة غذائية نشوية أساسية ومفيدة لا يستغنى عنها..

– **التأصيل اللساني** : هي نوع من الأكل الأساسي يصنع بطريقة خاصة من الدقيق أو القمح ويطهى على النار، وهي لفظة فصيحة مذكورة في القرآن الكريم :

قال تعالى: ﴿وَدَخَل مَعه السِجْنَ فَتَيانِ قَالَ أَحَدُهُما إِنِي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وقَالَ الآخَر إِنِي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأكُلُ الطَيْر مِنْه نبِّئنا بِتأْوِيلِه إنّا نراكَ مِنَ المحْسِنِين ﴾ [يوسف/36] ، تدل لفظة الخبز في الآية الكريمة على نوع من الأكل أو الطعام الأساسي.

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : توظف لفظة (الكسرة) في مجال الأكل وهي مستعملة بشكل كبير في الوسط الاجتماعي للمنطقة، وهي من عاداتها المتوارثة عبر الأجيال المتعاقبة، وهي من أساسيات الحياة الاجتماعية للمنطقة، ونجدها متداولة في أشعارهم الشعبية وأمثالهم وحكمهم من تجارب الحياة اليومية، تارة باسم (الكسرة) وتارة باسم (الخبزة) ؛ إذْ نجدها في المثل الشعبي لأهل المنطقة السهبية في قولهم: (لي سَعدو في النصف ما يطمع في الخبزة ، الخبزة ما تطيب وإذا طابت تَحرق) نجد في المثل ذكر لفظة خبزة وجاءت في تعبير مجازي، فالمعني الحقيقي لفظة الخبز هي أنه نوع من الطعام أو الأكل، أي أن الذي له نصف لا يطمع في النصف الآخر الذي ليس له ؛ والمعنى الثاني أن لكل ذي حق حقه ، ولكل شخص ما كُتب له أو قُدر له أو عليه ؛ وفي معنى المثل دلالة على أنّ الإنسان يجب أن يرضى بما كتبه الله له، ولا يطمع في ما ليس له. ويقولون أيضاً في المثل الشعبي: (مولى الخبزة طامع في مولى النُّصُفْ) [2]: وفيه كناية عن عدم القناعة، إذْ يكون صاحب النصيب الأكبر طامعاً فيمن لديه أقل منه..

---

[1] – بوفاتح عبد العليم، من قصيدة: أنا والبحر والغربة، ضمن ديوان الحان المجد.(التمْر: لأنّ التمر الجزائري متميّز عن غيره/ اللبن: يُراد به لبن الغنم / سمْن عُرْب: سمن بلدي / الرُّبّ العصير الخالص لتمْر القَرْسْ.)

[2] – تُنْطَق عند أهل المنطقة هكذا: بالنون المشددة المضمومة، والصاد المضمومة، والفاء الساكنة.. ومعناها النصف في اللغة الفصيحة.

– **المَــزْود** : المزود في اللهجة الشعبية هو ذلك الكيس الذي يستعمله أهل البادية ، وهو مصنوع من جلْد الغنم على الخصوص ، ويُتَّخَذُ لادّخار الزّاد من الطعام ، إذْ توضَع فيه المواد الجافة واليابسة تخصيصاً لأنّها تبقى مدة طويلة تصلح بها للادّخار..

– **التأصيل اللساني** : (المزود) من الناحية اللغوية يأتي على وزن (مِفْعَل) مأخوذ من مادة (زود) وهي كلمة فصيحة كثيرة التداول في المعاجم العربية ، جاء في لسان العرب :[1] " الزَّوْد: تأْسيس الزاد وهو طعام السفر والحضر جميعاً، والجمع أَزواد. وفي الحديث: قال لوفد عبد القيس: أَمعكم من أَزْوِدَتِكم شيء؟ قالوا:نعم؛ الأَزودة جمع زاد على غير القياس؛ ومنه حديث أَبي هريرة: ملأْنا أَزْوِدَتَنا، يريد مَزاوِدَنا، جمع مِزْوَدٍ حملاً له على نظيره كالأَوعية في وعاء، مثل ما قالوا الغدايا والعشايا وخزايا ونَدامى.

وتَزَوَّد: اتخذ زاداً، وزوَّده بالزاد وأَزاده؛ قال أَبو خراش:

وقد يأْتيك بالأَخبار من لا ** تُجَهِّزُ بالحِذاءِ، ولا **تُزِيدُ**

والمِزْوَدُ :وعاء يجعل فيه الزاد. وكلُّ عمل انقلب به من خير أَو شر، عمل أَو كسب: زادٌ على المثل. وفي التنزيل العزيز: ﴿ وتزوَّدوا فإِن خير الزاد التقوى﴾ قال جرير:

تَزَوَّدْ مثلَ زادِ أَبيك فينا ** فنعم الزادُ **زادُ** أَبيكَ **زادا**

قال ابن جني: زادَ الزادَ في آخر البيت توكيداً لا غير؛ قال ابن سيده: وعندي أَن زاداً في آخر البيت بدل من مثل. وزوَّدت فلاناً الزاد تزويداً فتزوَّده تَزَوُّداً.

وفي حديث ابن الأَكوع: فأَمرنا نبي الله فجمعنا تَزاوُدَنا أَي ما تَزَوَّدْناه في سفرنا من طعام. وأَزْوادُ الركب من قريش: أَبو أُمية بن المغيرة والأَسود بن المطلب بن أَسد بن عبد العزى ومسافر بن أَبي عمرو بن أُمية عم عقبة، كانوا إذا سافروا فخرج معهم الناس فلم يتخذوا زاداً معهم ولم يوقدوا يكْفُونهم ويُعْنُونهم. وزادُ الركب: فرس معروف من خيل سليمان بن داود، عليهما الصلاة والسلام، التي وصفها الله، عز وجل، بالصافنات الجياد، وإِياه عنى الشاعر بقوله:

لما رأَوا ما قد رأَتهُ شُهودُه ** تنادوا: أَلا هذا الجوادُ المؤَمَّل

أَبوه ابنُ **زاد** الركب، وهو ابنُ أُخته ** مُعَمٌّ لَعَمْري في الجياد ومُخْوَل.."

[1] – ابن منظور : لسان العرب ، مادة (زود) .

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : المزود إذاً مأخوذ من الزّاد ؛ وقد جاء ذكر هذه المادة في القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة/197] فالزّاد هنا معنوي وهو زاد التقوى التي هي سبيل الفوز بالثواب ودخول الجنة والنجاة من العذاب والنار..

والملاحَظ أنّ الأصل في (المزود) أن يُستعمل لحفظ الزاد من الطعام ؛ غير أنّ استعمال هذا الوعاء يتم استعماله لحفظ أشياء أخرى أيضا غير الطعام ، وهذا دليل على تنوّع استعماله بحسب الحاجة إليه..

وأمّا المزود : في عالَم الموسيقى فهو عبارة عن آلة موسيقية كالقربة أو الكيس المصنوع من الجلد.. وهي آلة هوائية ينفخ فيها العازف بواسطة مزمار .. والعادة أن تحتوي القربة على مزامير أخرى تأخد الهواء لإخراج صوت بعد الضغط على القربة وهي تستعمل كثيرا في الفلكلور و الأفراح و الأعياد تتألف هذه الآلة الرعوية من أنبوبين من القصب مقرونين يشكلان الجزء النغمي، سبابتين تخترقهما خمسة أو ستة ثقوب يعلوها قرن ثور ويحلق أسفلهما بقرب أي خزان من جلد الماعز ممدود ، ينفخ فيها الموسيقي عن طريق أنبوب ضيق فيمتلئ بالهواء ونجد على كل جهة من الأنبوب قرن غزال مثبت على الجلد عوض قائمي الحيوان يمسك الموسيقي المزود تحت إبطه ويضغط على الجوانب بذراعه ، فينشأ عن هذه دفعة هواء تثير اهتزاز الألسنة المصنوعة من قصب والمنحوتة على شكل صفارة وبأصابعه يسد أو يكشف الثقوب، وبذلك ينبعث النغم.. وآلة (المزود) تُستَعمَل للعزف مع آلات إيقاعية أخرى كالبندير والطُّبول ، ويرافق الأغاني والرقصات الفولكلورية دخل منطقة المغرب العربي من قبل الإغريق (اليونانيين) ويحبّذه سكان الشرق الجزائري مثل وادي سوف، بسكرة وسوق أهراس، وينتشر استعماله كذلك في تونس..

- **حقل الألبسة والثياب** :

يحمل حقل اللباس وما يتصل به، عدة ألفاظ ومفردات وتراكيب، لها عدة دلالات ومعاني في الجانب الاجتماعي والثقافي، تعد ترجمة عادات وتقاليد المنطقة ، وهذه المفردات والتراكيب تظهر من خلال اللهجة المتداولة في الحياة اليومية والتواصل اليومي بين أفراد المجتمع الذي تربطه علاقة اجتماعية في اشتراكها في نفس البيئة ونفس العادات والتقاليد في الحياة اليومية ، ومن هذه المفردات والألفاظ ما نجد له تأصيل للغة العربية ووجودا في المعاجم العربية الحديثة أو القديمة ،وهذا ما يجعل التقرب الكبير والتداخل بين اللهجة الشعبية للمنطقة واللغة العربية الفصيحة، ولها مجال توظيف في لهجتها الشعبية بين أفراد مجتمعها وبيئتها، والعادات والتقاليد الاجتماعية، ومن هذه المفردات والألفاظ والتراكيب نذكر منها بعد تأصيلها للغة العربية الفصيحة ، والاستعمال اليومي في المجتمع في اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية :

– **البرنوس** : لفظة شعبية متداولة في المنطقة السهبية، وهي اسم لباس تقليدي معروف في منطقة الصحراء بصفة عامة ، وفي المنطقة السهبية بصفة خاصة ،من العادات والتقاليد الاجتماعية بالمنطقة .[1]

– **التأصيل اللساني**: اسم للباس تقليدي، يعتبر رمز للعروبة والأصالة، من عادات وتقاليد المنطقة الاجتماعية و الثقافية ، المتوارثة عبر مختلف الأجيال وموجودة حديثا في المناسبات والحفلات الخاصة ، وهي لفظة عند تأصيلها للغة العربية ومعاجمها نجد شرح اللفظة في بعض المعاجم العربية منها :

معجم لسان العرب : " برنس . البرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به، دُرَّاعَةٌ كان أو مِمْطَرًا أو جُبَّة، وفي حديث عُمَرَ ، ﷺ : سقط البرنس عن رأسي، هو من ذلك . الجوهري : البرنس قَلَنْسُوة طويلة، وكان النُّساك يلبسونها في صدر الإسلام ،وقد تبرنس الرجل إذا لبسه، قال : وهو من البِرس ، بكسر الباء ، القطن ،والنون زائدة ، وقيل : إنه غير عربي ."[2] وفي المعجم الوسيط : "(البرنس) : كل ثوب رأسه منه، ملتزق به . وقلنسوة طويلة ، رداء ذو كُمَيْن يُلبس بعد الاستحمام . (محدثة) ، (ج) برانيس ."[3]

معجم الصحاح : " برنس : البرنس : قلنسوة طويلة ، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام ،وقد تبرنس الرجل : إذا لبسن . والبرنساء : الناس ، وفيه لغات : بَرْنَساء مثال العقرباء ، ممدودة غير مصروف و برناساء قال ابن السكيت : يقال : ما أدري أي البرنساء هو ؟ أي : أي الناس هو ؟ ."[4]

من خلال ما وجدنا من شرح في المعاجم العربية ، نستنتج أن الكلمة فصيحة موجودة في اللغة العربية الفصحى وفي المعاجم العربية الحديثة و القديمة ، ومعناها متقارب في أغلب المعاجم ، واللهجة الشعبية في المنطقة السهبية . تعني ثوب طويل رمز للأصالة والعروبة .

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : لباس تقليدي في مجال اللباس وما يتصل به ،وهو لباس رمز للعروبة والأصالة العربية للمنطقة ،معروف من عادات وتقاليد المنطقة الاجتماعية ، مصنوع من الوبر أو الصوف ،وعادة ما يكون مشهور بشكل كبيرة في منطقة الجلفة ومسعد ، يصنع بطريقة خاصة بالمنطقة، يلبس في المناسبات الاجتماعية للمنطقة ، وهو يعتبر من التراث الأصيل والعادات الثقافية والاجتماعية للمنطقة التي

[1]– من أسماء البرنوس: البيدِي، الهرْسْ، وهي للخشن الثقيل منه المخصص لفصل الشتاء .. وأمّا اسم البرنوس: فيستعمل للخفيف الذي يستعمل في فصل الربيع أو الخريف، وإنما يُطْلَق لفظ (البرنوس) من باب تسمية الكل بالجزء لاشتهار هذا الاسم..

[2]– لسان العرب ، باب الباء ، مادة (برنس) ، ص 270

[3]– معجم الوسيط ، باب الباء ، ص 52

[4]– الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، باب الباء ، ص 91

تسعى للمحافظة عليها عبر الأجيال، ومازالت إلى يومنا هذا يلبس في المناسبات وحفلات المنطقة الاجتماعية والثقافية .

– **البرنوس لشعل** : لفظة شعبية متداولة في اللهجة الشعبية للمنطقة ، اسم نوع من اللباس التقليدي والثقافي للمنطقة ،ومن التراث الأصيل من عادات المنطقة .

–**التأصيل اللساني** : لباس رمز للأصالة الجزائرية أو المنطقة الصحراوية في الجزائر، من عادات وتقاليد المنطقة الاجتماعية و الثقافية ،وهو نوع مثل الذي سبق ذكره وشرحه في المعاجم العربية، ولكن مصنوع من الصوف أو من الصوف والوبر معا، يصنع بطريقة خاصة بالمنطقة أي منطقة الدراسة.

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : لباس تقليدي ، في مجال حقل اللباس وما يتصل به ، يعبر عن الأصالة العربية للمنطقة، والمحافظة على التراث الثقافي المادي للمنطقة الصحراوية عامة ومنطقة الدراسة خاصة.

– **البرنوس الوبري** : لفظة شعبية متداولة في اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية ، وهي اسم للباس تقليدي بالمنطقة وهو من التراث المحلّي يعبِّر عن أصالة المنطقة وعروبتها..

– **التأصيل اللساني** : اسم في اللهجة الشعبية للباس تقليدي ، من عادات وتقاليد المنطقة المتداول في اللهجة الشعبية للمنطقة ، وهي لفظة فصيحة سبق ذكرها، موجودة في المعاجم العربية الحديثة والقديمة، ونوع من اللباس التقليدي مصنوع من الوبر الخاصة يصنع بطريقة خاصة بأهل المنطقة وعاداتها الاجتماعية للتعبير عن العادات الثقافية المستمدة والتراث العربي الأصيل.

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : لفظة شعبية وهي اسم للباس تقليدي في مجال اللباس وما يتصل به ،من عادات المنطقة الاجتماعية والثقافية للتعبير عن أصالة المنطقة وعروبتها ، وانتمائها الحضاري هي لفظة متداولة في الشعر الشعبي والحكم والأمثال الشعبية في الحياة اليومية ،للمنطقة الذي يعتبر موروث شفهي ومخزون للهجة الشعبية للمنطقة السهبية . وتشتهر به أكثر مدينة مسعد التابعة لولاية الجلفة، فهي تأتي في المرتبة الأولى عالمياً في صناعة هعذا النوع من اللباس الشتوي المتميز بخفته ودفئه.. يقول الشاعر لمباركي بلحاج:

الوبري برنوس لبسه أضريفة تطبعهم ** صنع البدويات ومسعد واحذاها. [1]

– **الروبة** : لفظة شعبية متداولة بشكل كبير في لهجة المنطقة السهبية ، وهي اسم للباس خاص بالمنطقة ، وهي لفظة دخيلة عن اللغة العربية ، من اللغة الفرنسية (Robe)، وهي لفظة غير عربية .

–**التأصيل اللساني** : لفظة متداولة في اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية خاصة واللهجات الجزائرية الأخرى عامة ، وهي نتيجة التأثر باللغة الأخرى نتيجة الاستعمار الفرنسي ،وهي من الدخيل على اللغة العربية الفصيحة ، وطغى استعمالها في اللهجة الشعبية في لهجات الجزائر المتفرعة عن اللغة العربية الفصيحة ، لدى عامة الناس في معاملاتهم اليومية في ما بينهم ، وهي لفظة تعني (الفستان) عند تأصيلها للغة العربية الفصيحة .

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : لفظة متداولة في لهجة المنطقة الشعبية ، وتعني الفستان في مجال حقل اللباس وما يتصل به ، وهي لفظة دخيلة عن اللغة العربية وتعنى (Robe) بالفرنسية ، مستعملة بشكل كبير . ولها عدة أنواع في عادات وتقاليد المنطقة الاجتماعية منها :(الروبة العربي) وهي لباس تقليدي معروف في منطقة الجلفة والأغواط بشكل كبير من العادات والتقاليد الأساسية في ثقافة المنطقة ، تلبسه المرأة في المناسبات والحفلات الخاصة بالمنطقة ،وهي رمز على الأصالة المنطقة السهبية والمحافظة على عاداتها وتقاليدها ، للتعبير عن التراث الثقافي المادي للمنطقة السهبية ،والعادات المتوارثة عبر الأجيال المتعاقبة للمحافظة عليها من الزوال والاندثار .

– **القشابيّة / القشّابة** : هذه الكلمة هي اسم لثوب متميّز مصنوع من صوف الغنم أو وبر الإبل (والثاني أحسن وأفخر) يرتديه سكان المناطق الصحراوية في فصل الشتاء ليقيهم البرد القارس، نظراً لبيئتهم الجافة الشديدة البرودة في هذا الفصل

– **التأصيل اللساني** :

جاء في لسان العرب (2) : ".. في حديث عمر، رضي الله عنه: اغْفِرْ للأَقْشاب، جمع قِشْبٍ، وهو مَنْ لا خير فيه. وقَشَبه بالقبيح، قَشْباً: لَطَّخَه به، وعَيَّرَه، وذكره بسُوء. التهذيب: والقَشْبُ مِن الكلام الفِرَى؛ يقال: قَشَّبَنا فلانٌ أَي رَمانا بأَمر لم يكن فينا؛ وأَنشد:

---

[1] – صور وخصائل من مجتمع أولاد نايل ، قصيدة صور و خصائل منطقة أولاد نائل ، ص 150 (والبرنوس المسعدي درجات من حيث الجودة، وهو غالي الثمن، إذ يصل النوع المصنوع من الوبر الخالص لولد الناقة، إلى ما يفوق مائة الف دينار جزائري، وهو ما يعادل حوالي خمسمائة يورو..)

[2] – ابن منظور : لسان العرب ، مادة (قشب) 4690

قَشَّبْتَنا بفَعالٍ لَسْتَ تارِكَه ** كما **يُقَشِّبُ** ماءَ الجُمَّةِ الغَرَب

ويروى ماء الحَمَّة، بالحاء المهملة، وهي الغدير. ابن الأَعرابي: القاشِبُ الذي يَعِيبُ الناسَ بما فيه؛ يقال: قَشَبَه بعَيْبِ نَفْسه. والقاشِبُ: الذي قِشْبُه ضَاوِيٌّ أَي نَفْسُه.

والقاشِبُ: الخَيَّاط الذي يَلْقُطُ أَقشابه، وهي عُقَدُ الخُيوط، ببُزاقه إذا لَفظ بها. ورجل مُقَشَّبٌ: مَمْزُوجُ الحَسَبِ باللُّؤْم، مَخْلوط الحَسَب. وفي الصحاح: رجل مُقَشَّبُ الحَسَب إذا مُزِجَ حَسَبُه.

وقَشَبَ الرجلُ يَقْشِبُ قَشْباً وأَقْشَبَ واقْتَشَبَ: اكْتَسَبَ حَمْداً أَو ذَمّاً. وقَشَبه بشَرٍّ إذا رماه بعلامة من الشَّرِّ، يُعْرَفُ بها. وفي حديث عمر، رضي الله عنه، قال لبعض بنيه: قَشَبَكَ المالُ أَي أَفْسَدَك وذَهَبَ بعَقْلك. والقَشِبُ والقَشِيبُ: الجَديدُ والخَلَقُ. وفي الحديث: أَنه مَرَّ وعليه قُشْبَانِيَّتانِ؛ أَي بُرْدتانِ خَلَقانِ، وقيل: جديدتان.

والقَشِيبُ: من الأَضداد، وكأَنه منسوب إِلى قُشْبانٍ، جمع قَشِيبٍ، خارجاً عن القياس، لأَنه نسب إِلى الجمع؛ قال الزمخشري: كونه منسوباً إِلى الجمع غير مَرْضِيٍّ، ولكنه بناء مستطرف للنسب كالأَنْبَجانيّ. ويقال: ثوب قَشِيبٌ، ورَيْطَةٌ قَشِيبٌ أَيضاً، والجمع قُشُبٌ؛ قال ذو الرمة:

كأَنها حُلَلٌ مَوْشِيَّةٌ **قُشُبُ**

وقد قَشُبَ قَشابةً .وقال ثعلب: قَشُبَ الثوبُ: جَدَّ ونَظُفَ. وسيف قَشِيبٌ: حديث عَهْدٍ بالجِلاءِ. وكلُّ شيءٍ جديدٍ: قَشيبٌ؛ قال لبيد:

فالماءُ يَجْلُو مُتُونَهُنَّ، كما ** يَجْلُو التلاميذُ لُؤْلُؤاً **قَشِبا**

وما أكثر ما ورد من استعمال هذه المادة لدى الشعراء الشعبيين، كما وردتْ كثيراً في شعر العرب ونثرهم ، أنشد الأصمعي للنابغة الذبياني :

فَبتُّ كأَنَّ العائِذاتِ فَرَشْنَنِي ** هَرَاساً، به يُعْلى فِراشِي ويُقْشَب

فقوله (يُقْشَب) مادة جاءتْ منها كلمة (القشابية) التي تدل على الشيء القشيب الجميل الموشَّى.

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : لقد اخترع أهل المنطقة هذا النوع ليستعيضوا به عن الغطاء والفراش في آن واحد. فصاحب (القشابية أو القشابة) لا يحتاج أحيانا للفراش على الأرض ولا للغطاء ، غذ يتخذ من (قشابيته) هذا وذاك.. والقشابية المصنوعة من وبر الإبل، كما أسلفنا، أفخر من حيث النوع وأغلى ثمناً وأكثر طلباً من الناس، ولا سيما عند اشتداد البرد في الشتاء.. وتمتز مناطق الجنوب بها النوع من الثوب الفاخر الأصيل.. وقد عُرف منذ القديم في عدة مناطق من الجنوب الجزائري ، كانت منطقة

الأغواط ومنطقة الجلفة من أبرزها قديماً ، غير أنه لم يبق اليوم كما كان ، بل تراجعت صناعته بهما كثيراً.. ولكنّ بمنطقة (مَسعد) التابعة لولاية الجلفة لا تزال هذه الصناعة قائمة بكل نشاط وتستقطب إليها كل شتاء أفواجاً من الزائرين المقبلين على طلب (القشابية) لما لها من مزايا ، خصوصا بهذه المنطقة (مَسعد) (1)

- **حقل الأفرشة والأغطية :**

-الخَمْلَة ؛ الخْمَلْ: فْراشْ الخْمَلْ ؛ الخَمْلَة (جمعها : خمائل)[2]: اسم من (خمل) يشير إلى وجود شيء يشبه القطيفة أو ما هو من صنفها، يغطي ما يقع عليه ، وهي مرتبطة بالطبيعة في استعمالها.

- **التأصيل اللساني** : تستعمل هذه الكلمة في التراث الشعبي بهذه الصيغة (صيغة الاسم) بطريق الإضافة ، دلالةً على نوع من الغطاء يتميز بسمكه وجودة صنعه ، وهو مصنوع باليد من مادة الصوف (صوف الغنم) ولا يُستعمل هذا النوع من الفراش إلاّ في مناسبات كبيرة مشهودة كالأفراح وقِرَى الأضياف غير المعتادين، وغير ذلك.." والخَمِيل القَطِيفة ذات الخَمْل؛ والخَمْل فضول كخَمْل الطِّنْفِسة، وقد أَخمله . والخَمْلة من صوف كالكساء ونحوه له خَمْل ؛ والخَمْل...أَشرف فوقها ظِباءُ السُّلَيّ، واكناتٍ على الخَمْل أَي جالسات على الطنافس. والخمل: خَمْرُها وخَمِيلُها خَمِيلها: ثيابُها. والخَمْلة... القَطِيفة وهي كل ثوب له خَمْل من أَيّ شيء كان.."[3] هذا في الاستعمال الحقيقي للكلمة.

وأمّا في الاستعمال المجازي فـ(الخمْلة) تعني وجود غطاء كبير متشابك متداخل متماسك من النبات والأعشاب الخضراء على مكان معين من الأرض، ويكون ذلك عادة في فصل الربيع إيذانا بفصل ربيعي يبعث التفاؤل وموسم يبشر بالخير للناس عامة وللفلاحين وأصحاب المواشي على الخصوص..

وأصل الكلمة في الفصيح مأخوذ من مادة (خمل) : جاء في لسان العرب : " ...ويقال لريش النَّعام خَمْل، وقيل إنه مَرَّ ومعه جارية على خَمْلة بين أَشجار فأَصاب منها؛ قال ابن الأَثير:

---

[1]- إذا حلّ الشتاء وأردت أن تقدم هدية من أجمل الهدايا وأفخرها من أرض الجزائر فما عليك سوى زيارة منطقة (مَسعد) لاقتناء (قشابية) من وبر الإبل الخالص ، وستكون أجمل هدية ، ولكن لا تنس ثمنها المرتفع.. فكل عزيز غال..

[2]- ومنها : ديوان الجداول والخمائل لشاعر الرابطة القلمية : إليا أبي ماضي.

[3]- ابن منظور : لسان العرب ، (مادة : خمل)، ص294

أَراد بالخَمْلة الثوب الذي له خَمْل،...خَمِيل وهي الأَرض السهلة اللينة.."[1] وجاء مثل هذا الاسم عند الشاعر جميل بثينة من قوله :[2]

إذا حميت شمس النهار اتقينها ** باكسية الديباج والخزّ ذي الخَمْل

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : الملاحَظ أنّ استعمال (الخملة) بمعنى الغطاء في التراث الشعبي ، إذا انصرف إلى مجال الطبيعة فإنما هو من باب الاستعمال المجازي للكلمة ، لأن الأصل فيها أن تستعمل للغطاء على حقيقته (القطيفة) أمّا إذا استُعملت في مجال الفراش فإنه يُعْدَل بها من المؤنث إلى المذكّر ، فيقولون (فراش الخملْ) ويريدون به ذلك الفراش السميك الذي يصنع من الصوف ولا يفرش على الأرض إلاّ في المناسبات الكبرى التي يتم فيها استقبال الضيوف. وهذا دليل على أهمية هذا النوع من الفراش وقيمته.

– **الرقمة**. (شيء مرقوم : بالقاف المثلثة) ؛ زخارف خاصة بالأفرشة والأغطية . رقمَ الشيء يرقُمه، إذا زيّنه بالرسوم والصور والزخارف.

– **التأصيل اللساني** :

استعملت هذه المادة في القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كتاب مرقوم يشهده المقربون ﴾ [سورة المطففين/18-21]

وجاء في تفسير الرازي : " ... أما قوله تعالى:﴿ كتاب مرقوم ﴾ ففيه تأويلان ؛ أحدهما : أن المراد بالكتاب المرقوم كتاب أعمالهم .. والثاني : أنه كتاب موضوع في عليين كتب فيه ما أعد الله لهم من الكرامة والثواب، واختلفوا في ذلك الكتاب، فقال مقاتل : إن تلك الأشياء مكتوبة لهم في ساق العرش وعن ابن عباس أنه مكتوب في لوح من زبرجد معلق تحت العرش .

وقال آخرون : هو كتاب مرقوم بما يوجب سرورهم ، وذلك بالضد من رقم كتاب الفجار بما يسوءهم، ويدل على هذا المعنى قوله : يشهده المقربون " يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب ، ومن قال : إنه كتاب الأعمال ، قال : يشهد ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين المقربون من الملائكة كرامة للمؤمن.." [3]

[1]– المصدر نفسه ، (مادة : خمل)، ص295

[2] – الأصفهاني : كتاب الأغاني ، ص658

[3]– الرازي : مفاتيح الغيب : ص89

ونستطيع أن نستخلص أيضا أنّ الكتاب المرقوم هو الكتاب المزيَّن بما قدّمه الأبرار من حسن العمل وما يلقونه عند الله من حسن الجزاء، وأيّ تزيين منهم كالعمل الصالح ؟ وأمّا التزيين من الله فهو ما أعد لهم سبحانه من الثواب والبشرى والفوز بالجنة.. ويا له من تزيين..

وأمّا لفظ (الرقيم) في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف/9] ففيه (رقيم) بمعنى (مرقوم) وجاءت على وزن (فعيل) وهذا كثير في العربية.." وعلى هذا، فإن رقيم بمعنى: مرقوم. ولما كانَ الفعلُ "رقمَ" يعني: خطَّ، فإنَّ الرقيمَ يعني المخطوطَ لكثرة من خُطّ فيه من كتابة أو رسم، مهما كان نوعه .

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : تستعمل هذه الكلمة في الثقافة الشعبية في مجال الأفرشة والأغطية وغيرها من هذا القبيل ، ويراد بها أنواع وأشكال من الرسوم والزخارف والخطوط المختارة بعناية ، بقصد تزيين هذا الفراش أو غيره ، وعندها يقال : " فراش مرقوم أو غطاء مرقوم " (بالقاف المثلثة : في اللهجة العامّية). وذلك من الاسم: (الرقْمة : بالقاف المثلثة).أي: مُزيَّن ومزخرَف وموَشَّى بالرسم وما شابهه..

وأمّا في التراث الفصيح فقد جاء في لسان العرب([1]) : " الرَّقْمُ والتَّرقيمُ: تَعْجيمُ الكتاب .ورَقَمَ الكتاب يَرْقُمُهُ رَقْماً: أَعجمه وبيَّنه. وكتاب مَرْقُوم أي قد بُيِّنتْ حروفه بعلاماتها من التنقيط. وقوله عز وجل: كتاب مَرْقُومٌ؛ كتاب مكتوب؛ وأنشد:

سأَرْقُم في الماء القَراحِ إليكُم ** على بُعْدِكُمْ، إن كان للماء راقِمُ

أي سأَكتب. وقولهم: هو يَرْقُمُ في الماء : أي بلغ من حِذْقه بالأُمور أن يَرْقُمَ حيث لا يثبت الرَّقْمُ؛ وأما المؤمن فإن كتابه يجعل في عِلِّيِّينَ السماء السابعة، وأما الكافر فيجعل كتابه في أسفل الأرضين السابعة. والمِرْقَمُ: القَلَمُ. يقولون: طاح مِرْقَمُك أي أَخطأَ قلمك. الفراء: الرَّقِيمةُ المرأة العاقلة البَرْزَةُ الفَطِنَةُ. وهو يَرْقُمُ في الماء؛ يضرب مثلاً للفَطِنِ. والمِرَقِّمُ والمِرَقِّنُ: الكاتب؛ قال: دار كَرَقْم الكاتب المِرَقّن.."

– **وَقّى يوقّي؛ والاسم** : **أُوقَاية** . **بالقاف المثلثة** : صفة الفراش للوقاية والحماية من الآثار المترتبة على الجلوس في الأرض إن لم تكن مناسبة للجلوس..

– **التأصيل اللساني** : فعل مضارع ناقص معتل (من الأصل الفصيح: وقى : وهو لفيف مفروق) ومنه (الْوُقايَة : أي ما يوقَّى ، بمعنى : ما يستعمل ليقي صاحبه)

[1]– ابن منظور : لسان العرب ، مادة (رقم)، 175/3

وقد جاء استعمال هذه المادة في القرآن الكريم بصيغة فعل الأمر، في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم/6]

وجاء استعمالها في آيات أخرى كثيرة بصيغة الفعل المضارع كذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل/81]

كما جاء استعمالها بصيغة الاسم في الحديث الشريف من قوله ﷺ :" التقوى ههنا.." وهذا الاستعمال الأخير استعمال مجازي، غذ المراد بالتقوى هنا: الخوف من الله، بفعل الطاعات وترك المعاصي، لأنّ ذلك ممّا يقي الإنسان ويحميه من العذاب ومن النار..وورد استعمال هذه المادة بصيغة الفعل الماضي في الشعر العربي ، قالت الشاعرة حمدة بنت زياد بن تقي العوفي من شعراء الأندلس:([1])

وقانا لفحة الرمضاء واد ** سقاه مضاعف الغيث العميم

– الاستعمال اليومي في المجتمع :

معنى هذه الكلمة: (يقي) أي: يحمي . وتستعمل في التراث الشعبي بإضافة الهمزة المكسورة في أولها وباستعمال القاف المثلثة المشددة. وتستعمل استعمالاً حقيقياً في مجال الفراش بقصد وضع فراش واق للجالس بينه وبين الأرض ، يقيه من البرد أو التراب أو ما قد يكون في مكان الجلوس ممّا ينبغي اتقاؤه.. وأصلها الفصيح (يقي) أي: يحمي... وقولهم بالمنطقة (لُقايَة) بمعنى الفراش الذي يضعه الجالس على الأرض ليقيه من البرد أو غيره مما قد يعلق به..

[1] – حمدة بنت زياد بن تقيّ العوفي. شاعرة وكاتبة أندلسية، من سكان وادي آش (قرب غرناطة) قال صاحب الإحاطة: إن حمدة وأختاً لها أسمها زينب كانتا شاعرتين أديبتين من أهل الجمال والمال والمعارف والصون إلا أن حب الأدب كان يحملهما على مخالطة أهله مع صيانة مشهورة ونزاهة موثوق بها. ووصفها صاحب الفوات بأنها من المتأدبات المتصوفات المتغزلات المتعففات. ولم يذكرا وفاتها. شعرها رقيق قيل: منه الأبيات التي أولها: وقانا لفحة الرمضاء واد ** سقاه مضاعف الغيث العميم ؛ توفيت عام 600 هـ، وهي من شاعرات العصر الأندلسي، لها ثلاث قصائد .

كما أنّهم يستعملونها بمعنى الحماية عند القيام بعمل ما اتقاء لما قد يترتب عليه من غصابات، فيقول قائلهم ك (وَقِّي هذا الشيء...ليحميك) بمعنى اجعله وقاية لك كي يحميك من الإصابة.. ويستعمل هذا اللفظ فيما هو حسّي..

المبحث الثاني

حقل الأشياء المعنوية المجردة

المبحث الثاني : حقل الأشياء المعنوية المجردة

توطئة :

إنّ التراث الشعبي الفريد المتميّز يحمل مخزونا فكرياً وثقافياً ثرياً في مجال الثقافة والدين والعلاقات الاجتماعية والأُسَرِية، إذ نجد قدراً كبيراً من الألفاظ والتعابير ذات دلالات قوية تعكس مستوى التفكير وأساليب التعامل في الأوساط الشعبية، كما تقدّم فكرة عن مستويات السلوك الاجتماعي بالمنطقة، وذلك بحُكْم طبيعة أهلها وخصائص البيـئة التي يعيشون فيها، بحيث تتجلى شبكة موسعة من العلاقات في مختلف مجالات الحياة، ولا سيما مجال الدين والثقافة بحُكْم الانتماء والخلفيات التاريخية والحضارية..

ونجد لدى أهل المنطقة في هذا الاتجاه أنواعا كثيرة من الألفاظ التي تشيع في تخاطبهم، وكثير منها لا يفهمه إلاّ أهل المنطقة بالنظر إلى خصوصية الدلالة المتعارف عليها، حتى وإن كان اللفظ أحيانا ممّا يجري تداوله باستمرار للتعبير عن معان بعينها.. وسننتقي في هذا الحقل بعض النماذج الحيّة المتداولةً في المجتمع فيما يتعلق بالجانب الديني والثقافي والتعليمي، والقصد منها تقديم فكرة عن هذه اللهجة ومميزاتها.

- **حقل الدين والثقافة والتعليم :**

يشمل حقل الدين والثقافة والتعليم عدة ألفاظ وتراكيب لها معان ودلالات اجتماعية في التعبير عمّا يتضمنه الموروث الثقافي الخاص بالمنطقة من خصائص تتعلق بالعادات والتقاليد المستمدة من طبيعة الحياة بالمنطقة ، ويضمّ هذا الحقل ما يعبّر عن مختلف المظاهر الدالة على أخلاقيات المجتمع، كما يُعطي فكرة واضحة عن الحياة الدينية والمبادئ والقِيَم التي يتمسك بها أهل المنطقة والأخلاق التي يتحلّوْن بها.. ومنها نتبيّن مدى التأثير الواضح لهذه الممارسات الدينية والثقافية ذات الطابع التعليمي والأخلاقي المتوارث عبر كل الأجيال، وهو ما يؤدّي إلى ترسيخه في ذاكرة الأجيال الصاعدة..

– **التّكرار** : كلمة (التّكْرارْ) تعني هنا قراءة القرآن الكريم باستمرار، أي تَكْرار قراءته في كل الأوقات والمناسبات؛ وذلك من قِبَل الأفراد أو المجموعات، ولكن الغالب هو تكرار المجموعة..

– **التأصيل اللساني** : الفعل (كرّر) فصيح كما يبدو، والتكرار هو إعادة الشيء قولاً أو فعْلاً أكثر من مرّة.. جاء في المعاجم : "كرّر الشَّيْء تكريرا وتكرارا: أَعَادَهُ مرّة بعد أُخْرَى، وتكرر عَلَيْهِ كَذَا أُعِيد عَلَيْهِ مرّة بعد أُخْرَى.."[1] والتّكْريرُ هو الأصحّ في القياس، غير أنّ التّكْرار هو الغالب في الاستعمال.. ولفظ (التّكرار : بفتح التاء) هو المصدر، وامّا لفظ (التِّكْرار: بكسر التاء فهو الاسم من الفعل كرّر.)

[1]- المعجم الوسيط، 782/2

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : يُستَعْمَل هذا اللفظ للدلالة على المداومة على قراءة القرآن برفع الصوت ترتيلاً والمواظبة على تلاوته في كل الأوقات ولا سيما الأوقات التي يكون لها فضل كبير، كليلة الجمعة ويوم الجمعة وليلة الاثنين، وفي رمضان ليلا ونهارا، وفي الأوقات الأخرى التي تصادف بعض المناسبات الدينية كيوم عرفة ويوم عاشوراء وأيام المحرم وأيام رجب وشعبان، وفي المولد النبوي الشريف.. وغيرها من الأوقات التي يهتم بها أهل المنطقة كثيرا في حياتهم، ويحافظون عليها ولا يغفلون عنها..

والتكرار يكون من الأفراد، كما يكون من المجموعات في مختلف المناسبات، ومن أشهر المناسبات في التكرار، غير التي ذكرناه آنفاً، تكرار الحزب الراتب يوم الجمعة، سواء في البيوت أو في المساجد، فردياً وجماعياً. ويتم فيه عادة تكرار سورة الكهف لما لها من فضل في يوم الجمعة، وقد يتم تكرار عدة سُوَر وأحزاب معها ؛ ومن هذه المناسبات أيضاً التكرار الجماعي برفع الصوت في مناسبات الوفاة، من باب التصدّق على الميت وعلى سائر أموات المسلمين، بحيث يجتمع عدد من القُرّاء وكل من يرغب في مشاركتهم في القراءة ويقومون بتلاوة القرآن وترتيله بصوت واحد مرتفع في توافق وانسجام.. ويكون هذا عادة في الليالي الأولى من الوفاة، ويمتد إلى ثلاثة ايام وربّما إلى أسبوع أو اكثر.. وتُخْتَتَم هذه التلاوة بالدعاء للميت ولكل الأموات والأحياء والحاضرين وأهل الميت وكل المسلمين..

ويتمّ تكرار القرآن الكريم كذلك في الزوايا والكتاتيب التي تقوم بتحفيظ القرآن وتفسير آياته وترسيخ تعاليمه، ويجري هذا على نطاق واسع بالمنطقة، إذْ لا تكاد تخلو جهة أو حيّ أو منطقة من هذه الزوايا والكتاتيب والمدارس القرآنية؛ على اعتبار أنّ التكرار يحقّق الحفْظ لغير المحفوظ والمحافظة على المحفوظ.. تطبيقا لما ورد عن النبي ﷺ إذ قال في ضرورة حفظ القرآن ومداومة تلاوته ومراجعته حتى لا يُنْسَى، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (تعاهدوا هَذَا القُرْآنَ، فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإبلِ فِي عُقُلِهَا.) [1]

ومن الألفاظ المتداولة في سياق قراءة القرآن وكثرة تلاوته والمداومة عليها، قولهم: (فلان يْجَلْجَلْ في القرآن اتْجَلْجِيلْ) [2] أي يُحْسِن قراءته ويُكْثِر منها ويحرص عليها ولا يُفَرِّط فيها.. وهذا من العادات والأخلاق الدينية والتعليمية المعروفة بالمنطقة. وفي هذا يقول الشاعر :

[1]– تعاهدوا القرآن" أي: حافظوا على قراءته وواظبوا على تلاوته/ أشدّ تفلّتاً: كناية عن سرعة نسيانه لمن لم يحرص على تلاوته دائما

[2]– يلاحظ أن تكرار حروف الفعل (جلجل) يقابلها تكرار في المعنى، وهو تكرار القراءة باستمرار..

تَـلْقَى الطُّلْبَـة والْقْـنادِيزْ تْجَلْجَلْ ** مَنْ عَـسْلْ القُرآنْ نـالوا رتّـالـة .[1]

– **التَّـقْصَـادْ والذَّكْرْ: يقولون: (فلانْ رَاهْ يْقَـصَّـدْ)** : لفظة شعبية متداولة في لهجة المنطقة وهي تعني الذِّكْر والمديح الشعري بتلحين القصائد في مدح الرسول ﷺ في مجموعة من المتخصصين في هذا المجال، إذْ يُشَكّلون حلقات للذِّكْر مع من يساعدهم في ترديد المدائح.. ويكون هذا عادة في الأعياد الدينية والمناسبات الخاصة بالمنطقة، خصوصاً في مناسبة المولد النبوي الشريف، لأنّ المدائح أكثرها في مدح النبي مُحَمَّد ﷺ ومناجاته وبيان مكانته في النفوس والتعبير عن حبّه والتعلُّق به وبسنّته، والتمسك بتعاليمه والتحلّي بأخلاقه..

– **التأصيل اللساني** : هذا اللفظ آت من القصيد أو القصيدة، " والقصيد وَالْقَصِيدَة من الشّعْر الْعَرَبِيّ سَبْعَة أَبْيَات فَأَكْثر.." [2] وأصل التسمية أنّ كاتب القصيدة وناظمها أو قارئها إنما يقصد بها أمْراً بعيْنه، قد يكون لنيل مارب من المآرب الدنيوية والمكاسب المادية أو كسب مكانة للتباهي بين الناس، لكنّ الأصل في هذا (التَّقْصادْ) أن يكون القصد نيل شيء أسمى وأعلى وأرقى، ألا وهو رضى المولى سبحانه ونيل شفاعة نبيه ﷺ فضلاً عمّا يجده (أهل التَّقْصَادْ) من راحة واطمئنان وسكينة وهم ينشدون المدائح ويرددون ألفاظ الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ.. فإن خرج الأمْر عن هذا وفسد القصد فسد معه التَّقْصَادْ وفقد قيمته وجمالَه ورونقه..

وهناك ضربٌ آخر من (التقْصادْ) وهو الغناء الراقي الذي تقوم به الفرَق الموسيقية بآلاتها المتنوعة، ويتمّ فيه تلحين القصائد والنصوص التي تتناول مدح النبي المصطفى ﷺ وتتغنّى بأخلاقه وصفاته ومآثره، من أجل حث الأجيال على التحلّي بها وعدم الغفلة عنها.. وفي المنطقة عدة فِرَق من هذا النوع تقدّم فنوناً راقية تراعي جانب الآداب والأخلاق وتهدف إلى الإسهام في إصلاح المجتمع بتوظيف الفنّ الراقي..

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : إنّ القصائد التي يُنْشِدها أهل التَّقْصَادْ هي في الغالب قصائد مدح النبي الكريم ﷺ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، مثل قصيدة (البُرْدَة) للبوصيري، وهي اشهر القصائد المتداولة في هذا الشأن؛ فضلاً عن القصائد الأخرى التي قيلت في مدح خير البرية ﷺ سواءً أكانت ممّا يحفظه المنشدون أم ممّا يكتبونه بأنفسهم.. وقد تكون هذه القصائد باللغة الفصيحة كما تكون باللهجة الشعبية. وأمّا أماكن إقامتها فالمساجد والمنازل والزوايا والكتاتيب والمدارس القرآنية..

---

[1] – مخلوف صادقي، أشهر التآليف في الكلام اللطيف من شعر المخاليف، ص96 (قوله: تَلْقَى: بالقاف المثلثة بلهجة المنطقة: تجد)

[2] – المعجم الوسيط، 738/2

وهذه الظاهرة الدينية الاجتماعية من العادات الراسخة المتوارثة بين الأجيال بالمنطقة منذ القديم، يرَاد بها الحفاظ على الذِّكْر وإحياء السنّة النبوية والمحافظة على بقاء محبة النبي في نفوس الناس عبْر الأجيال، فهي تتجلى في الاحتفال بالمناسبة التي تكون عادة مناسبة المولد النبوي الشريف، وتأخذ أشكالاً متنوعة وطرُقاً متعددة.. وهي تعكس صورة الحياة الدينية والفكرية والثقافية والاجتماعية للمنطقة..

وتتصل ظاهرة (التَّقْصاد) بظاهرة دينية أخرى تسمّى (الحَضْرَة)، وهي حلقات جماعية تُقام للذِّكْر والمدائح في المنازل عادة أو في فضاءات أخرى. وكثيرا ما تكون هذه المدائح مصحوبة بالضرب على (البَنْدِيرْ) وهو نوع من الدّف مفتوح ودائري الشكل، يُستعمَل مع وسائل موسيقية أخرى في حفلات الزفاف أو الاحتفالات بالمناسبات الوطنية..

والملاحَظ على هذه التجمعات في (التَّقْصَاد) أو (الحَضْرَة) أنّها تختلف من حيث أنواع القصائد التي يتم ترديدها وإنشادُها، وإن كان أكثرها في مدح النبي ﷺ ومناجاته ورجاء شفاعته...فمنها ما يكون مبالَغاً فيها من جهة إضافة بعض الأعمال التي لا تمتّ للذِّكْر والمديح بصلة، كالمبالغة في الجانب الإيقاعي الذي يحوّلها إلى ما يشبه الأغاني، ومنها ما يكون لها طابع مادّي ويغيب فيها ذلك الطابع السكوني الهادئ؛ غير أنّ هناك من يعرف كيف يحافظ على خلوص هذه الحلقات من الشوائب التي تبتعد بها عن غاياتها التي أُقيمت من أجلها..

– **السَّلْكَة** : السَّلْكَة في عادات أهل المنطقة هي أن يقوم مجموعة من الناس ممن يُحْسِنون قراءة القرآن الكريم بتلاوته في وقت واحد من عدة مصاحف صغيرة، بحيث يفرغون منه في مدة وجيزة تكون عادة حوالي نصف ساعة.. وتكون هذه القراءة سرّاً أو بصوت خافت، كي لا يتم التشويش على القُرّاء.

– **التأصيل اللساني** : يقال: "سلك فلَان سمت فلَان إِذا اقْتدى بِهِ." [1] ويقال أيضاً : " سلك الْمَكَان وَبِه وَفِيه سلكا وسلوكا دخل وَنفذ وَالشَّيْء فِي الشَّيْء وَبِه أدخلهُ وَفُلَانًا الْمَكَان أدخلهُ إِيَّاه وَيُقَال سلك بِهِ الْمَكَان (أسلكه) الْمَكَان وَفِيه وَبِه وَعَلِيهِ أدخلهُ أَو جعله يسلكه.." [2] فالذي يُفْهَم من لفظ السلْكة

[1]- ابن دريد، جمهرة اللغة، 398/1

[2]- المعجم الوسيط، 445/1

أنها من السلوك بمعنى اتباع النهج أو الطريق أو المسْلَك.. ومنه السلْك الذي تنتظم فيه الأشياء لتكون على مستوى واحد من الانسجام والتناسق..

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : يُستَعْمَل لفظ (السَّلْكَة) في لهجة المنطقة لذلك الاجتماع الذي يضمّ عددا من القُرّاء يكون عددهم في العادة ثلاثون قارئاً للقرآن أو ممن يجيد القراءة، بحيث تدوم قراءتهم للقرآن ثلاثين دقيقة يقرأ كل واحد منهم فيها جزءاً من القرآن (أي: حزبيْن) في مصحف صغير؛ وكثيرا ما يُنْهِي بعضهم قراءته قبل انقضاء الثلاثين دقيقة.. وربّما تأخّر بعضهم في القراءة لبضع دقائق فينتظره الآخرون حتى يُتمّ قراءته.. وتكون القراءة بصوت خافت أو تكون قراءة سريّة، المهم أن يفرغ كل واحد من تلاوة ما في مصحفه الصغير.. وتكون هذه السلكة في المساجد أو في البيوت أو في الزوايا والمدارس القرآنية..

ولعلّ لفظ (السَّلْكَة) مستمدّ من سلوك الطريق المستقيم الذي يرشد إليه القرآن الكريم لأنه دليل النهج القويم لكل السالكين؛ فهم يسلكون هذا المسلك المفضي إلى الفوز والنجاة ونيل رضى الرحمن بتلاوة القرآن وتدبُّر آياته الكريمة في خشوع وسكينة..

والسلْكة من العادات الدينية والتقاليد الاجتماعية التي يتميّز بها أهل المنطقة، وتشيع في مناطق الجنوب كذلك، فهي مرتبطة بما دأب عليه الناس من حفظ القرآن الكريم منذ الصغر، والحرص على تلاوته وتكراره باستمرار.. كما أن هذه الظاهرة تعكس درجة الوعي الديني والمستوى الثقافي لدى أهل المنطقة، فضلاً عن مظاهر التكافل الاجتماعي، بحيث يجتمع الناس ويلتقي بعضهم ببعض فيتفقدون شؤونهم ويتبادلون مستجدات الحياة، ويستعرضون بعض الأوضاع الاجتماعية قصد إيجاد الحلول لها ضمن المساعي الخيرية التي تُسْهِم في تماسك المجتمع..

و(السَّلْكَة) هي من أساليب ختم القرآن الكريم في وقت قصير، عندما تكون الرغبة قائمة في ختمته، ولا يتسع الوقت لذلك، نظرا لاعتبارات متعددة بحسب ما تفرضه الظروف والمناسبات.. كما تكون هذه السلكة متبوعة بالدعاء الذي يؤدّيه أحد الحاضرين القائمين على تسييرها، ويكون غالباً احد الأئمة أو الشيوخ أو أهل العلْم المشهود لهم بالفضل؛ وقد يتقاسم هذا الدعاء اثنان أو اكثر من الأئمة والشيوخ..

كما تتم فيه عملية الرقية الشرعية لمن يحتاجها من الحاضرين أو من أهل البيت، ممّن قد يكون مريضاً أو يرغب في تحصين نفسه وأهله بالقرآن الكريم؛ فتُقَدّم لهؤلاء الأئمة والشيوخ قارورات الماء ليقرأوا فيها شيئا من القرآن، مصحوبا بالدعاء، ثم يعطونه لمن يستحقه.. ويجد متناول هذا الماء عادة نوعا من الراحة

والهدوء والسكون، بعد هذه الرقية، خصوصاً في بعض المناسبات عند الحاجة إلى هذه الرقية لما يمرّ به بعض الناس من الحالات النفسية جرّاء الظروف التي يمرّ بها..[1]

– **زْكاةْ ٱلعْشُورْ** : من الألفاظ مستعملة في اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية، وهي من الأسماء المتداولة في المنطقة في المعاملات اليومية بين أفراد المجتمع. ويُراد بها تقديم العشْر من الأموال التي بلغت النصاب، للفقراء والمحتاجين.. ويكون هذا عادة في موسم معلوم هو يوم عاشوراء..

– **التأصيل اللساني**: كلّ من لفظ (زكاة) ولفظ (عْشُورْ) من الألفاظ العربية التي لها اصل معلوم في اللغة العربية الفصيحة، كما وردتْ في المعاجم العربية القديمة والحديثة، فضلاً عن كون لفظ (الزكاة) كثير الورود في مواضع متعددة من القرآن الكريم ..

وممّا جاء في السان أنّ " الزكاة زكاة المال المعروفة، وهي تطهيره، والفعل منها زَكَّى يزكّي تزكية إذا أدَّى عن ماله زكاته. والزكاة ما أخرجته من مالك لتُطَهر به، وقد زَكَّى المال. وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[التوبة/103] قالوا: تُطهِّرهم بها. قال أبو علي: الزكاة صفوة الشيء. وأخرج زكاة ماله إذا أخذ زكاته، وتزكى أي تصدَّق."[2]

وجاء في المعجم الوسيط " (زكا) الشَّيْء زكوا وزكاء وَزَكَاة: نما وَزَاد؛ وَفُلَان صلح وتنعم وَكَانَ فِي خصب فَهُوَ زكي (ج) أزكياء؛ وَيُقَال هَذَا الْأَمر لَا يزكو بفلان لَا يَلِيق بِهِ؛ (زكي) زكى وزكاء نما وَزَاد؛ (أزكى) الشَّيْء نما وَزَاد وَالشَّيْء نماه؛ (زكى) الشَّيْء أزكاه وَأَصْلحهُ وطهره وَنَفسه مدحها وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {فَلَا تزكوا أَنفسكُم}؛ وَيُقَال أَيْضا زكى الشُّهُود عدلهم وَمِنْه تَزْكِيَة المرشح لعمل مَا وَمَاله أدّى زَكَاته؛ (تزكّى) مُطَاوع زكى وَفُلَان زكا وَتصدق؛ (الزَّكَاة) الْبركَة والنماء وَالطَّهَارَة وَالصَّلَاح وصفوة الشَّيْء و(فِي الشَّرْع) حِصَّة من المَال وَنَحْوه يُوجب الشَّرْع بذلها للْفُقَرَاء وَنَحْوهم بِشُرُوط خَاصَّة؛ (الزكية) أَرض زكية طيبَة خصبة.." [3]

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة :" زكا يزكو ، زكاة و زكاء وزكوا ، فهو زاك وزكي . زكا الزرع : نما وزاد "العلم يزكو بالإنفاق "، زكا الشخص أو الشيء : صلح وطهر " زكا قلبه / ماله؛ زكيّ النفس: طاهر من الذنوب، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ

[1]– في مناسبات الوفاة يتأثّر البعض من جراء الحزن فتُطْلَب له الرقية، ويشعر بالارتياح لذلك، ممّا يخفّف من آلامه..

[2] – لسان العرب ، باب الزاي ، (مادة زكا) ، ص 1849

[3] – العجم الوسيط،396/1

يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[النور/21] وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾[مريم/19]تزكّى الشخص : تصدق أدى الزكاة، لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ بالأعلى/14-15] تطهر، اهتدى وصلح."[1] وقال تعالى" ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة/43]. فمن هذه الآيات الكريمة وشرح المعاجم العربية نستنتج لفظة (الزكاة) المستعملة والمتداولة في اللهجة الشعبية للمنطقة لها أصلها في اللغة العربية الفصيحة.

وأمّا لفظ (الْعْشُورْ) فهو من العُشْر، وقد جاء في اللسان أنّ " العشر والعشير : جزء من عشرةٍ، يطرد هذان البناءان في جميع الكسور ،والجمع أعشار وعشور، وهو المعشار؛ وفي التنزيل : "وما بلغوا معشار ما آتيناهم "؛ أي ما بلغ مشركو أهل مكة معشار ما أوتي من قبلهم من القدرة و القوة ...، وعشر المال نفسه وعشره : كذلك ، وبه سمى العشار ومنه العاشر."[2]

وأمّا اقتران الزكاة بالْعْشُورْ فهو مما تُعْرَف به عدة مناطق منها المنطقة السهبية في غرب شمال الصحراء، وتتزامن هذه الظاهرة مع حلول يوم عاشوراء، الذي يصادف العاشر من شهر المحرم من بداية السنة الهجرية كل عام..

– الاستعمال اليومي في المجتمع : هنا يقترن لفظ (زكاة) بلفظ (لْعْشُورْ)، وهي عبارة مستعملة في لهجة المنطقة، وهي من العبارات الدينية المتداولة بين الناس تزامناً مع اقتراب موسم عاشوراء.. وهذا يدل على محافظة أهل المنطقة على عاداتهم وتقاليدهم الموروثة من أجدادهم على امتداد العصور.. كما تُنبِئ هذه الظاهرة بطبيعة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وهي علاقات تضامُن وتعاوُنن يتفقّد فيها الغني الفقير، ويحرص أهل المال على تقديم زكواتهم في حينها ولأهلها المستحقين لها، حتى يحصّنوا أموالهم.. وفي الأيام التي تسبق يوم عاشوراء يظهر الناس الفقراء والمحتاجون أمام المحلات الكبرى وعند أبواب بعض المنازل، وعند المساجد وغيرها من الأماكن التي يعتقدون أنهم سيجدون فيها من يعطيهم من زكاة ماله..

كما أنّ بعض أصحاب المال قد عوّدوا الفقراء على منحهم ما كُتِب لهم من الزكاة، فيعتاد هؤلاء المحتاجون على التردد على أبواب منازل الأغنياء ومحلاتهم في هذه الأيام، غذ يتجمّعون أمامها ينتظرون ما قُدّر لهم.. وهذه الظاهرة قديمة في المنطقة توارثها اللاحقون عن السابقين.. غير أنّ هؤلاء الذين يترددون على الأبواب اليوم ليسوا كلهم من الفقراء وأهل الحاجات كما كانوا فيما سبق، إذ يتخللهم

[1] – معجم اللغة العربية المعاصرة ، حرف الزاي ، ص 989

[2] – لسان العرب، مادة عشر، ص 2953

الانتهازيون وأهل الطمع والجشع من ذوي الأحوال الميسورة، ليأخذوا ما أمكنهم من المال ولا يبالون بصنيعهم هذا، لأن غايتهم هي تحصيل المال.. ومن أصحاب المال مَن يقدّم زكاة ماله إلى أئمّة المساجد ليتولّوا هم توزيعها على من يستحقون، في ظل اختلاط ذوي الحاجة بغيرهم من المستغلّين..

ومن العبارات المتبادلة بين الناس في الأيام التي تسبق يوم عاشوراء، يقول قائلهم: (الله اِيْكَثَّرْ لَعْشُورْ..) فيردّ عليه الآخر مكملاً: (والمْلايْكَة تْدُورْ..). وهذه عبارة تفاؤل بعموم الخير وانتشاره بين الناس حتى لا يبقى فيهم السائل والمحتاج، فيشعر اصحاب المال بأنهم راعَوْا أحد أركان الإسلام الخمسة وهو الزكاة لتحصين أموالهم؛ كما يشعر الفقراء والمحتاجون أن لديهم من يتفقدهم من أهل منطقتهم، فلا يشعرون بالوحدة والعيش على هامش الحياة في المجتمع ..

– **فتّـحْ / يْفَـتّـحْ / الفاتْحَة** : يقال: فلان فتّحْ أو يْفتَّحْ على فلانة ؛ أو يْدِيرْ الفاتْحة يوم كذا.. بمعنى يقيم الفاتحة بحضور جمع من الرجال، وهم أهل العريس وأهل العَروسة، والبعض من الأقارب والأصدقاء المقربين من الجهتيْن باعتبارهم شهوداً.. وبحضور الوليّ من هنا وهناك يتمّ في هذه الجلسة تقديم المهْر والتلفّظ بصيغة العقد الشفهي للزواج وفق أركانه الشرعية المعلومة.. ويصبح الأمْر رسمياً في انتظار إتمام بقية الإجراءات الإدارية وغيرها.. [1]

– **التأصيل اللساني** : فتّح، على وزن : فعّل.. وهي مأخوذة من مادة (ف ت ح) لكنّ المعنى يتغيّر بحسب الصيغة الصرفية والسياق الذي تَرِدُ فيه الكلمة.. وقد جاءت ألفاظ هذه المادة متنوعة المعاني في المعجم، ولعلنا نأخذ ما له صلة بما نتحدث فيه ههنا، وهو أنّ قولهم: " (فتحَ) لفُلَان قلبه اطْمَأَن إِلَيْهِ وباح لَهُ بسره والبلد غلب عَلَيْهِ وتملكه وَالله قلبه لِلْأَمْرِ شَرحه لَهُ ... و(الفتّاح) اسْم من أَسْمَائِهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ يفتح أَبْوَاب الرزق وَالرَّحْمَة لِعِبَادِهِ وَيحكم بَين النَّاس.." [2]

كلّ هذه الكلمات متصلة بعضها ببعض في المعجم، لكنّ السياق هو الذي يميّز كلمة من أخرى من حيث الدلالة، كما أنّ صيغة الكلمة لها دلالتها، ومنه فإنّ صيغة (فعّل) تدلّ عادة على المبالغة في الشيء أو الإكثار منه، وعلى هذا تكون كلمة (فتّح) بمعنى بالغ في الفتح. والمبالغة ههنا في سياق الزفاف

[1]– يقوم أحد الأئمة بالإشراف على الفاتحة وتسييرها، ويختاره عادةً أهل الزوجة، وقد يختاره أهل الزوج بالاتفاق بين الطرفيْن، وفي بعض الأحيان يقوم بالأمر أحد أهل العلْم والفضل الذين لديهم نصيب من العلْم وحفظ القرآن ولهم مكانة محترمة بين الناس..

[2]– المعجم الوسيط، 2/671-672

والأفراح هي فتْح طُرُق الخير وسُبُل عمارة الأرض للزوجين كي يستمرا في السيْر عليه، وهذا معنى إيجابي وهو الذي ينبغي أن يكون مراداً بالتّفتيح (من: فتّح)..

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص/49-50] إذْ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ السُّعَدَاءِ أَنَّ لَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لَحُسْنَ مَآبٍ وَهُوَ : الْمُرْجِعُ وَالْمُنْقَلَبُ. ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ تعالى : (جَنَّاتِ عَدْنٍ أَيْ: جَنَّاتِ إِقَامَةٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ.) وفي هذا المعنى يندرج لفظ (الفاتْحَة) من الفعل (فتّح)..

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : يتم استعمال هذا اللفظ (فتّحْ / يْفَتّحْ / الفاتْحَة) في مجال عقد القِران بين الزوجيْن، وفق الخطوات التي ذكرْناها آنفاً.. وقد كانت هذه الفاتْحَة قديما هي أساس العقْد وحدها، وأمّا اليوم فقد صارتْ خطْوة أولى تتبعها خطوة أخرى تتمثل في تثبيت العقْد بصفة رسمية في المكاتب الخاصة المتواجدة بالبلدية، حيث يتم استصدار العقْد والدفتر العائلي وسائر الوثائق ليصبح الأمر أكثر رسميّة..

وأمّا المهر، فهو ما اتفق عليه الطرفان قبل حضور جلسة الفاتحة، ولا يُصَرَّح عادة بالمهْر، إلاّ في حالات قليلة جدّاً عند بعض من يعتقدون أنّ التصريح به أمام الحاضرين ضروري لغزالة أيّ اختلاف أو سوء تفاهم فيما يأتي لاحقاً..

ومن جهة أخرى، هناك اشياء تترتب على عقْد الفاتحة، وهي أنْ يُلِمَ كلا الطرفيْن (أي يقدّم وليمة). فللزوج وليمته وللزوجة وليمتها. ولنبدأ بوليمة الزوجة لكونها مرتبطة مباشرة بعقْد الفاتحة؛ فهذه الوليمة تكون أثناء عقد الفاتحة لهؤلاء الحاضرين من الرجال، وتكون إمّا وجبة غداء أو شيئا من الحلويات والمشروبات إن لم يكن الوقت وقت غداء.. فإن كانت غداءً فإمّا أن تكون لحماً مشوياً وما يتبعه من الأطباق الخاصة به؛ وإمّا أن تكون طعام الكُسكُسي (الطْعَامْ) وما يتبعه من لحم الخروف وألوان الخضر، ثم تُخْتَم الوليمة بالشاي والقهوة وأنواع من الحلويات، لتلبية الرغبات على اختلافها..[1]

وامّا وليمة الزوج فتُسَمّى(**التُّوكالْ**) من الأكل، بمعنى: تقديم الوليمة للمدعوين إليها.. وهنا يختلف الناس في توجيه الدعوة، فمنهم من يجعلها مقصورة على عدد محدود من الناس من باب الاقتصاد

[1]– يفضل الكبار كل ما هو تقليدي، بينما يفضل الشباب أنواع الحلويات، على قول المتنبي(لكل امرئ من دهره ما تعودا)

والتخفيف من التكاليف، وهذا من العادات الحديثة، ومنهم من يترك مجالها مفتوحاً للجميع، فيدعو كل من استطاع دعوته، بل يُدعَى إليها حتى من يأتي مارّاً على سبيل المصادفة.. [1]

وفي هذه الوليمة (التُّوكالْ) يتمّ ذبْح الغنم لتقديم لحم الضأن الطازج مع الخضر ومشروب الشاي الأخضر، لكل الآكلين من دون استثناء او تمييز بينهم، إلاّ من جاء متأخراً ففاتَهُ شيء منها.. ومن هذا نستخلص أنّ وجبة (الطّْعَامْ) التي تحدثنا عنها في موضع آخر من هذا البحث وبيّنّا أهميتها وقيمتها عند أهل المنطقة، هذه الوجبة هي التي تُقَدّم في مثل هذه الولائم الكبرى، وهي الأصل.. وفي الفترات الأخيرة أصبح هناك من يقدّم وجبات أخرى غير وجبة (الطّْعَامْ) [2] لكنّ هذا قليل..

- **حقل العلاقات الأُسَرِية والاجتماعية :**

يمثل حقل العلاقات الأسرية والاجتماعية مجالاً تتجلى فيه صور الحياة الاجتماعية، بما تنطوي عليه من مخزون ثريّ من الألفاظ والتراكيب التي تحمل دلالات متنوعة تعكس طبيعة العلاقات الاجتماعية والثقافية القائمة بين الأفراد. وهناك عدة نماذج مستمدة من تجارب الناس في الحياة اليومية، بحيث يمكن الوقوف عليها من خلال متابعة عمليات التواصل بين الأفراد.. كما أنّ هذه النماذج من المفردات والتراكيب تبيّن طبيعة العادات والتقاليد التي تتميّز بها المنطقة، ومنها ما يبيّن أصالتها واتصالها بالتراث العربي الفصيح، على اعتبار أنّ التعبير اللغوي والتنوع اللهجي هو صورة لأنماط معينة من الحياة وأساليب العيْش التي يمارسها الناس في المجتمع..

وسنتطرق فيما يأتي إلى بعض الأمثلة عن الاستعمالات اللهجية بالمنطقة فيما يتصل بهذا الحقل، لنتبيّن مختلف الخصائص والمزايا لهذه اللهجة، وكيفية تداولها في المجتمع..

– **الزَّرْدَة** : كلمة الزَّرْدة، بمعنى الوليمة الكبيرة؛ وهي من الكلمات الكثيرة التداول بلهجة المنطقة، يستعملها الناس في المناسبات الكبيرة، سواء في الأفراح أو في الأتراح ..

[1] – قد يتم التوْكال يوما أو يومَيْن قبيل إقامة الزفاف، وقد يكون قبل ذلك باسبوع أو عدة أسابيع، للتفرغ لشؤون أخرى..

[2] – تمّ الحديث عن وجبة (الطّْعَامْ : بمعنى الكسكسي) في حقل الأطعمة والأشربة، في المبحث الأول من هذا الفصل، بعنوان: (حقل الأشياء المادية المحسوسة، ضمن الأطعمة والأشربة).

– **التأصيل اللساني** : كلمة (الزَّرْدة) فصيحة واردة في كلام العرب، فقد جاء في المعجم: " (زرد) اللُّقْمَة زردا وزردها بلعها فَهُوَ زرد (ازدرد) اللُّقْمَة ابتلعها ... و(الزرد) من الطَّعَام اللين السَّرِيع الانحدار."[1] وقد وردت في الصحاح : " زرد اللقمة بالكسر يزردها زردا أي بلعها."[2]
نستخلص أنّ كلمة (زرد) ذات أصل فصيح كما يظهر لنا، غير أنها تُستعمَل ثلاثية في اللهجة الفصيحة اللهجة الشعبية (زرد)، بينما تُستعمَل في اللغة الفصيحة خماسية (ازدرد) في الغالب، وإن كانت مادتها الثلاثة واردة أيضا في الاستعمال..

وهي ذات صلة واضحة بكلمة (سرط، بمعنى: ابتلع) سواء من حيث اللفظ أو من حيث المعنى، فمن جهة اللفظ نجد أنّ السين والزاي متشابهان، وكذلك الطاء والدّال متشابهان، بحيث يقع بينهما إبدال، وأمّا الراء فهي حرف مشترك، كأنه يزيد تقوية العلاقة بينهما.. وأمّا من جهة المعنى فالفعلان (سرط وزرد) لهما معنيان متقاربان تقارباً كبيراً على درجة كبيرة من الترادف، فكلتا الكلمتيْن تدلّ على ابتلاع الشيء بكامله بحيث لا يبقى منه شيء، كما أنهما تستعملان كثيرا في مجال الطعام، وتخرجان من المعنى الحقيقي إلى المعاني المجازية..

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : الزَّرْدَة:[3] تعني باللهجة العامية "الوليمة"، ولفظ (الزردة) من الألفاظ التي تعبّر عن العادات الاجتماعية والتقاليد الشعبية بالمنطقة، ومعناها: الوليمة الكبيرة أو التي تُقدَّم فيها ألوان شهية من الطعام، وهو ما يتم الإعداد له مسبقاً في المناسبات الكبيرة كالأفراح وغيرها، وقد يكون بلا مناسبة من هذه المناسبات، عن طريق دعوة أحدهم لأقاربه أو أصدقائه أو جلسائه من باب الإكرام وتثبيت اللقاء والاجتماع بهم.. غير أنّ الشائع في عادات المجتمع أنّ الزّرْدة الكبيرة هي التي يُدْعَى الناس إليْها ليتناولوا الوجبة الشعبية الأكثر شهرة، وتسمّى عندهم (الطّْعامْ : وهو ما يُعْرَف عالمياً

1– المعجم الوسيط، 391/1

2– الجوهري، الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984، ص 263

3- قد يُستعمَل مصطلح الزردة على نطاق ضيق بين عدد قليل من الأفراد، باجتماعهم على مائدة محدودة كمّاً، لكنها تكون مشتملة على طعام متميّز ذي قيمة اجتماعية كبرى لدى أهل المنطقة00

بالكُسْكُسي).. وقليلاً ما تكون بأنواع أخرى من الوجبات غيْر (الطّعَامْ)، لكنّه هو الأصل فيها حسب عادات المنطقة وتقاليدها، منذ القديم إلى يوم الناس هذا..

وهذه العادة الاجتماعية الراسخة في أعراف أهل المنطقة تُعَدّ من أهمّ الأعمال التي تزيد من توطيد العلاقات الأُسَرِية والاجتماعية، إذْ تكون سبباً في اللقاء واجتماع الناس فيما بينهم، ليتبادلوا أطراف الحديث ويتفقد بعضهم بعضاً قصد الاطمئنان عليه وعلى أحواله وظروفه.. كما تكون هذه المناسبة فرصة سانحة لتصحيح بعض الأخطاء، إذ تمّ تجاوز بعض الاختلافات التي تكون قد حصلتْ سابقاً بين بعضهم؛ ويتمّ فيها كذلك عقْد بعض الاتفاقات وقضاء بعض المصالح والخدمات فيما بين الناس.. وهذه كلها من إيجابيات هذه (الزّردة) وفوائدها.. ومن فوائد (الزّردة) أيضاً حضور بعض الفقراء والمحتاجين وذوي الحاجات ليتناولوا منها نصيبهم، فضلاً عن بعض الناس من الذين لا ملجأ لهم يأوون إليه، فعندما يسمعون هذه (الزَّرْدة) يهرعون إليها، لأنهم يجدون فيها ضالّتهم من الإطعام والإكرام من الحاضرين.

ولإعداد هذه الوليمة الكبرى (الزّردة) يحتاج القائمون عليها إلى الكثير من الأواني والوسائل من أجل القيام بعملية الطهْي للطّعام وما يتبعه من الخضر واللحم؛ ثم ما يتبع ذلك من المأكولات والمشروبات الأخرى التي تأتي بعد الفراغ من تناول (الطّعَامْ) الذي يكون أحيانا مصحوباً ببعض المشروبات كالعصائر وغيرها.. لتأتي بعد ذلك مأكولات أخرى تكون في العادة عبارة عن تمْر وحليب أو لبن، ومعه بعض أنواع الفاكهة، ثم يكون الختام بتناول (لَتَايْ : أي الشاي) وهو الشاي الأخضر المعروف..[1]

– **الـزَّوْرَة /الْوَعْـدة:**[2] يدل لفظ (الزّوْرة: عند أهل المنطقة ؛ أو الوعْدَة: عند غيرهم في مناطق أخرى) على عادة اجتماعية سنوية تتمثل في إحياء مناسبة سنوية في فصل الخريف، تتعلق بأحد الأولياء، حيث يوجد ضريحه. وهي عادة معروفة في كثير من المناطق الجزائرية، ولا سيما مناطق الوسط والجنوب.

– **التأصيل اللساني** : هذه الكلمة مأخوذة من الزيارة، وقولنا : " (زَارَهُ) زورا وزيارة ومزارا أَتَاهُ فِي دَاره للأنس بِهِ أَو لحَاجَة إِلَيْهِ فَهُوَ زائر (ج) زوار وزور وزور وَهِي زائرة (ج) زوائر وزور... و(الزورة) الْمَرَّة من الزِّيَارَة والبعد.."[3] فالزورة إذاً من الزيارة، وهي اسم مرّة من الفعل (زار) على وزن (فَعْلَة). وسميتْ (زَوْرة)

1– يتداول أهل المنطقة عبارة (الشاي يْعَدَّلْ) بمعنى أنه مهم بعد الشبع، وهذا بياناً لقيمته، فما إنْ يفرغ أحدهم من الوليمة حتى يتفقد الشاي ويسال عنه قصد تناوله، ولا ينصرف من دون ذلك..

2– الزورة من الزيارة ؛ والوعدة من المواعدة؛ والمصطلح الأول مستعمل لدى أهل المنطقة، بينما نجد المصطلح الثاني في مناطق أخرى.

3– المعجم الوسيط، 406/1

لأنها تتم مرة واحدة كل عام.. ويتم استعمالها في اللهجة الشعبية كما في اللغة الفصيحة بالمعنى ذاته من دون تغيير..

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : يتم استعمال لفظ (الزّوْرة) في العرف الاجتماعي بالمنطقة لأنها تعبّر عن هذا الحدث الكبير المتنوع الأحداث الذي يقع مرة واحدة في العام.. ويكون عادة في فصل الخريف عندما يعتدل الجوّ وتتهيأ الظروف من عدة نواح، بحيث يكون من اليسير على الناس التنقّل من الأماكن القريبة والبعيدة، كما تتهيأ الظروف للإقامة بمكان الزورة بعض الأيام والليالي، كما أنّ الأحداث فيها تجري في الساحات المفتوحة، ممّا يجعل الحرص على اختيار الوقت المناسب أمراً له أهميته عند المنظّمين..

والزورة فرصة للتلاقي بين الناس من الأُسَر والأصدقاء المتباعدين الذين ينتظرون هذه المناسبة ويترقبونها كي يأتوا إليها ليحققوا رغباتهم في لقاء أحبتهم والاستمتاع بما يُقَدَّم فيها من العروض الشعبية الفولكلورية والنشاطات الثقافية والفنية..

ومن أهمّ ما يتم التحضير له في هذه المناسبة ما يُسَمّى عند أهل المنطقة بـ(العَلْفَة أو لَعْبْ الخيلْ) وهو ما يُعْرَف بالفنتازيا.. ويشمل الإعداد لهذه التظاهرة السنوية عدة جوانب، أهمّها ما يكون من جهة المسؤولين والقائمين على تنظيمها، من إعداد المقرّ الملائم للفرسان القادمين من الأماكن البعيدة مخ خيولهم ومرافقيهم، بحيث يحتاجون إلى المسْكن والمطْعَم وكل ما يلزمهم مدة إقامتهم..

كما يعدّ المنظّمون ما يكفي من (البارود) لاستعماله في (العلْفَة) عندما يرفعون بنادقهم والخيول تجري بأقصى سرعتها، ثم يطلقون طلقاتهم في الفضاء أو على الأرض، ويكررون هذه العملية كلّما انطلقوا في مشاويرهم ذهاباً وإياباً والخيول تجري بعضها بإزاء بعض في تجمعات جميلة متناسقة تقدّم منظراً متميّزاً ولوحة فنية بديعة تسُرّ الناظرين وتثير إعجاب المشاهدين وتشُدّ إليها المارة والوافدين..

وتقام هذه التظاهرة الاجتماعية بالمنطقة على جوانب الطريق الرئيسي لتكون مشاهدتها سهلة ميسرة للجميع، كما تكون قريبة من تواجد وسائل النقل للمسافرين والمتنقلين من المكان وإليه ذهاباً وإياباً طوال مدة إقامة هذه التظاهرة..[1]

ومن أبرز ما تتميز به (الزَّوْرة) قيام أهل المنطقة بإعداد الطعام وتوزيعه على كل القادمين والمارين وكل من يتواجد بالمكان.. إذ يقومون بدعوة الناس إلى منازلهم أو تخصيص أماكن لهم لتناول (الطّْعَامْ: أي

1– المصدر: معايشة هذه الأحداث وحضور تنظيم هذه الظاهرة عدة مرات في عدة مناطق، واشهرها تظاهرة مدينة سيدي مخلوف.

الكسكسي) وما يتبعه مما يتصل به؛ وتتكرر هذه العملية ليلاً ونهاراً، حتى لا يبقى أحد من الناس جائعاً، خصوصاً من اولئك القادمين من غير أهل المكان الذي تُقام فيه التظاهرة..

وعندما يحلّ الليل يتجمّع الناس في أماكن متعددة يستمعون فيها إلى المدائح والأناشيد في مدح الرسول الكريم ﷺ وفي الابتهالات والأدعية، وهم يديرون أكواب الشاي في جلساتهم؛ كما يتبادلون القصص والحكايات والأسمار، ويوسعون علاقات التعارف ويوطّدون عُرى المودة فيما بينهم.

ولا نبرح الحديث عن هذه التظاهرة قبل الإشارة إلى بعض الأنشطة الأخرى التي تجري بهذه المناسبة كنشاط التجارة، إذْ يجد أصحاب المحلاّت ضالتهم طوال استمرار التظاهرة مدة يوميْن او يوما ونصف اليوم، بحيث يكون الإقبال من الزوار كبيراً..

– **التبراح / يْبَرَّحْ ، البَرّاحْ** : هذا اللفظ يدلّ على امتداد النّداء من شخص ما إثْر حدوث أمْر ما قصد إبلاغ الناس بما حدث، أو من أجل طلب شيء منهم.. وهذه العادة كانت سائدة في القديم، ويقوم بها اشخاص معينون.. ولم تعُد موجودة الآن بعد توفر وسائل الاتصال المتطورة..

– **التأصيل اللساني** :

لم نجد في المعاجم لفظ (البرّاح أو التّبرْاح) وما يقترب من الدلالة عليه، غير أننا وجدنا في مادة (برح) ما يشير إلى معنى يقترب ممّا جاء في استعمالات أهل المنطقة بلهجتهم الشعبية؛ فقد جاء في اللسان: " بَرِحَ : ظَهَر، قال الشاعر : بَرِحَ الْخَفَاءُ فَمَا لَدَيَّ تَجَلُّدٌ ؛ أَيْ وَضَحَ الْأَمْرُ كَأَنَّهُ ذَهَبَ السِّرُّ وَزَالَ. وقال الْأَزْهَرِيُّ: بَرِحَ الْخَفَاءُ مَعْنَاهُ زَالَ الْخَفَاءُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ ظَهَرَ مَا كَانَ خَافِيًا وَانْكَشَفَ، مَأْخُوذٌ مِنْ بَرَاحِ الْأَرْضِ، وَهُوَ الْبَارِزُ ال ظَّاهِرُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ ظَهَرَ مَا كُنْتُ أُخْفِي". [1] وجاء في المعجم الوسيط: " ويقال :بَرِح الخَفاءُ: وضح الأَمرُ، وزالت خُفيتُه." [2]

ولعل دلالة هذه الألفاظ المشتقة من (برح) على معاني الظهور والوضوح وزوال ما كان خافياً تفضي بنا إلى الدلالة التي أرادها أهل المنطقة باستعمالهم للفظ (البَرّاحْ ، والتَّبْراحْ) إذ يقولون: (فلان يْبَرَّحْ ، بمعنى: ينادي في الناس بأعلى صوته لإعلامهم بحصول سيء ما أو إطْلاعهم على أمر جديد أو طلب شيء معيّن)

1– لسان العرب، مادة (برح) 115/1

2– المعجم الوسيط، 47/1

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : ظلّ هذا اللفظ مستعملاً في البيئة الاجتماعية القديمة، بحيث يقوم المسؤولون أو القائمون على شؤون البلدة بتكليف بعض الشخاص المعلومين لدى الناس، من أجل القيام بإخبار الناس بكل جديد من الأخبار التي تعنيهم، أو من أجل طلب بعض الأمور المتعلقة بنظام المدينة وحُسْن تسيير شؤونها.. فهؤلاء الشخاص المكلَّفون بـ(التَّبْراحْ) يمثلون جزءا من الهيئة القائمة على شؤون البلاد، وتقتصر وظيفتهم على هذا النداء الذي يكون مسايراً للأحداث التي تعرفها المنطقة لتحقيق تجاوب المواطنين مع المستجدات يومياً..[1]

وعمل البرّاح هذا وسيلة لتقريب المعلومات من الناس وإطلاعهم على كل جديد، إذْ يسعى متجولاً في الشوارع والأزقّة والساحات والأماكن العامة، وهو ينادي بأعلى صوته قائلاً : (يااوْ اسْمْعُوا يْسَمَّعْكُمْ على خير...ثم يأتي بالخبر أو ما يريد أن يبلغهم به من الجديد...)

لقد كان (البرّاح) بمنزلة الإعلامي الذي يتتبع الأخبار والمستجدّات لينقلها إلى الناس عبْر وسائله البسيطة المتمثلة في مكبّر للصوت من النوع التقليدي يقرّبُه من فمِه وينادي ليكون الصوت مسموعاً.. وقد كان قبل ذلك يعتمد على قوة صوته وحدها، ولذلك فإنّ من يُكَلَّف بهذه المهمّة كان يُشترَط فيه ان يكون ممّن يسمّعون الناس بأصواتهم العالية..

غير أنّ هذه الظاهرة لم تعُدْ موجودة الآن بعد تطوّر الحياة وانتشار وسائل الاتصال الحديثة بالصوت والصورة في كل الأوقات، وبسهولة كبيرة، بحيث لم يعُدْ الاطلاع على المستجدات اليوم أمراً عسيراً، بل صار متاحاً لكل الناس في كل الأوقات، وبعدة طرق ووسائل...

– **المعروفْ / التّْمَعْريفْ**: المِعْرُوفْ: كلمة تدل على عادة من أشهر عادات أهل المنطقة وتقاليدهم، ألا وهي تبادل الصدقات وإطعام الناس الطعام في كل وقت، ولا سيما أوقات المناسبات الدورية والمناسبات الطارئة.. ويكْثُر في أيام الخميس والجمعة عل الخصوص.. و(التّْمَعْريفْ): هو كثرة إخراج المعروف والمداومة عليه، ويقوم بذلك من هم أكثر اهتماماً به وتمسُّكاً بعادات الأسلاف..

– **التأصيل اللساني** :

إنّ كلمة المعْروف فصيحة في أصلها، وقد تداولتْها معاجم اللغة بمعان متعددة، منها المعنى الذي اشرنا غليه لدى أهل المنطقة في عاداتهم وتقاليدهم.. فقد جاء في اللسان : " وَعَرِيفُ الْقَوْمِ: سَيِّدُهُمْ ،

1– لم يعُد هناك وجود لهذه الظاهرة اليوم، فقد انقطعتْ بسبب تطور حياة الناس وظهور أجيال جديدة..

وَالْعَرِيفُ: الْقَيِّمُ وَالسَّيِّدُ لِمَعْرِفَتِهِ بِسِيَاسَةِ الْقَوْمِ ، وَبِهِ فَسَّرَ بَعْضُهُمْ بَيْتَ طَرِيفٍ الْعَنْبَرِيِّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ وَقَدْ عَرَفَ عَلَيْهِمْ يَعْرُفُ عِرَافَةً، وَالْعَرِيفُ: النَّقِيبُ وَهُوَ دُونَ الرَّئِيسِ ... قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الْعُرَفَاءُ، جَمْعُ عَرِيفٍ وَهُوَ الْقَيِّمُ بِأُمُورِ الْقَبِيلَةِ أَوِ الْجَمَاعَةِ مِنَ النَّاسِ يَلِي أُمُورَهُمْ ، وَيَتَعَرَّفُ الْأَمِيرُ مِنْهُ أَحْ وَالَهُمْ ...

وَالْمَعْرُوفُ: ضِدُّ الْمُنْكَرِ، وَالْعُرْفُ: ضِدُّ النُّكْرِ، يُقَالُ: أَوْلَاهُ، عُرْفًا، أَيْ: مَعْرُوفًا، وَالْمَعْرُوفُ وَالْعَارِفَةُ: خِلَافُ النَّكْرِ، وَالْعُرْفُ وَالْمَعْرُوفُ: الْجُودُ، وَقِيلَ: هُوَ اسْمُ مَا تَبْذُلُهُ وَتُسْدِيهِ وَحَرَّكَ الشَّاعِرُ ثَانِيهِ، فَقَالَ:

إِنَّ ابْنَ زَيْدٍ لَا زَالَ مُسْتَعْمِلًا لِلْخَيْرِ يُفْشِي فِي مِصْرِهِ الْعُرُفَا.

وَالْمَعْرُوفُ: كَالْعُرْفِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[لقمان/15] أَيْ: مُصَاحَبًا مَعْرُوفًا، قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْرُوفُ هُنَا مَا يُسْتَحْسَنُ مِنَ الْأَفْعَالِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق/6] قِيلَ: فِي التَّفْسِيرِ: الْمَعْرُوفُ الْكُسْوَةُ وَالدِّثَارُ وَأَنْ لَا يُقَصِّرَ الرَّجُلُ فِي نَفَقَةِ الْمَرْأَةِ الَّتِي تُرْضِعُ وَلَدَهُ إِذَا كَانَتْ وَالِدَتَهُ، لِأَنَّ الْوَالِدَةَ أَرْأَفُ بِوَلَدِهَا مِنْ غَيْرِهَا وَحَقُّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَأْتَمِرَ فِي الْوَلَدِ بِمَعْرُوفٍ، وَقَوْلُهُ عزَّ وَجَلَّ: وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِيهَا: إِنَّهَا أُرْسِلَتْ بِالْعُرْفِ وَالْإِحْسَانِ، وَقِيلَ: يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ أُرْسِلُوا لِلْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَان، وَالْعُرْفُ وَالْعَارِفَةُ وَالْمَعْرُوفُ وَاحِدٌ: ضِدُّ النُّكْرِ، وَهُوَ كُلُّ مَا تَعْرِفُهُ النَّفْسُ مِنَ الْخَيْرِ وَتَبْسَأُ بِهِ وَتَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ أُرْسِلَتْ مُتَتَابِعَةً ، يُقَالُ: هُوَ مُسْتَعَارٌ مِنْ عُرْفِ الْفَرَسِ، أَيْ: يَتَتَابَعُونَ كَعُرْفِ الْفَرَسِ..." [1]

وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ الْمَعرُوفِ فِي الْحَدِيثِ وَهُوَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا عُرِفَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ، وَكُلِّ مَا نَدَبَ إِلَ يْهِ الشَّرْعُ وَنَهَى عَنْهُ مِنَ الْمُحَسَّنَاتِ وَالْمُقَبَّحَاتِ، وَهُوَ مِنَ الصِّفَاتِ الْغَالِبَةِ، أَيْ: أَمْرٌ مَعْرُوفٌ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا رَأَوهُ لَا يُنْكِرُونَهُ، وَالْمَعْرُوفُ: النَّصَفَةُ وَحُسْنُ الصُّحْبَةِ مَعَ الْأَهْلِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، وَالْمُنْكَرُ: ضِدُّ ذَلِكَ جَمِيعِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: (أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ) أَيْ: مَنْ بَذَلَ مَعْرُوفَهُ لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا آتَاهُ اللَّهُ جَزَاءَ مَعْرُوفِهِ فِي الْآخِرَةِ ... وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي مَعْنَاهُ ، قَالَ: (يَأْتِي أَصْحَابُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُغْفَرُ لَهُمْ بِمَعْرُوفِهِمْ، وَتَبْقَى حَسَنَاتُهُمْ جَامَّةً فَيُعْطُونَهَا لِمَنْ زَادَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ فَيُغْفَرُ لَهُ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَيَجْتَمِعُ لَهُمُ الْإِحْسَانُ إِ لَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.) وَقَوْلُهُ أَنْشَدَهُ ثَعْلَبٌ:

وَمَا خَيْرُ مَعْرُوفِ الْفَتَى فِي شَبَابِهِ ** إِذَا لَمْ يَزِدْهُ الشَّيْبُ حِينَ يَشِيبُ

1- لسان العرب، 242/8

قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: قَدْ يَكُونُ مِنَ الْمَعْرُوفِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْمُنْكَرِ وَمِنَ الْمَعْرُوفِ الَّذِي هُوَ الْجُودُ ..." [1]

وجاء في المعجم الوسيط : "... (عرف) فلَان على الْقَوْم عرافة دبر أَمرهم وَقَامَ بسياستهم؛ وَعرف الشَّيْء عرفانا وعرفانا وَمَعْرِفَة أدْركهُ بحاسة من حواسه، فَهُوَ عَارِف وعريف، وَهُوَ وَهِي عروف وَهُوَ عروفة (وَالتَّاء للْمُبَالَغَة)؛ وَيُقَال: لأعرفنّ لَك مَا صنعت لأجازينّك بِهِ ... و(الْمَعْرُوف) اسْم لكل فعل يعرف حسنه بِالْعقلِ أَو الشَّرْع، وَهُوَ خلاف الْمُنكر، و(الْمَعْرُوف) الصنيعة يُسْدِيها الْمَرْءُ إِلَى غَيره؛ و(الْعرف): الْمَعْرُوف وَهُوَ خلاف المنكر وَمَا تعارف عَلَيْهِ النَّاس فِي عاداتهم ومعاملاتهم، وَاسم من الِاعْتِرَاف ... و(الْمَعْرُوف) اسْم لكل فعل يعرف حسنه بِالْعقلِ أَو الشَّرْع وَهُوَ خلاف الْمُنكر والصنيعة يسديها الْمَرْء إِلَى غَيره.." [2]

لقد تبيّن لنا أنّ لفظ (المعروف) لفظ فصيح في معاجم اللغة العربية يتضمّن عدة معان أهمها : أنه ضدّ المنكر، وأنه بمعنى الجود، وأنه ما يُستحسَن من الأعمال، وأنه كل ما تعرفه النفس من الخير، وأنه كل ما يقدذم من أشياء مادية تنفع الناس في حياتهم، وأنه بمعنى النصفة وحُسْن الصحبة مع الأهل، وأنه حُسْن الصنيعة يُسْدِيها المرء إلى غيره، وأنه اسم لكل فعْل حَسَن يُعْرَف بالعقل والشّرْع ... وانه غير ذلك مما يتّصل بهذه المعاني المذكورة.

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : ما سمي المعروف معروفاً إلاّ لأنه معروف بين الناس، وهو من أبرز عادات أهل المنطقة، فلا يخلو منه مكان في مدينة أو قرية أو حي أو شارع، إذْ يقوم الناس بتقديم الصدقات وتحضير المأكولات وإخراجها إلى الشوارع والساحات ليتناولها كل الناس ممن يصادفها؛ وتكون هذه المأكولات في الغالب تقليدية متنوعة بين (الطُّعامْ؛ المسَمَّنْ أو الفْطِيرْ مع القهوة؛ المرْدودْ؛ الرْوِينَة؛ وغيرها مما هو تقليدي بلدي..) وقد أصبح المعروف اليوم يشمل أنواعاً أخرى من المأكولات العصرية كالحلويات بمختلف أشكالها .. ويتم إعداد المعروف تيمُّناً بحصول الخير فيما يُقْبِل عليه الناس في حياتهم وشؤونهم المتصلة بالصحة والعمل وقضاء الحوائج في مختلف المناسبات..

والمعروف قد يكون جماعياً على نطاق واسع يشترك فيه أهل الحي أو القرية أو المدينة، نظرا لشمولية الحدث؛ وقد يكون على نطاق أقلّ بحيث تقوم به بعض العائلات أو بعض الناس فقط، لارتباطه بما يعنيهم منه فيما يعرفونه من أحداث أو مناسبات أو مستجدات خاصة بهم..

1– المصدر نفسه، 243/8

2– المعجم الوسيط، 595/2

ويرتبط المعروف بالمناسبات الدينية كرأس السنة الهجرية ويوم عاشوراء والمولد النبوي الشريف، وغيرها؛ كما يرتبط بالأحداث الطارئة فإذا حصل أمْرٌ ما له أهمية في حياة الناس يهرعون إلى إعداد المعروف وإخراجه، مع الإكثار من الصلاة والدعاء وإخراج الصدقات حتى تكون عواقب هذا الحدث سليمة، وهذا ما يتطلعون إليه من الإكثار من المعروف، طمعاً في أن يتقبّله الله منهم فيصرف عنهم السوء وينزّل عليهم رحماته.. [1]

هذا، ومن المهمّ الإشارة إلى انّ المعروف عند أهل المنطقة يكون مرتبطا ببعض الناس من الذين يحرصون على بقائه متبادلاً في مختلف الأماكن، ويسهرون على ترسيخ هذه العادة المتوارثة عبر العصور من عادات الجداد والآباء وتقاليدهم في الحفاظ على هذه الظاهرة المتميزة التي تلمّ شمل الأُسَر والأقارب والجيران وأهل الحيّ والقرية ومختلف النواحي في المدينة.. ويكون عادةً بين أهل الحي أو المنطقة من كبار القوم ومن لهم مكانة بين الناس من يقوم بتنظيم هذه المناسبات ويحثّ عليها باستمرار، ولا يقتصر الأمر على شخص واحد، بل قد يشترك عدة أشخاص في هذه الصفة، ويكونون عادة من الأكبر سنّاً بين أهل الحي؛ وذلك لكونهم توارثوا هذه العادة ويقومون بمهمّة نقلها إلى الأجيال، ومن جهة أخرى لكونهم يحظون بالتقدير والاحترام بين أهل الحي أو المنطقة.. [2]

وممّا يميّز هذه الظاهرة المحبّبة لدى الناس أنهم يتجاوبون معها ويدعون إليها ويُقْبِلون عليها، مهما تفاوتتْ أعمارهم وتباينت مستوياتهم الثقافية والاجتماعية، فإذا هم يتحلّقون حول هذا المعروف يغرفون منه ويتناوبون فيما بينهم، حرصاً منهم على أن يتناول كل منهم نصيباً منه. [3]

– **هولالة : ابْهولالة:** عبارة شعبية متداولة في لهجة للمنطقة السهبية (تعني التهليل والتكبير) وهي من عادات وتقاليد المنطقة الاجتماعية، المعروفة في الحياة اليومية لأهل المنطقة. تكون في المناسبات الكبرى..

– **التأصيل اللساني:** جاء في معجم لسان العرب : " ... والهلل : نسج العنكبوت ، ويقال لنسج العنكبوت الهلل والهلل. وهلَّل الرجل أي قال لا إله إلا الله . وقد هيلل الرجل إذا قال لا إله إلاَّ الله وقد أخذنا في الهيللة إذا أخذنا في التهليل... "[4]

1- المعجم الوسيط، 595/2

2- مصادر شفهية، من مجالسات الشيوخ ومحاورتهم حول العادات والتقاليد الاجتماعية بالمنطقة..

3- يتنادى الناس ويدعو بعضهم بعضاً للالتحاق بالجمع الملتفّ حول المعروف لتناول شيء منه ولو كان يسيراً..

4- لسان العرب، باب الهاء ، (مادة هلل) ، ص 4691

وجاء في المعجم الوسيط : " هَّلل يهلل، تهليلا ، فهو مهلِّل، هلَّل الشخص: هتف، عبر عن فرحة بالصوت أو بالتصفيق "هلل لفريق الكرة الذي يحبه "، هلَّل المسلم : قال : لا إله إلا الله. "[1] وفي معجم اللغة العربية المعاصرة : " (هلَّل) الرجل :قال : لا إله إلا الله.. "[2]

إنّ عبارة (ابهولالة) لها أصل في اللغة العربية الفصيحة من طريق اشتقاقها من لفظ التهليل والتكبير. وهذا المعنى هو المستعمل في اللهجة الشعبية في الحياة اليومية لسكان المنطقة في معاملاتهم الاجتماعية ضمن ما يتداولونه في بعض المناسبات.

– الاستعمال اليومي في المجتمع : لفظة شعبية متداولة في اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية، وهي لفظة متداولة في مجال حقل الدين والثقافة والتعلم، وتعني (التهليل) أي قول (لا إله إلا الله) وتعني كذلك التكبير وقراءة القرآن الكريم. وهي من عادات المنطقة وتقاليدها في المناسبات والأعياد الدينية، وتكون في الجنائز أيضاً، إذْ يقوم بعضهم بالتهليل وتكرار لفظ الشهادتين حين حمل الجنازة إلى المقبرة، وقد قال الشاعر الشعبي: [3]

الـميـت كان يقـيض ناسـوا أنْ تـهـبـل ** وهـم بـالـبـردة يـرفـدوه بـهـولالة

نلاحظ ذكر لفظة (بهولالة) وهي تعني قول (لا إله إلا الله والله أكبر وتكرار الشهادتيْن) وهي من عادات وتقاليد المنطقة تمّ توارثُها عبْر الأجيال وتداولها في مناسبات الفرح أو الحزن..

وممّا توحي به هذه الظاهرة لدى أهل المنطقة أنهم يُبْدُون تمسّكهم بتعاليم دينهم الإسلام بطريقتهم التي ورثوها وتعوّدوا عليها، بما لها وما عليها، ويعبّرون عن قوة إيمانهم بكتاب ربهم ونهج نبيهم ﷺ على سَمْتِ أسلافهم، فهم يسيرون على نهجهم فيما يرددونه من أقوال، كما يطبقون ما توارثوه من عاداتهم وتقاليدهم في سائر شؤون حياتهم..

---

[1] – المعجم الوسيط ، باب الهاء ، ص 2360

[2] – معجم اللغة العربية المعاصرة ، حرف الهاء ، ص 992

[3] – مخلوف صادقي، أشهر التآليف في الكلام اللطيف من شعر المخاليف ، قصيدة (بكري كانت ناس) ص95 (يقيض= يغيض / أنْ هبل= حتّى تصاب بالخبل، وهو كناية عن شدة التأثُّر لفراق الميت / بالبردة يرفدوه= يحملونه عل النعش وهو ينشدون بردة البوصيري في مدح الرسول ﷺ..)

المبحث الثالث

حقل الصفات والأحوال المختلفة

المبحث الثالث : حقل الصفات والأحوال المختلفة

توطئة :

إنّ معظم الصفات والأحوال المختلفة التي يمكن الحديث عنها ههنا تتصل بحياة الناس وعلاقاتهم اليومية وتعاملاتهم في مختلف المجالات، كما أنه من الجدير بنا أن ندرك أنّ سياقات التخاطب تختلف باختلاف الموضوعات التي يدور حولها الحوار وطبيعة الشخاص ومستوى ثقافتهم ودرايتهم بموضوع الحوار، فضلاً عن السياقات الأخرى المقالية منها والحالية.. وعلى الرغم من اشتراك اللهجات الجزائرية في عدة مواصفات، وأن حظ اتصالها باللغة الفصيحة كبير، فإنّ لكل لهجة مميزاتها وخصائصها التي تتجلى في الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية التي تنفرد بها، بحيث يتم تمييز أهلها من غيرهم وفقا لهذا التميّز وتلك الخصائص.. ذلك أنّ كل لهجة تمثل نمطاً تواصلياً معيّناً من خلال " الطريقة التي يتكلم بها الناس للغة والتي كثيرا ما تدل على انتماء جغرافي أو اجتماعي أو ثقافي وبذلك تكون اللهجة جغرافية واجتماعية، ولكل لغة عدة لهجات ولكل منها خاصة تميزها عن سواها، سواء من الناحية الصوتية أو المفرداتية أو النحوية أو الصرفية، وقد تتفرع اللهجة لتصبح لغة مستقلة مع مرور الزمن. "[1]

وهذه هي الحال في لهجة منطقة غرب شمال الصحراء، إذ نجد هذا التميّز واضحاً في مختلف التلفظات التي يتبادلها الناس فيما بينهم في شتى موضوعات التخاطب، بما لها من آثار في الحياة الاجتماعية.. وقد انتقينا ههنا بعض النماذج في باب الصفات والأحوال المختلفة، وارتأينا تصنيفها إلى حقْليْن أساسييْن هما: حقل الصفات والأحوال الحسيّة، وحقل الصفات والأحوال المعنوية تحقيقاً للانسجام بينه وبين المبحثين السابقين اللّذيْن قسمناهما إلى حقليْن بارزيْن، هما:

- حقل الاشياء المادية المحسوسة
- حقل الأشياء المعنوية المجردة
- وبهذا نحافظ على ترابط هذه المباحث وانتظامها وتسلسلها، قصد تيسير الاطلاع للدارسين وبلوغ الغاية المنشودة من هذه النماذج ..

[1] _ محمّد سليمان، فقه الغة وعلم العربية ، طبعة دار المعرفة، ص 273

أولاً : حقل الصفات والأحوال الحسّيّة :

– دقل / يدْقَلْ / مدقول : (بالقاف المثلثة) :

مدقول اسم مفعول من (دغل) بإبدال الغين قافا مثلثة؛ وهو وصف للشيء المغشوش الذي خالطه ما ليس منه، كما نجد في التجارة وتبادل المنافع بين الناس..

– التأصيل اللساني:

دغل، من الدغَل؛ والدغل في كل شيء هو الغش والفساد والتداخل وعدم الوضوح ، جاء في لسان العرب[1] : " الدَّغَل، بالتحريك: الفساد مثل الدَّخَل . والدَّغَل : دَخَلٌ في الأَمر مُفْسِدٌ؛ ومنه قول الحسن: اتَّخَذوا كتاب الله دَغَلاً أَي أَدغلوا في التفسير. وأَدْغَلَ في الأَمر: أَدخل فيه ما يُفْسِده ويخالفه. ورجل مُدْغِل: مُخابٌّ مُفْسد.والدَّغَل :الشجر الكثير الملتفُّ، وقيل: هو اشتباك النبت وكثرته؛ قال ابن سيده: وأَعرف ذلك في الحَمْض إذا خالطه الغِرْيَل، وقيل :الدَّغَل كل موضع يخاف فيه الاغتيال، والجمع أَدغال ودِغال؛ قال الشاعر:

سايَرْتُه ساعةً ما بي مَخافَتُه ** إلا التَّلَفُّت حَوْلي، هل أَرى دَغَلا .

وقد أَدْغَلَتِ الأَرضُ إِدْغالاً. ابن شميل: أَدْغالُ الأَرض رِقَّتُها وبُطُونها والوَطاء منها. وسِتْرُ الشجر دَغَلٌ، والقُفُّ المرتفع والأَكمة دَغَلٌ، والوادي دَغَلٌ، والغائط الوَطيء دَغَلٌ، والجبال أَدغال؛ قال الراجز:

عن عَتَبِ الأَرض وعن أَدغالها

وجاء في الحديث الشريف: " اتَّخذوا دين الله دَغَلاً أَي يَخْدَعون الناسَ." وأَصل الدَّغَل الشجر الملتف الذي يَكْمُن أَهلُ الفساد فيه، وقيل: هو من قولهم أَدْغَلْتُ في هذا الأَمر إذا أَدخلت فيه ما يخالفه ويفسده؛ ومنه ما ذكره بعضهم من حديث علي ﷺ: ليس المؤمن بالمِدْغِل؛ فهذا اسم فاعل من أَدْغَل. ومكان دَغِلٌ ومُدْغِل: ذو دَغَلٍ. وأَدْغَل: غاب في الدَّغَل .والمِداغِلُ: بطون الأَودية إذا كَثُر شجرُها. وأَدغل بالرجل: خانه واغتاله. وأَدْغَل به: وَشى، وهو من الأَول.

والدَّاغلة: القومُ يلتمسون عَيْبَ الرجل وخيانته، ابن شميل: الداغل الذي يَبْغي أَصْحابَه الشرَّ يُدْغِل لهم الشَّرَّ أَي يَبْغيهم الشَّرَّ ويحسبونه يريد لهم الخير. والداغلة: الحِقْدُ المِكْتَتَم . ودَغَل في الشيء: دَخَل فيه دُخول المرِيب كما يدخل الصائد في القُتْرة ونحوها ليَحْتِل الصَّيْد؛ يقال ذلك للرجل إذا دَخَل مَدْخَل مُرِيب. أَبو عمرو :الدَّغَل ما استرت به؛ قال الكميت:

[1]- ينظر : لسان العرب : مادة (د غ ل) . .

لا عَيْنُ نارك عن سارٍ مُغَمَّضَةٌ ** ولا مَحَلَّتُك الطَّأْطاء والدَّغَل

ومكان داغِلٌ ودَغِلٌ ومُدْغِلٌ: خَفِيٌّ؛ قال رؤبة:

أَوْطَنَ في الشجْراء بَيْتاً داغِلا

والدَّواغل: الدَّواهي لا واحد لها؛ وأَنشد ابن بري لعَتِيك بن قيس: ويَنْقاد ذو البأْس الأَبِيُّ لحُكْمِه، فيَرْتَدُّ قَسْراً، وهو جَمُّ الدواغل وقال يزيد بن الحكم: ولا ذا دَغاوِل مَلَذاناً، والدَّغاول: الغَوائل؛ قال أَبو صَخْر:

إِن اللئيم، ولو تَخَلَّق، عائد ** لِمَلاذَة من غِشِّه ودَغاول.

– الاستعمال اليومي في المجتمع:

مادة (دغل) ترجع في أصلها إلى كل ما هو فاسد أو مغشوش أو فيه مخادعة أو ما كان في هذا المعنى. وهي بنفس المعنى المراد في الثقافة الشعبية بلهجة المنطقة .[1] فأصل دلالة مادة (دغل) يرجع، مهما تم تقليبه، إلى الغش والغموض في الشيء وعدم الوضوح والصفاء ، وهذه الدلالة مشتركة بين التراث اللغوي الفصيح والتراث الشعبي . فهي في العربية الفصيحة كما بيّنّا، وهي في لهجة المنطقة تعني نفس المعنى ، إذْ تراهم يقولون في مجال التجارة : (سلعة مدغولة : فيما هو حسي؛ ويقولون في مجال المعاملات : حديث مدغول) وكل ذلك بمعنى (مغشوش لا يصدق فيه صاحبه) أي : مشوب بالخداع والزيف وما شابه ذلك.

– الدُّواسْ / مَدّوْسِينْ: كلمة (الدُّواسْ/ الدّوْسَة) تعني: الخصومة أو النزاع، وهي من الكلمات المتعلقة بما يقع بين الناس من خلافات في مجالات الحياة المتعددة، ممّا يؤدّي بهم إلى أنْ (يَدَّوْسُو) أي: يؤدّي بهم إلى الخصام والنزاع حول أي شيء مهما كانت أهميته أو قيمته..

– التأصيل اللساني: هذه الكلمة ذات اصل فصيح في اشتقاقها، فهي مأخوذة من (الدَّوْسِ) على الشيء، على سبيل الحقيقة أو المجاز.. جاء في اللسان: " (داس) الشَّيْء بِرجلِهِ دوسا ودياسا ودياسة وَطئه شَدِيدا بقدمه؛ وداس وَالزَّرْع أَو الحصيد أَو الْحبّ درسه؛ وَيُقَال: داس الحصيد ليخرج الْحبّ مِنْهُ؛ وَداس السيف وَنَحْوه: صقله؛ وداس الحديقة: سواهَا ورتبها؛ وَداس فُلَانًا: أذله وخدعه واحتال عَلَيْهِ، فَهُوَ دائس وَهِي دائسة... و(الديس): الشجاع الشَّديد الَّذِي يدوس كل من نازله..."[2]

---

[1]- ويسمّى التمر الجيد عندهم (دَقْلَة : بالقاف المثلثة) والعلاقة بينه وبين الدغل، أنّه شاع أنّ الغش في التجارة قديماً كان يحدُث في التبادلات التي تشمل التمر في المقام الأول، إلى جانب بعض الحبوب والمواد الأخرى، لأن التمر كان يمثل الذخيرة والمؤونة الأساسية للسكان، خصوصاً في أوقات الضيق والشدة.. وهو ما كان حاصلاً لدى العرب قديما ..

2- لسان العرب، 303/1

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : إنّ مضمون (الدَّوْس) يدلّ على استصغار هذا الشيء والحطّ من شأنه وقيمته عند من يدوس عليه.. ومن هذا المعنى تأتي فصاحتها، فالذين (يَدَّوْسُو) من الناس إنما يفعلون ذلك لأن أحدهم يقلّل من شأن الآخر ويزدريه أو لا يحترم رأيه، فكأنما هو يدوس عليه، وهو ما يُسبّب امتعاضه وغضبه وانزعاجه فيقع الخلاف والخصام (الدَّوْسَة) بينهما..

و(الدْوَاسْ أو الدّوْسَة) تقع بين الناس في الحياة اليومية بسبب الاختلافات الحاصلة بينهم في مختلف حواراتهم وتعاملاتهم الاجتماعية والاقتصادية؛ فمن ذلك مثلاً ما نجده لدى التّجّار الذين يبيعون بضاعة واحدة وتكون محلاّتهم متجاورة، إذ يرى كل واحد أنّ الآخر يؤثّر على سيْر تجارته ويعطّل ربْحه؛ لكنّ هذه الظاهرة ليست مطّردة في كل الأحوال، فهناك من التلاؤم والانسجام ما يدلّ على رقيّ الأخلاق لدى بعض التّجّار الذين هم على مستوى عال من الثقافة والأخلاق والقناعة، مع الدراية بشؤون التجارة، وما أكثرهم.

وقد يكون (الدْوَاسْ أو الدّوْسَة) في مجال العلاقات الأُسَرِية جرّاء خلاف بين الأزواج أو خلاف الأبناء مع الأولياء، أو خلاف الأقارب، وعادة ما تكون أسباب هذه (الدّوْسَة) ناتجة من خلافهم حول تقسيم الميراث وتوزيع الثروة وتسيير شؤون الأُسْرة، ممّا يؤدّي إلى أن يهجر الناس بعضهم بعضاً لفترات طويلة قد تمتدّ عدة شهور أو سنوات بلا اتصال..

كما قد يكون المراد بـ (الدْوَاسْ أو الدّوْسَة) هو الصُّراخ الذي يحْدُث بين الناس عند الخصام واشتداد النزاع، فقد يكون على مستوى الأُسَر في البيوت، وقد يكون بين الناس في الشوارع والساحات، كما يحصل بين الجيران وأهل الحيّ أو بين التجار أو بينهم وبين وزبائنهم في الأسواق خصوصاً.. وقد يكون ذلك في مجالات ومواقع أخرى في مختلف المواطن التي يكْثُر فيها تجمّع الناس وتتكرر فيها أوقات الاحتكاك، خصوصاً إذا كان مجالات حساسة في مراكز المسؤولية وتطبيق التعليمات، كما يحصل في المكاتب والمؤسسات الإدارية وغيرها..[1]

– **رايحْ / قادي ؛ راحْ قْدَا ؛ يروحْ / يُقْدَا ؛ المروح / المقدا** :

المروح : تستعمل هذه الكلمة في اللهجة الشعبية بمعنى الذهاب، ويقولون أيضا : (المقْدا) بنطق الغين قافا، ومعناها (الغُدوّ) أي الذهاب في الصباح الباكر في معناها الأصلي لكنها تستعمل في لهجة المنطقة بالمعنى الموسع للدلالة على الذهاب في أي وقت..

[1]- مصادر شفهية، من مجالسات أهل المنطقة ومعايشتهم (وهناك تسميات أخرى يستعملها الناس بعضها عصري دخيل)

– **التأصيل اللساني**: راحْ بمعنى قْدا ؛ وهما بمعنى الذهاب.. وأصل القاف غيْن في قولهم: (قْدا)، فأهل المنطقة ينطقونها كذلك بالقاف، وهذه الظاهرة كثيرة تشتهر بها المنطقة وما جاورها.. جاء في المعجم الوسيط : " راح رواحا سَار فِي الْعشي وَيسْتَعْمل الرواح للمسير فِي أَي وَقت كَانَ من ليل أَو نَهَار وَكَذَلِكَ الغدو وَيُقَال رَاح الْقَوْم وَرَاح إِلَيْهِم وَعِنْدهم روحا ورواحا ذهب إِلَيْهِم وَالْإِبِل وَغَيرهَا روحا أوت بعد الْغُرُوب إِلَى مراحها.." [1]

وأمّا في اللهجة الشعبية بالمنطقة فنجد كلمة (راح): تدل على الذهاب كما ذكرْنا، ويقابلها (المجِي) التي تنطَق بالتخفيف، بمعنى: المجيء، اي العودة أو الرجوع .. وهي على عكس استعمالها في اللغة الفصيحة، غذ يدلّ الفعل راح على الرجوع والعودة لا على الذهاب.. ومنه الحديث النبوي الشريف : عن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً." [2]

ومعنى الحديث : أن الطيْر تخرج في أول النهار، خماصاً أي: أنها ضامرة البطون، ليس في بطونها شيء، تخرج في حال من الجوع، ثم تروح يعني: ترجع في آخر النهار إلى أوكارها، تروح بطاناً أي: ممتلئة البطون.. فقوله : تغدو بمعنى : تذهب ؛ وقوله : تروح بمعنى : ترجع وتعود.. وهنا نلاحظ أن الغدوّ والرواح في اللهجة الشعبية بمعنى واحد، على حين نجدهما في اللغة الفصيحة متضاديْن..

– **المَرْوَحْ / أرواح / رُوح** : من الجدير بالملاحظة أننا نجد كلمة أرواح، وهي فعل أمر من الرواح، نجدها متطابقة مع دلالة الكلمة على الرجوع والعودة ، وذلك عند استعمالها في الأمْر، كأن يقول أحدهم للآخر : (أرواح نقولك) أي: تعال كي أخبرك... فأرواح هنا بمعنى تعال ؛ بينما نجد كلمة (روح) غير متطابقة مع دلالتها على الغدُوّ في اللغة الفصيحة، لأنّ فعل الأمر: رُوحْ، معناه اذهبْ؛ ومن ذلك مثلاً قول بعضهم للآخر: (روح وأرواح ؛ أو : أرواح وروح) وهي كلها أفعال أمر ، بمعنى (اذهبْ وتعال ، أو : تعال ثم اذهبْ .)

[1]- رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

[2]- المعجم الوسيط، 380/1

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : تستعمل هذه الكلمة في مجال التوجيه والإرشاد، وفي مجال إسداء الأوامر والتكليف بالمهام المختلفة، وتكون هذه الأوامر والتكاليف عادة من أعلى إلى أدنى، أيك ممن لهم فضل أو سلطة أو نوع من التفضل إلى من هم دونهم، كأن يكون ذلك مثلاً من الأبوين إلى الأبناء، أو من المسؤولين إلى من هم دونهم من الموظفين ؛ أو ما كان مندرجاً في هذا السياق.. ولكنها لا تأتي بالضرورة من الأعلى إلى الأدنى، فقد تأتي في أحوال أخرى بين المتساوين من باب الالتماس أو الطلب أو النصيحة..

– **طُرْفتْ / مطروفة** : هي صفة خاصة بالحيوان؛ وهي اسم مفعول من (ط ر ف) والطرف دليل على وجود الشيء جانباً، على غير المعتاد بعيدا عن المجموع، منفردا ومنعزلاً.. وهذا ما تحمله هذه الكلمة في استعمالاتها الشعبية في البيئة البدوية حيث تربية الأغنام وما يحلّ بالمواشي من أدواء وأمراض..

– **التأصيل اللساني**: المراد بهذه الكلمة أكثر من معنى ، منها نوع من الحركة غير المعتادة ، وهو مأخوذ في اللغة الفصيحة من الطرف (أي : العين).

أما في اللهجة الشعبية بمنطقة الأغواط فتعني كون الشاة أو ما شابهها من الماشية على غير المعتاد ، أي أن تكون في حالة غير طبيعية جراء ما أصابها من مرض أو داء يخص الماشية. فهم يقولون في البادية (شاة مطروفة) ويريدون بها الشاة المريضة التي تنعزل عن الماشية وتختلف عنها في حركاتها وفي سائر صفاتها ، فمآلها الهلاك إن لم يبادروا بمعالجتها ..

جاء في معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس قوله : " طرف: الطاء والراء والفاء أصلان: فالأوَّل يدلُّ على حدِّ الشيء وحَرفِهِ، والثاني يدلُّ على حركةٍ في بعض الأعضاء. فالأوَّل طَرَفُ الشيء والثوب والحائط. ويقال ناقةٌ طَرِفَة: ترعى أطرافَ المرعَى ولا تختلطُ بالنُّوق. وقولهم: عينٌ مطروفة، من هذا؛ وذلك أن يصيبَها طَرَف شيءٍ ثوبٍ أو غيره فتَغْرَوْرِقَ دمعاً. ويُستعار ذلك حتى يقال: طَرَفَها الحُزْن."[1]

ونسب الزمخشري وغيره عن هذه الصفة إلى المرأة والناقة ، جاء في أساس البلاغة : " تفرقوا في الأطراف: في النواحي. وتطرفه نحو تحيفه إذا أخذ من أطرافه. وطرف عن العسكر إذا قاتل عن أطرافه. ولبس مطرفاً ومطارف. وطرف إيه طرفاً وهو تحريك الجفون. وما يفارقني طرفة عين. وشخص بصره فما يطرف، عين طارفة، وعيون طوارف. قال ذي الرمة:

[1]- أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة (مادة : ط ر ف) . ص407.

تنفي الطوارف عنه دعصتا بقر ** ويافع من فرندادين ملموم. " [1]

وأورد البغدادي في خزانة الأدب أبياتا لطرفة بن العبد في هذا الشأن ، منها قوله :

إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا ** على رسلها مطروفةً لم تشدّد[2]

إذا رجّعت في صوتها خلت صوتها ** تجاوب أظآرٍ على ربعٍ ردي[3]

" ... وغض طرفه. وطرفت عينه: أصبتها بثوب أو غيره، وطرفت عينه فهي مطروفة .ومال طريف وطرف ومطرف ومستطرف. واطرفت شيئا واستطرفته: أخذته طريفاً ولم يكن لي. وهذا من طرائف مالي. وهذه طرفة من الطرف: للمستحدث المعجب. وقد طرف طرافة. وأطرفته كذا: أتحفته به. وناقة طرفة: تستطرف المراعي ولا تثبت على مرعًى واحد. وامرأة طرفة: لا تثبت على زوج تستطرف الرجال. وإنه لذو ملة طرف إذا لم يثبت على إخاء واحد. وبني عليها طرافاً: بيتاً من أدم. قال ذو الرمة:

رفعت مجد تميم يا هلال لها ** رفع الطراف على العلياء بالعمد .

وروي: "مطروقة " بالقاف، ومعناه مسترخية ليّنة. وهو حال من فاعل انبرت. ولم تشدّد، أصله تتشدّد بتاءين، أي: لم تجتهد وإنّما غنّت ما سهل عليها.

والطريف والطارف: ما اكتسبه الإنسان من المال. و"المتلد"، بصيغة اسم المفعول، وكذا التالد والتليد: المال القديم الذي ورثه عن آبائه. ومعناه المتولّد والتاء بدل الواو.[4]

– الاستعمال اليومي في المجتمع : مادة (ط ر ف) في الأدب الفصيح تستعمل للطرف وتخص الإنسان وتختص بالمرأة تحديدا ، وقلّما نجد من ينسبها إلى الحيوان ، أمّا في في الأدب الشعبي بالمنطقة المدروسة فهي تستعمل بصيغة اسم المفعول المؤنث ، كما في الفصيح تماماً (مطروفة) غير أنها تختص بالماشية وتطلق على الشاة المريضة التي خرجت عن حركة القطيع ووُجْهتِه وتخلفتْ بسبب عجز أو داء أصابها يستدعي علاجها،

---

[1]- محمود جار الله الزمخشري : أساس البلاغة . ص286

[2]- قوله: " إذا نحن قلنا أسمعينا.." أي: غنّينا. و"انبرت"، اعترضت وأخذت فيما طلبنا من غنائها. و"رسلها"، بالكسر بمعنى هينتها ورفقها ومهلها. و"مطروفة"، بالفاء: الفاترة الطّرف، أي: كأن عينها طرفت فهي ساكنة. وقيل إنّ معناه تحدّ النظر بطرفها. وهذا ليس بشيءٍ.

[3]- قوله: "إذا رجّعت في صوتها"، "التّرجيع": ترديد الصوت. و"الأظآر": جمع ظئر وهي التي لها ولد. و"ربع"، بضمّ الراء وفتح الموحّدة: ولد الناقة. وردي فعل ماض من الرّدى وهو الهلاك. يقول: إذا طرّبت في صوتها وردّدت نغماتها حسبت صوتها أصوات نوقٍ تحنّ لهلاك ولدها. شبّه صوتها بصوتهنّ في التحزين.

[4]- عبد القادر البغدادي : خزانة الأدب . ص557 – 558

وإلّا كان مصيرها الهلاك.. وهذا ما تختلف فيه الثقافة الشعبية عن التراث الفصيح فيما يتعلق بهذه المادة.. وهذا النوع من الغنم التي تصاب بالمرض يُسارع أصحابها أثناء رعْيها أو سكونها بذبحها للانتفاع بلحمها، وذلك قبل أن تفارق الحياة، حتى يكون لحمها حلالاً؛ إلاّ إن كان مرضها خطيرا إلى حدّ أنّه لا يمكن تناول لحمها لما قد يسببه من تبعات..

– **قهم ، مقهوم** (بالقاف المثلثة): اسم مفعول من الفعل الثلاثي : قهم؛ من القَهَم أو القَمَه. وهي صفة متعلقة بالأكل دالة على نوع من التُّخمة، التي يشعر بها من أكل كثيراً أو تناول شيئا ثقيلاً لا يقدر على تحمُّله..

– **التأصيل اللساني**: هذه المادة فصيحة متداولة في معاجم اللغة العربية[1] بصيغتيْن (قهم ، قمه) وتدل تماما على ما تدل عليه في التراث الشعبي من المعنى. جاء في لسان العرب : " القَهِمُ :القليل الأَكل من مرض أَو غيره. وقد أَقْهَمَ عن الطعام وأَقْهى أي أَمْسَكَ وصار لا يشتهيه، وقَهِيَ لبعض بني أَسد. وحكى ابن الأَعرابي: أَقْهَمَ عن الشراب والماء تركه. ويقال للقليل الطُّعْم: قد أَقْهَى وأَقْهَمَ. وقال أَبو زيد في نوادره: المُقْهِمُ الذي لا يَطْعَمُ من مرض أَو غيره، وقيل: الذي لا يشتهي الطعام من مرض أَو غيره. وروى ثعلب عن ابن الأَعرابي: أَقْهَمَ فلان إلى الطعام إِقْهاماً إذا اشتهاه، وأَقْهَمَ عن الطعام إذا لم يَشتَهه؛ وأَنشد في الشهوة وهْو إلى الزّادِ شَدِيدُ الإِقْهامُ وأَقْهَمتِ الإبل عن الماء إذا لم تُرده.. قال الأَزهري: من جعل الإِقْهام شهوة ذهب به إلى الهَقِمِ، وهو الجائع، ثم قلبه فقال قَهِم، ثم بَنى الإِقْهام منه. وقال أَبو حنيفة: أَقْهَمَت الحُمُر عن اليبيس إذا تركته بعد فِقدان الرَّطْب، وأَقهَمَ الرجلُ عنك إذا كَرِهَك، وأقهَمَت السماءُ إذا انقَشَعَ الغَيمُ عنها.. القَمَهُ: قِلَّةُ الشهوةِ للطعام كالقَهَمِ، وقد قَمِهَ وقَمَهَ البعيرُ يَقْمَه قُمُوهاً: رفع رأْسَه ولم يَشْرَب الماء، لغة في قَمَح .وقَمهَ الشيءُ، فهو قامِهٌ: انْغَمَس حيناً وارتفع أُخرى؛ قال رؤبة:

يَعْدِلُ أَنْضادَ القِفافِ القُمَّهِ...

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : تستعمل هذه المادة في التراث الشعبي بالثاء المثلثة ، وتأتي بصيغة الفعل (قهم ، يقهم) كما تأتي بصيغة اسم المفعول (مقهوم) وهو الأكثر ، ويراد بها عدم الرغبة في الأكل بسبب ضيق يشعر به المرء في معدته أو ثقل ينتابه لما يكون قد تناوله من كثرة الطعام، أو من طعام غير ناضج أو ليس له رغبة فيه ، فكل ذلك يؤثر عليه فلا يقدر على تناول الطعام بعده ولو كان هذا الطعام الأخير شهيا، لأنّ هذه الصفة تؤثر على صاحبها. وتحول بينه وبين الطعام، بل إنّ حتى مزاجه قد يتغير بسببها.

[1]- ينظر : لسان العرب : مادة (ق ه م)

– **قوى ، يقْوَى ، قاوي** : صفة لمن يشعر بالبرد . (ومنها الفعل الرباعي على وزن (أفْعلَ). وهي كلمة شعبية بلهجة المنطقة، تُسْتَعْمَل في البادية على الخصوص، لأنها من الألفاظ التي أخذت تنقرض لقلة استعمالها في المناطق الحضرية لجهل الكثير لدلالتها..

– **التأصيل اللساني**: هذه كلمة فصيحة في الأصل، تشتق هذه المادة من الفعل: أَقْوَى ، إقْواءً، بمعنى خلا، ويُطْلَق على الصحراء والأماكن الجرداء. ونستحضر ههنا قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ، أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ المنشِئُونَ ، نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ [الواقعة/71-73]

فالمقصودُ بـ(المقْوينَ) –علَى قولِ أكثرِ المفسِّرينَ–: المسافِرونَ؛ مِنْ (أَقْوَى) إذا نَزَلَ بالقواءِ؛ أي: الأرض الخالية؛ كـ(أَصْحَرَ) إذا دَخَل الصَّحْرَاء. والنَّارُ يحتاجُ إليها المسافِرُ والمقيمُ؛ ولكنْ: خُصَّ المسافرونَ بالذِّكْرِ؛ لأنَّهم إليها أحوج.

وجاءَ في تفسير البغوي أنّ المعنى المراد من هذه الآية : " ينتفِعُ بها أهلُ البوادي والأسفار؛ فإنَّ منفعتهم بها أكثر من منفعةِ المقيمِ؛ وذلك أنَّهم يوقِدونها ليلًا؛ لتهربَ منهم السِّباع، ويهتدي بها الضُّلَّال، وغير ذلك مِنَ المنافِعِ." ([1]) وهذا ما ذَكَرَه كثير من المفسِّرينَ. أمّا الإمامَ ابنَ قيِّمِ الجوزيَّةِ فيذكُرُ سببًا آخَرَ ، إذْ يقولُ: " ... وخصَّ (المقوينَ) بالذِّكْرِ – وإن كانَتْ منفعتُها عامَّةً للمُسافرينَ والمقيمينَ– تنبيهًا لعبادِهِ – واللهُ أعلمُ بمُرادِه من كلامِه– علَى أنَّهم كلَّهم مسافِرون، وأنَّهم في هذه الدَّارِ علَى جناحِ سفرٍ، ليسوا مقيمينَ ولا مستوطنين، وأنَّهم عابرو سبيلٍ، وأبناءُ سفرٍ." [2]

- **الاستعمال اليومي في المجتمع**: تستعمل هذه الكلمة في التراث الشعبي للدلالة على البرْد، وهو ما يستدعي استعمال الغطاء، أو الخملة التي سبق الحديث عنها (أي : القطيفة) التي هي نوع من الغطاء.

وفي الثقافة الشعبية يقول قائلهم : " إنّي قاوي " تعبيرا عن شكاته من البرد . ويستعملون مصطلح " القَيّ " مصدرا من الفعل " يَقْوَى ". ولو تمعّنّا في هذه الكلمة لوجدنا شبيها لها في الاستعمال الفصيح ، ومنه قول الشاعر النابغة الذبياني :

يا دار ميّة بالعلياء فالسّند ** أقوتْ وطال عليها سالف الأمد

فقوله " أقوتْ " يريد به : خلتْ ولم يبق فيها شيء ، غذ إنّ قوله هذا مما يدخل في شعر الوقوف على الأطلال الذي هو من عادة الشعراء الجاهليين في مطالع قصائدهم..

[1]– الإمام البغوي : تفسير " معالم التّنزيل "؛ طبعة دار ابن حزم ، ص1272

[2]– ابن قيم الجوزية : طريق الهجرتين وباب السعادتيْن؛ طبعة دار عالم الفوائد ، ص299.

ولعل التساؤل الجدير بالطرح ههنا هو : ما العلاقة بين قولهم (قاوي) من البرد في لهجة المنطقة ولا سيما بالمناطق البدوية، وبين الاستعمال الفصيح (أقوى) لوصف المكان بمعنى (خلا).؟

والجواب : هو أنّ المكان الخالي في الصحراء الجرداء هو مكان لقوة البرد وشدة تأثيره . وعلى هذا فساكن البادية عندما يقول (أنا قاوي) فإنما يشكو من البرد لوجوده في خيمة بسيطة متواضعة في الصحراء، فهذه الخيمة لا يتوفر بها من وسائل التدفئة ما يقيه البرد .. ولذلك فإنه يكون بحاجة إلى استعمال النار للتدفئة ، فضلا عن حاجته إليها لأمور أخرى.. وفي الاتصال بين المعنيين نورد ما قاله الشاعر الحسن بن هانئ في هذا المعنى الذي لخّصه وأوضحه، وشنَّفه وقرّطه، حيث يقول :[1]

لمن دمن تزداد طيب نسيم ** على طول ما **أقوتْ** وحُسْن رسوم

تجافَ البِلَى عنهنّ حتى كأنما ** لَبسْنَ على الإقواء ثوبَ نَعيم

– **كَسْوة / مكسي** : كلمة شعبية متداولة في اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية وهي ذات اصل فصيح في المعاجم اللغوية، وتدل على ارتداء اللباس وتبادل الثياب بين أهل المنطقة في الحياة اليومية وفي عاداتهم و تقاليدهم الخاصة بالمنطقة في حقل اللباس وما يتعلق به.

– **التأصيل اللساني**: لفظة شعبية معروفة ومتداولة في اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية ،متداولة في الحياة اليومية والاجتماعية لأهل المنطقة ، وفي العادات و تقاليد المعروفة في المنطقة، وعند تأصيل اللفظة إلى اللغة العربية الفصيحة (كسى)،(مكسي) ، نجد أنّ الأصل هو الواو في اللغة العربية الفصيحة ، إذ يقال : (كسا يكسو كسوة) في حين نجد هذه الواو تقلب إلى ياء في لهجة المنطقة، فيقال: (كسى يكسيمكسي) وهي هنا تختلف عن اللغة الفصيحة: (كسا يكسو مكسُوّ .)

وفي باب تأصيل هذه الكلمة نُورِد ما جاء في المعاجم العربية بدءاً من معجم العين، إذْ وردَ فيه :" كسا: الكِسْوة والكُسوة: اللباس، واحدة الكُسا؛ قال الليث: ولها معان مختلفة. يقال : كَسَوت فلان أكْسُوه كِسْوة إذا ألبسته ثوبا وثيابا فاكْتَسَى. واكتسى فلان إذا لبس الكسوة "[2]

وفي المعجم الوسيط : "كسا فلان ثوبه، كسوا أعطاه إياه . ألبسه إياه ،(كَسِي) كسا لبس كسوة ، فهو كاس (اكتسى) لبس كسوة ، والأرض بالنبات : تغطت به ، (تكسى) بالكساء : لبسه، (استكساه) : طلب منه كسوة ، (الكساء) : اللباس، (ج) أكسية، (الكسوة): الثوب يستتر به و يتحلَّى (ج) كسا."[1]

[1]– ابن عبد ربه : العقد الفريد : ص829 .

[2]– لسان العرب ، باب الكاف ، مادة (كسا) ، ص 3879

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة : "كسا يكسو ، اكْسُ ، كسوا، فهو كاس، والمفعول مكسو . كساه ثوبا : ألبسه أو أعطاه إياه ، وهو من الأفعال التي تنصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ و خبر، "كأن نقول مثلاً: (كسوتُ الفقير ثوباً) وفي الاستعمال قد تتنوع دلالات صيغ الفعل ومشتقاته، ومن ذلك مثلاً قول الحطيئة في الهجاء: [2]

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها ** واقعدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

فالبيت يحتمل المدح والذّم في ظاهره، أمّا وجه المدح والثناء فهو أن يكون مراده بـ (الطاعم الكاسي) الذي يُطْعِمُ الناسَ ويكسوهم، وهذا من خصال الحمد التي تستحق المدح ؛ وأمّا وجه الذّم والهجاء فهو أن يكون مراده بـ(الطاعم الكاسي) هو اسم المفعول لا اسم الفاعل تأويلاً للطاعم بالمُطعَم، وللكاسي بالمَكْسُوّ، كناية عن عجز المهجُوّ بمعنى أنه لا قدرة له حتى على أن يُطْعِم أو يكْسُو نفسه.

وورد هذا اللفظ كثيراً في التنزيل، ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء/5] كسا حديثه مُلَحًا : جعله مليحا مقبولا، كساه شعرا : مدحه به ... أكسى يُكسي، أكس، إكساء، فهو مكس، والمفعول مكسى. أكساه ثوبا: ألبسه إياه، أكسى حديثه مُلَحًا و نوادر : أضفى عليه مرحل و قبولا ."[3]

وورد أيضاً في قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ ﴾" [البقرة / 233]

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة / 259]

من خلال شرح المعاجم العربية القديمة والحديثة وما ورد في آيات القرآن الكريم، نستنتج أن اللفظ (كسا يكسو ، كسوة) ومشتقاته هي كلمات فصيحة عند تأصيلها في اللغة العربية الفصحى، كما وردت في الاستعمال الشعبي، باستثناء التصرف في نطقها عند أهل المنطقة، وهو ما نجده أيضا في المناطق الجزائرية الأخرى عند تداول هذه المشتقات في الخطابات اليومية..

[1] – معجم الوسيط ، باب الكاف ، ص 788

[2]– من أبيات في قصيدة للحُطَيئة هجا فيها الزِّبْرِقان بن بدر أحد وجهاء بني تميم وفرسانها وسادتها، وهو من الصحابة المخضرمين.

[3] – معجم اللغة العربية المعاصرة ، حرف الكاف ، ص 1935

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : لفظة شعبية معروفة في المنطقة السهبية، متداولة في مجال حقل اللباس وما يتصل به، من عادات وتقاليد المنطقة ومن المفردات المتداولة في الحياة اليومية لأهل المنطقة ،في الحياة اليومية للأفراد ،للتعبير عن عادات وتقاليد الاجتماعية للمنطقة، وهي فعل متداول بين الأشخاص في عملية التواصل بينهم .

نخلص في الأخير إلى أن حقل اللباس وما يتصل به، حافل كغيره بعدة ألفاظ ومفردات خاصة بالمنطقة، توظف في الحياة اليومية للأفراد فيما بينهم، وهي ألفاظ من لهجة المنطقة تعتبر الموروث الثقافي المتداوَل بين الناس في حياتهم الاجتماعية..

وتعدّ هذه الألفاظ صورة حيّة تعكس حياة أهل المنطقة وأنماط معيشتهم وخصائل لباسهم ومميزات عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية المتوارثة عبر الأجيال، فمنها ما لا يزال متداولاً إلى يومنا هذا، ومنها ما أخذ يندثر مع تعاقب العصور وتغيّر الحياة وتطور متطلباتها بين الأجيال المعاصرة التي يقلّ اهتمامها بهذه النفائس التراثية التي تُعَدّ وثيقة صادقة تؤرّخ لحياة الناس في فترات متلاحقة متماسكة..

كما نلاحظ أن هذه الألفاظ ذات لغوي فصيح في اللغة العربية، إذْ نجد مواد الكثير منها في المعاجم العربية القديمة والحديثة ، ومنها ما ورد ذكْرُه القرآن الكريم ، وهذا ما يدل أن هناك تقارباً كبيراً بين اللهجة الشعبية للمنطقة السهبية واللغة العربية الفصيحة، وهو من أبرز ما يميّز هذه اللهجة.

ثانياً : حقل الصفات ولأحوال المعنوية :

– **التَّرْياك / متريّك ، تريّك ، يَتْرَيّكْ** : كلمة تدل عادة على صفة نفسية في الإنسان، تتمثل الترفع أو التباهي والتفاخر، ولها عدة مظاهر، والمشهور في يوميات الناس أنها مرتبطة بالمقعد الوثير ولا سيما مقاعد المسؤولين من ذوي الرّتَب العالية في مختلف المسؤوليات. وبنوع القَعْدة (الجلسة) لمن يختار هذا النوع من المقاعد ويميل إليها. ويتم تداولها كثيرا في التراث الشعبي بلهجة المنطقة للدلالة على الاختيال والتكبّر أحياناً، لكنها تستعمل استعمالات مجازية كذلك، بحسب السياق الذي تَرِدُ فيه..

– **التأصيل اللساني** : هذه الكلمة مشتقة من (الأريكة) التي هي المقعد المريح الذي لا يكون في كل مكان ، وإنما يتوفر في أماكن دون أخرى ، ولذلك تجد الحنين إليه يراود بعض الناس.. ولكنها قد تأتي في سياق الثناء على اصحابها، مكافأة لهم على ما قدّموا من صالح الأعمال، كما جاء في التنزيل من قوله تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا ، وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا

تَذْلِيلاً.﴾ [الإنسان/13-14] فالاتِّكاء: هو التمكُّن من الجلوس في حال الرفاهية والطمأنينة، والأرائك هي السُّرُر التي عليها اللباس، و﴿ لا يرَوْن فيها شمسًا ﴾ أي: ليس يضرُّهم حرٌّ ولا زمهرير؛ أي: برد شديد؛ بل جميع أوقاتهم في ظلٍّ ظَلِيل، بحيث تلتَذُّ به الأجساد ولا تتألَّم من حرٍّ ولا برد، فهو مزاج واحد دائم سرمدي. وقد ورد استعمال لفظ (الأرائك) في عدة مواضع من القرآن الكريم، كلها تحوم حول هذا المعنى الذي يوحي بما يكون عليه من نالوا رضى الله سبحانه، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.﴾ [سورة المطففين/36] فقد كوفئوا بهذه الأرائك لما كانوا عيه في الدنيا من الصلاح، وأصبحوا يتباهون على الكفّار بما نالوا من الرضى وحُسْن الثواب..

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري قولهم: "...لا بارك الله عليه ولا تارك ولا دارك. ورأيت على الأريكه، تركية كالتريكه، وهي بيضة النعامة. ورأيت نساء كالسبائك والترائك، لينات العرائك؛ متكئات على الأرائك ".[1] ومن استعمال هذا اللفظ في الشعر العربي قول الشاعر :[2]

تناسبت الأوضاع فيك وأحكمت ** على قدر حتى **الأرائك** والبُسْط

فجاء على وفق العلا رائق الحلى ** كما سُمّط المنظوم أو نُظم السمط

ووَرِدَ في مقامات الحريري: " ... فوَلَجْتُ الدّارَ متجرِّعاً الغُصَصَ. كما يلِجُ العُصفورُ القفَصَ. فإذا فيه **أرائِكُ** منقوشَةٌ. وقد أقبَلَ المِمْلِكُ يَميسُ في بُردتِهِ. ويتَبَهْنَسُ بين حفَدَتِهِ. فحين جلَسَ كأنّهُ ابنُ ماء السّماء. نادى مُنادٍ منْ قِبَلِ الأحْماء: وحُرْمَةِ ساسانَ أُستاذِ الأستاذينَ. وقدوةِ الشّحاذينَ..."[3]

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : ما أكثر ما ورد في أشعار العرب وفي منثورهم من استعمال لهذه المادة (أرك) غير أنّ الاستعمال الفصيح يكثر فيه استعمال اللفظ بصيغة الجمع (أرائك) على حين نلاحظ أن الاستعمال في التراث الشعبي يكثر فيه استعمال الفعل (يتْرِيّكْ) ولكن هذا لا يعني عدم استعمال الاسم المفرد والجمع لهذه المادة في الثقافة الشعبية ، غير أنّ استعمالها في اللهجة الشعبية بالمنطقة يتضح في صيغة الفعل أكثر ممّا يظهر في صيغة الاسم الذي يشبه الاستعمال الفصيح.. وقد تُستعمل في باب

[1]- الزمخشري : أساس البلاغة ، ص40 .

[2]- المقّري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ص1398.

[3]- مقامات الحريري ، ص69.

المزاح من قولنا : " فلان يتْريّكْ. " بفعل المضارع، أو " متْريّكْ " بالاسم (الصفة). وفي هذه الحال لا يراد بها التكبّر والاختيال ، وإنما التظاهر بذلك من باب المزاح والمداعبة ليس إلاّ..

– **دلّه / يْدَلّـهْ / ادْلَـهْ:** لفظ يستعْمَل تعبيراً عن الإعجاب بالشيء من باب الثناء عليه أو تمنّي الحصول على مثله.. وقول أهل المنطقة : (شيء يْدَلّـهْ، بمعنى : يثير الإعجاب والاستحسان..)

– **التأصيل اللساني:** هذا اللفظ له أصل في اللغة الفصيحة، وهو يكاد يكون بالمعنى نفسه كما في لهجة المنطقة دالاً على ما يحصُل من التأثُّر بالشيء.. فقد ورد في اللسان: " دله :الدَّلْهُ وَالدَّلَهُ :ذَهَابُ الْفُؤَادِ مِنْ هَمٍّ أَوْ نَحْوِهِ كَمَا يَدْلَهُ عَقْلُ الْإِنْسَانِ مِنْ عِشْقٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ دَلَّهَهُ الْهَمُّ أَوِ الْعِشْقُ فَتَدَلَّهَ. وَالْمَرْأَةُ تَدَلَّهُ عَلَى وَلَدِهَا إِذَا فَقَدَتْهُ .**وَدُلِّهَ** الرَّجُلُ: حُيِّرَ ، **وَدُلِّهَ** عَقْلُهُ تَدْلِيهًا. وَالْمُدَلَّ هُ: الَّذِي لَا يَحْفَظُ مَا فَعَلَ وَلَا مَا فُعِلَ بِهِ.

وَالتَّدَلُّهُ: ذَهَابُ الْعَقْلِ مِنَ الْهَوَى، أَنْشَدَ ابْنُ بَرِّيٍّ؛ مَا السِّنُّ إِلَّا غَفْلَةُ الْمُدَلَّهِ؛ وَيُقَالُ: دَلَّهَهُ الْحُبُّ أَيْ حَيَّرَهُ وَأَدْهَشَهُ، **وَدَلِهَ** هُوَ يَدْلَهُ. ابْنُ سِيدَهْ :**وَدَلَهَ** يَدْلَهُ دُلُوهًا سَلَا. وَالدَّلُوهُ مِنَ الْإِبِلِ: الَّتِي لَا تَكَادُ تَحِنُّ إِلَى إِلْفٍ وَلَا وَلَدٍ ، وَقَدْ دَلَهَتْ عَنْ إِلْفِهَا وَوَلَدِهَ ا تَدْلَهُ دُلُوهًا ...

وقال أَبُو عُبَيْدٍ: رَجُلٌ مُدَلَّهٌ إِذَا كَانَ سَاهِيَ الْقَلْبِ ذَاهِبَ الْعَقْلِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: رَجُلٌ مُتَلَّهٌ وَمُدَلَّهٌ بِمَعْنًى وَاحِدٍ. وَرَجُلٌ دَالِهٌ وَدَالِهَ ةٌ: ضَعِيفُ النَّفْسِ. وَفِي حَدِيثِ رُقَيْقَةَ :**دَلَّهَ** عَقْلِي أَيْ حَيَّرَهُ وَأَذْهَبَهُ." [1]

وجاء في المعجم الوسيط : " (دله) دلها ودلها ودلوها: ذهب فُؤَاده من هم أَو عشق أَو نَحوه؛ وَيُقَال: دلهت فُلَانَة على وَلَدهَا، فالرجل دله وَهِي دلهة؛ ودلهت الناقة عَن إلفها وَوَلدهَا: لم تحن إِلَيْهِ فَهِيَ دلوه؛ (دلهُ) الْحبّ والعشق: حيره وأدهشه فَهُوَ مدله؛ (تدله) تحير، (الداله والداهة) من الرِّجَال: الضَّعِيف النَّفس؛ (المدله) من الرِّجَال: الذَّاهِب الْعقل من عشق وَنَحْوه.." [2]

إنّ المعاني التي دلّ عليها هذا اللفظ في التراث اللغوي الفصيح تربطه بالعقل أو الفؤاد أو تأثّر النفس بشيء ما، وهو ما نجده في دلالته الشعبية؛ غير أنّ ما تتميز به دلالته في لهجة المنطقة وعُرْف الناس في استعمالهم لهذه الكلمة هو أنّها تتضمّن معنى الإعجاب والتأثُّر والميْل إلى حبّ الشيء واستحسانه.

أمّا في المعاجم فنجده يتضمن عدة معان مختلفة كالحب والحيرة وذهاب العقل وضعف النفس، وغيرها.. وإذا أمعنّا النظر في هذه المعاني وجدناها تتصل بمعنى الإعجاب والاستحسان تارةً وتدلّ

1– لسان العرب، 114/1

2– المعجم الوسيط، 295/1

على غيره من المعاني تارة أخرى، لكنها كل المعاني الفصيحة والشعبية تشترك في كونها تتصل بالعقل أو النفس أو الفؤاد، وكل منها موضع التأثر ومحل الإعجاب..

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : يُستعمَل هذا اللفظ عند أهل المنطقة بمشتقاته المختلفة في التعبير عن الإعجاب بالأشياء الجميلة التي تثير الاهتمام والاستحسان لدى مشاهدتها.. ويأتي في الغالب بصيغة الفعل، ويشمل الحديث عن الاشياء الجامدة كما يشمل الحديث عن الإنسان، كقولهم مثلاً: (دلّهْنِي حْدِيثُو، بمعنى: أعجبني كلامه.) ويقولون أيضاً: (مَزْيَنْها طْفَيْلَة حاذْقَة تْدَلَّهْ، أي: ما أجملها من فتاة ذكية تثير الإعجاب.) وما أكثر مثل هذه الأنماط التعبيرية المتداولة بكثرة في المجتمع ..

وإذا تعلّق هذا اللفظ بسياق الأكل فإنه يكون عادة بمعنى (إثارة الشهية) كأنْ يكون يقول الصائم مثلاً: (دلَّهْنِي عَرجونْ الدَّقْلَة[1] ودلْهْتْنِي الفاكهة وْهِيَ فالْ، بمعنى: أثار شهيتِي عُرجونُ التّمْر (الدَّقَل) وأثارتْ شهيتِي الفاكهة وهي في بداية موسمها لأوّل مرّة..)

إنّ هذه الكلمة الأصيلة من الكلمات التي تشتهر بها لهجة المنطقة ويكْثُر تداولها بين الناس في يومياتهم، وإن كانت تُستعمَل معها اليوم كلمات أخرى، منها العربي ومنها الدخيل ومنها المتأثر باللغة الفرنسية، غير أنّها، على الرغم من كل المتغيرات، بقيت من الكلمات المحافظة على الانتشار بين المتخاطبين في مختلف المجالات الحياتية..

– **مْرَيَّحْ / ريّحْ / مْريَّح / الراحة / الترياح** : هذه الكلمة بمختلف تنوعاتها في الصفات، تعود إلى معنى واحد جامع، وهو الراحة والارتياح الذي يكون عادة بعد التعب، وكثيرا ما يستعمل أهل المنطقة هذه الكلمة أثناء أداء الأعمال، ولا سيما المتعبة الشاقة منها، إذْ يقول قائلهم: (خليني نْرَيَّحْ ، أهداني أرَيّــحْ)[2] وتشترك في هذا المعنى لهجة المنطقة مع اللغة الفصيحة، لأنّ الأصل واحد والمنطلق واحد..

1– الدَّقْلَة = التّمْرن وهي أنواع ومراتب من حيث الجودة، وتشتهر مناطق الجنوب والجنوب الشرقي الجزائري بإنتاج أجود التمور عالمياً، وتشتهر بما يُعْرَف بـ(دَقْلَة نُورْ) وهي الأجود، ومقياس معرفة جودة الدَّقْلَة هو ظهور (العَلْفَة = النواة) بداخلها، بحيث تُرَى قبل فتحها، فإن حصل ذلك فهي من النوع الجيّد.. ولكنّ هذا من القليل النادر، وهناك أنواع كثيرة منها وكلها جيدة، وللناس فيها مذاهب، فكل منهم يفضّل نوعاً يروقه ذوْقاً ولوناً ومظهراً...

2- نْرَيَّح (بلهجة المنطقة وعدة مناطق أخرى تشترك معها فيها ، غير أن بعض المناطق في الشرق يقول أهلها: نرَكحْ)

– **التأصيل اللساني**: هذه الكلمة ذات أصل واضح في اللغة الفصيحة، وسنورد فيما يأتي بعض النماذج لتأكيد هذه الدلالة في اللغة الفصيحة، بما يل على التقارب الكبير بين لهجة المنطقة واللغة الفصيحة.. ونجد الكلمة أحيانا بنفس اللفظ المستعمل في اللغة الأصلية من دون تغيير..

قال ابن سيده: وعندي أَن التَّرَيُّح مصدر تَرَيَّحَ ، كما جاء في شعر النابغة الجعدي يمدح ابن الزبير:

حَكَّيْتَ لنا الصِّدِّيقَ لما وَلِيتَنا ** وعُثمانَ والفارُوقَ فارْتاحَ مُعْدِمُ[1] [الطويل]

ومنه قولهم **أَرْيَحِيٌّ** إذا كان سخيّاً **يَرْتاحُ** للنَّدَى وراحَ لذلك الأَمر يَراحُ رَواحاً ورُؤُوحاً وراحاً وراحةً وأَرْيَحِيَّةً ورِياحةً **أَشْرَق له وفَرِحَ به** وأَخَذَتْه له خِفَّةٌ وأَرْيَحِيَّةٌ قال الشاعر:

إِنَّ البخيلَ إِذا سأَلْتَ بَهَرْتَه ** وتَرَى الكريمَ يَراحُ كالمِحْتالِ [الكامل]

وراحَ الإِنسانُ إِلى الشيء يَراحُ إِذا نَشِطَ وسُرَّ به وكذلك ارتاحَ وأَنشد قول الشاعر :

وزعمتَ أَنَّك لا تَراحُ إِلى النِّسا ** وسَمِعْتَ قِيلَ الكاشِحَ المُتَرَدِّدِ [الكامل]

والرَّاحُ : الخمرُ اسم لها، والراحُ : جمع راحة وهي الكَفُّ؛ والراح : الارْتِياحُ، قال الجُمَيحُ ابنُ الطَّمَّاح الأَسَدِيُّ: ولَقِيتُ ما لَقِيَتْ مَعَدٌّ كلُّها ** وفَقَدْتُ راحِي في الشَّبابِ [الكامل]

والراحةُ ضِدُّ التعب، واسْتراحَ الرجلُ: من الراحة؛ والرَّواحُ والراحة: مِن الاستراحة؛ وأَراحَ الرجل والبعير وغيرهما، وقد أَراحَني ورَوَّح عني فاسترحت. ويقال: ما لفلان في هذا الأَمر من رَواح أَي من راحة وجدت لذلك.. وفي الحديث الشريف: قال النبي ﷺ لمؤذنه بلال: " أَرِحْنا بها يا بلال." أَي أَذِّن للصلاة فتَسْتَرِيحَ بأَدائها من اشتغال قلوبنا بها..[2]

واسْتراحَ إِذا رجعت إِليه نفسه بعد الإِعياء قال، ومنه حديث أُمِّ أَيْمَنَ أَنها عَطِشَتْ مُهاجِرَةً في يوم شديد الحرّ فَدُلِّيَ إِليها دَلْوٌ من السماء فشربت حتى أَراحتْ؛ وقال اللحياني: أَراحَ الرجلُ اسْتراحَ ورجعت إِليه نفسه بعد الإِعياء؛ وكذلك الدابة ...

والرَّوْحُ الرحمة، وفي الحديث الشريف عن أَبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " الريحُ من رَوْحِ الله تأْتي بالرحمة وتأْتي بالعذاب فإِذا رأَيتموها فلا تَسُبُّوها واسأَلوا من خيرها واستعيذوا بالله من شرِّها." وقوله: من روح الله أَي من رحمة الله، وهي رحمة لقوم وإِن كان فيها عذاب لآخرين؛ وفي التنزيل: " ولا تَيْأَسُوا من

---

[1]- المعجم أَي سَمَحَت نفسُ المُعْدِم وسَهُلَ عليه البَذل يقال رِحْتُ المعروف أَراحُ رَيْحاً وارْتَحْتُ أَرْتاحُ ارْتِياحاً إِذا مِلْتَ إِليه وأَحببته..

[2]- قال ابن الأَثير: وقيل كان اشتغاله بالصلاة راحة له فإِنه كان يَعُدُّ غيرها من الأَعمال الدنيوية تعباً فكان يستريح بالصلاة لما فيها من مناجاة الله تعالى ولذا قال وقُرَّة عيني في الصلاة قال وما أَقرب الراحة من قُرَّة العين..

رَوْحِ الله..(الآية)": أَي من رحمة الله؛ والجمع أَرواحٌ. والرُّوحُ النَّفْسُ يذكر ويؤنث والجمع الأَرواح التهذيب. قال أَبو بكر بنُ الأَنْباريّ الرُّوحُ والنَّفْسُ واحد غير أَن الروح مذكر والنفس مؤنثة عند العرب.." [1]

وَراح فُلَان للمعروف: رَاحَة أَخَذته لَهُ خفه ونشاط؛ و راحتْ يَده لكذا وبكذا : خفت لَهُ؛ وراح للأمر رواحا وراحا وراحة وأريحية ورياحة: هش لَهُ وَفَرح بِهِ؛ وراحَ فُلَان مَعْرُوفا رَاحَة: ناله ؛ وَالشَّيْء روحا وجد رِيحه وَالرِّيح الشَّيْء أَصَابَته وَيُقَال رَاح الشّجر وجد الرّيح وأحسها وريح (بِالْبِنَاءِ لْلَمَجْهُول) فَهُوَ مروح ومريح؛ (روح) الشَّيْء روحا اتَّسع يُقَال محمل أروح وَاسع وقصعة روحاء قريبَة القعر وَاسِعَة وَالرجل كَانَ فِي رجلَيْهِ اتساع دون الفحج وَهُوَ أَن يتباعد صدر الْقَدَمَيْنِ وتتدانى العقبان فَهُوَ أروح وَهِي روحاء (ج) روح... [2]

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : يتم توظيف هذه الكلمة بصيغ مختلفة ، كالاسم والفعل والصفة، كقولهم: الراحة، يريّح، مريّح ، وكلها مشتقة من الراحة وتعود إليها في المعنى، غير أنّ الملاحظ أن هذه الكلمة تخرج عن الدلالة الأصلية عن الراحة التي تأتي بعد التعب، إلى دلالات مجازية، أي للدلالة على الراحة المجازية، كالراحة التي تكون بعد المرض؛ إذ يقال للمريض : ريّحْتْ؟ هكذا بصيغة السؤال، لمعرفة حالته من المرض.

كما يقال: فلان ريّحْ : أي ارتاح من عناء المرض، وشُفيَ من دائه ؛ ويقولون في المثل الشعبي الحكيم : " المرض ينزلْ مرّة وحْدة ، والراحة تنزلْ بالأوقية." [3] وهنا توجد كناية عن كون المرض يصيب الإنسان بثقله فيغبنه ويؤدي إلى إنهاكه وتعبه وضعفه، وأمّا الراحة والشفاء، فتأتي تدريجياً بالقدر القليل إلى أن يتمّ الشفاء.. ويتداول أهل المنطقة في هذا السياق عبارة مشهورة، إذ يقولون في باب المثَل : (المْرَضْ ينزلْ مرة وحْدَة والراحة (أي: الشفاء) تنزلْ بالأُوقِيَة (أي: تدريجياً بالقدر القليل) ويتضمّن هذا المثَل كناية عن الحث على الصبْر وتحمُّل المرض وتبعاته والتمسّك بأمل الشفاء من الله سبحانه..

– **مْرَيّحْ / الْمْرَاحْ** : من المادة السابقة تأتي كلمة (الْمْراحْ : بتسكين الميم والحاء) وهي نفسها الكلمة الفصيحة (المراح : بضم الميم) ، والمراحْ في لهجة البادية بمنطقة الدراسة هو المكان الذي تجتمع فيه المواشي

---

[3]- لسان العرب، مادة :ريح : 452/2

[1]- المعجم الوسيط، 380/1

[2]- من أشهر الموازين التي كانت منتشرة في العالم العربي، وتقدر بحوالي أربعين درهما.. وقد ذكرت في الحديث النبوي الشريف، فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال : "سألت عائشة زوج النبي كم كان صداق رسول الله قالت كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشا قالت أتدري ما النش قال قلت لا قالت نصف أوقية فتلك خمس مائة درهم فهذا صداق رسول الله لأزواجه." (رواه مسلم)

من الإبل والغنم والبقر ليلاً قبل خروجها صباحاً إلى الرعي. والعرب تستعمل هذه الكلمة بالمعنى نفسه، إذْ يقولون: "... راحت الإبل تَرُوحُ وتَراحُ رائحةً فَرواحُها ههنا أَن تأْوِيَ بعد غروب الشمس إِلى مُراحِها الذي تبيت فيه ابن سيده والإِراحةُ رَدُّ الإِبل والغنم من العَشِيِّ إِلى مُرَاحها حيث تأْوي إِليه ليلاً وقد أَراحها راعيها يُرِيحُها وفي لغة هَراحَها يُهْرِيحُها وفي حديث عثمان ﷺ رَوَّحْتُها بالعشيّ أَي رَدَدْتُها إِلى المراحِ وسَرَحَتِ الماشية بالغداة وراحتْ بالعَشِيِّ أَي رجعت..

وتقول افعل ذلك في سَراحٍ ورَواحٍ أَي في يُسرٍ بسهولة والمراحُ مأْواها ذلك الأَوانَ وقد غلب على موضع الإِبل والمراحُ بالضم حيث تأْوي إِليه الإِبل والغنم بالليل وقولهم ماله سارِحةٌ ولا رائحةٌ أَي شيء راحتِ الإِبلُ وأَرَحْتُها أَنا إِذا رددتُها إِلى المراحِ وقي حديث سَرِقَة الغنم ليس فيه قَطْعٌ حتى يُؤْوِيَهُ المراح المراحُ بالضم الموضع الذي تَرُوحُ إِليه الماشية أَي تأْوي إِليه ليلاً وأَما بالفتح فهو الموضع الذي يروح إِليه القوم أَو يَروحُونَ منه كالمِغْدَى الموضع الذي يُغْدَى منه..." [1]

فقد رأينا أن كلمة المراح لها نفس الاستعمال وفي نفس المجال بين اللهجة الشعبية واللغو العربية الفصيحة، وقد تستعمل بالمعنى المجازي، كما " في حديث أُمِّ زَرْعٍ وأَراحَ عَلَيَّ نَعَماً ثَرِيّاً أَي أَعطاني لأَنها كانت هي مُراحاً لِنَعَمِه.." [2]

– **القْرمْ / مقروم** : (بالقاف المثلثة): تأتي صفة مقروم من الْقَرَمْ : اسم مفعول من الفعل (قرم) والاسم (القْرمْ) : هي وصف لمن اشتاق إلى أكل اللحم بعد طول انقطاع عن تناوله.. والقرم : يُنْطَق في الثقافة الشعبية بتسكين القاف المثلثة وفتح الراء، وهو لفظ مقصور في الثقافة الشعبية على اللحم دون غيره..

– **التأصيل اللساني**: هذه المادة (القرم) فصيحة في التراث اللغوي الفصيح ، فقد جاء في معجم العين للخليل ، وهو بصدد شرح مادة (جعم) التاي تحمل نفس المعنى مع (قرم) ، جاء قوله :" جَعِمَ الرّجُلُ جَعَماً، أي : قَرِمَ إلى اللَّحْمِ، وهو في ذاك أكول. قال: العجّاج : (إذ جَعِمَ الذُّهلانِ كلَّ مَجْعَمِ ....) أي: جعِموا إلى الشَّرِّ، كما يُقْرَمُ إلى اللّحم." ([3])

كما جاء في أساس البلاغة للزمخشري[4] ، قوله : " قرم إلى اللحم. وبازٍ قرمٌ، وبه قرمٌ شديد. وتقول: ليس من الشرف والكرم، عادة الشره والقرم . وقال أبو دؤاد:

---

[1]- لسان العرب، 455/2

[2]- المصدر نفسة،455/2

[3]– الخليل : معجم العين (مادة : قرم) . ص55

[4]– الزمخشري : معجم اساس البلاغة (مادة : قرم) . ص375

ويشفى قرم الركب ** يزين البيت مربوطاً."

وجاء في اللسان : "قرم : القرم بالتحريك : شدة الشهوة إلى اللحم ، قرم إلى اللحم وفي المحكم : قرم يقرم قرما فهو قرم : اشتهاه ثم كثر حتى قالوا مثلا بذلك : قرمت إلى لقائك . وفي الحديث : كان يتعوذ من القرم وهو شدة شهوة اللحم حتى لا يصبر عنه . يقال : قرمت إلى اللحم . وحكى بعضهم فيه : قرمته. وفي حديث الضحية : هذا يوم اللحم فيه مقروم ، قال : هكذا جاء في رواية ، وقيل : تقديره مقروم إليه فحذف الجار . وفي حديث جابر : قرمنا إلى اللحم فاشتريت بدرهم لحما . والقرم : الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة ، والجمع قروم قال : يا بن قروم لسن بالأحفاض..

وقيل : هو الذي لم يمسه الحبل . والأقرم : كالقرم . وأقرمه : جعله قرما وأكرمه عن المهنة ، فهو مقرم ، ومنه قيل للسيد : قرم مقرم تشبيها بذلك .

وجاء عن ابن السكيت : أقرمت الفحل ، فهو مقرم ، وهو أن يودع للفحلة من الحمل والركوب ، وهو القرم أيضا . وفي حديث رواه دكين بن سعيد قال : أمر النبي – ﷺ – عمر أن يزود النعمان بن مقرن المزني وأصحابه ففتح غرفة له فيها تمر كالبعير الأقرم قال أبو عبيد : قال أبو عمرو : لا أعرف الأقرم ولكني أعرف المقرم ، وهو البعير المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل ، ولكن يكون للفحلة والضراب ، قال : وإنما سمي السيد الرئيس من الرجال المقرم ; لأنه شبه بالمقرم من الإبل لعظم شأنه وكرمه عندهم قال أوس :

إذا مقرم منا ذرا حد نابه ** تخمط فينا ناب آخر مقرم. "[1]

– **الاستعمال اليومي في المجتمع** : تستعمل هذه الكلمة في التراث الشعبي بهذه الصيغة (صيغة الاسم : القْرَمْ) وكذلك بصيغة الصفة المشبهة (مَقْرُوم) بالقاف المثلثة ، دلالةً على دلالة على الاشتياق إلى أكل اللحم ، وعادة ما يكون هذا لدى كبار السن من أهل البادية..

ولعلنا ، إذا قمنا بمقارنة بين (مقروم) و (مغروم) من حيث استعمالهما في التراث الشعبي سنجد أنهما متقاربتان ، من حيث كون الأولى خاصة بشدة الاشتياق والشره إلى اللحم كما اشرنا آنفاً ، وكون الثانية متصلة بالاشتياق إلى المحبوب ، فهي من (الغرام) ، فكلتا الكلمتين تدل على معنى الاشتياق إلى شيء معين ، ولعل هذا هو الأصل الذي ترجع إليه المادتان..

[1] – ابن منظور : لسان العرب ، الجزء الثاني عشر ، (مادة : قرم) .

وقد أخذت هذه المادة في الانقراض والاندثار، إذ لم يعُد يستعملها إلا عدد قليل من أولئك الذين عاشوا في البادية أو كانت لهم زيارات متكررة لها منذ أمد بعيد ، وهذا على الرغم من كونها مادة عربية فصيحة صحيحة صريحة ، تداولتها معظم المعاجم العربية ..

ومثل هذه المادة كثير ممّا زال أو قلّ تداوله، إذ نجد أنّ تطور الحياة في هذا العصر وانشغال الناس بالأحداث المتسارعة وتأثرهم الشديد بها كل ذلك أدّى إلى قلة اهتمامهم باستعمال الألفاظ القديمة ذات الصل الفصيح، ولجأ كثير من الناس إلى تداول الكلمات والعبارات التي أصبحت منتشرة بين الناس..

وإذا عدنا إلى الأجيال الجديدة من الشباب وجدنا الهوّة تزداد اتساعا بينهم وبين تلك الألفاظ التي يتداولها من عاصروا اسلافهم من الآباء والأجداد وأخذوا عنهم الكثير ، إذ نجد الشباب لا يكترث لما يسمعه ممن هم أكبر منه من تلك الاستعمالات التي تبدو لهم (أي للشباب) قديمة قد تجاوزها الزمن، أو ربما حتى يجعل منها مادة للتسلية والتنكيت ليس إلاّ.. نعم هذا هو شأن فئة كبيرة من أجيال اليوم، وربما كان لهم العذر في ذلك، إذْ إنهم فتحوا أعينهم على الانفتاح العصري والتسارع التكنولوجي، فما كان عليهم إلاّ اتباع هذا التيار الجارف، وليس بمقدورهم اختيار سبيل آخر..

هذا هو واقعنا الذي يستدعي منّا أن نلتفت إلى النفائس التراثية التي هي عنوان أصالتنا وهويتنا، فينبغي علينا، والحال هذه، أن نحيي لدى الأجيال الصاعدة حبّ وطنهم والاعتزاز ببلادهم وأرضهم، وهذا يقتضي التمسك بتاريخهم وتراثهم والحفاظ على معاني الأصالة وما نملكه من إرث نفيس قلّ نظيره في أرجاء العالَم.. وهذه مهمّة تقع على عاتق كلّ من يستطيع أن يقدّم شيئا ذا أثر إيجابي، ويأتي الباحثون في مقدمة من يحملون العبْء الأكبر من هذه المهمّة..

الخاتمة والنتائج

الخاتمـة ونتـائج البحث :

إنّ الارتباط بين اللغة ولهجاتها واقع تعيشه المجتمعات وضرورة تفرضها ظروف الحياة، وقد أصبح لزاماً على المجتمع في عصر التطور التكنولوجي أن يتسع ليحتضن ظاهرة التنوع اللغوي، بحيث يتجاوز حدود الصراع والاختلاف ليمتد نظره إلى آفاق الرقيّ والازدهار انطلاقاً من تاريخه وحضارته، باستثمار كل مكوناته الثقافية من غيْر تجاهل أو تنكّر لعناصر هويته وأصالته المستمدة من عقيدته الإسلامية الراسخة ولغته العربية بكل تجلياتها المنبثقة عمّا ورثه من العادات والتقاليد، حفاظاً على نفائسه التراثية التي يتميّز بها في كل قطر من أقطاره الشاسعة.. وفي هذا الاتجاه يأتي عملنا هذا الذي أردناه أن يكون لبنة تُسْهِم في بناء صرح تراثنا الثّريّ الذي يحمل في ثناياه تاريخاً عريقاً وحضارة راسخة، باعتبار هذا التراث صورة للمجتمع في حركيته المستمرة المتجددة في زمن التطور المتسارع في هذا عصر التكنولوجيات الذي يقتضي مسايرته والتعامل معه بكل مستجداته.. ومن أفضَتْ قراءتنا للواقع الثقافي وتأمّلنا في التراث اللساني في المجتمع الجزائري إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

– اللغة وسيلة تعبير وإبلاغ يتم بوساطتها تبادل الأفكار والعواطف بين المتخاطبين، كما أنها تعبر عن مكنونات الإنسان وما يعتريه من المشاعر والأحاسيس باعتبارها جزءا لا يتجزأ من شخصيته.. ومن جهة أخرى لها وظيفتها الاجتماعية التي تتمثل في التواصل والتفاهم فيما بين الافراد في تسيير شؤون حياتهم اليومية، واللهجة مجموعة الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة ووسط اجتماعي معين له مواصفاته وخصائصه، وهي وسيلة التواصل بين عموم الناس على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم..

– إن الواقع اللغوي لا يُقصد به واقعية اللغة وحدها بل يراد به أيضاً واقع الحياة الإنسانية والبيئة والمجتمع، في إطار تفاعل اللغة مع الوسط الاجتماعي وكل ما يحيط به في كتابات الأدباء والخطابات اليومية المتداولة بين الناس، ذلك أنّ اللغة لا تنفك عن الحياة الاجتماعية بكل صورها المتجددة..

– إنّ ظاهرة التنوع اللغوي أصبحت واقعاً اجتماعياً تفرضه ظروف العصر، بما في ذلك مسالة الثنائية والازدواجية اللغوية التي تشمل تعدد اللغات واللهجات، ولذلك وجب التعامل مع هذه الظاهرة الواقعية التي لا يخلو منها مجتمع، واستثمار إيجابياتها فيما يخدم المجتمع ويرتقي به..

– لقد أصبحت اللهجات واقعا فرضته عدة عوامل تاريخية وحضارية وثقافية وغيرها، على اعتبار أنّ هذه اللهجات هي الوعاء الذي يحمل فكر المجتمعات وثقافاتها وعاداتها وتقاليدها وتصوراتها ومعاملاتها اليومية..

– ليست اللهجات بديلاً عن اللغة الفصيحة، وليس ثمة صراع بينهما كما قد يتصور البعض، بل إنّ حتمية الترابط والتكامل بينهما أصبحتْ واقعاً مفروضاً وضرورة اجتماعية، من غير تراجع لمكانة اللغة الأمّ، ولا تجاهل واقع اللهجات وما لها من دور في حفظ التراث بكل أبعاده..

– إنّ استعمال مصطلح اللغة واللهجة بالمعنى نفسه لدى القدماء دليل على التقارب بينهما، وهو ما لم تَخْلُ منه المجتمعات قديماً، وعليه فإنّ التآلف بينهما من غير تنافُس أو صراع هو خطوة حتمية إلى الأمام لا بد منها.. بل إنّ تنوع اللغات في المجتمع الواحد قد أصبح واقعاً لا يكاد يخلو منه مجتمع، وهذا التنوع الإيجابي هو المنشود..

– تتميّز اللهجات الجزائرية بعدة مزايا وخصائص تتقارب في الكثير منها، كما أنها تتمايز في بعض ما يميّز كل لهجة وفقاً لعدة عوامل تاريخية وبيئية واجتماعية وثقافية، لكنّ عناصر التلاقي والتقارب بينها أكثر..

– ممّا تشترك فيه اللهجات الجزائرية اتصالها الجليّ باللغة العربية الفصيحة واستمدادها للكثير من مادتها اللغوية منها، بحيث يتضح هذه التواشج في الاستعمالات المتشابهة والاشتقاقات المتنوعة وما تحمله الألفاظ والعبارات من الدلالات المشتركة التي تتجلى في الخطابات اليومية بما فيها الحِكَم والأمثال السائرة في المجتمع..

– من اللاّفت للانتباه أنّ المفردات المستعملة في الثقافة الشعبية ذات أصول في اللغة الفصيحة تبينها الاشتقاقات اللغوية، فهي تتطابق معها في استعمالاتها المعجمية الأصلية وفي دلالاتها المجازية.. وهذا ما يدعو إلى التفكير في إعداد معاجم تجمع بين اللهجات الجزائرية واللغة العربية الفصيحة.. بحيث تكون هذه المعاجم مرجعاً للباحثين والدارسين، من شأنه المحافظة على تدوين التراث وتأصيل الثقافة الجزائرية عن طريق البحث في منابعها الأولى..

– إن البحث في موضوع اللهجات تحليلاً وتأصيلاً له من أهمية بالغة تدعو الباحثين إلى تكثيف الجهود في هذا المضمار للحفاظ على التراث الشعبي الذي تزخر به مناطق الوطن، ولا سيما بعض المناطق التي لا تزال تحتفظ بأصالتها من خلال العادات والتقاليد التي دأب عليها المجتمع الجزائري الأصيل على امتداد الزمن، على الرغم من الحملات الاستعمارية التي حاولت النيل من تاريخه وحضارته وتراثه..

– لا يمكن فصل التراث الشعبي عن التراث الفصيح، نظراً للتقارب والتكامل الحاصل بينهما من حيث التشابه الكبير في البيئة الفكرية والثقافية والاجتماعية، وهذا ما يجعل قراءتهما المشتركة تفضي إلى عدة نتائج مهمة..

– تتميّز كل من اللغة واللهجات بتنوع الأنماط التعبيرية اللغوية واستعمالاتها في مختلف الأشكال والأجناس الأدبية، على الرغم ممّا يميّز هذه عن تلك في الجانب الصوتي والبناء الصرفي والتركيبي..

– تتميز اللغة الفصيحة بظاهرة الإعراب مما يمنح تراكيبها طابع الجمال والمرونة والانسجام ووضوح الدلالة، باعتبارها النموذج الأعلى والأسمى وهي اللغة التي نزل بها القرآن، كما أنها تستعمل في المعاملات الرسمية الكتابية إنْ على المستوى المحلي أو على المستوى الخارجي.. بينما تدلّ اللهجة على العامية الدارجة ومختلف اللهجات الشعبية المحلية التي لا يتم تداولها في التعاملات الرسمية الكتابية..

– يعيش الأدب الفصيح مع الأدب الشعبي جنباً إلى جنب، في علاقة تكاملية منسجمة، وقد مزج كثير من الكتّاب بينهما في أرقى الأعمال الأدبية، مع استعمال كل منهما في سياقاته المناسبة..

– يختلف الأدب الشعبي عن الأدب الفصيح في النطق وصياغة الأبنية ووجود الإعراب في الأدب الفصيح دون الشعبي، لكنهما يلتقيان في مواطن كثيرة كالموضوعات والصور وطرق التعبير، ويُعْرَف ذلك عن طريق القيام بتأصيل المادة الشعبية وتحديد مصادرها..

لا يختلف لمجرد اختلافهما نطقيا، بل هناك عدة نقاط التقاء بينهما، من حيث الموضوعات والصور وطريقة التعبير، وعلى الرغم من أنهما يختلفان في الصياغة فهناك علاقة قوية بينهما يمكن اكتشافها بالرجوع إلى التأصيل.

– تقوم العلاقة بين الشعر الفصيح والشعر الشعبي على البناء والتكامل والتأمل والتأثير، ذلك أنهما يلتقيان في المضامين وبعض أساليب التعبير وطرُق التصوير، مع الاختلاف من الناحية الصوتية وناحية الصياغة الصرفية، ولكن هذه الاختلافات لا تحجب ذلك التشابه والتكامل بينهما..

– من صور التكامل في المجال الإبداعي تداخل الأدب الشعبي مع الأدب الفصيح على مستوى المادة والشكل فكلاهما يُمِدّ الآخر بالموضوعات والمضامين والأدوات التعبيرية والفنية.. على الرغم من كون التراث الشعبي ومنه الأدب يعتمد على المشافهة بدرجة أكبر، على حين يعتمد التراث الفصيح على الكتابة أكثر.

– يتقاطع التراث الشعبي والتراث الفصيح كثيراً في مجال الحكمة وضرب الأمثال، لأنهما ينطلقان من بيئة شديدة التقارب ويسعيان إلى نفس الأهداف من تهذيب سلوك الفرد والعمل على إصلاح المجتمع والارتقاء به أخلاقياً وثقافياً وأدبياً..

– تُعَدّ اللهجة مرجعاً مهمّاً لكل منطقة وصورة حيّة لحياة الناس في المجتمع وسجلا يوثق عادات المنطقة وتقاليدها وما يكون عليه أهلها من الأخلاق والسلوك الاجتماعي والمستوى الثقافي، وهو ما تتجلى من خلال المعاملات القائمة بينهم في حياتهم اليومية..

– يزخر التراث الشعبي والشعر منه على الخصوص بألوان من الفنون ويتناول موضوعات كثيرة يساير فيها حركية المجتمع ويستمدّ حيويته من تجدّد النشاط الإنساني وتطور الحياة الاجتماعية..

– يستمدّ التراث الشعبي قيمته من معين القرآن الكريم والحديث الشريف والاتصال بالتراث الأصيل، كما أنّ سهولته وقُرْبَه من المتلقين يزيد من فرص الإقبال عليه، ممّا يتيح له البقاء والانتشار..

– من أبرز الأُطُر التي يندرج ضمنها التراث الشعبي، ولا سيما الطابع الأدبي منه، جنوحه إلى الأمثال والحِكَم التي تنقل تجارب الناس عبْر العصور، وتترجم خبراتهم في التعامل مع مختلف الظروف في شتى المجالات، مع السعي إلى إيصالها إلى المتلقّي استناداً على سهولة اللّفظ وإيجاز العبارة وسلاسة الأسلوب وحُسْن التصوير وقوة الإيحاء والإشارة..

– تتميز الأمثال والحكم في التراث الشعبية باتصالها الوثيق بعادات المجتمع وتقاليده، فهي تعكس أنماط حياته وأساليب معيشته وطبيعة العلاقات بين الناس في مختلف المجالات، ذلك أنها تصدر ممّا يعرفه المجتمع من الأحداث والوقائع التي تنشأ منها هذه الأقوال التي تتضمّن بيان قواعد السلوك الإنساني وتحث على مراعاتها في العلاقات الاجتماعية.. وتتضمّن موضوعات متعددة انطلاقاً ممّا يتصل بحياة الناس ومعاملاتهم اليومية.

– من طبيعة المثل في التراث الشعبي أنه يُضْرَب لتوعية الفرد وتبصيره بالأحداث الواقعة من أجل الاستفادة واستخلاص العبْرة منها، على حين تأتي الحكمة قصد التنبيه أو النصح والموعظة وبيان المسار الصحيح من أجل سلوكه، ويلتقيان في الهدف الذي هو إصلاح حال الفرد والمجتمع .

– تبرز أهمية منطقة غرب شمال الصحراء منطقة غرب شمال الصحراء التي تمثل منطقة الأغواط مركزها الرئيسي من حيث إنها تتميز بفضاء رحب يجمع تنوع الثقافات والقبائل، وهي مرتع خصب يضم مخزونا ثرياً من المادة

اللغوية التي تتجلى في العلاقات الاجتماعية ومجالات التعامل الاقتصادية والثقافية، وقد ظلت هذه المنطقة منذ العصور القديمة حلقة وصل مهمّة بين الشمال والجنوب، ومعْبراً ضرورياً يتقاطع فيه التنوع الثقافي بين المحلي والوافد، بما أسّس لثقافة التنوّع للمنطقة، فضلاً عن ثرائها بألوان متنوعة من العادات والتقاليد المتميزة..

– تُعَدّ المنطقة ثرية بالمادة اللغوية المتنوعة في مجال التخاطب وتنوع الاستعمال، في ضوء الترابط القوي بين لهجة المنطقة واللغة العربية الفصيحة، بحيث لا تكاد الاستعمالات اللهجية فيها تنفصل عن الاستعمالات الفصيحة، وعليه فإنّ كلّ دراسة لهذه اللهجة تقتضي من الباحث أن يعرّج على الجانب التأصيلي باعتباره ضرورة لفهم لهجة المنطقة والوقوف على أسرارها وخباياها..

– تتميّز لهجة المنطقة بالكثير من الخصائص التي تنفرد بها بين اللهجات، إنْ من حيث النطق والخصائص الاجتماعية والثقافية، فضلاً عن خصائصها اللسانية الصوتية كالإبدال والقلب والإمالة والإدغام والنحت والحذف بقصد التخفيف.. وخصائصها المعجمية المتمثلة في تنوع دلالات الألفاظ بالنظر إلى معانيها في المعاجم العربية.. وخصائصها التركيبية والأسلوبية التي تتجلى في التنوع التركيبي وتعدد أساليب التعبير.. أو خصائصها الدلالية المتمثلة في عدة ظواهر كالترادف والتضاد.. فضلا عن خصائصها البلاغية التي تتجلى فيما تتضمنه من أشكال التصوير وطرق التعبير بما يميّزها من الناحية الفنية والجمالية..

– إنّ البحث في التراث الشعبي بالمنطقة، من شأنه حفظ الموروث الثقافي الذي يمثل جانبا مهما من هوية المنطقة ومرجعيتها التاريخية والحضارية والثقافية بالمنطقة باعتبارها جزءاً مهمّاً من التراث الجزائري الزاخر بالنفائس والفرائد، كما أنّ هذه اللهجة تعطي صورة حيّة عن المجتمع في كل أحواله ومتغيراته..

– لقد كانت دراستنا هذه تطبيقية ميدانية في الجزء الأكبر منها، وذلك توخياً لاستعراض نماذج متنوعة من المادة اللغوية والخصائص اللهجية وتنوعات استعمالاتها لدى أهل المنطقة.. وما هذه النماذج – على الرغم من كثرتها – إلاّ غيض من فيض بين ركام المادة الشعبية التي تزخر بها المنطقة، وهو ما يستدعي التفكير في توسيع البحث والدراسة مستقبلاً للوقوف على الكثير من الخبايا في لهجة هذه المنطقة..

في ختام هذا البحث، نرجو أن نكون قد وصلنا إلى ما كنّا نبتغيه من تقديم صورة كافية عن اللهجات الجزائرية عموماً، ولهجة منطقة غرب شمال الصحراء التي هي محل دراستنا على الخصوص، وفق ما تتطلبه مجريات الدراسة من أجل تحقيق الأهداف المرجوة.. **والله الموفق**..

المصادر و المراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم ..**

المصادر والمراجع باللغة العربية :

1. آل غنيم، صالحة راشد غنيم، اللهجات في الكتاب لسيبويه ،مركز البحث العلمي ،السعودية ،ط1 ،1985
2. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة 2003، ط5
3. إبراهيم الترزي: مجلة مجمع اللغة العربية، جزء 66 مايو 1990
4. ابراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، ج 1.
5. إبراهيم شعيب، ديوان ابن كريو، مطبعة رويغي، الطبعة الثانية (2004)
6. إبراهيم كايد، العربية الفصحى بين الازدواجية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل،مج3 عدد1، 2002
7. أنور الجندي ،الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط3 ،1982.
8. أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوى، محمود مُحَمَّد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/1979م،
9. أبو العباس سي احمد بن مُحَمَّد بن ناصر الدرعي – الرحلة الحجازية 1709م .
10. أبو الفتح بن جني، الخصائص، تحقيق، مُحَمَّد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط4، ج1
11. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1 (2009م)
12. أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ظ تح أمين نسيب ، دار الجيل ، بيروت ، ط1، 1998
13. إميل بديع يعقوب ، فقه اللغة وخصائصها ، دار العلم الملايين ، بيروت ، ط 1972
14. أحسن ثليلاني: المسرح الجزائري والثورة التحريرية، دراسة تاريخية فنية، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007
15. إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، دار صادر، بيروت، ج1
16. أرسطو: فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، دت، دط، ص190
17. أحمد بن فارس : المقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر العربي(1399هـ - 1979م)
18. أحمد بناني، الازدواجية اللغوية في الواقع اللغوي الجزائري وفعالية التخطيط اللغوي في مواجهتها، مقال منشور بمجلة إشكالات، تصدر عن معهد اللغة والآداب، بالمركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، العدد 8، ديسمبر (2015)

19. أحمد صالح رشدي ، الأدب الشعبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط3 .

20. أحمد طالب الإبراهيمي: من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية (1962 - 1972) ترجمة :حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1972،دط

21. أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007

22. بشير بديار، ابن كريو، حياته وحبه وشعره، مطبعة بن سالم /ط1 (2009)

23. أحمد يوسف، سلطة اللغة ووظيفتها، مقال بمجلة علوم اللسان الصادرة عن كلية الآداب واللغات، جامعة الأغواط، عدد 11 للعام 2016.

24. بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالفصحى (دراسة لسانية بني فتح) مديرية النشر ، قالمة 2008

25. بوفاتح عبد العليم، دراسات في اللغة، دار كليوباترا للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

26. ---------، مداخلة بعنوان: " أهمية التنوع اللغوي ودوره في مواكبة الحضارة في عصر التكنولوجيا." مقدمة في المؤتمر الدولي: التعدد اللغوي والتنمية البشرية،بجامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، أيام: 7و8و9 نوفمبر2017

27. ---------، فنون البلاغة العربية، مطبعة بن سالم بالأغواط– الجزائر/ط1 (2009)

28. ---------، ديوان ألحان المجد، والبيت من قصيدة طويلة بعنوان : أنا والبحر والغربة.. ص99 (قيلت حين إقامة الشاعر بالقاهرة لإتمام الدراسة في: 2007/2006)

29. تاعوينات علي، التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي، الجزائر، (د.ط)، 2009م.

30. التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان،،دار الكبت العلمية،القاهرة، طبعة 2003

31. جورج مونان، معجم اللسانيات، ترجمة جمال الحضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت2012

32. الجوهري، الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984

33. حاتم صالح الضامن، علم اللغة ، المكتبة الوطنية ، بغداد ، ط/ 1989

34. حني عبد الجليل يوسف، التمثيل الصوتي للمعاني، دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1(1417-1998)

35. خالد عبد الرازق السيد: اللغة بين النظرية والتطبيق، مركز الإسكندرية للكتاب (2003)

36. ابن خلدون عبد الرحمن بن زيد، مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، 1406/1332م.

37. ---------، تاريخ ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت (1981)

38. دي سوسور، محاضرات في اللسانيات العامة، ترجمة : يونيل يوسف عزيز، بغداد(1985)

39. حسيبة سلام ، تحديات ترجمة اللهجات المحلية و العامية الأمثال الشعبية نموذجا ، الجزائر ، سنة 2015

40. رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ، مكتبة الخانجي، مصر، ط/1997

41. ---------، لحن العامة والتطور اللغوي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1

42. زبير دراقي ، محاضرات في فقه اللغة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 1992، الجزائر

43. سعاد مُحَّد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1967، دط،

44. سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتهما في استعمالات الناطقين الجزائريين، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر، الأبيار، الجزائر (2011)

45. سلمى خنافرة ، العربية وتحديات اللهجات في الجزائر بعض لهجات الشرق الجزائري ، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي ، الجزائر سنة 2015

46. سلوى بوشاكر، اللهجات العربية وعلاقتها بالفصحى (لهجة الجزائر نموذجا) جامعة عبد الرحمان ميرة ، بجاية 2013

47. السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الجبل بيروت لبنان.

48. شوقي ضيف : بين الفصحى والعامية المصرية. مجلة مجمع اللغة العربية جزء 66 مايو 1990

49. صادقي مخلوف، مراحل وأشواط من تاريخ وتراث منطقة الأغواط، ص190

50. ---------، أشهر التآليف في الكلام اللطيف من شعر المخاليف ، قصيدة (التراث الثقافي والتاريخي) 2015

51. صالح بلعيد، المازيغية في خطر، منشورات مخبر الممارسة اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر

52. ---------، اللغة العربية آلياتها الأساسية وقضاياها الراهنة، دار هومة، الجزائر(2002)

53. ---------،المواطنة اللغوية للدكتور، دار هومة ، الجزائر (2008)

54. صالح لمباركية: المسرح في الجزائر، دراسة موضوعاتية فنية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005،ج2

55. صفاء مُحَّد عطية حسن، الازدواجية اللغوية بين الفصحى والعامية، بحث مقدم لاستيفاء متطلبات درجة البكالوريوس في اللغة العربية، جامعة السودان، 2014.

56. طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة، مصر (1964)

57. عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ) ، لغتنا الجميلة، دار المعارف ، القاهرة، الطبعة1.

58. عبد الرحمن بن مُحَّد القعود، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، 1998

59. عبد الرحمن الحاج صالح، الفصحى وعامياتها: لغة التخاطب بين التقريب و التهذيب، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ،دار الخلدونية للطبع و النشر و التوزيع،2008.

60. ---------، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، دط،2007.

61. ---------، اللغة العربية بين المشافهة والتقرير ، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 66،

62. عبد الرحمن الوائلي، رؤيتان حول المسألة الثقافية في العالَم العربي والإسلامي، مقال بمجلة: الكلمة، عدد20 /1998

63. عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، 2012

64. ---------، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925/1954)الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2

65. ---------، العامية الجزائرية و صلتها بالفصحى، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 2012

66. عز الدين صحراوي ،اللغة بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية ، مجلة العلوم الانسانية، العدد الخامس 2004

67. علي عبد الواحد الوافي، فقه اللغة العربية ،دار النهضة للطباعة، القاهرة ، ط7 ،1972.

68. على القاسمي، التداخل اللغوي والتحول اللغوي، مجلة الممارسة اللغوية، تيزي وزو.

69. علي مُحَمَّد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق المنشاوي دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

70. علي ناصر غالب، اللهجات العربية، لهجة قبيلة أسد، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010،

71. عبد الحميد بوترعة : واقع الصحافة الجزائرية المكتوبة في ظل التعددية اللغوية، مقال بمجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي (عن لغة الصحافة المعاصرة لمحمد حسن عبد العزيز، دار المعارف، القاهرة (عدد8 / 2014)

72. عبد الحميد زاهية، علم الأصوات وعلم الموسيقى دراسة صوتية مقارنة ، دار بافان، الأردن، ط1(2010)

73. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص43 ؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية (1343 هـ / 1925 م)

74. عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي (1418 هـ / 1997 م)

75. عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1995

76. ---------، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت ،ط2003نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1987

77. عبد العزيز مطر: لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط. ط، دار الكاتب العربي القاهرة 1967 .

78. عبد الحفيظ بوالصوف ، (ديسمبر 2018) ، [توظيف اللهجة السوفية وخصائصها في الرواية الجزائرية]،مجلة الكلم ، مجلة دورية تصدر عن مختبر اللهجات ومعالجة الكلام) ، جامعة أحمد بن بلة ، وهران _ الجزائر العدد7

79. العمري بوطابع، المسرح الجزائري (1938-1966) دراسة نقدية فنية، أطروحة دكتوراه من جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر، لسنة الجامعية : (2010/2009)

80. فلوريان كولماس: اللغة والاقتصاد (سلسلة عالم المعرفة)، ترجمة، د. أحمد عوض (نوفمبر 2000)

81. ابن قيم الجوزية : طريق الهجرتين وباب السعادتيْن؛ طبعة دار عالم الفوائد

82. كمال بشر، علم الاجتماع اللغوي ،(مدخل) ،دار غريب للطباعة والنشر ،(دط) ،1997

83. لمباركي بلحاج ، صور وخصائل من مجتمع أولاد نايل ، منشورات السهل ، سنة 2009

84. ليلى خلف السيعان: تأثير اللهجات المختلفة على لغة الأمة أو اللغة العربية، نقلا عن موقع:

85. لويس جان كالفي، السياسات اللغوية، ترجمة مُحَمَّد يحياتن، دار العربية للعلوم ناشرون،ط1، 2009

86. ---------، علم الاجتماع اللغوي،تجمة مُحَمَّد يحياتن، دار القصبة للنشر،الجزائر2006

87. ماجد رجب، التواصل الاجتماعي أنواعه ضوابطه آثاره ومعوقاته، المكتبة الغسلامية ، غزة (1432 هـ / 2011 م)

88. مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي ، قاموس المحيط ، دار الحديث القاهرة ، ط 2008

89. محسين مُحَمَّد سالم ،المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،1986

90. مُحَمَّد البشير الإبراهيمي: آثاره، ط1/ دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان (1997)

91. مُحَمَّد رياض ، المقتضب في لهجات العرب ، التركي للكومبيوتر و الطباعة الأوفيست ، ط1996

92. مُحَمَّد سليمان، فقه الغة وعلم العربية ، طبعة دار المعرفة، ص 273

93. مُحَمَّد سيد أحمد، الإعلام واللغة، دار الفكر العربي (1998 م)

94. مُحَمَّد صالح الضالع، علوم الصوتيات عند ابن سينا، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، (2002)

95. مُحَمَّد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، 1981، ط7.

96. مُحَمَّد عبد الله عطوات ،اللغة العربية الفصحى والعامية ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 2003

97. مُحَمَّد عبد السلام ابراهيم ، الإنجاب والمأثورات الشعبية ، الدراسات والبحوث الانسانية

98. مُحَمَّد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، دط

99. مُحَمَّد أحمد خاطر ، في اللهجات العربية ،مقدمة للدراسة ، مطبعة الحسين الاسلامية ، القاهرة ، (دط) ،1979

100. محمود عكاشة، علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية، دار النشر للجامعات، القاهرة، طبعة 2006

101. نادر سراج، إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي(رؤية ألسنية حديثة)،مجلة الاجتهاد، -العدد20، 1993،

102. نعمة أنطوان وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، دار المشرق، بيروت، سنة 2000، الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 2003، باب اللام، ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)،2003.

103. نهاد الموسى ،الثنائيات في قضايا اللغة العربية، دار الشروق، عمان، ط1 ،2003

104. هادي نهر، التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية ، ط1 (1429هـ)

105. يوسف بن نافلة ، (ديسمبر 2018)، الوظائف اللهجية في رواية الماء لواسني الأعرج، مجلة الكلم ، مجلة دورية، جامعة بن بلة، وهران، الجزائر، العدد7

المعاجم اللغويـــة :

106. إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، مُحَمَّد خلف الله أحمد: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية – مكتبة الشروق الدولية، (2004)

107. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط 1 ، عالم الكتب، القاهرة (1429هـ/ 2008 م)

108. الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3(1984)

109. الخليل بن احمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية (1424 هـ / 2003 م)

110. ابن دريد، أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيرت (1987)

111. الرازي، مختار الصحاح ، دار الفكر، بيروت، لبنان (2006)

112. الزبيدي، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرزاق المرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت (2008)

113. الزمخشري، محمود جار الله، أساس البلاغة، تحقيق مُحَمَّد باسل عيون السود (1419 هـ / 1998 م)

114. ابن منظور، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان (2010)

المخطوطات :

115. المخطوطات وأعمال الندوات والملتقيات والمؤتمرات، مما تمّ الاطلاع عليه فيما يتصل بالموضوع .

116. مخطوط ديوان الشاعر علي عبد اللاوي، ديوان الدنيا والناس.

117. مخطوط ديوان الشاعر محفوظ بلخيري.

118. مخطوط ديوان الشاعر مخلوف الصادقي.

المصادر الشفهيـة :

119. المجالس والمحاورات المستمدة من التواصل اليومي مع الاشخاص بناء على معايير انتقائية مناسبة..

120. المجالس واللقاءات المتعددة في مختلف الضواحي والأماكن على مستوى للمنطقة..

121. مجالسات أهل المنطقة من ذوي الاطلاع والدراية ومحاورتهم حول العادات والتقاليد الاجتماعية بالمنطقة..

122. معايشة الأحداث وحضور مختلف التظاهرات في عدة مناطق، ومن أشهرها تظاهرة مدينة سيدي مخلوف، بحكْم الانتماء إلى هذه المنطقة ومعرفة كل ما يتعلق بها.

123. النصوص المسموعة مشافهةً في أوساط المجتمع بين مختلف شرائحه..

124. حوار مع بعض المؤرخين والباحثين في التاريخ والتراث واللهجات، ومنهم الشيخ مبروك كويسي، أحد أبرز علماء المدينة، وبعض أبنائه ومجالسيه، وهو يُعَدّ مرجعا مهما للباحثين في تاريخ المنطقة.

المراجع باللغة الأجنبية :

125. 1853. Fromentin, Un été dans le Sahara

126. George Hirtz L'Algerie Nomade et Ksourienne1830/1954Diffusion LACUSSEL 1988.

127. Administrateur de l 'Annexe de Laghouat Tale N° 1087 du 04/02/1928.

128. E.FAGNAN R.A.tome 37 Année 1893 Office de Publication Universitaire Alger Edition N° 21310985.

أعمال المؤتمرات والندوات الأدبية والثقافية :

129. مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط، جمع وتنظيم وتحقيق خالد بوزياني، منشورات اتحاد الكتّاب الجزائريين، فرع الأغواط، أعمال الملتقى الأول، أفريل 1998م

المواقع الإلكترونية :

130. www.acmls.org/medical arabization/11thl ssue/mj

ملحـــــق

قصائد شعرية محققة

تتضمّن

استعمالات اللهجة الشعبية بمنطقة الدراسة

توطئة : مواصفات نماذج الملحق:

يتضمّن هذا الملحق نماذج مختارة من عدة قصائد شعرية شعبية محقّقة بلهجة منطقة غرب شمال الصحراء، وهي لأحد أبرز الشعراء بالمنطقة، وقد تمّ تحقيقها بشرح ألفاظها وبيان استعمالاتها في سياقاتها الاجتماعية المتنوعة، وقد جاء انتقاء هذه القصائد ذات الطابع الاجتماعي لتندرج ضمن إطار الدراسة التي تنعكس من خلالها صور الحياة الثقافية والاجتماعية بالمنطقة، فضلا عن تأصيل الألفاظ المستعملة فيها..

وقد تحققت في هذه النصوص عدة مواصفات وجدناها تستجيب لطبيعة الدراسة التطبيقية الميدانية، ومن ابرز هذه المواصفات والخصائص أنها تشتمل على نماذج متعددة ومتنوعة لجملة من الألفاظ والعبارات والمقولات الشعبية التي وردتْ بلهجة منطقة الدراسة، كما يجري استعمالها في الأوساط الشعبية الاجتماعية عبْر مختلف المواقع وفي مختلف السياقات.. هذا فضلاً عن تنوع استعمالاتها بين الحقيقة والمجاز، ويتجلى ذلك في السياق الذي استُعْمِلَتْ فيه..

وهناك جانب آخر كان من أقوى عوامل اختيارنا لهذه النماذج، ألا وهو أنّ الشاعر عبد اللاوي علي، صاحب هذه القصائد من أبرز شعراء المنطقة المتميزين بجودة الشعر وتنوع الأغراض والتمكّن من ناصية الشعر، فهو يقرضه في كل وقت من دون سابق تحضير أو استعداد، وهذا بدافع موهبته المتفتقة، ثم بخبرته في الحياة ومخالطته لكل أصناف الناس في المجتمع، ومشاركته الفاعلة المتكررة في المحافل الأدبية محليا ووطنيا؛ ومن جهة أخرى كونه شاعراً مخضرماً، [1] إذْ عاصر كثيرا من الشعراء السابقين وجالسهم واستفاد منهم، كما أنه قضى فترة شبابه في ظل الحياة التقليدية المعروفة بالكثير من الخصائص والمزايا التي لم تعُد موجودة اليوم، وعاش كذلك مجريات الحياة العصرية ولا يزال كذلك يرى كثيرا من مشاهد الحياة تتغيّر تغيّراً سريعاً، ويشاهد ما هنالك من اختلافات وتباينات واضحة بين الأمس واليوم، وما أصبح عليه الناس في المجتمع المعاصر ..

كل هذه المعطيات والعوامل والمؤثرات دفعت الشاعر إلى أن يختار وجهته الشعرية المتمثلة في معالجة القضايا الاجتماعية بكل أنواعها بطريقة فكاهية ساخرة، تلك الطريقة التي يلحظها كل من يجالس هذا الشاعر الموهوب ويحاوره، فهي من أبرز سمات كلامه وأسلوبه وحواره وطريقة حياته، فضلاً عن إبداعه الشعري وما يتميز به من خصائص فنية متنوعة..

ولا يفوتنا أن نشير إلى أنّ الشاعر له الكثير من الأعمال الإبداعية والفنية، فالكثير من قصائده تمّ تلحينها وغناؤها من ملحنين جزائريين، كما تلقفتها بعض المؤسسات الإعلامية والفنية باعتبارها نماذج حية للحياة الاجتماعية، لتجعل منها مادة أدبية وثقافية وفنية وإعلامية تلقى الإقبال والاستحسان من المتلقين على عدة مستويات؛ ومن ذلك مثلاً ما حظي به الشاعر من استضافات على بعض المنصات الثقافية والإعلامية كمؤسسة التلفزيون في بعض محطاتها وبرامجها الأدبية والفنية في مجال الشعر الشعبي..

[1] – الشاعر من مواليد 14 من شهر نوفمبر من العام 1944م، ببلدية سيدي مخلوف بولاية الأغواط.

هذا، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه القصائد منها ما يعالج القضايا الاجتماعية في طابع فكاهي يتضمّن كثيرا من الرموز والإيحاءات، ومنها ما يندرج ضمن النقد الاجتماعي؛ وهي لا تخلو من الحِكَم والأمثال والنصائح الإصلاحية المستمدة من تجارب في الحياة.. فضلاً عمّا يدبجها من الإبداع الأدبي وتنوع اساليب التعبير والطرُق الفنية في التصوير، وهو ما جعلها تجمع بين المتعة والفائدة.

وقد حرصنا في انتقاء هذه النصوص على أن تتحقق فيها عدة مواصفات، من أهمها أن تتّسم موضوعاتها بالتنوع من حيث المضامين والبنية الإيقاعية، كما حرصنا على أن تكون مشتملة على استعمالات متعددة ومتنوعة للهجة منطقة الدراسة..

فمن حيث الموضوعات شملت قضايا دينية وأُسَرِية واجتماعية وسياسية وفكرية متنوعة؛ ومن حيث البنية الإيقاعية تنوعتْ مقاطعها بين الطول والقِصَر، وبين الخفّة والامتداد، فضلاً عن تنوع القافية والرويّ؛ مع عدم خلوّها من الطابع الفكاهي الذي يعكس واقع الحال من جهة، ويحقق المتعة الفنّيّة للقارئ من جهة أخرى..

هذه أبرز المبررات التي أدّت غلى انتقاء هذه النماذج لهذا الشاعر، علما أن ثمة الكثير من المادة الشعرية لهذا الشاعر ولغيره من الشعراء الآخرين بالمنطقة، كما هو الشأن في كل المناطق الجزائرية.. وهنا تجدر الإشارة إلى ضرورة استغلال الوسائل البحثية المتاحة لجمع التراث الثقافي اللامادّي عموماً، والتراث الشعري منه على الخصوص، نظرا لما تزخر به المنطقة من ألوان الإبداع في هذا المجال، وذلك من أجل حفظ هذا الموروث الثقافي النفيس والاستفادة منه على أكثر من مستوى..

الْعْزُوجْ أُو كَنّتْها[1]

أُبَّيْ مات أُو لحقتو العْـــزوج أُمَّــه ... قالت شيـخي نلحقـو في الجبانـه[2]

خلاني وحدي غْـــريبه إيتـــيمه ... مانقعدش اوراه نبْـــــقى للهانه[3]

من بعـــدو لا شـــان ليأَّ لا حُرمه ... أُغطاياَ وْبقـــيت منُّو عريـــــانه

وش ابقـالي يا العاقـل في الحومــه ... انتـجـاتي قاع صـدت قضبـــانـه[4]

اتبَـدّل ذا الْجيـل ماقعـدتْ رحْمــه ... وَيْنا كنّــته اليـــوم فيها لحْنـانـه

اللّي اتنـوض اتـزيد بلْعانـي تعْـمَى ... تبعث ميصَاجات ياسـر وامْعانـــه[1]

---

[1] – **العْزوجْ** : هكذا بالزاي قبل الجيم ، بمعنى " العجوز " ويُطْلَق لفظ عند أهل منطقة الأغواط وما جاورها على الجدّة ، وكذلك على الأم حتى لو كانت شابة ، إذْ لا يكون في هذه الحال دالاً على كبرها ، وإنما هو إشارة إلى الأمومة فقط.

[2] – **أُبَّـيْ** (بضمّ الألف وتشديد الباء وفتحها وتسكين الياء) : أبي، والدي ؛ **الجَّبّانَه:** (بتشديد الجيم والباء وفتحهما) : المقبرة .

[3] – **نَبْقَى للْهانَة** : أبقى بعده للإهانة وتدهور الحال بعد فقدانه..

[4] – **صدّتْ** : رحلت عن الحياة ، ورجعت إلى دار البقاء ؛ واللفظ (صدّ) فصيح ورد في أشعار العرب كثيراً ، ومن شواهده قول الشاعر: صددتِ فأطولْتِ الصدود وقلّما ** وصالٌ على طول الصدود يدوم . (ينظر كتاب سيبويه وشواهده) ؛ **قضبانة:** غاضبة غير راضية.

اتقـولّي ياعْـــزوجتي نقـّي الثّومه زيـــدي البصـــله قشّْري والجلبـانـــه
تنـــطحْني[2] واتْقولها لي لاحشمـه وجْـهْ اصحيح وماسحاتو بجرانـــه[3]
تصبح نعســانه اتمقـيب بالذمـــه ع العَشـره اتنـوض عـني زعفانـته
اتهــز الصاكه وتهبــط للخدمـــه والبورطـابل فيـه بيــسو مليـانـه[4]
ادّهْمِـي للسوق سَوَّالتْ سومـــه اتـــزور الشوّافه اتـــزيد القـزّانـــه
العشـوه لزوجـها تضرب بسمـه اتقولّو رانـــي أُقبـــالك تعبـــانه
يتْبَسّم ما يقـــولها حتى كلمـه من سوى هابـــلاك ذيك الامانـــه
ماكَلْ بعض حوايـــج مسـمومـه قلبـو راقـد ما ينـــشّ الذبـانـــه[5]
ارفد روحك نوض يعطيك القُمّـه داوي سحرك لا تْرُشّـيك افْـلانـه[6]
هـذي القصّـه قا لَيَّـــــا وأُمَّـهْ نا عارفـــها لَيّا اتلمّـح بامعانـــه[7]

ازْواج المتـعه قاتـــلي فيه الحكمـــه ما عنـــدو اشـــروط ولا ضمانه
ازْواج المتـعه كي الضيف يسّـــــمّه عقّب بيها اشهَيَّـــــر ولا سمانـه[8]

---

[1]- **ميصاجات**: رسائل (كلمة أجنبية معربة: messages) ؛ **ياسَرْ** : كثير ؛ **وامْعانَهْ** : ومعان وتلميحات..

[2]- **تنطحني**: تقابلني وتواجهني من غير حياء ولا خجل، ومنه تناطح الحيوانات إذ تتقابل ويهجم كل طرف على الآخر. واللفظ (نطح) فصيح، ومنه قول الشاعر : كناطحٍ صخرة يوما ليوهنا ** فلم يَضِرْها وأوهى قرْنَه الوَعِلُ (البيت من شواهد القطر لابن هشام الأنصاري)

[3]- **الـ(جْرانة)** : الضفدع ؛ وقوله : **ماسحاتو بجرانة**: فيه كناية عن الجرأة الزائدة على الحدّ، وعدم الحياء أو الخجل من مواجهة الآخرين بما لا يليق ، وصلة ذلك بالضفدع أنه حين يمشي على الأرض يمرّ على كل ما يأتي في طريقه ولا ينتبه إليه حتى يصطدم به.. ثمّ إن الضفدع مسبب للانزعاج ولا يُرْغَب فيه لما يتركه من أثر على المكان الذي يكون فيه..

[4]- **الصّاكة** : كلمة أجنبية معربة حرفيا (sac) ؛ **البورطابل**: الهاتف المنقول (portable) كلمة أجنبية معربة حرفيا (puce) **بِيسُو مليانة** : بيسو: كلمة أجنبية معربة حرفيا (puce) ؛ **مليانة** : معبّأة بالرصيد..

[5]- **قوله** : **قلبو راقد ما ينش الذبانه** : كناية عن عجز هذا الابن عن التخلص ممّا يحلّ به من أزمات نتيجة تعرُّضه للسّحْر وتأثُّرِه به، وهذه عبارة معروفة في لهجة منطقة الأغواط ، تعبيراً عن العجز والضعف بسبب هذا العمل.

[6]- **ارفدْ روحك/ نوضْ**: انهضْ ؛ **يعطيك القُمّة**: دعاء عليه بالإصابة بالغَمّ ؛ **اترُشَّـكْ**: تَرُشُّك بماء فيه سحْر، وذلك من عمل بعض النساء لبلوغ مآربهنّ، وهي ظاهرة معروفة منذ القديم في كل المجتمعات ..

[7]- **نا عارفها** : أنا أعرفها، **ومن عادة بعضهم أن يحذف الهمزة للتخفيف في ضمير المتكلم، فيقول(نا) بدل(أنا)** ؛ **بامعانَهْ** : بمعان تُفْهَم بالتلميح من دون التصريح .

[8]- **قوله** : **اشهَيَّر ولاّ سمَّانة** : كناية أخرى عن قِصَر المدة ، بدليل صيغة التصغير (اشهيّر) وهي من خصائص لهجة منطقة الأغواط ولا توجد في غيرها من اللهجات الأخرى.. والمعلوم أن التصغير من الصيغ العربية الفصيحة ، ويكون لغرض التحبيب أو التحقير أو التقليل... وأمّا قوله : **سمانة** : فالمراد بها الأسبوع ، وهو تعريب للّفظ الفرنسي (semaine).

ما تامن بلاك لَكانَـــــش بُرْمَـه راها الوردة شوكـها فيــه الخْيانـــه[1]
حاشىَ ابْناتْ الصِّيلْ ماهُمْشِ أُحُرْمَّـه وَحْـــدة ماليـــكَه أُو وَحْدة سُلطانه[2]
اللّي سَعْـدوا دلّـوا هــذونــا هُمَّـــه شَرْفْ أُو نِيفْ ما تْكَـــشَّر، فرحانه[3]
هذي هِيــا أُوصِيـتِي بالـكْ تَعْمَــى أَبْقَى عازبْ لا اتْـقُــرّكْ فَلتـــانـــه.[4]

---

[1]- **البُرْمَة** : هي القِدْر التي تُوضَع على النار وفيها أنواع من الخضر مع اللحم والتوابل وغير ذلك ، فهي تجمع ألوانا من المطهيات، ويكون منظرها جميلاً مغرياً يجعل الأسرة تنتظر ما ستسفر عنه من وجبات شهية.. وسميت (البُرْمة) تأثراً باللفظ العربي =الفصيح المركب من أكثر من كلمة ، إذ يقال وضع الشيء أو أخذه (برمّته) أي: جميعه دون أن يترك منه شيئا. ويقولون عن الأمر الممتزج في لهجة الأغواط (بُرْمَة راس العام : تعبيراً عن خلْط عدة أشياء بعضها مع بعض) وبُرْمَة راس العام تكون في مناسبات معلومة في التقاليد الجزائرية.. وفي هذا البيت تشبيه ضمني ، فقد شبه الشاعر البُرْمة (وهي القِدْر) حينما تكون مزيّنة بألوان الطعام المغري شبهها بمكمن الضرر والخطر الخفيّ، وهو يقصد السّحْر (حسب البيت). وقرن هذه الصورة بصورة تلك الوردة التي تُغري الناظر بمنظرها الجميل ولكنّ شوكها يؤذيه عند محاولة قطفها. وثمة صورة أخرى جميلة تتمثل في الاستعارة ، في قوله (شوكها فيه اخيانة). فقد شبه الوردة بالإنسان الخائن، وحذف المشبه به (الإنسان) وأبقى على إحدى صفاته ، وهي الخيانة، على سبيل الاستعارة المكنية.. وهنا أبدع الشاعر إذْ قرن بين صورتيْن في صورة واحدة، ثم مزجهما بصورة ثالثة في تداخل وتكامل عجيبيْن مع إيجاز العبارة. وهذا ما لا يتأتّى إلاّ لمتمكّن في الإبداع الشعري.

[2]- **بنات الصِّيلْ** : بنات الأصل ؛ **ماهمش حْرُمَّه** : لَسْن من بنات السوء ؛ **ماليكة وسلطانة** : كناية عن التحلي بالأخلاق العالية والترفع عن الدنايا وأعمال السوء..

[3]- **شرْفْ ونيفْ** : أي بنات شرف وعفّة، وهنّ مترفّعات بشرفهنّ وعزّتهنّ، فلا يقبلْن الإهانة أو الإساءة ؛ **ما تْكشَّرْ فرحانة** : أي لا تقطّب وجهها ولا تنظر إلى الآخر نظرة ازدراء أو تكبّر (كناية عن حُسْن الخُلُق والتهذيب والتربية).

[4]- **أبْقَى عازبْ** : ابْقَ أعزب أفضل لك من أن تتزوج بامرأة سيئة تفسِد عليك حياتك ؛ **لا اتْقُرّكْ** : لا تَغُـرّنّك ؛ **فلْتانَة** : مقابل فلان للمذكّر، لكن بزيادة التاء على كلمة (فلانة) دلالةً على التهكُّم والسخرية، وهذا ممّا دأب عليه أهل المنطقة في لهجتهم.، والمراد: لا تغترّ بالمظاهر الخدّاعة التي تُبْدِيها لك بعض النساء للتأثير عليك، ثم سرعان ينقلبْن عليك فتندم..

النـــزوح	الرّيـــــفي
تعرفْني رحّال بدْوي من بكْرِي	أُمَّالف بالبيتْ والصّـــحرا والتّـــل[1]
كرَّيتُوني [2] ياولادي في كبري	قلتـــولي يا شيـــخ ريّـح وادّلّـل
سكّنـتوني في القصر ماهو وكري	ماني ضاري أعلى احيـــوطو نتململ
أُمَّالف محكوم نصبح نجري	نَسّـــركبْ[3] من كل عالي نطّلل
متهنّي لاباس أمريّح فكري	ملك الله ميسوع نظهر ونْقَبّل
أفراش الحلفة أملقيه لظهري[4]	كي نرقد على طوالي متكسل
ملّي سكنت لحوش فارقت لعمري	عني دار الحال والجو أتبدل
أُرْقاد النيلة مع السيما آصَبْرِي	أوضَوْ التلفزة على العينين أنزل
أتحنيت اخلاص و تقوس ظهري	كل يوم أنزيد في النوضة نفشل
روماتيزم عُدت للطُّبَّا نجري	طابو كربي من ليباري نستاهل
يا حسْراه على زماني يا عمري	كي نتفكر ما بقالي مانامل
بيا شين الراي فاقس من بكري	ولاَّ امْدَعْوِي أتلاحقت لمْحان الكل[5]
ملّي سكنت الحوش	ألقيتو ماهوش
راني ما طقتوش	ضاري بالصحرا[6]
أُمّالف يا ناس	أنحب التحواس

[1] – **أمّالف** : متعوّد، وهي كلمة دارجة أصلها فصيح من الألفة ؛ من بكْرِي: منذ القديم ؛ البيتْ: الخيمة ؛ التّلّْ: المناطق غير الصحراوية.

[2] – **كرّيتوني** : بمعنى جررتموني ،كلمة عامية كثيرة التداول بلهجة المنطقة.

[3] – **نسّركبْ** : أجلس في المكان العالي وأطلّ على ما حولي، وهذه الكلمة مستعملة في لهجة أهل البادية أكثر منها في لهجة الحضر .

[4] – **املقيه لظهري** : بمعنى يكون موالياً لظهري أو من جهة ظهري، بمعنى: ورائي .

[5] – **فاقسْ**: فاسد ، لا يصلح ؛ من بكْرِي : منذ زمن طويل، ليس أمراً جديداً .. ؛ **ولاّ امْدَعْوِي** : يتساءَل: هل هو صاحب دعاء الشّرّ، وقع عليه بتبعاتِه، وكلمة : امْدَعْوِي، تستعمَل بالمنطقة لمن غضب عليه والداهُ أو غيرهما من الناس فدعوا عليه بأن يصيبه سوء..

[6] – **راني ما طُقْتُوشْ** : إنّي لم أستطعه ولم أقدر على تحمُّله ؛ **ضاري بالصحرا** : متعوّد على الحياة في الصحراء..

صيّـاد أو قصّـاص ناظـر[1] فـي الجُـــرّة
ضـاري مع لعـْلاب[2] نسّـركـب[3] لــوّاب
لعـْلاب[2]

فـي نَيْـفـي أطيـاب نسيـــم البُـكـــرة
أنّـــح النُّـــوّار بيـــدي أو نخـتـار
أو خَـدّي يَحْـمارْ بحليـــب البقـــرة
زاهـي فـي الهـوى أمْـــع اللـــي نهـــواه
في عــزّ ونشـــوى اعْلَى ضـــيّ القمرة
أبصـــوتي قَنّـاي[4] صحـــراوي ياياي
4

اشـراب الأتـاي يحـــلى في السـهـرة
يا مـحـلى لغـــرام فـــي ذوك الأعـــوام
هاشـوفـــو ليّـــام ولات اللَّـــــــورا[5]
أنا كبـرت أخـلاص أو طـاح القُـنطـاس[6]
أولادي لعـصـاص سكنـــو في الدشرة
مـا بْقَـى ليـــا راي في الرايـــح والجـاي
لا من قـــال أُبَّـيْ ما قعـــدت عِشـرة
ماعنـهـمش اللـوم أوليـــدات اليـــوم
فـي وقت التـقـدوم واعبـــادو تـــقـــرا
أنا زمـــانـي راح بأيـــامـو لمـــلاح

---

[1]- **ناظر** : ماهر ومتمكّن ؛ **الجُـرّة** : الأثَر على الأرْض بعد السَّيْر ؛ والمراد المهارة في اقتفـاء الأثر (واقتفاء الأثر يتميّز به بعض العشائر فقط من عرش المخاليف (نسبة إلى المكان المسمَّى بالجبل الأزرق)، فهم منذ القديم يقدّمون دوراً أساسياً في الثورة التحريرية لمساعدة المجاهدين وإرشادهم ، كما أسهموا في العثور على اللصوص باقتفاء آثارهم على الأرض. ويقولون فلان **يْقُصّْ الجُرّة** : أي يقتفي الأثَر.

[2]- **لَعْلابْ** : الأماكن الصحراوية الخالية البعيدة عن المدن، حيث يجد راحته.. يقولون : العلْبْ أو العرقوب: وجمعه عراقيب. بالمعنى نفسه. نفسه.

[3]- **نسَّرْكَبْ لوّاب** : أطلّ من الأماكن العالية متجولاً من مكان إلى آخر ..

[4]- **قَنّـاي** : اسم فاعل من غنّى بلهجة المنطقة إذ تُنْطَق الغين قافاً، قنّاي صحراوي: أي أغنّي الغناء الصحراوي، وتتكرر فيه: يايْ يايْ.

[5]- **ولاّتْ اللَّـوْرَا** : عادتْ إلى الوراء .

[6]- **طاح** : سقط ؛ **القُنْطاسْ** : أعلى الشيء وقمّتُه ؛ وهذه كناية عن تقدّمه في العُمر وتراجع همته ونشاطه المعهود في عمر الشباب..

آولادي السـمـاح دنْيـتكـم أخـــرى
طالـبْ من ربّـي يغـفـر لـي ذنبـي
أبْجـاه النّـبـيّ واصْحابُو عَشـرة.

أحلام وانتخاب

ما نترشح ما نخش الانتـخاب والله يا لـوكـان تعطـوني وزيـر
قلـبي خبرني وورّاني لَسْبـاب هذا لعام أعقوبتـوا ما فيـها خير
واش أدانـي نعود ديـما كذاب نـزرد في ليمـان باوراس أم الخير
ما ناكل رشوة ما نُصْرُط[1] كُلاّبْ يخرج من كرشي أيشافي ومسامير
وش مديني للبلاء عنوا جلاب[2] السياسه ما تليق لشيـخ اكبـيـر
ما نامن ما ندير ثيـقة في النواب من راس النخلة إيلوحوني في البير
في الحزة[3] محال تنفعني لصحاب القانون إذا أطّبـّق واش انديـر
الكرسي خداع ساهل للتقلاب ياسر من شفناه دهماه التـغيـير
الوطنية ناقصة والوقت أصعاب زادو هلكونا بحريـة التعـبـيـر
ما نترشح ما نخش الانتـخاب مانعطي رشوة على جال أم الخير
واش اداني نعود للكرسي طلاب أنضيـّف في ناس ما تعرف تغيير
مَنْشَاره وحديثهم هوض لعصاب[4] مـورالي ماعاد لاهـي بالتفكيـر
لعصاب[4] فتـّان وكذّاب ما عنـدو ضمـير
المنـافق راه من سُقْـرُو لقّـاب مواعيـد كذابـه ع الجماهـير
والطّمّاع سْياستُـو بيها رطّـاب بكذبـه يقْـنِي الطمّـاع الفقـيـر
سياسي مايرد من جالو طلاب[5] ولَو يسكن طول عُمْرُو في القزدير

---

[1] – **مانُصْرُط**: لا أبلع ، كُلاّبْ: مفك وقاطع للمسامير وغيرها ؛ **إيشافي** : جمع أشْفَة، وهي دبوس حادّ طوله حوالي 10 سنتم ومقبضه خشبي يستعمل لدى أهل البادية مخصص لخياطة قطع الخيمة (الفليج) أو غيرها مما هو خشن؛ وفي هذا البيت كناية عن سوء العواقب والندم بعد فوات الأوان..

[2] – **وش مديني للبلاء** : ما لذي أخذني للسقوط في هذا البلاء ؛ **عنو جلاّبْ** : أذهب إليه بنفْسِي متعدّياً (أصلها: أجلبه لنفسي)

[3] – **في الحزة** : في وقت الشدّة والحاجة الماسّة..

[4] – **مَنشاره** : أهل غيبة ونميمة وتتبع للأعراض ؛ **حديثهم هوّض الأعصاب** : كلامهم يثير الأعصاب ؛ **مورالي** : نفسيتي (تعريب لكلمة لكلمة moral الفرنسية)

[5] – **ما يرد من جالو طلاب** : لا يرد سائله ردّاً مكشوفاً ولكنه يحتال عليه بالوعود الكاذبة

ستّ اشهُرْ وْلَا ايْدورْ لْفُمّ الباب[1] في ذي السنوات راني درت التير[2]

انــورّيكم أسرار حُكْمِي يالحباب انا بالحيلــه إنهبّــل جماهــير

انا مانــي مسيليـــمه الكذاب تاريخــو مازال باقــي للتفكير

مانيش كيما الحجاج العطاب وانا سيفي قا الرشوه والتــزويــر

سيف وشجاعه وفصاحة خطاب لو قرضي ننفيه لبلاد الكشمير[3]

الراجل عندي ما نطلعلوش حساب هذوك أنصاري مع روس الباعير[4]

الراشي واللّي انسوقو مثل الدّاب ايجيــبولي لخبار قرضه وتمنشــير[5]

واحد عندي سورتي لاخُر بواب والغابة ما تجيــب أخبار الخيــر[6]

حنفــاقه ويشكموا مضي لنياب كيداري فوق لحراش بلا تسمير[7]

نلــقى روحي قاندّي في لَعقاب ركز في المعنى أيوريــك التفسير

هذا حلمي فيه سؤال وجــواب ولاّ الطاقة ايخُشها سارق خطير[8]

واللّي داخل صور يدخلو م الباب قعدت للتاريخ في حال التفكير

امْنامي صوره ورسمـــتها لسباب على ماضي ضدنا ما دار الخير

صوره من الخيال باللوم وعيتاب والمكسوره ويكــتا تجبر وتطيــر[9]

مولى الفعل الشين معندوش احباب ما يتــرقّع لا بيْـَبْـرَة ولا سيــر[10]

امْنـــامي ماعــاد نلقـــالو طبّاب لعــلاّه ايعــود محلاه بتــقصـــير

افْطنْتْ وولّيتْ حطيت الأهذاب معنّـــوش اللــوم دهماه التغيــير

الباكي ع الأطلال مقواه اذا صاب وصْحاب التزوير دارو مرشربير[11]

---

[1] – **ست اشهُر ولا يدور لْفُمّ الباب** : لا يأتيه ولا يسأل عنه إطلاقاً، وذِكْر المدّة كناية عن ترك النائب لمن انتخبوه ووعدهم كذباً..

[2] – **درْت التّيرْ** : فعلْتُ الأفاعيل، وكلمة (التّيرْ) أجنبية دخلت اللهجة الشعبية الجزائرية وصارتْ متداولة في المجتمع.

[3] – **لو قَرْضِي**: فصيحة: لوكان غرضي: يريد: لو كان بيدي واستطاعتي؛ لبلاد الكشمير : كناية عن البُعْد الشديد الذي لا رجعة منه.

[4] – **انْستقُو مثل الدّاب** : أتحكّم فيه على هواي كأنّه دابّ: أي بهيمة، وأفعل به ما أريد، يريد أولئك الخاضعين لأجل مصالح آنية.

[5] – **القَرْضَة** : إيقاع العداوة بين الناس ؛ **التمنشير** : الوقوع في أعراض الناس غيبةً ونميمةً لأجل إسقاطهم من منافسته..

[6] – **حنفاقة ويشَكّْمُو** : من يقومون بالتدخُّل ، وينقلون أخبار الناس للمسؤول ويوالونه ولا يبالون بسوء أعمالهم وعواقبها..

[7] – **كيداري**: حصاني ؛ **فوق لحراش**: يمشي فوق الأماكن الوعرة ؛ **بلا تسمير** : بلا شيء يقي أقدامه من الإصابة (كناية عن حاله)

[8] – **الطاقة (بالقاف المثلثة)** : النافذة الصغيرة أو المنفذ الضيق ؛ **ايخُشْها** : يدخلها

[9] – **مولى الفعل الشّين** : صاحب الفعل السيّء .(وفي البيت تشبيه ضمني، بحيث يبيّن الشطر الثاني ما جاء في الأول.)

[10] – **يَـبْرَة**: إبْرَة الخياطة ؛ **سَيـرْ**: (بالإمالة) خيط رقيق مأخوذ من الجلْد الطبيعي لخياطة الأشياء الخشنة غير الثياب(وفي البيت كناية)

[11] – **داروا مرشربير** : رجعوا إلى الوراء، وهي كلمة فرنسية الأصل marche-arrière متداولة بين الناس في مجال السياقة.

ما ينفعشْ المال ما تنفع لصْحاب اِيرقَّصْني مَرَّة على نقْم البنديـر[1]
شوفـولي ياخاوتي كانش قصّاب والناقد لحكايـتي ناقص تفكـير
تميّت الرقصة على ماضي كذاب اذا بِيدُو قع ما يفعلش الخــير[2]
إيدَزّْ معاهم وين مابانت لسباب امسى في النسيان معندو مايدير
احكيت القصه ورْثيت المصاب نقلق عنو بالحجر وشكاير جير[3]
واذا ناض أزقـوق نحفرلو زرداب والشُّعــارا كافّة أهل التعــبــير
بسلامة السامعـين وكل لحباب يتعلم من شعرهم من راه صغير
صُنّـاع الكلْمة أُودابــه كُــتّاب أهل الخبره عارفين القصد أكبير
هذا امْنام اتفسرو نُقـاد أحباب بالحارا ميصاج للماضي تفكير[4]
مانـي سياسي داخل لنتــخاب نابيا حب الوطن وعليه انْغِــير
ما نيشي طمّاع في الكرسي طلاّب المكتوبة كاتبـه وعلاش انحــير
لا دنيا في خاطري ليها كسّاب الحق نقولو بضحكه وتمسخير[5]
يا سامع مانيش في الباطل جلاّب يعرف ما يخـتار نْهـار التغيــير
كمْلتْ القصة انفكّر في الشباب صلوا قاع عليه وابْقاوْ عْلى خير
والصلاة على النّبي والأصحاب

الطالب في السوق

راني طالب أُو نكتــب مع لَسواقْ نْظَــل نْدَبّْ[6]
بالسبـحة نعد ونحسب أُو نضــرب خط الرمـل[7]
انفرش كرطونة في السوق وندير اكتـابي من فـوق
انطيـح انريــش ونْتُــوق يافــتّاح علـــى لـــوّل[8]
اتعرفت على بعض الناس اللـي مالكهـــم وسواس

---

[1] – **مَرَّة** : هنا بمعنى: مدة ؛ **نقْم البنديـر** : نغمات ووقع آلة البندير، وهو نوع من الدّفّ يستعمل في مناسبات الفرح بالمنطقة.

[2] – **إيدَزّْ معاهم** : إيدَزّ : يدفعْ ؛ ومدلول العبارة عند أهل المنطقة : لا أبالي به ولا أضع له اعتباراً ..

[3] – **ناض ازقوقْ** : ظهر في شكل شبح مخيف (وهو ما يتخيله الناس في الليل حين يشتد الظلام) ؛ **زردابْ** : حُفْرَة كبيرة .

[4] – **بالحارا** : تستعمل هذه العبارة تعبيراً عن الحدّ الأدنى من القول او الفعل ؛ **ميصاج** : رسالة، وهي كلمة أجنبية : message

[5] – **بتْمسخير** : باستهزاء وسخرية.

[6] – **نْظَــل ندب** : أظلّ أمشي وأدبّ (من الدبيب: كناية عن استمرار الحركة طوال اليوم)

[7] – ضَرْب خَط الرّملْ :التنبُّؤ للناس بمصائرهم ومستقبلهم، وهو من الأساطير اليونانية القديمة التي انتقلت إلى العرب..

[8] – **انطيـح** : ابدأ ؛ **انريــشْ** : أُلَوّح بيدي للمارّين ؛ **نْتُــوق**: أُطِلّ لاستقطاب الناس؛ **يا فتّاح على لَوَّلْ** : أستفتح بالزبون الأول.

امعاهـم عايـش لابـاس ناس اطنـوحه ظـنّي كل[1]
آخُـر قالّـي انا خـوك شوف اكتابك يرحم بوك
القيـتوا راجـل مهلوك خبْـطـوا جن بلا عقـل
قوتلـو لازمـلك نوشرة هاتـلـنا معـزه عطـره
راك على يْـدي تبـرى ولا تقْـده في المحـل
أُو لاخُر جاني يشكي منفـوخة كرشـو يـبكي
قالي عندي ما نحكـي انظـل مْعَ ٱلمعـزجْ ناكُـل[2]
القيتوا مسكين مسحور يتـألم بايـنْ مضـرور
ادواه ايكون بلا مرور في العشوب من الجبـل[3]
وكـلوه مُخّ الفكـرون ادواه سـاهل ذا المقبـون
دير الحلـبه والكمّون أُو قَـزّْ الفلفـل لكحـل[4]
امرسْهم وصْت اللّبّـين زيـد الدفـله والنُّـتـَّـيْـن[5]
كي تجي ترقد طعمتين واشرب عنهـم قرعـة خل
راك تلوح كل لحنـاش ازرازيـم أُو بـوككـاش[6]
ولا اتسـند في لفراش تشوف الموت عليك اِيطُل
أُو لاخُر جاني خايف يُقـعُـد ويولـي يوقـف
قاللي رانـي مزعـف جنْـبي ليْسر راه تحـل
حـتى هو القيـتو معيون او حسدوه الحاسـدون
قاشـافوه ناقـل كانون خـزروه قبل ما يشْـعـل[7]
نشْـبْرك خـويا تبـرا لكن سبّـقـلي لُجره[1]

---

[1] – **ناس اطنـوحه** : أُناسٌ سُذَّج وأغبياء ..

[2] – **انظل مع المعْـزج ناكُلْ** : يقصد: أنه يُكْثِر من أكل ما تُعدُّه العجائز من أكل فيه سحْر للتأثير على الناس.

[3] – **الْمْرُورْ** : أعشاب غذائية مفيدة يتمّ طحنُها ووضعها على الأُكْلات الساخنة، خصوصا في فصل الشتاء..

[4] – **قَـزّْ** : القَزّْ(بتفخيم القاف والزاي): أكل الشيء الصلْب، ويكون من القمح أو غيره مما هو مقْلِيّ والحكمة الشعبية بالمنطقة تقول: (اللّي عشاهْ قَلْيَة يبْداهْ بالقَـزّْ) ؛ و**القَلْيَة** (بالقاف المثلثة): هي القمح الصلب المقليّ، ومعنى هذه المقولة : أنّ من كان لديْه شيءٌ يطول إتمامُه فعليْه أن يبداه مبكراً ليُتِمَّه.. لأنّ القَزّ يأخذ وقتاً..

[5] – امرسْهم: اهرسْهم وامزجْهم ؛ **وصْت**: وسط ؛ **اللّبّـيْن والدّفْلَة** : نبات دائم الخُضْرة ؛ **النُّـتَّـيْن**: نبات طعمُه مُرّ .

[6] – **تْلُوحْ**: **ترْمِي** ؛ **لَحْناشْ**: الدّود الذي يشبه الثعابين الصغيرة ؛ **ازْرازِيـمْ** : كتلاً متراكمة ؛ **بوككّاشْ** :حيوان صحراوي يشبه الضبّ.

[7] – **قاشافوه** : بمجرد أن رأوْه ؛ **ناقلْ كانون**: يحمل آلة الطهي ؛ **خزْرُوه**: رأوْه، والمراد هنا: أصابُوه بالعيْن.

آرالـــي تْرانَـــشْ عشـرة تربـح خلّـــصـــني قْـبَلْ[2]
راهـــا العـين مْن الطيره تقبـضـك منها الغيـــــرة
آتيـــني ابْكُـــبّـــه نيـره شرط اللون يكون اكحل[3]
جنبك ليْمن زوج امتار أُو ليْسر قا سبعه اشْـبـار
او سنّـــك ولـّى منشـــار اضلوعك تـــتـــعد ألْكُل[4]
ذا المصيـبة فيك اقديـمه نعمـلّك ليْـها عَزيـــمه
يا بـــرْكَةْ جـــده حليمه وأم الخـيـــر بنت الجبـل[5]
اتفـُكوا هـــذا البلّـــــيمه لا تبـقى المدام ايتيـــمه[6]
اتـــولي زين التبســـيمه تمشي أُقْبال الناس الكل
بعـد العَـزيمة لبـخور في المجمر يعمل تعـرور[7]
جحـجح عنوا حتى تفور وِيـوَلي عَرقَـــكْ يغسـل[8]
بخـّر بهـاذي الادوية الكبريـتـــه مع التـــوتيـــه
بونـــافع عشـــبة بريـة او زِيد معاهم بعـــر البَـلْ[9]
نـوض ترانـش براكات ها هـي العزيـمة قضـات[10]
خليـنا انزيـــدو عشرات انداوو هذا النـاس ألْكُلّْ
أُو لاخُـــر جاني مجـــر قاللـــي ما عنـــــدي زهـــر
آطـــالب واش الخـــــبر شوف كتابك كانش حل

---

[1]- **نَشْـبْرك** : يشْبَرْ: يستعمل اليَد لقياس طول خيط معيّن فإنْ كان عدد الأشبار وافياً فلا شيء بالمشبور، وإن كان ناقصا فبه عيْن (وهذه ممّا توارثه بعضهم أباً عن جَدّ، ويقبلها بعضهم ويردّها آخرون) ؛ **تَبْرَا** : تُشْفَى ؛ **سبّقْلِي لُجْرَة** : أعطني أُجْرَتِي مسبقاً..

[2]- **آرالي**: أعطني(بلهجة بعض مناطق الشرق) ؛ **ترانـش**: لِأَرَى أي شيء ؛ **عشـرة**: 100دج ؛ **تربحْ** : من فضلك ؛ **قْبَلْ**: أولاً

[3]- **كُـــبّـــه نِيـــرَه** :كُبَّة من الخيط المستعمَل في النسيج، وهي التي تستعمَل في هذا النوع من العلاج ..

[4]- **سنّـــك ولـّى منشـــار** : عمودك الفقري أصبح حادّاً كالمنشار: هنا تشبيه بليغ، وكناية عن الإصابة بالنحافة نتيجة المرض..

[5]- **يا بـــرْكَةْ** : عبارة تُقال عند التوسُّل تبَرُّكاً (يقولون : يا بَرَكة فلان أو فلانة....)

[6]- **اتفكُوا** : تخلّصونه من الدّاء ؛ البلّـيمه : وصف يُطْلَق استهزاءً على من لا يعْرِف شيئا عمّا ينفعه أو يضُرُّه ؛ المِدام: السيدة (كلمة أجنبية: madame)

[7]- **يعمل تعرور** : يُحْدِث دخانا كثيفاً ؛ يقولون : الدخان يتعْرِرْ : أي ينتشر في المكان بكثافة ...

[8]- **جحْـجحْ** : اجلسْ عليه محيطا به بحيث يكون تحتك للتبخير به ..

[9]- بَعْرْ البَلْ : بعـر الإبِـل .

[10]- **نوضْ اتْرانشْ بركات**: انهضْ لأراك أو أرى أيّ شيء يكون ؛ بركات : يكفي ؛ **العزيمة** : التكهُّن ؛ **قْضـاتْ**(بالقاف المثلثة): انتهتْ.

وين ما نُقْــدا ونـــروح ما نلقــى الباب المفتـوح[1]
هاك ترى آطالب لفتوح وأُضـرُبْـلِي خـط الرمـل[2]
راني شاتـي قا نـــزّوّج ما لقيت انظـل نمـــوّج[3]
كرهتْـني حتى بالمعْـزج وحْـده ما حبّـت تقبـل[4]
ضرك انشوفك ياسيدي يسّـقّـم سعـدك بيـدي
انت بُرْجــك تقليدي بُـرْج القــط مع الزحـل
لازملك شوك القنفود سقّـوا مع شـويـة بـارود
اِيـوَلّي حالك مقـدود والمعــزج تهـدالك كل[5]
خلينا نشوفوا ذا الناس اللــي مالكـهم وســواس
كي هبلوا فقدوا الاحساس حـتى المـكر عليهـم طـل
مانـي طالب ما نكتب قا شاتي عنكم نكـذب[6]
قــا مرّات انجــي عاقب انشوف السوق عليه نطل
رانـي طالب او نكتب مع لَسـواق انظـل نـدب
بالسبحة نعــد ونحسب او نُـضـرُب خـط الرّمـلْ

أُمّ القصـــائد

بسم الله ابديت قصيدي ننظم بصلاة الرسول يسهــل مبـداها
صلى الله عليك يا سيد الامم صلاتك في الفُــم زينـة محـلاها
اصلاتك بيـها نْتَـحِّي ونْسَلّم في السبحة الفـــين مرة نقــراها
نستغفر ونزيد بالدعاء نخـتـم خمس اوقات شْهادتي ماننساها
هي زادي في لاخرة نلقاها ثم قـدامي زينـة اعمالي نلقـــــاها
نعقب ع الصيراط زاهي متنعم قـع أُمّـة رسول الله ذي تتمــناها
التكــلان على الله ربي دايـم الهـربا لا ويــن بعـدو نلقـــاها

---

[1] – **وين ما نُقْـدا ونـروح** : أينما ذهبْتُ أو غدوْتُ أو اتجهتُ..

[2] – **الفْتُوحْ** : مبلغ غير محدد يقدّم للمعالِج أُجْرَة له مقابل ما يقوم به من علاج ؛ **اضرُبْ لِي خطّ الرّمل** : تكهّنْ لي بما سيحدُث..

[3] – **شاتِي**: أحبّ وأريد وأرغب ؛ **انْظَـلّ نْمَوَّجْ** : طوال الوقت أهيم بلا غاية أو هدف..

[4] – **كرهتْـني حتى بالمعْـزج** : حتى العجائز من النساء كرهنني وأعرضن عنّي ولم يقبلن بالزواج مني(هنا:كناية عن سوء الحظ في الزواج)

[5] – **اِيـوَلّي حالك مقـدود** : تصبح حالك حسنة مستقيمة ؛ **والمعـزج تهـدالك كل**: والعجائز كلهنّ يقبلْنك بهدوء ومطاوعة..

[6] – **مانـي طالب ما نكتب** : لست إماماً معالجاً بكتاب ؛ **قا شاتي عنكم نكذبْ** : فقط اريد أن أكذب عليكم من باب التسلية..

أحمـد أُمّـتـك ضاقت بالهـم ماطاقتش اتحارب الروم اقْـزاها[1]
اقْـزاها بعلوم مسقـية بالسم حتّمها بالسيف ليـها دربـــاها[2]
خدّرها ولات تمشى وتخمـّم ما تعرف ليّــام وشـــراه اوْرَاها
تتـقاتل امَّرمْده جَمْله في الدّم باسْــم الجهاد قتلت بعضــاها[3]
لامن يرحم خوه ايشوفو مسلم اكْحالتْ لَقْلوبْ كرهت مقواها[4]
مابــان المظلوم ما بان الظالم الظالم والمظلوم دخلت بعضــاها
ماتعرف حتى الكافر م المسلم الشهادة اشـكون منهم مــولاها
احمد لوكان نلقى اللي بفهم انقلوا مَن هُو اسباب اخـــلاها
الصهيون اليوم فينا متـحكم قَيَّرْ في لَدْيان والقدس ادَّاهــا[5]
اصبح جيهادنا سِوى بالْـفُــم حريـة التعبـير ياســـر قلنــاها
الدعاة اختالفت تشكر وتذم مدّيــها لعنــاد دارت مرضـاها
من يَفْـتِي فتوى يحلّل ما حرّم اِيرَضّي في السلطان عاطِيه اكْراها[6]
عُلَما ايْسَـاندو راي الحاكم اكْراها[6]
يــامُحَّد سيـدنا زيــن الخـاتـم الفتـوى فتـوى ويقلب معنـــاها[7]
ضيعنا دستورنا باقي في الفــم هملت عنا طريقـــنا ضـــيعـناها
شفت الفنانين في الاية ترسم من حافظ سورة حشم لا يقراها
تعرض في لوحات بازوق امختـم في الموسيـقــات دايــم تلقـــاها
القرآن اليــوم مدسوس امْـرزّم في الصالة بالوان زينـــة مبـــهاها
الربيا والرشوة خويا ولْد العَـم اكتُب في لارشيف لامن يقراها[8]
الحُقــرة والقُش ولَقْلوبْ افْحَـم العنصريـــة وين كانت جبـــناها
لاعيب ولا عار تلقى اللّي يحشم الكبرا في القيادة ياسر شفـناها

---

[1] – **أحمد** : مُحَّد ﷺ ؛ **ما طاقتْشْ**: لم تُطِقْ ؛ اقْزاها (بالقاف في لهجة المنطقة بدل الغين) : غزاها ؛

[2] – **درْباها** : فعل ماض (**درْبَى**): بمعنى: مدّ وأطلَقَ؛ وهنا جاءتْ بمعنى: ساقها وقدّمها إليها محتّمةً .

[3] – **امَّرمْده جَمْله في الدّم** : مضرّجة وملطّخة كلّها بالدّم (كناية عن سوء الحال من التقاتُل والتناحُر..)

[4] – **مقواها** (بالقاف المثلثة): ما أقواها إذْ تحمّلتْ كل هذه المعاناة (عبارة مستعملة كثيرا في الأوساط الشعبية).

[5] – **قَيَّرْ في لَدْيان**: غيّر الشرائع وخالف الأديان وقلب الموازين ؛ **والقُدْسْ ادّاها** : احتلّها وسيطر عليها بغير حقّ..

[6] – **عاطِيهْ اكْراها**: أي أنّ الأئمة وأهل الرأي يأخذون الرشوة مقابل فتواهم ومساندتهم للحكّام.(يقولون: **كْراه**: بمعنى رشاه أو كافأه)

[7] – **الفتوى فتـوى ويقلب معناها**: الفتوى معلومة ولكنّه يؤوّلها حسب هواه ليرضِي السلطان..

[8] – **مدسوس امْـرزّم** : **دسّ الشيء**: احتفظ به ، **مرزَّمْ**: في شكل رُزَم ومجموعات ؛ والمراد: كثرة كتب القرآن والكلّ يعرفه ولا يعمل به.

يـا مُحَمَّد جيـلنـــا راه اتحـــطـم كشّفـتي من ويكـتا فارقنـاها[1]
اتفـتح ذا الجيل للمكر اتعلم اقْـزاتـــوا لَبْـدوع تَبَّـعْ مجراهـــا[2]
السـرقة والكيف عنها متحتم شوف الموضة في شعـورو وراها
التسـعة اينُوضْ ليها متـــقدم دايم زالـط قا امُّـــــو يستـــناها[3]
القهـوة والقــارّو ريمْ احذاهـــا[4]

سرْوالوا مرْخوف ماهو متحزّم
ما يقرا ما يْطِيقْ ع الخدْمة يخدم اتخبـَلُّوا على اقْـداموا قطّـــاها[5]
شقْله وتْشَوكير في العيب يهَضّم قابـــض لاريات عينو مضّاها[6]
الفوضى اللى شافها ليها يزْدم ايبيّنْ في الرُّجلة اعضَادوا عرّاها[7]
حتى اموا مشكوك فيها تجلطم ساعة وتْطير اخنونتوا ما يلقاها[8]
احقوق الانسان ياسر تتكلم من حقّوا لا سبّْها ولا اعصـاها
الحريـة هكذا فيـنا تخْـــــدم ادافع ع السراق والحق معـاهـــا
احمد سِيـــــدنا ربّي يعْلم ما عرفنـــاش لحْقّْـــها فسّدناهـا
نُطلُب ربي كل عوجة تّسقّم هذا الازمة ما نلقـــاش ادواهـا
يابركت من راه مقبول امسَلّم تتعـــدّل ليّـام للّي وافـــاها[9]
ينصر دين الهاشـمي سيد الامم ويا بَـرْكَتْ لقطات جَمْلة بسواها
نختمها بصلاة طـــه المكرم رايت الاسلام تَعْـلَى لَسْمـــاها
مانـي شاعر قا هاوي نتعلم صلاتو في الفم زَيْـنَـة محـلاها
انحاول كيفاش السامع يفهم كلمة نحفظـها ولُخْرَى ننساها
اللي نعرفها قولتها ماني حاشم يعرف معـنايا افكاري يقـــراها
قولوا قـاع آمين ربـي ياجركم ان شاء الله مني السامع يرضـاها

---

[1] – **كشّفـتي**:كشّفْتِي: يل لَكشْفَتِي (كلمة متداولة في المنطقة تدلّ على الحياء) ؛ **من ويكتا فارقناها: أي:** فارقنا الحياء منذ زمن بعيد.

[2] – **اقْـزاتـوا لَبْدوع** : غزتْهُ الأعمال الغريبة التي لم تكن معروفة فيه من قبل ؛ **تبَّعْ مجراها** : طغتْ هذه الغرائب والعجائب وخضع لها.

[3] – **الكِيفْ**: المخدّرات ؛ **عنْها متْحتّمْ**: لم يستطع تركها ؛ **دايمْ زالطْ**: دائماً بلا مال ؛ **قامُّو يستناها**: ينتظر أمّه فقط ويعتمد عليها.

[4] – **اِينُوضْ**: يستيقظ ؛ **القارو رِيمْ** : سيجارة الدخان من نوع اسمه (ريم) كثير الانتشار بين الشباب..

[5] – **سروالُو مرْخُوف**: السروال المرْتَخِي ظاهرة غريبة بين الشباب في المجتمع ؛ **اقْدَامُو قَطّاها**: غطّى أقدامه من شدة ارتخائه..

[6] – **قابض لاريات عينو مضّاها** : ملازِم لمحطات الحافلات ويحرص على التفرُّج ومشاهدة المارّين ولا سيما البنات(كأن تلك وظيفته)

[7] – **شقْله وتْشَوكير في العيب يهَضّم**: منشغل بملاحظة الآخرين والتجبُّر والاعتداء عليهم، وكثير التلفُّظ بالألفاظ البذيئة بلا وازع .

[8] – **ليها يزْدم** : يسارع للدّخول فيها ؛ **ساعة وتْطِيرْ خْنُونْتُو ما يلقاها** : من حين لآخر لا يتحكّم حتى في مخاط أنفه ولا يشعر به..

[9] – **تتـعـدّل ليّام للّي وافاها** : تستقيم الأمور ويصْلُح الشأن لمن يعيش ليرى ذلك من الأجيال القادمة (هذا دعاء من الشاعر)

يتــولاها برحمتوا يوم النـــدم ينصر الاسلام ع اللي عاداهــا
نطلب ربـي كل عوجة تسقم والشفيـع عُصَاتْنا ما ينـســـاها
يُنْصُرْ دولتــنا ع اللي عاداهــا

استخــلاص:

نستخلـص من هذه النماذج التي سقناها ههنا على سبيل المثال أنّ لهجة المنطقة موضوع الدراسة تتميّز بعدة مزايا، منها أنها تنفرد بألفاظ وتراكيب وعبارات تختص بها دون سواها، ويتداولها الناس فيما بينهم في يومياتهم؛ ومنها أن بعضا منها مستمدّ من اللغة العربية الفصيحة لفظا ودلالة وموضوعاً، ودليل ذلك أنّنا نجد أبياتنا شعرية وأمثالا وحِكَماً في الشعر الشعبي بالمنطقة لها ما يقابلها في الشعر العربي الفصيح؛ ومنها أنّ هذه اللهجة لها خصائص اجتماعية وثقافية ولسانية تتميّز بها وتُعْرَف بها بين لهجات المناطق الأخرى..

وفي هذا السياق، لا يفوتنا التأكيد على أنّ الاهتمام بدراسة التراث الجزائري أصبح ضرورة علمية وأدبية وثقافيـة واجتماعيـة لا بدّ منها، لأنّ التواني عن القيام بهذا الأمر من شأنه أن يؤدّي إلى ضياع كنوز نفيسة فريدة لا سبيل إلى استرجاعها إذا ما تمّ التفريط فيها وإهمالها، خصوصاً في ظل ما نشاهده من التغيّرات والتحولات المتسارعة في عصر التكنولوجيا اليوم..

فهذه الكنوز لا يمكن استغلالها الاستغلال الأمثل، والاستفادة منها على الوجه الأكمل إلاّ بالتـنقيب عنها حال وجودها، ثم الحفاظ عليها واستثمارها على نطاق واسع في حقول متعددة تشمل البحوث والدراسات الاجتماعية والثقافية والتاريخية واللسانية.. وغيرها. وهنا يأتي دور الباحثين ولا سيما المتخصصين منهم في مجال الدراسات التراثية وما تحمله من مخزون فكري وثقافي ولساني، فضلاً عمّا لها من أثر مباشر في مجال الحياة الاجتماعية بكل خصوصياتها وتنوعاتها عبْر مختلف المناطق في وطننا الفسيح ..

ختاماً، لا يفوتنا أن نشير إلى أنّ ما قدّمناه ما هو إلاّ غيض من فيض النفائس التراثية اللامادية التي تزخر بها منطقة غرب شمال الصحراء، كما هو الشأن في سائر ربوع وطننا الكبير، وهو ما ينبغي أن تُخصَّص له دراسات كثيرة تتناول عدة جوانب من تراثنا الغزير الذي يكتنز أسراراً كثيرة تستعصي على العدّ والإحاطة والحدّ، وهذا ما يجعلنا نوجه الدعوة إلى كل الباحثين المتخصصين كي يلتفتوا إلى هذا التراث الفريد المتميّز، وما يحمله من الدلالات والصور المتنوعة التي تعكس واقع الحياة الاجتماعية والثقافية بكل خصائصها ومزاياها.

ملخصات الرسالة

اللهجة الشعبية الجزائرية واستعمالاتها
دراسة سوسيوثقافية تأصيلية لمنطقة غرب شمال الصحراء

ملخـص :

يقوم هذا المشروع البحثي على تتبع المادة اللغوية التي تتضمن مختلف استعمالات اللهجة الجزائرية على تنوعها وتعدد مجالاتها . . وذلك بجمعها ميدانيا من مظانها، واستقائها من أفواه المتكلمين في مختلف المناطق والضواحي التابعة للمنطقة التي تمثل عينة الدراسة، ألا وهي منطقة غرب شمال الصحراء. وبعد جمع العينات التي تقدّم فكرة كافية عن تلك الاستعمالات اللهجية بالمنطقة المذكورة، يتم الانتقال إلى الدراسة والتحليل للمادة المجموعة وفق الخطة التي تم وضعها لإنجاز هذه الدراسة. .

وأمّا طبيعة الدراسة فتتمثل في تناول لهجة المنطقة بالمعالجة والتحليل من الناحية اللغوية، على ضوء المعطيات التي تتميز بها، في دراسة لسانية سوسيو ثقافية تأصيلية، وذلك بربط هذه الاستعمالات اللهجية ببيئتها الاجتماعية والثقافية، ثم القيام بعملية التأصيل لهذه اللهجة بالرجوع إلى منابعها ومصادرها الأصلية لربطها بالبيئة العربية الأصيلة؛ وهذا من شأنه أن يقدّم فكرة عن المجتمع ثقافياً وتاريخياً وحضارياً، وهو ممّا يميّز هذه الدراسة ويعطيها أبعادها التي هي من أهداف هذا البحث.

الكلمات المفتاحيـــة :

لغـة؛ لهجة شعبية؛ جزائرية؛ دراسة؛ سوسيوثقافية؛ غرب شمال الصحراء .

The Popular Algerian Dialect and Its Usages
A Sociocultural Rooted Study of the Northwestern Area of the Desert

Abstract :

This research project traces the linguistic material which entails various usages of the different fields and Algerian dialect. This is done by gathering them in their fields and from people who use them in the areas which represent the population of this study, that is the northwestern area of the desert. After gathering the samples, that give an adequate idea about those dialectic usages in the mentioned areas, the study will shift to studying and analyzing the gathered data according to the plan of this research.

The nature of the study is concerned treating and analyzing the dialect of the area linguistically based on its distinguished data in a rooted sociocultural study by linking that dialectic usages to their social and cultural environment, then a rooting process will be applied to this dialect by returning back to its sources origins to relate it to the original Arab environment. This can give an idea about society, culturally and historically, which is distinguishes this study and gives it its dimensions which are the aims of this research…

Keywords :

Language; popular dialect; Algerian; sociocultural; northwest of the desert.

Le Dialecte Populaire Algérien et ses usages
Etude Socioculturelle Etymologique dans la Région Nord-Ouest du Sahara

Résumé :

Ce projet de recherche est basé sur l'investigation du corpus linguistique qui comporte les différents usages algériens de par leurs diversification et l'étendue de leurs domaines… Et ce par la constitution de ce corpus, à partir du terrain depuis ses sources, recueilli des locuteurs des différentes régions et localités rattachées à la région représentative de l'échantillon d'étude qui est celle de ma région Nord-ouest du Sahara. Après le recueil des échantillons qui donneront une idée suffisante sur les utilisations idiomatiques de la région déjà citée, on abordera l'étude et l'analyse de la matière recueillie selon le plan dressé pour la réalisation de cette étude...

Quant à la nature de cette étude, elle consiste à analyser l'idiome de cette région une analyse linguistique à la lumière des données qui la caractérisent et une analyse sociolinguistique et ce, en rattachant ces usages à son milieu socioculturel et en revoyant cet idiome à ses sources premières en le relayant au milieu d'origine arabe. Ceci nous donnera une idée sur la société culturellement et historiquement et donnera également à cette étude ses dimensions qui font partie des objectifs de cette recherche.

Most-clés :

langue; parler populaire; algérien; étude; sociocultural; Nord-ouest du Sahara

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
استفتـاح	--
الإهداء	--
شكر و عرفان	--
المقدمة	6
مدخل : التنوع اللغوي وأثره في الحياة الاجتماعية	17
توطئة	18
طبيعة التـنوع اللغـوي	19
بين اللغة الأم واللغات الوافدة	20
التنوع اللغوي في ضوء الانفتاح والتطور	23
التنوع اللغوي من منظور اجتماعي واقعي عصري	25
الفصل الأول : اللغة واللهجات وخصائص اللهجة الجزائرية	28
المبحث الأول : تحديدات ومفاهيم	28
توطئة : اللغة واللهجة وما يتصـل بهما	28
مفهوم اللّغة وأثرها ضمن حركية المجتمع	29
فصاحة اللغة العربية ومكانتها	31
اللهجـة في معاجم اللغة	34
اللهجة في إطار النسيج الاجتماعي والثقافي	36
اللحن واللهجة العامية	37
بين اللغـة واللهجـة	38
التداخل اللغوي والتحول اللغوي	41
التعددية، الثنائية، الازدواجية اللغوية	44
الثنائيـة/الازدواجية اللغويـة وتعدد أنواع التواصل.....	48
المبحث الثاني : اللهجات العربية واللغة الأصلية	50
أهمية اللهجات الشعبية ضمن الدراسات التراثية	51

تنوع اللهجات العربية وانتماؤها إلى اللغة الأمّ 53
تداول اللهجات العربية ضمن اللغة الأصلية 56
عوامل التأثير والتأثر بين اللغة واللهجات 59
وشائج التقارب والترابط بين اللهجات العربية واللغة الفصيحة 61
المبحث الثالث : تنوعات اللهجة الجزائرية وخصائصها 65
موقع اللهجة الجزائرية في الخطاب اليومي 66
طبيعة اللهجة الجزائرية وروافدها 67
عوامل التأثير والانتشار في اللهجات الجزائرية 68
الاحتكاك بين اللغات واختلاط بعضها بالبعض 70
تنوعات اللهجة الجزائرية وخصائصها 71
اللهجة الجزائرية وإشكالية التعبير في الأدب الجزائري 80
تنوع المستويات اللغوية في الكتابة 82
الفصل الثاني : مميزات لهجة منطقة غرب شمال الصحراء بين اللهجات الجزائرية 85
المبحث الأول : التقارب والتمايز بين اللهجات الجزائرية وموقع لهجة غرب شمال الصحراء 85
توطئة 86
مواطن التقارب 87
مواطن التمايز 88
التعريف بمنطقة غرب شمال الصحراء وموقع لهجتها بين اللهجات 89
أولاً : تقديم فكرة موجزة عن منطقة الدراسة 89
ثانياً : مميزات لهجة المنطقة وموقعها بين اللهجات 98
نماذج تطبيقية من لهجة المنطقة 101
المبحث الثاني : الخصائص الاجتماعية والثقافية للهجة منطقة غرب شمال الصحراء 108
توطئة : الطابع الاجتماعي والثقافي للّغة ولهجاتها 109
عراقة المنطقة وتأثير معالمها في المجتمع وثقافته 111
امتدادات لهجة المنطقة وأبعادها الاجتماعية والثقافية 114
خصائص لهجة المنطقة وقربها من اللغة الفصيحة 117
ثبات لهجة المنطقة ومحافظتها على أصالتها 123
نماذج لأثر الحِكَم والأمثال بالمنطقة في الحياة الاجتماعية 127

المبحث الثالث : الخصائص اللسانية للهجة منطقة غرب شمال الصحراء 129
أولاً : الخصائص الصوتية للهجة الشعبية بالمنطقة 130
توطئة 130
أولاً : الخصائص الصوتية للهجة منطقة غرب شمال الصحراء 132
ثانياً : الخصائص المعجمية 137
ثالثاً : الخصائص الصرفية 145
رابعاً: الخصائص التركيبية والأسلوبية..... 149
خامساً : الخصائص الدلالية 157
سادساً : الخصائص البلاغية 158
الفصل الثالث: نماذج تطبيقية من المدونة الشعبية بلهجة منطقة غرب شمال الصحراء 164
المبحث الأول : حقل الأشياء المادية المحسوسة 164
توطئة 165
حقل الأطعمة والأشربة 166
حقل الألبسة والثياب 183
حقل الأفرشة والأغطية 188
المبحث الثاني : حقل الأشياء المعنوية المجردة 193
توطئة 194
حقل الدين والثقافة والتعليم 194
حقل العلاقات الأسرية والاجتماعية 203
المبحث الثالث : حقل الصفات والأحوال المختلفة 213
توطئة 214
أولا : حقل الصفات والأحوال الحسية 215
ثانياً : حقل الصفات والأحوال المعنوية 225
الخاتمة والنتائج 234
المصادر والمراجع 240
ملحق : قصائد شعرية محققة تتضمن استعمالات اللهجة الشعبية بمنطقة الدراسة 248
ملخصات الرسالة باللغة العربية واللغة الأجنبية ..... 267 - 265
فهرس الموضوعات ..... تمّ بحمد الله 272 -268

تمّ بحمد الله